@ketab_n
Follow Me
8.5.2016

جيمس كيلمان

كم تأخر الزمن

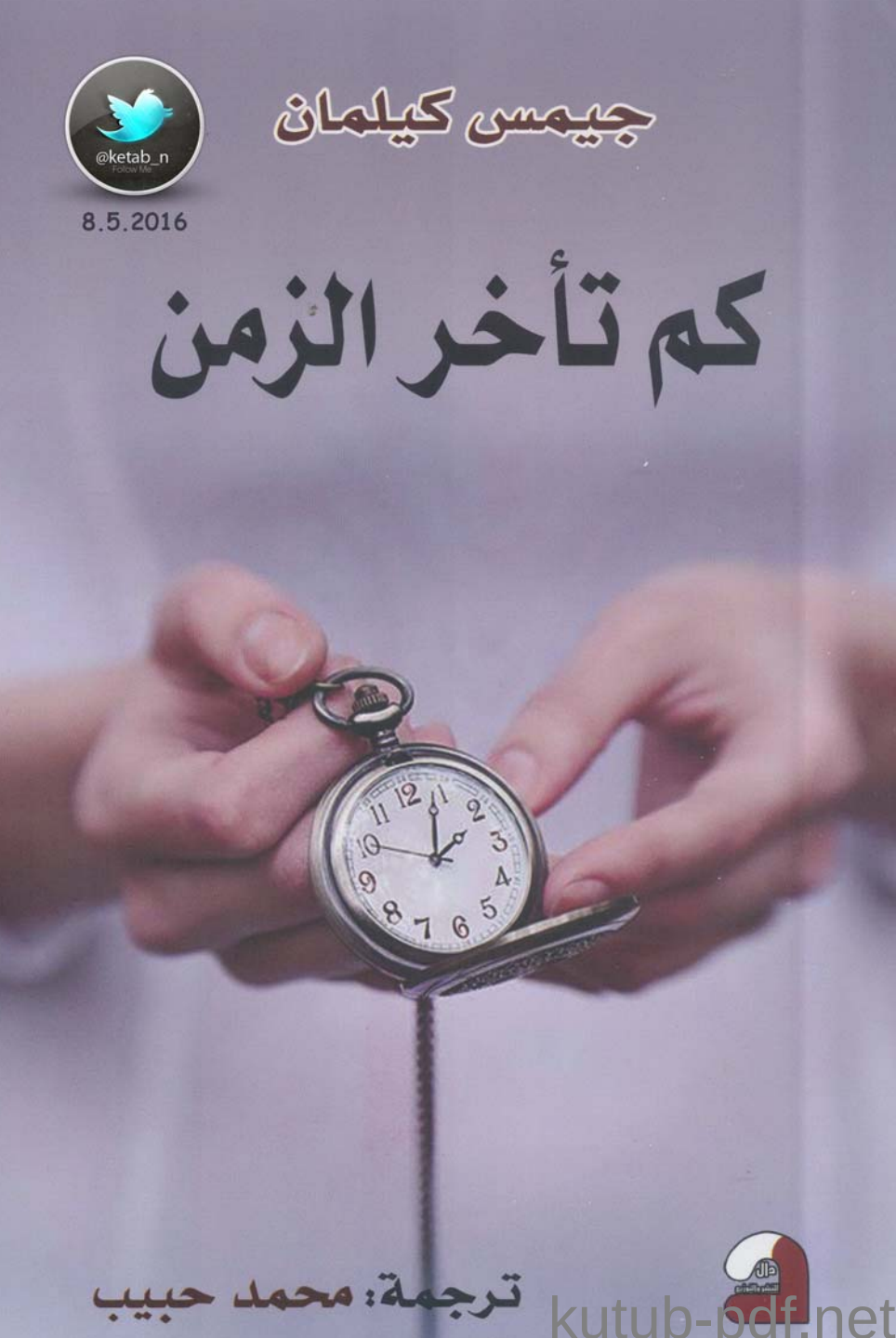

ترجمة: محمد حبيب

kutub-pdf.net

جيمس كيلمان

كم تأخر الزمن

رواية

ترجمة: محمد حبيب

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

كم تأخر الزمن

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

♦ جيمس كيلمان
♦ كم تأخر الزمن
♦ ترجمة: محمد حبيب
♦ جميع الحقوق محفوظة للناشر©
♦ الطبعة الأولى 2015
♦الناشر : دال للنشـــر والتوزيـــع
سورية – دمشق– ص. ب: 29170
هاتف: 00963 936 092496
البريد الالكتروني: n_hammdan@yahoo.com

All rigyts reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, inclouding photocopying, recording, or any information storage and retrieval system, without permission in writing form the publisher

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

إهداء المؤلف

ألسداير غري، توم ليونارد

أغنيس أوين وجيف تورينغتون

ما زالوا أحياء

شكراً للمسيح

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

إهداء المترجم

إلى صديقي نجيب لايقة

"لم يتأخر الزمن عليك بنوائبه

ولم تتأخر في مقارعته"

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

مقدمة

جيمس كيلمان اسكتلندي الأصل والمولد (1946). يُعتبر الآن من ألمع الكتّاب الواقعيين في اسكتلندا. ومن مؤلفاته:

ليس في وقت الحوالة (1983)، *قاطع التذاكر مينز* (1984)، *صائد الفرص* (1985)، *حكايات لين* (مجموعة قصصية مشتركة مع ألسداير غراي وأجنيس أوين)، *الاستياء* (1989) فازت بجائزة جيمس نايت التذكارية؛ *الحِرق* (مجموعة قصص) فازت بجائزة جمعية الكتاب الاسكتلنديين؛ *كم تأخر الزمن*، فازت بجائزة البوكر للرواية الإنكليزية.

بيكيت الجديد:

يُعتبر كيلمان أحد أبرز الكتّاب الواقعيين في اسكتلندا. يمتلك مقدرة عالية على كشف مكامن العطب في المجتمع والشخصية

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

الاسكتلنديين. إن حياده صقيعي الملامح وشفيف المكامن والتعاطف وسخريته العميقة جعلت بعض النقاد يصفونه بأنه أكثر سخرية وسخطاً من بيكيت. وعندما ظهرت مجموعته القصصية (الحِرق) علق أحد النقاد قائلاً: " سواء قدمته هذه المجموعة على أنه بيكيت جديد، أو كافكا آخر، أو أفضل كاتب بعد (إميل زولا)، أو باعتباره خليفة بينتر، فإنه من الأفضل أن نخفض بصرنا قليلاً ونكتفي بالقول إنه أكثر الكتّاب إمتاعاً من حولنا.

تتميز أعمال كيلمان بلغتها النابضة بإحساس شخوصه وتجاربهم. تأخذنا مونولوجاته الاستحواذية بلغتها البسيطة البريئة الركيكة والبعيدة عن الصرامة والبلاغة النحوية إلى تداعي أفكار شخصياته ووعيها لتجربتها الحياتية. كما تتسم كتاباته بذكاء حاد وحذاقة، وشطحات خيال، وصدق موزّع بالتساوي على شخوصها العاديين ويمكّنهم من مواجهة أقدارهم في أسوأ حالات الألم.

المترجم

kutub-pdf.net

تستيقظ في زاوية وتقبع فيها تأمل أن يختفي جسدك. تخنقك الأفكار. تريد أن تتذكر وتواجه الأمور ببسالة، لكن شيئاً ما يمنعك. لماذا لا تستطيع أن تتذكر؟ سيل كلام لا ينقطع يملأ رأسك. هناك خطأ ما؛ خطأ فادح، أنت رديء، أنت إنسان سيّء. تحاول أن تعرف أين أنت؟ إنك هنا، مُكَوَّمٌ في هذه الزاوية مع هذه الأفكار التي تملأ رأسك. وآه يا مسيح، ظهره المتيبس يؤلمه ورأسه يطن. ارتجف وأحنى كتفيه، أغمض عينيه، فرك زاويتيهما مشاهداً كل أنواع البقع المضيئة والمعتمة. أين هو بحق الجحيم؟..

إنه هنا يتكئ على سياج قديم صدئ بركائز مدببة، بعضها مكسّر أو نُزِع من مكانه. نظر ثانية فوجد أنه يجلس على فراش قش صغير. ظهرت قدماه في مرمى نظره. تفحصهما، إنه يلبس خفافة[1] رياضة عتيقة. من أين جاءته بحق الجحيم؟ فهو لم ير هذه الخفافة العتيقة التافهة من قبل. حتى إن رباطيها ليسا مربوطين. أين حذاؤه

[1] خفافة، هي التسمية العامية المتداولة لحذاء الرياضة.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

الجلدي؟ حذاؤه الجلدي جديد اشتراه منذ أسبوعين والآن ضاع يا رجل تعرف ما أقصد، لا بد أن شخصاً ما قد سرقه، سفلة حقراء، يا لحظك التعس! وبعدئذ تركه بهذه الخفافة. مقايضة لعينة. إلا إن كان ذاك السافل حسبه ميتاً. حسن، بوسعك تخيُّل ذلك. سافل حقير يقف بجواره يهرش رأسه مفكراً، لا أحد يراك، لا أحد يراك لم لا تأخذ الحذاء إذن؟ فالرجل ميت، خذه، أفضل من أن تتركه يضيع ويتفسخ هنا، لم لا تأخذه بحق المسيح؟ لا بد أن السافل اللعون تفحصه جيداً واكتشف أخيراً أنه لم يكن ميتاً وهكذا اكتفى بتبديلهما وألبسه خفافة الرياضة بدلاً من حذائه الجلدي.

اللعنة. هز رأسه ونظر إلى الطريق: شاهد أناساً، هناك أناس، أعين تتطلع. هذه أعين تتطلع، وضوء مبهر اضطره أن يظلل عينيه براحتيه، كأنهم مخلوقات سماوية تشع نوراً ربانياً أو ما شابه؛ لكن لا بد أن الشمس كانت عالية جداً من خلفهم وترسل أشعتها من فوق أكتافهم. ربما كانوا سياحاً؛ يحتمل أنهم سياح غرباء يزورون المدينة في رحلة عمل قحبة. وهم هنا بإذن من مكتب تشجيع الاستثمار في مجلس المدينة، تقودهم فتاة، موظفة دعاية وإعلان، جميلة ببدلة أنيقة التفصيل وشفتين قرمزيتين وابتسامة صغيرة هادئة. يرونه هنا، لكنها ملزمة بعدم إخفاء الأمور وبأن تأخذهم إلى كل مكان يمليه الواجب الوظيفي. وهكذا كان بوسع هؤلاء الرجال الغرباء رؤية كل شيء، والأرجح أن هذا جزء من الصفقة وإلا ما كانوا ليستثمروا هنا ثرواتهم التي كسبوها بعرقهم، تلك هي القاعدة الأساسية، يا رجل، وهي ضرورية أحياناً إن كنت رجل أعمال؛ تفهم ما أقصد. حسنٌ، قم بدورك يا سامي وابتسم لهم، وهكذا يمكن أن يقولوا إنك تعرف حياة مختلفة عن هذه التي يرونك فيها هنا.

ما أنت عليه الآن، وهو جزء من كلٍّ، يعرفونه جيداً لأنهم تلقّوا عنه معلومات كافية من مؤسسي مكتب تشجيع الاستثمار. وكذلك

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

مجلس تضامن المدينة، تعرف ما أقصد، يا رجل. نهض سامي الشجاع واقفاً. بعدئذٍ ركع ليربط رباطي الخفافة متظاهراً أنه لم يكن يرتجف. بحق الجحيم، كان يلبس بنطلونه الجديد القحب وهذا البنطلون مبقع. كيف حدث ذلك يا رجل كان يلبس بنطلوناً جديداً، في أي جهنم أصبح بنطلونه الجينز. آه يا للجحيم! هيّا، تماسك انهض وامش، انهض وامش، متظاهراً هنا أنه لن يتعثر، لن يسقط، أنه بخير، وينجز عمله على أكمل وجهٍ؛ سامي الشجاع ينجز عمله، كان في طريقه إلى مكانٍ ما؛ سار قدماً ودار نازلاً الطريق. ها هنا شخص ينظر إليه أيضاً! كيف حدث أنهم جميعاً ينظرون إليه؟ هذا الشخص بوجهه الأصفر الكبير، عينيه الثعلبيتين الصغيرتين ومعطفه المطري ذي الزنار العتيق، كان ينظر، لا ينظر بل يلتعن يحدق، يحدق مباشرة في سامي، يا مسيح، ربما هو من سرق حذاءه الجلدي. تباً! حدجه سامي بالمقابل وبعدئذٍ راح يفتش في جيوبه، كان بحاجة إلى نقود، إلى دخان، أي شيء، أي شيء مهما يكن يا رجل كان بحاجة لشيء لعين بدلاً من هذا الترنح هنا مثل متسكع سكران ذليل. نظر إلى السيّاح ثانية. لكنهم لم يكونوا سياحاً، ليس هذه المرة على أية حال، بل جنود سفلة. استطعت أن تشمّ رائحتهم حتى وهم في زيهم المدني. كان سامي يشم رائحتهم عن بعد ميل، نعم تستطيع أن تعرفهم من أعينهم، إن كنت تعرف هذه الأعين، فسوف تعرفهم حالما تراهم فأعين كهذه لا تُنسى. حتى إنه لعن نفسه إن لم يكن قد عرفهم شخصياً من مكان ما، من يدري؟

لقد قرر. مباشرة الآن وهنا، هنا اتخذ القرار.

كان يبتسم، لأول مرة منذ أيام. تفهم ما أعنيه، لأول مرة منذ أيام، كان قادراً على الابتسام. عليهم اللعنة جميعاً. لبس الجاكيت، شدّها إلى الأسفل من الأمام، تلمس بيده ليعرف إن كان يلبس ربطة عنق، بالطبع لا. نفض مرفقيه وقفَا بنطلونه ليزيل أية

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

أوساخ عالقة عليه فشعر ببقعة كبيرة رطبة على مؤخرته، ومن يبالي؟ كان يبتسم ثانية، عندئذٍ مسحها، وسار خلفهم، يداه في جيبي بنطلونه، حتى توقفوا لبعض الاستطلاع، فاصطدم بهم مباشرة، وكان بوسعك أن ترى أنهم لم يحبّوا ذلك، أن يصطدم بهم بقوة، لم يحبوا ذلك يا رجل!

قال سامي باستهزاء، هازاً كتفيه، هيه يا صاحبي أحتاج جنيهاً، أنا لست شحاذاً ولأكن صادقاً فقد كنت أشرب ليلة أمس ولا أذكر مما جرى سوى أنني فقدت نقودي. وكنت أحمل مرتبي وهذا اختفى أيضاً. لقد سلبني سافلٌ ما على ما أظن. فأنت لا تعرف من يتسكع في الشوارع هذه الأيام. تعرفون ما أقصد، هذه الأيام، أنت لست آمناً عندما تمشي في الشوارع.

لكن هؤلاء الجنود، يا رجل، إن لم تكن مليونيراً أو ما شابه فعليك أن تتكلم إليهم بالصوت المناسب، فهم لا يعبئون بك.

نظر الجندي الأقرب إلى سامي مندهشاً قليلاً من هذا السلوك الاستفزازي، ونظر شذراً إلى رفاقه ليعرف رأيهم. لكن سامي عاود السيطرة على الموقف بسرعة!

فقال: لا، بصدق، أخذت مرتبي وذهبت مباشرة إلى حانة مع اثنين من الأصحاب، وشيء قاد إلى شيء آخر، استيقظت خارج حدود المدينة في مكان ما حيث تحتاج لاثنين وعشرين باصاً لتعود إلى بيتك، تعرفون ما أقصد، شيء فظيع. حصل ذلك في ساعات هذا الصباح الأولى، كان لدي ما يكفي للعودة إلى المدينة. ويجب أن أعود إلى البيت، ستجن زوجتي، ستصاب بانهيار عصبي. بالمناسبة في أي يوم نحن؟

كانوا يماطلون، يتظاهرون بعدم الاهتمام، لكن سامي عرف ذلك جيداً فبقي حذراً، وعدّل وقفته. مريحاً ركبته، مهيئاً نفسه. ثم قال، فكرت أن أحصل على نصف جنيه لكنني أحتاج لنصف جنيه آخر،

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

وهذا ما أطلبه منكم، جنيهاً لأركب القطار إلى البيت، أقصد خمسين بنساً لن تكفي، تعرفون ما أقصد، ثلاثين شلناً أو لا شيء.

– انقلع من هنا.

– لا، المسألة هي أنني

– أنت بخش مجنون.... ومن تحدث وضع يده على فمه وكأنه يخفي حقيقة أنه المتكلم.

– أأنت بخير يا صاحبي؟ هل يؤلمك ضرسك؟

– امش من هنا.

هتف سامي ووقف ينظر إليه وكأنه مندهش كلياً بهذا الرد. أظهرَ لهم استعداده للعراك وهو يجاهد كي لا يضحك، أقصد أن ضحكة كانت على وشك أن تفلت منه، كان على وشك أن يغرق في ضحك هيستيري أو ما شابه. لكنه سيطر على نفسه ثانية. شعر بتحسن، تحسن حقيقي. كان متوتراً كالجحيم، لكنه مرتاح في الوقت نفسهٍ. ابتسم سامي، عندئذٍ هز الجندي رقم (1) رأسه بعنف وقال، كفٌ عن ذلك أيها السافل وإلا ضربتك.

انقلع أيها الحشرة. قال الجندي رقم (2)؛ وبعدئذٍ وضع يده على كتف سامي الأيمن. تركه سامي يقبض على كتفه وبتقاطع يساري جميل، يا رجل، لكمه مباشرة على حنكه، شعر كأن يده انكسرت. هجم عليه الجندي رقم (1) لكن سامي أرجع قدمه إلى الوراء فإلى الأمام ورفسه على قصبة ساقه، فزعق الرجل وسقط أرضاً. انطلق سامي يركض هارباً لأنه لو تأخر لحظة واحدة لعادا إليه، وكرمى للمسيح، تباً لهذه الخفافة اللعينة يا رجل! شعر أن أصبعه الكبيرة قد انكسرت كانت تزنُّ زن زن بويو يويو يونغ. وهو يركض صاعداً الطريق ومباشرة عبر الشارع الرئيسي دون أن ينتبه، لم يزعج نفسه

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

بالانتباه إلى حركة المرور أو أي شيء. كان يركض إلى الأمام وعيناه تبحثان عن مكان مزدحم: اركض يا رجل اهرب، اهرب، والآن سمع مجموعة الملاحقين خلفه يصرخون وكأنهم لصق ظهره، لكن سامي كان ينطلق مثل عجلات قديمة.

تعثّر بالرصيف وكاد يسقط بينما كانوا يصرخون من ورائه أمسكوا السافل! أمسكوه! كانوا غاضبين جداً! يا للجحيم يا رجل! كان سامي يضحك— ربما بدا الأمر وكأنه ينشم مخاطه لكنه كان يضحك، يضحك مسروراً جداً من نفسه، مسروراً جداً! وبعدئذٍ ترنّحت ساقاه مثل ساقي مهرّج أو ساقي دمية من القماش. كيف أفلتتا منه وكيف كاد ينشقّ، وانزلق، وسمع صوتاً مثل التحطم في أسفل عموده الفقري. كان على الأرض ممدداً فوق الرصيف. تحلّق حوله أصحاب الدكاكين، نساء وأولاد، عربتا أطفال فيهما طفلان يحدقان فيه بأعينهم الكبيرة. بعدئذٍ وصل الجندي وحاول أن يضبط نفسه لكن بدا أن ذلك يحتاج إلى جهدٍ خارق لا يملكه، فرفس ببوطه مباشرة في بطن سامي، وألحقها برفسة أخرى.

لم يستطع سامي أن يهرب، حاول أن يتنفس لكنه لم يستطيع أن يأخذ نفساً واحداً؛ حاول أن يحبو لكنه كان يترنح، وبصق على الجندي الذي كان عائداً أدراجه، ثم مسح فمه بمعصمه، وصل الجندي الآخر أيضاً، أوقفاه على قدميه، جرّاه إلى أول مدخل بناية قديمة بجوار معرضٍ مفروشات. شعر بارتجافهما، كانا غاضبين يا رجل، غاضبين جداً. كانا اثنين فقط وهذا مناسب، 'اهرب يا رجل' فكر سامي لنفسه، لكنه كان أعجز من ذلك لم يستطع أن يهرب، قبضا عليه، قبض أحدهما على مؤخرة رقبته وعلى معصمه الأيسر ولوى الآخر ذراعه اليمنى إلى الخلف فآلمته جداً وكأنها تنخلع من مكانها يا رجل. كان بوسعك أن تشعر بالألم في المفصل اللعين، وجانب

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أضلاعه؛ وبشهيق وزفير الجنديين. بعدئذٍ دارا به حول زاوية ودخلا مدخلاً خلفياً. لكنك تسدل الستار هنا أيضاً، فلا فائدة من إطالة الألم.

أخرجاه بعدئذٍ ليجد نفسه في سيارة. كانت الكلبشة قارصة، والأشياء مظلمة، بدت الأشياء مظلمة لكنها مألوفة؛ ذلك ما فكر فيه، حتى الكلمات في رأسه كانت الكلمات المألوفة ذاتها. بعدئذٍ وضعوه في السجن، الشيء الأكثر ألفة.

عندما استيقظ أول مرة كان يحتضر. لم يعرف في أي جهنم هو. نظر حوله، كان على الأرض ورائحة البول المنبعثة منها تملأ منخريه، وكانت ذقنه مبللة وحول فمه شيء كالمخاط يسيل من أنفه — ربما كان دماً، يا للجحيم يا رجل. ألمٌ فظيع.

هناك شخص يراقب. استطعت أن تعرف ذلك.

لكن الأضلاع اللعينة، يا رجل، والظهر. يا يسوع المسيح، كان كل نفسٍ كابوساً.

كان في السرير مستلقياً على جنبه. كيف نهض؟ لقد نهض، كيف فعل ذلك..! لقد فعله. كانت هناك بطانية، سحبها بيده، لكنها لم تتزحزح، كانت ثابتة تحت جسمه، اللعنة! أغمض عينيه. عندما استيقظ ثانية كان تنفسه أسوأ، خصوصاً الرئتان، حيث تأذتا، لكن ليس كثيراً كالأضلاع. بقي مستلقياً، يأخذ أنفاساً قصيرةً كل مرة. لم يحرك جسمه حتى بدأ جانب رأسه يؤلمه بشدة فانقلب على بطنه. المراقب ثانية. ظنَ سامي أنه يستطيع أن يرى العينين في الظلمة. بعدئذٍ كان ضوء النهار. كان يحدق في السقف، يرى صوراً في تشققات الطلاء. وضعه ليس جيداً. كان جيداً من قبل، لكن ليس الآن. فهناك أمور خارج السيطرة. توجد أمور تحت السيطرة لكن هناك أمور أخرى خارج السيطرة لقد تركها تفلت من سيطرته.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

بدت التشققات في السقف مثل خارطة أرض عميقة. فيها أنهار وغابات، أنهار وغابات. أي نوع من الأراضي هذه؟ أرض سعيدة! هناك أرض سعيدة، توجد أرض سعيدة.

فيما بعد كان يقف ويمشي إلى الحائط، ويعود ثانية، متسائلاً أي يوم لعين هو اليوم لأنه كان على خلاف عويص مع هيلين، وذلك ما سيؤول إليه الأمر يا رجل: فسوف تقذف به خارج الباب في أحسن الأحوال. ستكون أشياؤه مرمية خارجاً في الممر. عندما سيعود إلى المنزل سيراها مرمية هناك. كومة ثياب لعينة. إنها هيلين المتمرسة يارجل ماذا يسعك فعله.

يايسوع المسيح، ظهره، أسفل عموده الفقري، يقتله من الألم، وكذلك ساقاه عند الوركين وباطن الركبتين، لكن الأضلاع، كان ألم الأضلاع قاتلاً.

ظهر المراقب ثانية، العينان نفسهما، لابد أنه كان يقوم بعمل مزدوج. بدأ سامي بالتهويم: المراقب يرثي لحالته: أنا وأنت أخان، رفيقان، سآتيك بحبتين، تريحانك من الألم، وكوب شاي وبيضتين مقليتين على قطعة خبز، طبق حساء وربما سيجارة. اللعنة كان سامي خرمان على سيجارة، نبش في جيوب بنطلونه لكنها كانت فارغة، لا شيء على الإطلاق، ولا حتى قسيمة رهان. وكان يلبس سلسلة في عنقه وهذه أيضاً اختفت لم يستطع أن يجزم إن كان يلبسها عندما استيقظ أم أنهم صادروها، أو أنه راهن بها، تفهم ما أقصده، لم يستطع أن يتذكر.

حتى إنه لم يلاحظ أن بنطلونه يكاد يسقط منه مع كل خطوة، لقد فقد أيضاً نطاقه العريض المتين. سفلة قذرون، كيف يستطيع الذهاب إلى تكساس الآن، خصوصاً وأن بطاقته الشخصية قد فقدت أيضاً. الخفافة تحت السرير، لكن دون الرباطين مما أفقدها شكلها

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

الرسمي، الشكل المقبول. على أية حال كانت قدماه تؤلمانه، ومن يبالي؟. سحب سامي القميص من تحت البنطلون ليتفحص جسده، تاركاً المراقب يعرف أنه عرف ما حدث له، وكأنه يلمّح إلى شاهد مستقبلي، إذا ما طالب بالتعويض، أقصد لا يمكنك أن تضرب الناس ضرباً مبرحاً دون أن تتوقع منهم أن يرفعوا دعوى عبر الجهات المعنية، حتى إن كنت موظفاً رسمياً لدى الحكومة، أعني أن ضرب مواطن أمر مخالف للقوانين.

كانت الكدمات الزرقاء سيئة جداً، ترك قميصه يتدلى فوق البنطلون واستدار باتجاه الباب، لا يزال المراقب هناك: هيه أيمكنني إجراء مكالمة هاتفية؟ هيه..

يا مسيح، كان صوته نعيباً. لا بأس. مصّ اللعاب من سقف حلقه وابتلعه: هيه ماذا بشأن المكالمة الهاتفية؟

رمشت العينان مرتين.

أحتاج لإجراء مكالمة! أريد أن أخبر زوجتي بمكان وجودي!

تكلم المراقب. هل قلت شيئاً عن القوانين؟ هيه؟ هل قلت شيئاً عن القوانين؟

-أنا! لا.

-آه عظيم... تعرف: كثير من الناس لا يعرفون شيئاً عن القوانين. ولهذا تراهم يسألونني عنها. لكنك تعرفها إيه! عظيم.

بعدئذٍ اختفت العينان. سافل ذكي. جلس سامي على السرير. مثانته على وشك الانفجار يجب أن يتبول. إنه يعاني من التجفاف لكن مثانته ستنفجر إن لم يتبول. حياة حقيرة. نزل عن السرير وركع فوق السطل، حلّ بنطلونه، لكنه كان يرتجف كنابض وسقط

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

البول خارج السطل على الأرض فتراجع إلى الوراء، محاولاً ألا يعلق قضيبه بسحاب البنطلون أيضاً. يا مسيح، لا بد أنه تبول داخل ساق بنطلونه بسبب الارتجاف الذي كان يرتجفه، وجرى البول خارجاً من أسفل ساقه، تخيّل الجندي يراقبه عبر كاميرا المراقبة، وفي يده دفتر الملاحظات: " تبوّل على الأرض." ويجب أن يجففها بأية طريقة، أقصد إن كان سيبقى هنا لأنه لا يريد أن يمشي بجوربيه في بركة بول. بحق المسيح، فهو لم يصل تلك الحالة الحقيرة بعد. وجد لفافة ورق تواليت. عندما انتهى أخذ منها ملء يده وراح يجفف الأرض. زحف إلى السرير، ولم يكد رأسه يلامس الوسادة حتى غط في نوم عميق. عندما استيقظ ثانية كان الظلام يملأ المكان من جديد، والألم، يا مسيح! كان يتألم حقاً، جسمه كله يؤلمه. وبعدئذٍ عيناه أيضاً، فيهما خلل ما وكأن الوقت لا يزال نهاراً وهو يقرأ كتاباً ويرى الحرف مضاعفاً أو ما شابه. تذكر عندما كان يقرأ كل شيء عن التنجيم، السحر وتجارب الديانات الغريبة. وبدأت الكتابة تزداد ثخانة وسواداً، كل الحروف تثخن حتى لم يعد هناك أي فراغ بينها، ولا شك أنها مجرد مصادفة لكن في الوقت نفسه، يا رجل، كان يتوتر بسبب أشياء أخرى وهكذا اعتبر الأمر مشكلة محض شخصية، تعرف ما أقصد. وبعدئذٍ بدأت رأسه تحكه كثيراً. الأرجح أن الفراش كان مبللاً، تلك البطانية الحقيرة العتيقة، ورائحته العفنة، يا مسيح! لو يستطيع غسل شعره؛ ذلك ما كان يريده. لكن عينيه، تلك كانت المشكلة الرئيسية بدا وكأنه قد عمي لكن الظلمة منعته من قبول الحقيقة. بدا له أن الوقت صباح. قام ببعض المناورات لكنه لم ير شيئاً. لا شيء على الإطلاق. قام بمناورات أخرى ولم ير شيئاً. لكن هناك في مؤخرة عقله لديه ذلك النوع الغريب من الذكريات، فكأن ما يحدث له هو شيء قد خبره لفترة. إلا أنه لم يسجل تلك الحقيقة، وكأنها كانت كابوساً بشعاً يجري

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

مع حياته جنباً إلى جنب. قام بمناورات أخرى، رفع يديه، كلتا يديه، إلى وجهه، وحركهما أمام عينيه، خدش خده تحت محجر العين اليمنى، بعدئذٍ أغمض عينيه ووضع أصبعين على جفنيهما فتحهما وأغمضهما لكن لا شيء! بحق الجحيم يا رجل، لم ير شيئاً. درس المحيط من حوله، ناظراً إلى الشقوق التي يتسرب منها الضوء، حيث يجب أن يكون المراقب يراقبه، ربما رفت العينان، لكن لا شيء، مد يده متلمساً السرير وتحسس الأرض أيضاً ووجد شيئاً ما، حذاءً، رفعه أمام وجهه. شمه، كانت رائحته كريهة، لكنه لم يستطع رؤيته، لمن هذا الحذاء القذر؟ لم يكن حذاءه، بالتأكيد. إنه أعمى وأعمى بالتحديد. قدر حقير، فظيع. لم يبد له الأمر ككابوس أيضاً، وذلك هو الغريب في الأمر. حتى سيكولوجياً. في الواقع، بدا الأمر مقبولاً، مثل دفقة تشوش أوّلي صغيرة، نوع من التوتر لكن ليس ما تسميه حالة هلع. يا مسيح، كأنها حالة جديدة، حتى إنها كانت تجعله يبتسم، ويهزّ رأسه من هذه الفكرة متخيلا نفسه يخبرها للناس، يجعل هيلين تضحك. ستستاء كثيراً لكنها ستراه أمراً مضحكاً. خصوصاً بعد أن يتصالحا بعد ذلك الشجار السيء، بسبب سوء فهم مطبق يا رجل لكنه انتهى الآن، سيكون منتهياً مجرد أن تراه.

كان يضحك لنفسه الآن. كيف، بحق الجحيم، كانت تجري الأمور معه. ألا يبدو أنه كان موسوماً بالعظمة..

شرع يفكر بالأمر، حتى بالمفاهيم العلمية، بعدما ينتهي هذا الهراء، هذه المرحلة الجديدة في الحياة، هذا التطوّر. طورٌ جديد! كان بحاجة لرؤية هيلين، بحاجة ماسة لرؤيتها. لو يستطيع أن يراها، يا رجل، يتحدث إليها، فقط ليقول لها ما حدث. بداية جديدة، تلك هي الحال... نزل عن السرير ووقف على قدميه ولم يتعثر تقريبا. كانت الحياة القديمة بحكم المنتهية الآن، لقد انتهت يا رجل، نهاية

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

حقيرة. تلمس طريقه، دافعاً قدميه إلى الأمام، وصل الحائط. ركع على ركبتيه ليتحسس الأرض: باردة لكنها صلبة، باردة لكنها صلبة، واعتراه شعور بأنه موجود في مكان آخر من العالم وبدأت في رأسه موسيقى، موسيقى حقيقية، كانت موسيقى منوّمة، الآلات تعزف لحن توما توما تومي، توم، توم، تي توم، توم، توم، توم، تي توم، توما توما تومتي توما توما تومتي بويونغ، بويونغ بويونغ بويونغ بويونغ، بويونغ، بويونغ بويونغ، بويونغ بويونغ. جلس على الأرض وانقلب على ظهره، استلقى هناك مبتسماً. بعدئذٍ ووجهه مقطب من شدّة الألم، انقلب على بطنه ببطء محاولاً تخفيف الألم في تلك المنطقة الصغيرة من ظهره. حرّك وركيه قليلاً، بعدئذٍ بدأ الألم يخف تدريجياً، نازلاً إلى أليته اليمنى فإلى الأسفل قليلاً حتى توقف، عَلِقَ. حرّك وركيه إنشين، فانتقل الألم إلى الأسفل إلى كاحليه وخرج من أصابع قدميه، من الفراغ بين الأظافر واللحم، خرج الألم مجتازاً تلك الطريق. شعر بتحسن حقيقي، كان تحسناً حقيقياً. هذا نوع من السيطرة على جسدك عندما يؤلمك، كيف تبقى حياً، كيف تبقى حياً. انهيار كامل للأفكار. ينهي كل هذه القصة برؤية مشؤومة قليلاً: إن كان هذا الوضع دائماً فلن يستطيع أبداً أن يرى نفسه ثانية. يا مسيح، هذا أمر فظيع! ولن يرى السفلة ينظرون إليه. ماذا يهم، لكن ماذا يهم، ينظر السفلة إليك، ومن يبالي. ينظرون إليك أحياناً، كان بعضهم ينظر إليك على أية حال، يبدون قادرين على النظر إليك وتلك أكثر من نظرة: إذ إنها تشبه نظرة تلك المعلمة العجوز، عندما كنت صغيراً في المدرسة، التي تأخذ الأمور بجدية حتى عندما كنت والصغار القذرون تضحكون وتلقون النكات المقذعة من خلف ظهرها، فتستدير فجأة وتنظر إليك مباشرة ويمكنك أن تقول إنها كانت تعرف ما يجري بدقة. وأنت فقط تنتبه. البقية لا ينتبهون. أنت فقط. وتكفّ النكات عن الإضحاك. تسمّرك العجوز

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

السافلة بنظرة واحدة، يا رجل. أنت هش إلى هذا الحد. وعندئذٍ ترى حقيقة نفسك، ترى كيف تُدانُ مرة وللأبد. غبي صغير تافه قذر. تضحك مع الآخرين لأنك تخاف ألا تضحك. تخاف الخروج عن القطيع. فأنت مجرد سافل صغير جبان، تحاول أن تسخر من المعلمة العجوز، شيء مؤسف يا رجل، مؤسف جداً.

آه!

اللعنة، جميعنا كنا صغاراً في وقت ما. ثم ما الفائدة من لوم نفسك بسبب مشاكل الآخرين. يجب أن تتجاوز الأمر؛ لكنك لن تتجاوزه إن بقيت بهذا الغباء.

المشكلة هي أن سامي كان يشعر بالأسى على نفسه، إضافة إلى كونه مستنزفاً جسدياً من الضرب المبرح. بحق المسيح، إن ألمه يزداد شدة.

تتساءل أحياناً، تتساءل

ما هذا الرنين في أذنيه. صوتان، كلاهما في أذنه اليسرى؛ الصوت العادي الفظيع يرتفع عالياً لكن الآخر ينخفض، صفارة إنذار حقيرة تعول، بعدئذٍ توقفت وبقيتَ وحيداً مع الصوت العادي. ثم ازدادت حدَة. يا مسيح، كان صوتاً أشبه بالصراخ.

دفعته اليد إلى الأمام. من ورائها شخص وصوت يقول، لا تزعج نفسك. أياً كان ذلك الصوت فقد كان سافلاً مستهزئاً. ومن يبالي! لم يستطع سامي أن يبالي ولو قليلاً. بعدئذٍ سمعهم يضحكون، لكنه بقي غير مبال. ولماذا يبالي. بحق الجحيم؟ بصراحة أراد أن يقول: ذكري فيكم يا سَفلة أنا فعلاً لا أبالي بكم، تستطيعون أن تضحكوا من الآن وحتى أول نيسان.

جرّته اليد هذه المرة. قبضت على كتفه بقوة وقذفته إلى الأمام فاصطدم بكرسي وخطا جانباً ليتجنبها بطريقة غبية ظناً منه أنه

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

اصطدم بالشيء الحقير المراد له أن يصطدم به، فسقط عند قدمي سافل ما وأياً يكن فقد صاح ثم قهقه:

–إنه يعتدي علينا ثانية! أنا مغتاظ جداً من هذا الشخص!

–سكران وعاجز، ولا يستطيع الاعتراف بذلك كرجل لكنه يقول إنه فقد بصره في مكان ما!

–هل رأى أحدكم بصراً! هنا شخص يبحث عن بصر!

علت قهقهة في المكان كله. كان كل شيء بتكتيك وهؤلاء هم الأشخاص السابقون، وهكذا ماذا بعد؟ وجد سامي نفسه في مكان دافئ وعرف أن هناك تغييراً نحو الأفضل. كيف عرف بوجود تغيير نحو الأفضل؟ بوسعك أن تعرف، نعم، فأنت تطوّر رؤية أخرى مع هؤلاء السفلة. ربما فكروا أنهم تمادوا معه كثيراً.

–اجلس.

بقي سامي واقفاً حيث كان.

–أنت بخير اجلس.

ذكري فيكم، حرك سامي يده حوله وتلمس كرسياً، تحسسها وجلس عليها، ممسكاً بحوافها تحسباً إن أحب سافل مزوحٌ أن يقلبها على سبيل الضحك. وُضِعَ في يده شيءٌ. قلادة الذهب، أهدتها له هيلين في عيد ميلاده الماضي. كان فيها شيء ما رمزي، لكنه لم يستطع أن يتذكر ماذا كان يعني. تلمس قفلها بإصبعه، فتحه ولبسها في رقبته، سمع ضحكاً كثيراً وكأنهم كانوا يستغفلونه أو ما شابه، فخلعها وتحسسها ثانية ليتأكد أنها قلادته. لكن كيف يمكن أن يتأكد! لم يستطع. مزيدٌ من الضحك. اللعنة، يا رجل، وضعها في جيبه، بعدئذٍ تلمس سحاب بنطلونه ليتأكد أنه لم يكن مفتوحاً.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

لم يحدث شيء آخر أبداً وكأن همتهم قد فترت. مضت برهة، برهة تخللتها حركة إلى الأمام وإلى الوراء، أصوات وشوشات محيّرة. ثم سمع أصواتاً كان أحدها إنكليزياً حاد اللكنة. بعدئذٍ المزيد من الوشوشات وشيء ما اقترب كثيراً من رأسه. وأبواب تنفتح وتنغلق وبدا له المكان كغرفة مكتب كبيرة يشغلها ضجيج دوران من حين لآخر وكأنه دوران ناتج عن نوع من الأجهزة الناطقة. وبقي يسمع صوت رقن على لوحة مفاتيح كومبيوتر، وتمتمة، أناس يتمتمون. استجمع كل حواسه ليسمع ما كانوا يقولون، لكن أذنيه بالتحديد كانتا لا تعملان واعتراه شعور مفاجئ أنه سيسقط عن الكرسي يا رجل، بدا وكأنه سينقلب ويجب أن يتشبث مركّزاً بقوة ليمنع حدوث ذلك. كان دائخاً وسيسقط مغمياً عليه، سيغيب عن الوعي، يا يسوع المسيح، يا قادر، كان سيسقط عن الكرسي.

إنه اختبار. تذكر اختبار عمل، منذ زمن طويل مضى، في لندن، كان عليه اجتيازه، هو وعشرة آلاف وستة وتسعون آخرون. وقفوا جميعاً في ممر طويل، تحت نظر ناس، وسُئلوا أسئلة غبية، خراء، معلومات عامة كلها خراء، يا رجل، تلك العملية اللعينة، وذاك السافل ببذلته الأنيقة يذرع الممر جيئة وذهاباً، إنه الوسيط أو ما شابه، ليتأكد أنك لم تغش، يرمقك بنظرات نفاذة وكل ما تشعر به هو رغبتك بمهاجمته. وكل تلك الأسئلة الغبية. لكنك شعرت أنهم يستخدمون مفتاحاً ما لدراسة أجوبتك، بعدئذ وبعد أن تعود إلى البيت ستكون حياتك كلها وأسرارها الصغيرة القذرة، أمامهم عارية تماماً، يدرسونها ويدخلون المعلومات إلى بنك المعلومات الرئيس. هؤلاء السفلة تَوَدُّ لو...

ماذا يفيد ذلك. من يبالي. تضيع الحياة من بين يديك إن سمحت لها.

ترتكب جريمتك تدخل السجن. مرَّ به شخص ما. أدار سامي رأسه في ذلك الاتجاه: هيه هل معك سيجارة، يا صاحبي؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

وُضِعَت سيجارة في يده. السيكولوجية القديمة ذاتها. المكان الذي يتصرفون فيه مثل البشر هو عندما يكونون في مكاتبهم ينجزون أعمالهم الصغيرة، أجراء، انتهازيون، ينتظرون استراحة الشاي. فرقعت ولاعة. وضع سامي السيجارة بين شفتيه، كان عليه أن يمسكها من مقدمتها أيضاً. فرقعت الولاعة ثانية شعر سامي باللهب وجفل فجأة مبتعداً عنه:

"آسف"، قال صوت وفرقعت الولاعة ثانية. حرك سامي أصابعه حتى شعر باللهب وراح يمج السيجارة حتى شعر بدخان التبغ الذي صعد إلى منخريه وعينيه في الوقت نفسه. فقال مغمغماً، "شكراً يا صاحبي".

-المنفضة عند قدميك...

كان سامي ما يزال يغمغم، وصعد التبغ إلى دماغه مباشرة. استنشق ثانية، مستشعراً تحسناً. اللعنة عليهم جميعاً؛ وأسند ظهره على مسند الكرسي.

مضى وقت وهو يجلس هناك وسط الخلاء الأسود، وعقله يذهب في اتجاهات شتى ليست كلها جيدة أيضاً، كلا على الإطلاق لأنه لم يعش الحياة الأفضل. لم تكن الأسوأ لكنها لم تكن الأفضل. نعم فقد كان غبياً قليلاً. وما من سافل آخر تلومه على ذلك سوى نفسك، نعم أنت تعود إلى المنوال نفسه. لا فائدة من لوم الجنود، إن كنت أنت من اصطدم بهم في البداية، بحق الجحيم يا رجل لا يمكن أن تلومهم لأنهم ضربوك. لقد نجح سامي في لكمهم. كان قوي البنية، وكانت براجم أصابعه ما زالت تؤلمه، وكذلك قدمه اليمنى، من ستلوم إذن؟ تعرف ما أقصد فهو الذي استيقظ هناك على قارعة الطريق. وهو الذي وصل إلى هناك أولاً. بحق الجحيم كيف وصل إلى هناك، يا رجل! لا أعرف. لكن لا أحد ملأ جوفه بالمشروب عنوة فقد فعل ذلك بنفسه، بمحض إرادته. لم يكن سافلاً مطبق الغباء لكنه، أحياناً، يتصرف بتلك الطريقة كلما شعر برغبة في ذلك.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

لا استجوابات للنادلين أيضاً اللعنة عليهم جميعاً.

وهيلين أيضاً.

سيكون انزعاجها مضاعفاً. ستهجره فعلياً هذه المرة. ذلك ما سيحدث. وسيرمى في السجن. تلك ستكون حاله يا رجل، تعرف العقلية التي جعلته يصطدم بالجنود، لك ما أردت إذن، هذه العقلية تجدها هناك في موقف كوستر الأخير.

وهيلين، بحق الجحيم، يا رجل.

يُقتل الناس أيضاً، يُقتلون، يولدون، يكبرون ثم يموتون. تلك هي القصة، من المهد إلى اللحد.

حقائق ساحرة وقصص من السجن. تلك القصة عن مقاتلي الساموراي، في سالف الأيام والأزمان، قُتِل سيدهم من قبل أحد منافسيه، كانا أرستقراطيين، كان اسمهما شيشكو، بصرف النظر عن اسمهما خطط الساموراي الشجعان للانتقام. وهكذا، تفرقوا جميعا، قائد المجموعة وابنه والمجموعة، عاشوا حياة تسكع وتشرد لمدة عام، يشربون ينكحون وهلم جرًا حتى غرق السيد الآخر وفريقه في إحساس أمان كاذب، اعتقدوا أن الساموراي الشجعان قد سقطوا في الملذات وما من حاجة للخوف منهم. بعدئذٍ، وفي الوقت المناسب عندما كان كل شيء على ما يرام، تجمّع مقاتلو الساموراي. بعد سنة كاملة، عادوا لينفذوا انتقامهم. قتلوا المجموعة الأخرى. ثم تحلقوا حول بعضهم وقتلوا أنفسهم، مارسوا الهراكيري، لأنه مادام سيدهم قد مات، بعد أن مات العجوز شيشكو يا رجل، وانتقم له الساموراي الشجعان، عندئذٍ انتهى كل شيء، قاموا بواجبهم ونفذوا لعبة الغول، الكابيستو، فقد انتهت حياتهم. نهاية القصة. يجب أن يبقروا بطونهم ويخرجون أحشاءهم منها، يغرزون السكاكين في بطونهم ويشرعون بشقها وتقطيع الأحشاء.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

تلك قصة حقيقية. على ذمّة من رواها لسامي. رواها مرة لامرأة فامتعضت منها كثيراً، عدتها حمل خراء ثقيلا، اعتقدت أنه أراد إزعاجها، طريقة للتخلص منها، جعلها تخلط بين قصتهم وقصتهما، يا مسيح، كيف يمكنك أن تجنن النساء. بالمناسبة، تلك المرأة، لم تكن هيلين، لكن كان يمكن أن تكون هي، كان يمكن أن تكون هي أيضاً، تعرف ما أقول. غريب كيف تخبر الناس قصة لتوصل لهم فكرة وتفشل في إيصالها، تفشل، كارثة مطبقة. لا تفشل فقط بل ينتهي الأمر إلى نتيجة عكسية تماماً يا رجل، الاتجاه المعاكس تماماً. في المحصّلة ليس ذلك سوء فهم بل إنه:

مهما يكن. تعرف ربما كانت المرأة محقّة لأن سامي قد بهّرَ القصة قليلاً بأشياء حفظها من كتاب قرأه عن ضابط وزوجته؛ وقد فعلا الشيء نفسه، لعبة بقر البطون، اختلط الواجب والحب معاً. وهكذا ربما كانت محقة، ربما أراد التخلص منها. لكن ماذا بعد؟ ماذا بعد بحق الجحيم؟ ذكور وإناث، ترقصون رقصاتكم الصغيرة، يا مسيح يا قادر، ما الضير في ذلك؟ ثم إن بعض الناس لا يسعدون أبداً إن لم يخاطبوك بتلك اللهجة الحادة. خصوصاً النساء، أو حتى السفلة أبناء الطبقة الراقية.

لا تمانع كثيراً إن كنت تعرفهم لكن ليس إن كانوا غرباء. فأنت تلقاهم في الحانة أو ما شابه، تعرف ما أقصد، لا بأس إن كانت الزوجة أو الصديقة، أو الجدّة أو ما شابه، لكن بعض الناس الآخرين يا رجل يظنون أنهم يعرفون، يظنون أنهم يعرفون وهم لا يعرفون.

هكذا، اللعنة عليهم.

ظهره، يؤلمه، خصوصاً العمود الفقري، جزؤه السفلي، وعند أسفل القفص الصدري. اضطر للوقوف. نهض واقفاً. خطا نصف خطوة إلى اليسار، بعدئذٍ تفحص بيده الأماكن التي كانت تؤلمه. مسّجها برؤوس أصابعه. رفست قدمه اليمنى شيئاً معدنياً صلباً.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

-اجلس يا صموئيل: اجلس

-إنني بحاجة لتمطيط ساقيّ.

-اجلس على مؤخرتك.

-ألا أستطيع حتى الوقوف؟

-لثلاثين ثانية فقط.

-شكراً.

-ها قد مضى عشرون منها

"عشرون ثانية كفاية"، قال سامي ومد يده ليتحسس الكرسي وجلس عليها. عليهم اللعنة. فرك أسفل عموده الفقري وبعدئذٍ اعتدل بجذعه إلى الأمام ويداه فوق ركبتيه. لديه الكثير ليفكر فيه. متى تشرع تفكر؟ وهذا ما لم يكن يفعله أقصد التفكير. فقد كان...

من يعلم، من يعلم، كان عقله يرفرف فوق كل المكان.

يرى أساليب العيش القديمة كلها، وكأنها ستستمر للأبد. بعدئذٍ تستيقظ وترى نفسك على الأرض، كل شيء قد ضاع يا رجل، وهو كذلك لا بأس إذن، يجب أن تتقبل الأمر، فماذا يمكنك أن تفعل بعد. لا شيء أبداً، كل شيء حدث وانقضى بقدر ما ينبغي، ما حدث قد حدث، أصبح ماضياً. وهكذا إنها مشيئتك الآن.

شعر سامي برغبة بسيجارة أخرى. كان يجب أن يحتفظ بجزء من السيجارة التي أخذها من ذلك الشخص بدلاً من أن يدخنها دفعة واحدة. حتى إنه لم يستطع أن يتذكر أنه أنهاها. كانت المنفضة بجانب الكرسي. مد يده إلى الأسفل ليرى إن بقي منها شيئاً يدخنه، لكنه لم يستطع أن يجدها — المنفضة أقصد أنه لم يجد المنفضة، سافل ما أخذها، بدأ هرج ومرج في مكان ما بقربه لكن بدا وكأن هناك حاجزاً يفصل بينهما. لم يكن متأكداً إن كان ذلك بسبب الضجيج

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

في أذنيه. وبعدئذٍ سمع راديو يصدح بموسيقى بوب، تدندن، أوومبا أوومبا أوومبا، ديدي أوومبا أوومبا أوومبا، ديدي أوومبا أوومبا أوومبا، النوع الذي يحب ابن سامي الاستماع إليه، النوع المناسب لأولاد الخامسة عشر لكن هؤلاء الجنود البالغين يستمعون إليه. تساءل في أي مركز هو. لم يكن لينتبه أبداً عندما جلبوه بالسيارة. لكن الأرجح أنه في شارع هاردي. ومن يبالي؟ وما من أحد سيجيبه لو سأل. لا يمكنك التواصل معهم؛ فكل ما ستحصل عليه قليل من السخرية وبعض النكات عليك. لم يكن ذلك يحدث في السجن فقط فقد ذهب سامي مرة ليعمل في مصنع، هناك في إنكلترا، فحدث له الشيء ذاته بالطريقة نفسها لمدة عشر دقائق. مضت عشر دقائق قبل أن يعرف سبب قهقهتهم.

طظ، هذه الأشياء انتهت من زمان. وهذا ما لم تستطع هيلين أن تفهمه.

كان مرهقاً جداً ومستنزفاً أيضاً، تعرف، يجب أن يكون منهكاً من الضرب الذي تلقاه. إضافة إلى أنك تشعر أحياناً أن الستائر مُسدَلة. أنك سحبت الغطاء فوق رأسك. هكذا شعر سامي. ليست أول مرة يُضرب فيها، وكان واثقاً أنها لن تكون الأخيرة.

صخبٌ. كرسي تنسحب باتجاهه. شخص قال: حسن يا صموئيل أنت رجل محظوظ، سندعك تذهب، سوف نعطيك ملفك وهذا مكسب لك.

–مع من أتكلم؟

–لا تتواقح من جديد وإلا نغّصت على نفسك. سيقفلون لأن ملفك هو آخر أعمالهم اليوم. ولم نقل لك أننا قمنا بجهد شخصي للحصول لك على إذن بالانصراف.

–أوف، لا تعطوني إياه، لقد اعتقلت والآن أنا ملعونٌ أعمى.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

يدٌ من اللامكان قبضت على معصمه الأيسر وبعدئذٍ همسٌ: أصغ إلى الرجل يمكنك الانصراف، هذا ما يقوله لك، اشكر طالع سعدك إذن واذهب إلى الجحيم لأنه تعرف لو كان الأمر بيدي...

ازداد الضغط. يمتلك سامي معصماً قوياً فثناه ليحتمل الضغط، وارتجف ساعده وذراعه من شدة الضغط. بدأت أضلاعه تؤلمه. سافل قوي هذا الذي يواجهه. أخيراً خفَّ الضغط واختفت اليد. تنفس سامي الصعداء ببطء مسيطراً على تنفسه، على تنفسه فقط، لكن الأضلاع، يا رجل، الأضلاع تؤلمه، لكنه سيطر عليها، سيطر عليها. لا تبال بهم، يا رجل، لا تعطِهم شيئاً، لا شيء أبداً.

بعدئذٍ همس الصوت: تعرف ماذا أعني يا تافه، يا سافل؟ اخرج من ذلك الباب بلطف وهدوء ولا تعد إلى هنا، انقلع من هنا، اذهب إلى الجحيم، تدبّر حيلة اختفاء قحبة، تمام؟

أنت داء مستفحل، قال آخر وتماديت كثيراً هذه المرة. لكن يبقى أنك محظوظ، لذلك اشكر طالع سعدك.

الأفضل أن تصدق ذلك، تمتم السافل الكره.

-أنا لا أتواقح، بل أريد أن أتحدث مع طرف ثالث.

-...

قهقه شخص ما.

قال آخر: أعطوا الفتى ما يريد، إنه يعرف حقوقه والقوانين.

-إيه؟ هيه يا كتلة الخراء، شخص ما يتحدث إليك.

أمسكت يد بكتف سامي.

- أريد أن أقابل طرفاً ثالثاً، وأريد أن أقابل طبيبكم، أريد أن أبلّغ عن هذا العجز الوظيفي، يا رجل، إنني أعاني من فقدان البصر، وفي كلتا العينين، إنني بحاجة لرؤية طبيب.

- طبيب قحب يا سافل، دونالد دوك التافه، أنت بحاجة لمشفى.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

قال سامي، " نعم، حسن، وأنا لا أقصد التواقح. لكنني بحاجة للتحدث مع طرف ثالث. أعني لا يمكن أن تتركوني بهذه الحالة. حتى إنني لا أملك بنساً واحداً. اجلبوا لنا طبيباً يستطيع أن يرى حالتي الآن مقارنة معها قبل أن أقابلكم وقبل أن يقبض علي بوليسكم السرّي القحب العفن. ومازلت موجوعاً جداً، يا رجل، تعرف ما أقصد إنني بحاجة لصورة أشعة (X) أضلاعي تحطمت، يا رجل، هيّا! اجلبوا لنا اختصاصي عيون!"

تنهيدة، وبعدئذٍ وقع أقدام ثم باب ينغلق.

...-

- هيه هيّا، لا يمكنكم أن تقتلوا شخصاً حتى تعموه، هذه بلد حرّة. إيه من هنا؟ من هنا؟ هيه أريد سيجارة؟ هل لدى أحدكم سجائر؟ إيه؟ من هنا؟ آه اذهبوا إلى الجحيم.

شخص ما وراءه يضحك ضحكةً نصف مكبوتة.

-أقول لكم انقلعوا من هنا.

انقلعوا من هنا. وبعد ساعة أو أكثر عاد اثنان منهم وجرداه من نطاقه ورباطيه ثانية ونسيا أن يسألاه عن قلادته. فأخرجها من جيبه وسلمها لهما. هناك أوقات يفضّل أن تجري الأمور فيها وفقاً للقوانين. كان سامي يريد أن يستيقظ في الصباح. ابتسم ابتسامة ساخرة وبقي متيقظاً، مصغياً لأي صوت يصله. بعد نصف ساعة كانوا يعيدونه إلى الزنزانة. كان كل شيء حقيقياً. وسرعان ما ارتطمت ساقه بحافة السرير استلقى فوقه لكن الفرشة كانت رقيقة جداً، كانت مهلهلة وعديمة النفع، حتى إنها أسوأ من سابقتها. وبعدما تأكد أنهم غادروا نهض، أخذ الوسادة وتمدد على الأرض. مريحة حقيقية لولا رائحتها التي مثل رائحة المرحاض.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

حتى إنه لم يعرف ما هو اليوم. يا يسوع، طالما كان ثرثاراً يفشو الأسرار. إذا كان سيبقى هنا ليلة أخرى...

يا يسوع المسيح، ستكون قلقة الآن حقاً. نعم كان عليه أن يعترف، كيف حصل أنه اضطر أن يعترف! مجرد غبي غبي. ستكون هيلين قلقة، لا تهم الحالة وما كانت عليه، فذلك انتهى الآن أصبح ماضيا، ستقلق عليه. ستقلق لأنها تعرف أن لا مكان آخر عنده يأوي إليه. وأياً يكن اليوم فأنت تتكلم على الوقت منذ صباح الجمعة الماضي يا رجل وهذه هي الفترة، ربما أربعة أو خمسة أيام والسبت ضمناً. السبت القحب! كان السبت مغلقاً على الذاكرة. يا يسوع المسيح، شيء فظيع، وكل ما يمكن أن تعرفه هو أن شيئاً سيّئاً قد حدث. نعم حدث شيء سيّء يا زوجتي! زوجك صديقك موقوف بتهمة الاعتداء، سكران ومشوش وفي هذه اللحظة من الزمن يستلقي في السجن القذر، أعمى مثل خفاش قذر.

ستأتي فوراً إن أخبروها بذلك، ستأخذ بيده.

هل ستأتي. هيلين، يا رجل، يكفي أنها قالت:

منذ فترة قريبة

هربت، مني، يا ولد

وبعد كل ما عنيناه لبعضنا البعض

قررت أن تصبح حرّاً.

آخ وستصب لعناتها عليك. أوربما لن تقول شيئاً أيضاً. هيلين بارعة في الصمت. وكانت تنزعج كثيراً عندما تغضب ويعلو صوتها. لسبب ما لم تكن تحب الأصوات العالية ولا حتى أصوات النساء. لم تكن أغرب منه كثيراً، لكنها تفضّل أن تكون غريبة. كانت كبيرة

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

القامة وتمشي محدودبة الظهر، وتنزعج كثيراً من سامي عندما يذكرها بضرورة أن تشّد قامتها. لكن أحياناً، إن قال لها ذلك بطريقة وديـة حميمة فمن المحتمل أن تصحبه وتشتري له مشروباً، إن كان مفلساً. لكنها فعلتها مرة أو مرتين. بعدئذٍ تلقت إحباطاً مضاعفاً. فكانت تجلس صامتة محبطة، تحملق غاضبة. حتى إنه، في البداية، لم يلاحظ أنها تحملق غاضبة، يحدثها بطريقة طبيعية، بعدئذٍ يتضح له أنها انزعجت من شيء ما. اعتاد أن يقول لها، انظري لا تلوميني، أنت امرأة وهذه ليست غلطتي. وكان يغني لها أحياناً أغنية كريستوفر سون.

ليست خائفة من أن تصبح امرأة

ولا خجلة من أن تصبح صديقة

كان ذلك يجننها بحق! لكنه يستفزها لتتكلم. الأفضل أن تملأ الكلمات فمك على أن تبقى صامتا، يا رجل. تعرف ما أقصد، لم يستطع سامي أن يتأقلم مع الصمت، معها تحديداً. لقد اعتاد عليه مع الآخرين، لكن ليس معها. لم تكن تثق به كثيراً. مضى أكثر من عام على خروجهما معاً لكنه لم يعش معها إلا من حوالي سته أو ثمانية أشهر. استغرقت الزمن المتبقي لتتخذ قرارها بالعيش معه. لم تكن امرأة متهورة. لقد خبرت الحياة جيداً. وأنجبت ثلاثة أولاد في ثلاث صفقات مختلفة. يا يسوع سوف تجن! هيلين المتمرسة... لم تكن محظوظة قط، نعم لقد اختارت مقامرين، هذا ما قالته هي نفسها. كيف حدث أن انتهيت مع رجل مثلك؟ لقد عَرفَتْ أن ذلك سيحدث! هذا ما قالته، لقد قالت لك! وكأن أي تافه يَمكن أن يقول لك ذلك، إنك ستعمى. تعرف لقد قالت له ذلك، إلى حدٍّ ما، قالت له صباح الجمعة إن الأمور ستسوء، ذلك ما قالته له. اللعنة.

لقد تلقّت إحباطاً قاسياً أيضاً، ويمكن أن تدوم إحباطاتها أياماً عديدة. كنت تشعر بضرورة أن ترعاها بعناية. كان سامي يحب أن

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

يستلقي بقربها، خصوصاً عندما تأتيه طالبة الحماية وهلم جرا، وجهه مقابل حلمتيها، يتضام فيها طلباً للدفء، حلمتاها تنخسان عينيه بطراوة، معصمه بين ساقيها، يده مكوّرة فوق إستها، تحميه من الخطر.

ابتسم سامي وهو مستلق هناك على الأرض. لم تكن ابتسامة فرح. لم يشعر بالفرح. شعر بغضب مجنون. لا غرابة أنها ستجن. اعتقله الجنود، كان يشرب واعتقله الجنود. حسن لقد كانت غلطتها هي. ما كان ينبغي أن تهدده، ينبغي ألا تفعل ذلك أن تهدد شخصاً، ما لم تكن ستنفذ تهديدك. طبعاً ربما تراجعت. لكن كيف يتخوزق يعرف. ولن يعرف أيضاً، ليس قبل أن يعود إلى المنزل. آخ، اللعنة، لو أرادت أن تفعلها فلا بأس يا رجل ما كان عليها إلا أن تخبره، تخبره بصراحة. فما كان ليبقى في مكان غير مرغوب به فيه. أنت تمزح! كان سامي معتاداً كثيراً على حزم الحقائب. سفلة. والآن ها هو هنا أعمى، متخوزق أعمى. تخيل أن تعمى. يا مسيح. أي قلب للقوانين كان ذلك.

حرّك رأسه فأحس الوسادة رطبة تحت وجهه. لم يكن يبكي، لا بد أنه ماء ينزّ. أو قيح أيضاً. ربما كان قيحاً أصفر مقرفاً، قيحاً مخاطياً أو ما شابه، سائل لعين ينز من جسمه، من عينيه. ربما هو الشيء الذي يمدك بالبصر، الآن لم يعد لديه بصر لقد تحول ذلك الشيء إلى قيح، وها هو ينز خارجاً، يفرغ خزان الجسم. ربما كان دماً أيضاً.أو ربما كان أنفه ينزف، أو أذناه، كانت أذناه مشوشتين، ربما كان صملاخاً لعيناً منصهراً! يا يسوع المسيح، توجد كل تلك الأشياء نهض ورفس بقدمه. ما زال أعمى، لقد نسي ما يعني ذلك.

مّد يديه أمامه ومشى متلمسا الطريق إلى الجدار الأخير. اتكأ عليه. يجب أن يفكر. يجب أن تتضح له صورة ما حدث. لم يكن الجنود مهتمين بما حدث، كلا حتى قرؤوا سجله. حتى عندئذٍ، لم يهتموا بشيء محدد. ربما عدوه مدمن كحول متسكعاً هذه الأيام وقد كان

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

كذلك، نهاية القصة. جميل؛ لقد ناسبه ذلك الاتهام، بقدر ما يستقرون عليه.

لا تستطيع أن تركن إلى الأمور. تلك كانت المشكلة. نعم هناك دائماً أمور أخرى تتكشف. لقد اعتدت حصول ذلك. تتكشف الأمور وتخوزقك، عندما لا تتوقعها.

يجب أن يتذكر، يعود إلى البداية ثم إلى النهاية.

تماماً.

وهكذا ما حدث أنه خرج يتكسب. تمام! جميل. وكان ليغ معه. لم يكن بحاجة إلى ليغ لكنه قابله هناك وكان الأمر، وهكذا، تخلصا من ثلاث سترات جلدية خلال ساعة وتقاسما النقود. عاد سامي إلى البيت ليثبت حضوره. فقد أرادت أن تطمئن عليه. وكأنه لن يعود أبداً لكن ها قد عاد. وهكذا بدأ الشجار. حسن، ليس بهذه الدقة، يمكن أن تكون صادقاً جداً يا رجل، تعرف ما أقصد، لكن ليس مع النساء، لا يفيدك معهن الصدق دائماً. ما كان يجب أن يخبرها بشيء قط.

حسن، لكنه أراد أن يطمئنها عليه، فعاد إلى البيت ليثبت حضوره. لكن عندما وصل كانت قد غادرت. كان المطبخ كحظيرة. حالما استيقظت لبست ثيابها وخرجت. وهذا مفهوم لأنها كانت تتأخر في العمل وأحياناً لا تصل البيت قبل الثانية فجراً. وهكذا ما أن تنهي عملها حتى تكون بحاجة لاستراحة. ظظ بترتيب المنزل. لم يكن سامي يعمل على أية حال، أقصد، ماذا يهم، كان مستمتعاً بتلك الأعمال. إضافة إلى أنه كان بيتها هي. وكأنه لا يملك الادعاء بحق وجوده فيه لولاها. هكذا لا يحتاج إلا لجمع حاجياته وينتهي كل شيء، على الأقل هكذا يرى الأمر. و عندما عاد يوم الجمعة وقت العشاء، أدار الموسيقى. عالياً بالطريقة التي يحب سماعها بها. بعدئذٍ

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

راح يرتب البيت. لكن بعدما انتهى بدأت النقود تحرق جيبه، لم يستطع أن يستقر، حاول أن يقرأ كتاباً، أشعل التلفزيون، لكنه لم يستطع متابعته. إضافة إلى أنه كان يتضور جوعاً. لكن ولأنه رتب البيت كله لم يرغب بلخبطته ثانية لذلك قرر ألا يطبخ شيئاً. فخرج ثانية ليتناول فطيرة وكأساً من البيرة. عبر الجسر فوق النهر صاعداً الطريق الرئيسي باتجاه التقاطع، وعلى طول باتجاه شارع أرغيل حيث وجد ليغ وذهبا ليشربا معاً.

علموني أن أدخ خ خ خن وأش ش ش شرب ويسكي

وهكذا دواليك.

كان يرتب القصة لنفسه لا للجنود. فهو من يحتاجها لا هُمْ، ومادامت محبوكة وموجودة في رأسه المغلقة تلك فهذا أمر جيد، حسن جداً. وإصبع ديناميت هو كل ما ينتاكون يحتاجونه يا رجل. أما الأمور الأخرى فيمكن أن يهملها، لا يهم. تعرف ما أقول، مادامت القصة المحبوكة في رأسه فبوسعه إهمال الأمور الأخرى.

وهكذا تمام.

بعدئذٍ استيقظ هناك في تلك الطريق وهو يلبس هذه الخفافة القذرة. قبل يوم أمس، أو اليوم الذي قبله. الأحد.

كيف عرف أنه كان الأحد؟ عرف ذلك وحسب. أقصد أنها الحاسة السادسة.

كان يوم السبت هو الأصعب في الأمر، فقد كان السبت مغلقاً على الذاكرة. ذهب يوم الجمعة لتناول كأس بيرة واستيقظ صباح الأحد. تلك هي المشكلة إذن. هناك ثغرة، يوم كامل. إضافة إلى أنه قابل تشارلي. ذلك هو المزعج في الأمر.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تشارلي! في أي جحيم قابل تشارلي؟ يا يسوع المسيح، هناك خلل ما في كل مكان! حسن، ذلك حسن. لا شيء هناك، لا شيء لم يستطع تدبره. كانت القصة محبوكة ولا يمكن دحضها. ثرثروا في كل شيء. في حانة قرب كاندلريجس. في مكان ما، لا يهم أين. كان تشارلي يشرب بيرة الزنجبيل الحامض لأنه كان قد أقلع عن الكحول. صحيح، تشارلي العصبي، أقلع عن شرب الكحول!

لكن بماذا كنتم تثرثرون بحق الجحيم؟ آخ في كل شيء، كل شيء. تشارلي هو الذي كان يتحدث. لم يغيّر في ذلك كثيراً. كان يحاول تجنب ذلك. ذلك ما قاله على أية حال رغم أنك لم تستطع دائماً أن تعرف شيئا. السافل، إنه ذلك النوع من الأشخاص الذي يجلس معك ويثرثر ساعة كاملة وفي النهاية لا يكون قد قال شيئاً.

لكن هذه المرة كان فيه تغيير ما على وجه التحديد. كنت تخشى منادمته سابقاً. بسبب عادته تلك في استراق السمع لمحادثات الآخرين! تعرف ما أقصد، فإن كانوا يقولون شيئاً ما لم يعجبه تراه ينط بينهم وفوراً يقول لهم إن حديثهم كله خراء بخراء. لم يكن يعبأ بقوة خصمه. فيمكن أن يكون جالساً في حانة مليئة بمشاكسين، أو جبناء أيضاً، لم يكن يهتم، لم يهتم قط، فهو لم يتبصر الخطر قط، بينما كنت أنت تراه ويكون كل ما تراه.

لكن تشارلي، الشجاع في لعبة المقارعة، يهزمهم جميعاً. أين دليلك القحب؟ ذلك ما اعتاد قوله. لقد قلت شيئاً ما أين هو دليلك القحب؟ إن أردت، يا تافه يا قحب، أن تقول شيئاً ما أثبته إذن، تعرف ما أقصد!

هيه تشارلي، يجب أن تذهب الآن: هيه تشارلي! كفّ عن هذا الهراء بحق الجحيم... هيا تعال هون عليك ...

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

لكنه لا يصغي إليك. وتقف هناك تتفرج عليهم، على تلك الوجوه، أعينهم تحدّق فيه، تحدّق فيك، أعين قاتلة، لا يجادلون أبداً، يراقبون فقط، يراقبون وينتظرون. وأنت تفكر: "آه حسن يكفي ذلك يا رجل دعنا نذهب" ... وتشارلي يصيح

هكذا كان يناقش: بالصياح! دائماً يناقش بالصياح. ربما، على الأرجح، كان الصياح سلاحه. يناقش صياحاً فيسمع الآخرون، الآخرون في الحانة، وهكذا تصبح معزولاً، بعيداً عن الناس، ومكشوفاً، وهكذا إن أراد أحد أن يتحرك فعليه أن يتحرك تحت أنظار الجميع!

تريدون التحدث في السياسة؟ إيه؟ تريدون التحدث في السياسة؟ دعونا إذن نتحدث في السياسة ولا يتدخل أي من خروات المدرسة— التحضيرية التافهة. هيا، دعونا نتحدث في السياسة، أعني في السياسة الحقيقية فأنتم سفلة راشدون. ألستم سفلة راشدين؟ ألستم بشراً سفلة راشدين؟

يا يسوع المسيح، بعدئذ تزدحم عليه الأشياء. ويختنق بها؛ يكون مسعوراً من الغضب، مضطرباً ومحبطاً جداً. وفجأة ينطلق، يخرج من الباب كالعاصفة.

وتجد نفسك هناك وحيداً مثل الزلابية. سترى نفسك واقفاً هناك. زلابية نكرة، يا رجل، كما أقول لك.

آخر شيء تفعله هو الكلام. عليك أن تتقبل الأمر ببساطة، وتهرب، تهرب، لا تكمل مشروبك. لا وقت لديك، لا وقت أمامك وأين أنت يا باب لأنك تمشي إليه مباشرة. تفهم ما أقصد، تنطلق مباشرة إلى الباب وإلا مُتَّ هناك. ولا تنظر إلى أي شخص. تبقي عينيك خفيضتين. وتخرج مباشرة من ذلك الباب اللعين.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

مجنون. اعتاد ذلك قبل أن يقلع عن شرب الكحول.
قال: لقد تغيّرت يا سامي، أصبحت أهدأ من ذي قبل.
ماذا هل أصبحت متديّناً؟

ضحك تشارلي لكن الثرثرة كانت جيدة. مازال والداه على قيد الحياة وذلك خبر عظيم. هذه أشياء من طفولتك. تتوقع أنهما ماتا وفُقِدا إلى الأبد. آخر مرّة التقيا كانت في كرنفال عيد الميلاد منذ ثلاث سنوات. كان سامي هناك مع ابنه. وتشارلي مع ابنه وابنتيه. كان سامي قد عاد من إنكلترا ولم يكن متأكداً من الترتيبات، فيما إذا كان سيبقى في الوطن أم ماذا. تواعدا على تناول كأس بيرة بعد يومين. لكن تشارلي لم يحضر. ماذا يعني. لا يعني شيئاً. ما كان ليذكره بالموعد. نعم كان غارقاً في أشغاله. وتشارلي لم يتغيّر. تلك نهاية القصة.
إلى الجحيم.
لقد أخفقت في حياتك.
إلى الجحيم بها، لا تندم يا سامي. حاول أن تصلح الأمور. عندما تخطئ تستجمع قواك، وتحاول من جديد؛ وتأمل أن تنجح. ماذا بوسعك أن تفعل. أن تقوم بالمحاولة الفاشلة السابقة نفسها. لكن يمكن أن تحطم رأسك، تلك هي المشكلة العويصة. إضافة إلى الجانب المادي للأشياء، يا رجل، عملية التفسخ. يجب أن تتقبل الأمر، لست محتاجاً للجنود السفلة ليقتلوك. أنجز العمل بنفسك.

زحف سامي إلى السرير، خلع خفافته، وانسلّ داخل نصف العالم العادي، ليس إلى درجة إذلال الذات وكل ذلك الخراء، لكن قريباً منه. ولا بد أن هذا هو الأسوأ ومع ذلك لا خيار في الأمر. فلم يكن أبداً بهذا السوء، بالتأكيد.

خراء، كم مرة قال تلك الكلمات ذاتها؟ كم مرة؟ خراء، خراء فواح جداً لذلك أغلق فمك النتن، فقط أغلق فمك النتن.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

استلقى على جنبه محدقاً، الجحيم يعرف فيما كان يحدق، في خطوط أو ما شابه، خطوط متوهجة في كل مكان. بدت كامدة لكن لا بد أنها متوهجة وإلا ما كان ليراها. سرير تافه مهلهل، يا رجل سرير، كان يستلقي على نوابض عارية وكانت تؤلمه كثيراً خصوصاً عند الكتفين، يا يسوع المسيح، انقلب على بطنه. كان يرى بقعاً تشبه الجمر. لأن هذه التي يسمونها وسادة كانت نوعاً من النسيج الورقي. وهكذا لم يصل أوكسجين كافٍ إلى دماغه. بدأ يشعر بأحد تلك الأحاسيس المزعجة وكأنه على وشك أن يطير في الهواء، ينقذف إلى السقف. ربما انقذف وانتهى. تشبّث بالسرير، شاهد جسده يطفو عالياً ويخرج من النافذة، قدماه أولاً ثم ساقاه، فجذعه العلوي، شبك مرفقية بقضبان النافذة محاولاً التعلق بها لكن دون جدوى، فقد انساب جسمه وانزلق خارجاً، منجرفاً إلى الأعلى، متجاوزاً أسلاك الهاتف، مرتفعاً فوق أسطح المباني. كانت النجوم تتلألأ، شاهد المدينة تحته وهو يطير عالياً فوق شقق "الريد رود". تلك القصة عن شاب، "جون بارليكون" أو اسم ما، يمضي عقوبة سجن وهو مستغرق في رحلاته الذهنية هذه. من السافل الذي كتبها؟ جاك لندن؟ أغمض سامي عينيه وزرّهما بقوة. شعر بالألم الآن، ألم فظيع. هذه الأشياء يا رجل تملأ رأسك، شيء مرعب، مرعب بجنون. إن كانت هيلين قد تخلت عنه الآن فقد ضاع، تخوزق. أصبح خارج اللعبة، سيكون بذلك كمن يريح رأسه في فرن الغاز. ذلك كل ما استطاعه.

كل ما استطاعه!

لم يستطع الكثير، في الواقع لم يوجد الكثير مما يستطيعه. ليس الآن على أية حال. لا شيء في متناوله أيضاً. ستكون الأشياء في متناوله قريباً جداً لكن ليس الآن. وهكذا إلى الجحيم بها، استمر في حياتك. عاد سامي وانقلب على جنبه، تمنّى لو ينام. لكن المشكلة مع النوم أنك لا تستطيعه حينما تريد.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

لا تستطيع أن تأمره فيستجيب. إنه يأتي من تلقاء نفسه. هكذا هو النوم مذهل دوماً. ها أنت متدثر بجسدك، دافئ مثل الجحيم. تستلقي هناك وكأن لا وجود لشيء آخر في العالم. ولا ترغب بوجود شيء آخر. لهذا تضطر للهروب منه؛ لأنك لن تنجح بالتغلب عليه إن لم تهرب، والطريقة الوحيدة للتغلب عليه هي أن تختفي ست أو سبع ساعات في اليوم. هكذا تبقى حياً، لا تملك أية وسيلة قحبة أخرى. هذا الفتى الذي صاحبه سامي سابقاً، زحف إلى زاوية استطاع الموت فيها. قابله سامي يتسكع في بادينغتون قرب حانة كان يرتادها سامي عادة. يشحذ من المارة. ذات يوم وبينما كان سامي ينقل أمتعة امرأة تسكن معه في المبنى نفسه. كان ينوء تحت عبء حقائبها الثقيلة وأكياس النايلون القحبة، مليون كيس يا رجل! جاء الفتى الذي أتحدث عنه، وساعد سامي. وهكذا شيء يجر إلى شيء، قدم سامي مشروباً للفتى ليس مرة واحدة بل مرات عدة، من وقت لآخر، وفقاً للظروف. لكن المهم في الأمر أن الفتى لم يحب الشرب في الحانات. لم يكن من مرتاديها، لكن عندما ترتادها تقابل ناساً مثله. حتى لو كان معهم نقود، يفضلون الشرب خارج الحانات. هكذا كان الفتى يحب الشرب في الهواء الطلق. بعدئذٍ ذات ليلة اشتريا زجاجتي سكود وتجاوزا المنعطف، خارجين من شارع إدجوير، دارا حول مكتب العمل الاجتماعي ودخلا حديقة صغيرة. جلسا على مقعد. بعدئذٍ وقرابة الغسق وقف الفتى وذهب؛ ذهب بمفرده بحثاً عن مكان هادئ، ولا بد أنه استلقى هناك. ظنه سامي ذهب ليتبول. فيما بعد عندما كان سامي يغادر قرر أن يدور حول الحديقة لربما استطاع رؤيته؛ فوجده مستلقياً متكوراً على نفسه بين الأجمات والسياج، بدا وكأنه أسفن نفسه بينهما وكان وجهه مخيفاً! يا مسيح لم تستطع أن تنسى ذلك المنظر. تعرف لقد رأى سامي أشخاصاً عدّة لفظوا أرواحهم قبل أن يصلهم الطبيب، وكانت وجوههم عادة مثل ذلك الوجه.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

يفترض أن ترقد في سلام عندما تموت لكن هل ترقد كذلك يا رجل! يطل الموت القحب، يحدّق، من وجهك، له تحديقة مخيفة، يا رجل الأفضل أن تصدق ذلك. الموت سافل مخادع. حدث الشيء نفسه مع والدة سامي، عندما لفظت روحها: كان سامي في السجن حينها ولم يسمحوا له بالخروج لحضور الجنازة. وهكذا حُرِمَ من أن يقول لها لترقدي في سلام وهلم جرا. كتبت له أخته وأخبرته عن كل شيء. ويا لها من نهاية فظيعة! لكن يبدو أن الجميع آيل إليها، وذلك ما لم يستطع سامي فهمه. أمه! رقدت في سلام! بحق الجحيم، يا رجل، لا بد أنها صارعت وخبطت وصرخت ورفست بقدميها. مستحيل أن تكون بدت ترقد في سلام. وكل مرة ترى فيها ذلك الرقاد في سلام تنظر إليه وكأنه من صنع الأطباء والأدوية القحبة. ثم ذلك الفتى الصغير الأسود هناك، يا يسوع، في الزنزانة الثانية بعد زنزانة سامي التي كان فيها في حبسته الأخيرة. يفترض أنه مات بنوبة قلبية؛ عمره سبعة وعشرون عاماً، خنقه السفلة، جلسوا على صدره ونطوا عليه، سفلة ضخام الأجسام، ينطون على صدره، قالوا مات بنوبة قلبية! هؤلاء السفلة يا رجل، تعرف ما أقصد، قتلوه بينما كان يلبس سماعتي الرأس الصغيرتين، هذا ما كان يفعله، يستمع إلى موسيقى القحبة، كنت تسمعها أحياناً، إنها موسيقى تنويم مغناطيسي فظيعة، توما توما تومتي توما تومتي. استلقى وعلى وجهه تلك الابتسامة الوادعة. سفلة قحاب كاذبون. تعرف ما أقصد. بحق الجحيم، كل ما تحصل عليه منهم كذب بكذب، يا رجل.

ليست أموراً تفكر فيها. ليس في السجن. يمكن أن تفكر فيها عندما تكون في الخارج وليس عندما تكون في السجن. لأن ذلك يجننك. يجننك يخوزقك. تراهم يتحركون من حولك. تتابع ما تقوم به، تستمر في ممارسة الرياضة، عمليات البقاء حيّاً، ذلك الجهد

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

الديناميكي الذي تمارسه دائماً، تهتم بجسدك، تغذيه، لا تيأس بل تطلب المزيد، تستمر قدما، تتابع، ذلك ما تفعله. استطاع سامي الاستماع لبعض الموسيقى بوساطة سماعتي الرأس.

في كل مرة تغلق فمك تهبّ،

تهب من مؤخرة المكان باتجاه الجنوب

أغنية "ديلان" المتاز. لم يسمع سامي تلك الأغنية منذ سنوات. من أين تأتي إيه! من أين تأتي. من أفكارك القحبة، يا رجل، أفكارك التي تعيش على هواها ولا سيطرة لك عليها، لا سيطرة على الإطلاق. شكراً للمسيح على ذلك.

تقبض يدٌ على كتفه. وصوت ينخر: 'أنت تعال'. هكذا يأخذونك. أخرجوه من الزنزانة، وعلى طول إلى المكتب نفسه. أعادوا له أشياءه وعادوا إلى أشغالهم وكأنه غير موجود، مجرد شكل، كتلة خراء. راح يضع النطاق في خصر البنطلون لكنهم عادوا إليه حينها. ولم يكد ينتهي من لبس النطاق. قال لهم، يجب أن أجلس لربط هذين الرباطين.

لم يردوا عليه وهكذا راح يفتش عن كرسي. تمام، قال، فقط ريثما أربطهما. سمعهم في مؤخرة المكتب، كان ذلك عصر يوم الأربعاء. خبر جيّد جداً. ما عدا هل هو يوم الأربعاء هذا الأسبوع أم الأسبوع التالي، وفقاً لحالة سامي كان يمكن أن تكون أي شيء. إنه منهك ويحتاج للاستلقاء والراحة يا رجل، ذلك كل ما أراده. ولو على الأرض؛ لو يستطيع أن يستلقي بمدد جسده. ما زال يسمع رنيناً في أذنيه وما زال جسده يؤلمه، يؤلمه كثيراً. سيطلقون سراحه الآن ولم يكن مستعداً لذلك. يحتاج بعض الوقت ليحضّر نفسه. وأصابع قدميه القحبة، أيضاً تؤلمه. هذا الحذاء، مزعج جداً، بدت أصابعه الوردية الصغيرة كأنها متورمة، أشبه بالحلزونات أو ما شابه. حرك قدميه كانتا متشنجتين جداً، يا للجحيم القحب، بدتا أصغر ثلاث مرات من مقاس قدميه.

kutub-pdf.net

هؤلاء السفلة، هم دوماً وبالقناعة نفسها في كل مرة، هم الذين يختارون اللحظة الأخيرة، وأنت لاخيار قحب لديك. كل شيء تخوزقت فعلته في الحياة كان دائماً خيارهم هم، ذكري فيهم. إنهم كأطفال نهمين يتخبطون حولهم بحثاً عن الحلمة. تعال، قال أحدهم، الآن فوراً.

اليد فوق كتفه لو ضربتها، خلعتها لكان الأمر جميلاً، تعرف ما أقول، سفلة قذرين، كان سامي سيحب ذلك كثيراً، أبعد يدك القحبة عن كتفي أيها السافل ولا تلمسني.

– أنت تعال

– قادم...

مسكه أحدهم من مرفقه وكانوا كُثراً من حوله. قادوه إلى الباب، يطقطقون بأحذيتهم ويتمتمون. أغمض عينيه، كانتا على ما يرام. كل شيء على ما يرام. كانوا يقودونه في فراغ وكانت ساقاه تحملانه، قدماه، جيدتين وتخبطان الأرض طق طق طق قادته قدماه القويتان! في الفراغ، وهما تخبطان طق طق.

– لا تجرني، أنت تجرني لا تجرني فأنت تجرني لا أستطيع أن أرى بحق المسيح، تعرف ما أقصد.

–اصمت .

–أنت تدفعني إلى الأمام، لماذا تدفعني إلى الأمام؟

–هذا الفتى لا يريد أن يذهب!

–وصلنا!

شعر سامي بالباب ينفتح، انفتح من أجله وتحرك إلى الأمام بمفرده. انغلق الباب خلفه. الدرج أمامه. دفع قدمه إلى الأمام إلى اليمين وإلى اليسار، يا يسوع المسيح، هذا رائع يا رجل، إلى اليمين وإلى اليسار،

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

تمام، هيا تحرك، أنت تحرك! تمام. نزل الدرج الجانبي ودار إلى اليمين. يداه على الحائط، درجة درجة، تذكر تلك اللعبة، التصفيق، التي كنت تلعبها وأنت صغير، تصفق بيديك وتزيد السرعة. لم يكن سامي يسرع قط، في الواقع كان بطيئاً، يمشي ببطء، يطبطب على الجدار بكفيه، طبطبة، طبطبة، ذلك لأنه كان يمشي، لم يقف ساكناً وذلك أمر عظيم لأن هذا ما يحتاجه. حتى الضفدع العجوز، أو أياً يكن ذلك الشيء البطيء، ينجح، ينجح ويهزم ذلك الشيء السريع، الأرنب البري. تمام، تقبّلته برحابة صدر وأقنعت نفسك.

على طول إلى الزاوية وبعدئذٍ نفخ الهواء، يا يسوع المسيح، وكأنه قد سجن في الربيع وأطلق سراحه في منتصف الشتاء. كان الجو دافئاً عندما سجنوه! ذلك ما يتذكره على أية حال، الجو الدافئ. ربما لم يكن هو الشخص الذي أوقفوه! ربما كان سافلاً آخر! ربما لم يكن هو، فهو هنا.

يا يسوع المسيح، تلك مسألة ذهنية تستحق التفكير، يجب أن ينتبه إليها، حقيقة، يجب أن تنتبه إليها، إلى ذلك الشيء القديم القحب، صندوق العقل، تمام، هيا تحرك تمام.

يا يسوع المسيح.

طبطبة، طبطبة، تصفيق. يا مسيح، ذلك كل ما فعلته تطبطب على الجدار، تابعت المشي، تابعت المشي. سيتحسن الوضع خلال دقيقة. كل شيء سيختفي في نفخة دخان. تريد نهاية سعيدة؟ سأعطيك واحدة. تمام إذاً، لقد عشت هذا الوقت السّيء. عُميتَ. فقدت بصرك لأيام عدة وكان ذلك أمراً سيئاً. لقد تغلبت عليه أيضاً تغلبت عليه.

أقصد ذلك ما يميّز، زوجكِ سامي، تعرفين ما أقصد، كثير من السفلة كانوا سيجنون. لكنه لم يجن. تجاوز المحنة. كان عاقلاً رغم

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

أن محنته كانت بشعة. لكنها انتهت الآن وها هوذا هنا خارجاً بعيداً وحراً. انتهى الكابوس. لماذا إذن ما زال غير قادر على رؤية أي شيء؟

أقصد

يا يسوع المسيح

تمام. تمام. بحق الجحيم

هوّن عليك. لا بأس يا رجل هوّن عليك. تنفس بعمق. هوّن عليك. لقد تخطيت المشكلة، تعرف ما أقصد، ذلك ما تفعله، ذلك هو، تلك هي الضريبة. تنظر حولك لترى إن كنت ستسلك هذه الطريق أو تلك أو أية جهنم أخرى، هكذا تخيّل المسألة.

توقف سامي عن المشي وفي الواقع بدا أنه لم يمش طويلاً. كان يتكئ، على جدار. يستند إليه. كان الجدار حول زاوية مركز البوليس، وهوّنت الأمر على نفسك. هكذا هوّن عليك، هيّا يا رجل، بحق الجحيم. فالحالة الراهنة، حالته الآن، هذا ما يجب أن يفكر فيه. لا مانع من التجوال، هنا ليس السجن هذه رقبتك القحبة يا رجل هذه رأسك حيث لا يوجد شيء. تمام! تفحصها إذن.

ولا تتورط في آمر آخر. التفتْ لأمر اللحظة الراهنة، لا الأسبوع الماضي ولا الأسبوع القادم. حسن لقد عرف هذا الشارع جيّداً.

لو يحصل على سيجارة الآن! ستكون ممتازة يا رجل، فقد كان خرماناً على سيجارة. كان على زاوية مركز البوليس، وربما كان هؤلاء السفلة يراقبونه من النافذة في تلك اللحظة. ذلك ما كان ينقصه، سيبصقون عليه بصقات كبيرة. لكن لا بأس، لا تنزعج، سامي الشجاع، لا تنزعج. إن كان يقف في هذا المكان...

يا يسوع المسيح، هيّا إلى الجحيم، انطلق مبتعداً عن الجدار لكن ليس كثيرا. لعبة الطبطبة. باليد اليمنى فقط، ووضع اليسرى في جيب

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

بنطلونه، بعدئذٍ سحبها ثانية لأنه احتاجها للتوازن، لم يكن يشعر بالحر وتمنى لو يدوخ في الحال، كان بحاجة لذلك، إنه حُرٌ الآن، وهكذا.... على الأقل لن يرى السفلة ينظرون إليه، لأنهم سينظرون إليه. سيظنونه سكران. ذلك ما سيفكرون به. هكذا هم الناس، وذلك ما فكروا فيه — فيك، فكروا بالأسوأ، بأسوأ شيء في العالم، إن أرادوا التفكير بشيء يخصك، فسيفكرون بالأسوأ يا رجل. تمام، ذلك حسن. توقف. تنهد. كتّف ذراعيه فوق صدره. لأن كتفيه كانتا تؤلمانه واحتاج إلى استراحة قصيرة. استراحة قصيرة. يا يسوع المسيح، سيجارة، كان خرماناً. لم يكن خرماناً في السجن لكنه خرمان الآن.

كم تقاطع أمامه ليصل الشارع الرئيسي؟ وكم شارعٍ فرعي قبل الشارع الرئيسي! كان الأمر مضحكاً. ألم يكن مضحكاً؟ لا يعرف. فهناك كل تلك الأشياء التي تظن أنك حفظتها في الذاكرة لكن هل حفظتها حقاً! هل التعنت وحفظتها؟ يجب أن يسأل أحداً ما لكن كيف ستعرف إن كان أحد ما يقترب منك وأنت لا تستطيع أن ترى؟ والضجة كثيرة من حولك، حركة المرور وصفير الريح القوية. بحق الجحيم، تلك الريح اللعينة، إنها نسيم جهنم.

ضجة كبيرة وكأن شاحنة تمر بقربه. كان السير يجري في هذا الاتجاه، صاعداً باتجاه طريق السيارات وبعد ذلك غيروا الاتجاه إلى الجنوب أو الشرق. ذات مرة أقلته سيارة، مباشرة، إلى دوندي. حظ لعين. كان الأمر مقبولاً حتى وصل هناك، لكنه لم يجد أي عمل. فالسافل الذي أخبره كان سافلاً كذاباً، الخراء المعتاد. يحتاج لسيجارة، بحق المسيح. لو كان معه ثمن عشر سجائر لاستطاع دخول دكان. يشتريها، وبعدئذٍ يشرح الوضع، وتحصل المعجزات. إذ يمكن أن يقرضه عامل الدكان من جيبه الخاص أجرة التاكسي إلى البيت. أو إن كان هناك هاتف واستطاع الاتصال مع هيلين! لكن ليس لديها هاتف قحب، إذن حتى لو كان معه عشر بنسات فسيبقى دون اتصال قحب.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

إلا إن كانت في العمل. فيمكن أن يتصل بها هناك.

بحق الجحيم يا رجل. ارتجف. ما يزال هنا، حيث يقف منذ أن توقف. لم يستطع حتى أن يتذكر أنه توقف لكنه توقف، وها هوذا هنا، يتكئ على الجدار، كتفه على الجدار، ما يزال على وقفته، لقد توقف، حسن لا تستغرب يا رجل لا تستغرب.

آخ، حالته ميؤوس منها. ذلك ما شعر به. هؤلاء السفلة. لكن ماذا بوسعك أن تفعل سوى أن تبدأ ثانية، وهكذا انطلق ثانية. ذلك ما فعله انطلق ثانية. إنها لعبة لكن هذه هي الحياة يا رجل، حياة تافهة، تلك التي أتحدث عنها. ذلك كل ما تستطيعه، يا رجل، أن تبدأ ثانية، تغيّر طريقك، بداية جديدة، بداية أخرى، وتشق طريقك، تشق طريقك، فقط تلتعن تشق طريقك، ذلك ما تفعله، وذلك ما فعله سامي، وماذا بعد أيضاً؟ لا شيء، تعرف ما أقصد، لا شيء على الإطلاق. تعرف إنها بعض من كارثة، ينبغي أن تتغلب عليها. يحتاج إلى عصا. العصا ستكون حلاً مثالياً لعيناً.

توقف سامي، استدار إلى جدار المبنى وأسند رأسه إلى الجدار مستشعراً صلابته، فرك رأسه عليه، وأعاد الكرّة حتى شعر بذلك الإحساس المؤلم. المشكلة أنه لم يكن ذاهباً إلى مكان محدد. لا مكان محدداً، لا مكان. ولهذا هو بحاجة إلى صفاء ذهنه، ليفكر، يجب أن يفكر وتلك مشكلة جديدة. يجب أن يتغلب عليها، ذلك كل شيء، كل المشكلة. كان كل يوم مشكلة لعينة. وهذه واحدة جديدة وهكذا فكرت وبعدئذٍ تغلبت عليها. تلك كانت المشكلة، شيء فكرت فيه وبعدئذٍ تغلبت عليه وانطلقت قدماً؛ حقول خضراء عند كل زاوية، شمس مشرقة وسماء زرقاء، شوارع بحدائق منصّفة فيها أشجار تفاح وأولاد يلعبون على العشب. السُلطات الجيّدة القديمة وهناك في الأعلى الزعيم في مكتبه المركزي الصغير، إله عجوز طيّب بلحيته

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

ومزوله البيضاوين، يراقبك من عليائه، بابتسامته الصغيرة اللطيفة، يوّجه الأولاد. كان ذلك حسناً. لكن المشكلة الآن هنا في هذه اللحظة. ذلك كل شيء؛ وما إن تجتازه حتى تخلّفه وراءك. منذ نصف ساعة كان في مكتب البوليس وبعد ساعة من الآن سيكون في البيت، فنجان شاي وقدماه أمام المدفأة، وربما مغطس ماء ساخن، وهيلين كالنحلة حوله قلقة — لم تذهب اليوم إلى العمل؛ إنها سعيدة بعودتك.

وذقنه أيضاً غابة شوك، لم يحلق منذ صباح الجمعة.

أنفاس عميقة. مرت به سيارة. بدت له كتاكسي.

فظيع، شيء فظيع.

أبعد كتفه عن الجدار لكنه عاد وانخبط عليه، ترنح وارتطم به مباشرة وتعثر، بحق المسيح، وازن جسمه واستند براحتيه إلى الجدار. هذا عجيب حقاً؛ ويشبه حالتك عندما تدخن الحشيشة أحياناً وتصبح نهباً للأفكار، أو لفكرة واحدة تشوبها ثغرات كثيرة وقبل أن تتخلص منها يحدث صخب عال وكأن رأسك سينفجر وتبقى عيناك مغمضتين، مغمضتين بقوة، وجُهك مقطب، أسنانك تكز على بعضها، لأنك تعرف هؤلاء السفلة جيداً، يا رجل، هؤلاء السفلة يكرهونك ويقولون لك أنهم يكرهونك ويريدون أن يروك ميتاً يا رجل، ذلك ما يريدونه.

هكذا تمام، ما تفعله هو أن تنطلق، في الاتجاه الذي تواجهه، تعثرت بتلك الطريق وما زلت تواجهها، ولا مجال للتردد في ذلك. هكذا هو الأمر يا رجل فلن تعود إلى الوراء لذلك لا تفكر بالأمر إذن لأنه مجرد هراء.

كيف تمشي. حسن تضع قدماً أمام الأخرى وتضعها ببطء، ببطء شديد، القدم الأولى وبعدئذٍ الثانية وببطء شديد، تتمسك بنفسك مثل

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

طفل وتستمر بالمشي. إنه جاف، الجدار جاف، ذلك جيد كان يمكن أن تمطر بغزارة، وقد أمطرت عليك بغزارة فيما مضى.

طبطبة

أية أغاني؟ بوسعه أن يتسلى بأغنية. كان سامي من النوع الذي رأسه مليئة بالأغاني.

رجل مريض وبحاجة لمساعدة، أي نوع من المساعدة، أجرة تاكسي أو باص، ثمن سيجارتين.

إن عصا ستوضّح الأمر للناس. ليس بالضرورة عصا بيضاء. أية عصا يمكن أن يتلمس بها طريقه. يتلمس بها الطريق أمامه. تعرف إن عصا حقيرة تافهة، ستجعل الأمر مختلفاً.

غريب كيف أطلق الجنود سراحه! عندما تفكر بالأمر! لا فائدة من التفكير فيه، ما عدا عندما تفكر فيه، تعرف ما أعني: إنه كان غريباً.

مرت سيارة. ربما إن وصل المحطة الفرعية، توجد محطة قريباً من هنا، ويمكن أن يقول للناس هناك إنه أصيب بعمى مؤقت لتعرضه للضرب، ضربه أحد السفلة ضربه بوحشية يا رجل. ربما سيأخذونه إلى الرصيف ويضعونه في القطار. لكن مع ذلك لم تكن المحطة الفرعية مفيدة، لأن خط سيرها ينتهي بعيداً عن مكان سكنه.

آه إلى الجحيم بالمحطة الفرعية.

لكن كيف يبدو هل يبدو كسكير؟ فهو لم يحلق ذقنه منذ أيام، أنت تمزح، يا رجل، فلم تتح له الفرصة.

هكذا كان الأمر بشعاً. لكنه لم يكن كابوساً. لم يكن كابوساً بل حادثاً حدث له، وسيتجاوزه، فهو يعرف قواه. وما يميّز سامي هو أنه يعرف قواه هذا لأنه يعرف نقاط ضعفه. كتلة خراء لعينة. لكنه

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

شعر أنه يستطيع أن يتجاوز الأمر. وكأنه كان مجموعة مشاكل مسلّية يجب أن يواجهها في هذه المرحلة المسلية من حياته حيث، وللصدق، شعر أحياناً أنها ضيّعته تماماً. كيف كان الشيء اللعين لا نهائياً، لا ينتهي أبداً، وأنت تجاهد إلى الأمام. وسامي لديه ولد أيضاً، تخيّل ذلك فهو لن يراه ثانية. ما لم يستعد بصره القديم يا رجل. لكن ربما لا يريده أن يعود. مادام استطاع التخلص منه، النواقص والزوائد، لأنه كانت هناك زوائد على وجه التحديد، ولا بد من ووجود نوع من الزوائد؛ لا بد من وجود بعضها — على الأقل لن يعمل في الأسبوع القادم ما كان يعمله في الأسبوع الماضي.

أين هو؟ إنه هنا. رائع، وكل ما يحتاجه هو أن يدخن سيجارة صغيرة، ذلك كل ما يحتاجه، يا رجل، كان يريد الكثير رغم أن كل ما أراده، سيجارة لعينة فقط، ولا شيء آخر.

تمام.

لسبب ما، نخر عالياً. كانت نخرة أقرب إلى الضحك لكنها لم تكن ضحكاً. إلى الجحيم. أفضل شيء أن توقف سافلاً ما وتطلب مساعدته. حتى وإن كانت امرأة فيمكنه أن يوقفها! ربما كانت متعاطفة مع العميان! لكن الأمر يتوقف على هيئتك، إن كانت هيئتك على ما يرام، وُفِقت، وإن لم تكن كذلك فسوف تخيفهم، سيتجنبونك، يا رجل. سيتجنبونه حالما يرونه. سيفرون من طريق زوجك. لا ضير في ذلك. سيكون ذلك سباقاً لعيناً بالتأكيد؛ ما لم تقابل شخصاً خبر المشكلة. قد يساعده شخص آخر أعمى. سمع سيارتين تمرّان.

قدرٌ لعين. قدر فظيع وعجيب.

لكن هناك أمر ما فيما كان يجري. أمرٌ شعر به سامي. شيء شبيه بذلك الشعور الذي ينتابك عندما يكون هناك خلل ما، تعرف ما أقصد، تلقيت دفعة، تعرف ذلك، تعرفه تماماً. ذلك ما شعر به

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

سامي. شعر بدفعة في الظهر. ماذا كان ذلك، يا مسيح؟ لقد ذكره بقصة قرأها. قصة عن سافل مسكين يعمل كموظف صغير في دائرة حكومية ويعمل بجدّ طوال ساعات العمل، كل الذين عرفوه عدوه زلابية، عدوه زلابية، مسكين تعيس، تلك كانت حالته زلابية خراء.

–هيه المعذرة! المعذرة. أنظر هيه آسف لإزعاجك، أنا أعمى وفقدت محفظتي، لقد سُلِبتُ.

– .....

– آسف لإزعاجك. المشكلة أنني لا أعرف أين أنا، كنت هناك على الطريق وضربني شخصان، في البنك، عند كوة آلة سحب النقود، كنت أسحب نقوداً.

– ...

– هيه؟ هيه؟ أنت هناك؟ هيه؟

يا إلهي، كان هناك شخص ما. شخص ما بالتحديد. لقد ابتعد الآن لكنه كان هناك، هذا إن لم يكن مازال هناك.

ما لم يكونوا قد سكتوا الآن. ربما لا يصدقونه. بدأ يتكلم بصوت هادئ. قال: إن كنتم هناك فأعتذر لتطفلي عليكم، لكني أعمى. شخص ما أخذ محفظتي، وكل وثائقي. أنا أعمى. آسف، أنا مجرد... هيه؟ أنتم هناك؟

– ...

– هيه؟

يا للجحيم اللعين. لقد سمع أناساً يمرّون به. سمعهم. كان أعمى يا رجل لكنه لم يكن أصم. أراد أن يمسكهم ويخبرهم قصته. استدار، في مكانه، فأضاع الجدار. تحرك نحوه ويداه أمامه لكنه أضاعه لقد أضاع

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الجدار اللعين. ركلت قدمه شيئاً قاسياً فانحرف إلى اليسار وانزلقت القدم نفسها عن شيء ما فانطرح أرضاً، وكل ما وسعه فعله هو أن يبقى ممدداً حيث سقط، ممدداً فقط، لا يعرف شيئاً، ما العمل؟ لا شيء.مرت قربه سيارة، صخبٌ جهنميٌ وقريبٌ جداً. تحرك إلى اليمين ليتلمس الرصيف لكنه لم يجد الرصيف. ذهب أبعد مما ينبغي. بعدئذٍ توقف. توجد حركة مرور أكثر. صاح: 'النجدة'. هل كان على الطريق؟ كلا بالتأكيد. لم يكن على الطريق اللعينة، يا رجل ولا يمكن أن يكون. صاح ثانية، 'النجدة'. بحق الجحيم يا رجل، لا يمكن أن يكون على الطريق. تمتمة تمتمة. أصوات. نهض على ركبتيه وبعدئذٍ وقف، مشى بأقصى حذر ممكن، وهكذا سيكون مازال واقفاً حيث كان ممدداً، ذراعاه ممدودتان أمامه: النجدة! النجدة!

تمتمة تمتمة...

– النجدة! أخرجوني من الطريق! النجدة

– ...

رفس حوله بقدمه اليمنى بحثاً عن الرصيف، النجدة! أنا بائس أعمى، لا أستطيع أن أرى. النجدة!

– يقول إنه أعمى.

– خذوني إلى الرصيف! النجدة!

– أنت على الرصيف.

يد من اللامكان أمسكته من ساعده. ويد أخرى على كتفه، وصوت: 'هل أنت بخير'؟

– نعم،.... سمع سامي صوته، كان نباحاً.

صمتٌ لبرهةٍ، وبعدئذٍ قال شخص: 'إنه بخير'. ثم طال الصمت.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

قال سامي: 'أين أنا'؟

– ...

– ما اسم هذا المكان؟ هل من أحد حولي؟ هيه؟ أنتم هنـاك؟ هيـه أنتم هناك؟ هيه! هيه! أنتم هناك.

يا للجحيم! بعدئذٍ تمتمة عالية. أناس يتكلمون.

– هيه؟

لم يستطع أن يسمعهم بوضوح. أيـن أنـا؟. هيـه؟ أنـا أعمـى. ألـن تساعدوني؟

– ...

–ستساعدونني! هيه؟ هيه؟ يا يسوع المسيح. هيه؟ أنا أعمى. هيه أين أنا؟ هيه أنا أعمى تعيس أرجوكم ساعدوني، لو تخبروننني فقط في أي جهنم أنا — هيه بحق الجحيم؟ أنا ضائع.

– ما المشكلة؟ ما الأمر؟

– ماذا؟

– هل أنت بخير؟

– لا أعرف أين أنا. أنا أعمى. فقدت عصاي. أين أنا؟

– في ديفيس ستريت؟

– وعلى زاوية نابيير ستريت

– تمام.

– أنت أمام مكتب البريد.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– ...

– ما المشكلة؟

لم يستطع سامي أن يتكلم. شعر بالأسى، بالهياج، كان مهتاجاً جداً، وكأنه سيصاب بنوبة ارتجاف أو شيءٍ من ذلك القبيل.

– ما المشكلة؟

– لا الأمر أنني أعمى تعرف أنا إيه... إيه... هل توجد حانة قريبة من هنا؟

– حسنٌ نعم، حانة البلازر. إنها عبر الشارع. تريد أن تعبر؟

– نعم

أعطنا ذراعك إذن... أمسكها الشخص وانتظر دقيقة وبعدئذٍ مشى وقاد سامي نازلاً الرصيف وبدا أنه سار بخطٍ متعرجٍ وتساءل فيما إذا كان يمشي بين العربات ولم يزعج نفسه بانتظار إشارة المرور لتغيّر ضوءها. إن كانت هناك إشارات ضوئية فتلك جريمة لعينة، ولا تعرف أينٍ كان يقودك كما يمكنٍ أن ترفس عقبيه وبعدئذٍ يمكن أن تسقطا معاً؛ تفقدان السيطرة كلياً وتسقطان.أردت أن تمشي بخطوات صغيرة لكنك لا تستطيع لأنك يجب أن تستمر بالسير، على أكمل وجه، وخاف سامي أن يتكلم خشية أن يفقد الشخص تركيزه أو ينزعج ويتركه هناك ويمضي وسط الزحام. بدا الطريق مزدحماً، تقاطع الطرق مزدحم، حركة شارع نابيّر، لقد استطاع أن يسمعها.

قال الشخص: 'سنصعد الرصيف الآن'، قال الشخص، 'وصلنا الرصيف'.

قدّم سامي قدمه إلى الأمام. وبعدئذٍ كان فوق الرصيف.

– تمام؟

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– رائع.

– هيه؟

– نعم... سأتجه إلى الجدار.

– ماذا؟

– الجدار. أتستطيع أن توصلني إلى الجدار؟

– الجدار؟

– فقط إلى جانب الحانة.

أخذ الشخص بذراع سامي وقاده إلى الجدار. اتكأ سامي على الجدار. كانت أحشاؤه تؤلمه وكان يرتجف. شعر بالزحمة في أحشائه. لا بد من طرق أخرى لأن هذه كانت توتره تجعله عصبياً. سيبقى حيث هو، سيبقى هناك حتى يهدأ ويستعيد أنفاسه، وإلى الجحيم بالمارة السفلة. كانت بطنه تؤلمه جداً يا رجل أقول لك. كان مدركاً أنه يلهث وحاول تخفيف الأمر. نوع من الومض يلمع هناك في رأسه وذلك الطنين في أذنيه كان عالياً يا رجل، تعرف كان عالياً. لا بد أنهم ضربوه عليهما بقوة، بالتأكيد، لم يكن في حالته العادية أبداً، لم تكونا صاخبتين هكذا من قبل. إلا إذا كان ذلك مترافقاً مع العمى، من المحتمل أنه يؤثر في السمع أيضاً كما في النظر. مهما يكن الأمر.

كان هذا أسوأ شيء في العالم. لا شك في ذلك. ولا مثيل لسوء كهذا. لو كان في ذلك أدنى شك من قبل لما حدث الآن

ليس بهذا السوء أبداً.أبداً، ذكري في أبداً. كان صواباً أن تفكر في الاسترخاء، يجب أن تهوّن عليك، من الصواب أن تفكر بالاسترخاء. لكنك لا تستطيع تنفيذه دائماً. كلا إن كان ذلك أسوأ ما لقيته، لقد كان الأسوأ فعلاً، لأنه يحدث الآن ولم يكن كابوساً بل شيء لعين

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

يحدث الآن تماماً، الآن. وهكذا، لا بأس، مازال عليك أن تسترخي، وتهوّن عليك. تمام، يجب أن تسيطر على الأمر، ليس هذا وقت الانهيار النفسي. كلنا تعرضنا للانهيار النفسي، ونعرف ما يعني الانهيار النفسي وليس هذا وقته الآن، تعرف ما أقصد، ليس هذا وقته، وهكذا لا مشكلة هناك. انس الأمر، انسه فحسب. تكتّف سامي، أغمض عينيه، شعر برغبة في النوم. اتكأ هناك على الجدار، كان بخير، إنه في أمان حقيقي؛ لكنه شعر بالتعب، شعر برغبة بالدوخان. وذلك ما سيحصل إن بقي على هذه الحال سيدوخ يا رجل. وبعدئذٍ سيأتي الجنود السفلة. وربما تعقبوه من مركز البوليس،على أية حال. سفلة أولاد زنا. لكنه سيبقى هناك. وماذا إن التعنوا وحاولوا القبض عليه أقصد بماذا سيتهمونه؟ بالتسكع عمداً؟ تهمة لعينة جيّدة، التسكع عمدا — بقصد الاصطدام بعمود إنارة؟ سفلة.

في الواقع، وبسبب ما يشعر به، كان بوسعه البقاء هناك طوال اليوم. قدماه تقتلانه من الألم، هذه الخفافة اللعينة التافهة. مرّ به شخص ما. استدار إليه ليطلب منه أجرة الباص، أياً كان، لكنه لم يفعل. غبي. كيف تعرف من تكلّم ربما كان أحد مستخدمي الحانة، وعندئذٍ سيطلبون له البوليس، بحق المسيح، وربما كان جندياً. وبالطريقة التي يسير بها حظه فإنه سيفقد ساقيه اللعينتين يا رجل تعرف ما أقصد.

وهكذا تمام. تلك هي الحال. امشِ من هنا، تابع سيرك إلى الأمام.

وبقليل من العملاتية يا رجل. اصحَ كرمى للمسيح، استرخ. الأمر أشبه بمسألة رياضية ذهنية 2×2 = 4

شعر برغبة في الجلوس، منادمة شخص ما؛ فقط ليخبره القصة. قصة مروّعة يا رجل. لكنه لم يحب هذه الحانة كثيراً، البلازر. يرتادها بعض معارفه؛ اثنان، على الأقل، من شلته القديمة

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يرتادانها. لكنك لم ترغب برؤيتهما حقاً. كلا ما لم تحتجهما لأمر ما. حتى عندئذٍ كنت تستاء كثيراً. أنت تدفع ثمن كل شيء في هذه الحياة. ذات مرة...

لكن ليس الآن. كان سامي قد تجاوز ذلك. وهذا أمر يسجّل له يا رجل. لقد انتهت الأيام الذهبية القديمة. كانت هيلين مخطئة في ذلك، مخطئة كلياً.

يبقى أنك استطعت أن تتخيل ذلك، تجلس وأمامك كأس مزبد وعلبة تبغ.

آه حكاية خرافية لعينة. لكن تعرف أن ركوب البساط السحري سيكون وسيلة رائعة للعودة إلى البيت، بالنسبة للأولاد والسكارى، تعرف ما أقصد يا رجل، يرعاه الإله القديم، مركز السلطة. هكذا، كان المشروب أحياناً يبدو مثل ركوب بساط سحري. وأحياناً لا.

تمام، لا تستعجل. اتجه يساراً. اتجه يساراً. يا يسوع المسيح! هيّا تمام. اتجه يساراً، فقط استدر إلى اليسار. خطا سامي خطوة إلى الأمام، يده على المبنى، يتلمس طريقه إلى الأمام حتى وصل نقطة نسي ما كان يفعله وكان يمشي إلى هناك، يا مسيح، كان معتاداً على ذلك أقصد المشي لمسافات طويلة، كان مفلساً ويتضور جوعاً، بردانا ولا مكان يأوي إليه يا رجل. كل ذلك النوع من الحرمان الخراء. لا جديد أبداً في هذه اللعبة.

فكّر بأغنية. لا. لا أغاني. لا أغاني تافهة. هذه هي الحال الآن وكل ما عداها أصبح زمناً ماضياً.

آخ كانت غلطته هو، بحق المسيح، غلطة نموذجية لعينة، راح يلوم نفسه على شيء لا علاقة له به على الإطلاق. ليست غلطته أنه عُميَ! أنت تمزح! بحق الجحيم يا رجل، كان سامي قد توقف عن

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

السير. وهكذا تحرك ثانية، يحاول أن يكون عملياً، ألا يفكّر بالأمر، 1+، فقط تابع سيرك، تحرك، فقط تحرك، تمام، تمام، تمام. أحد أصابع قدمه اليسرى يؤلمه لكن لا بأس، لا بأس؛ جيِّد؛ الزم الجهة الداخلية من الرصيف — بنصف السرعة هذه المرّة، ذلك كثير، تجر القدم الثانية لتوازي الأولى، ترتاح ما يكفي، تستجمع ثقتك، وأي شخص يراه ربما سيظنه يعاني من خناق صدري حاد، يتعافى من أزمة قلبية، أو ما شابه؛ تذكر أنه مشى ذات مرة مع جدّه العجوز، منذ سنوات عدّة، كانا يتوقفان كل عشرين أو ثلاثين ياردة، للاستراحة، كي يستطيع ذلك البائس أن يلتقط أنفاسه، كانت رئتاه مهترئتين لكنهما بقيتا تخرخران أو تقرقران طوال الوقت.

اصطدم بشخص ما، بدا كأنه رجل صغير، بدا أنه صدمه صدمة قويّة، لكنه لم يقع. قال سامي: "آسف". لكن الشخص لم ينطلق. وهكذا راح يتحدث كيف فقد نظارته. لكنه لم يسمع سوى الصمت. لا بد أن الشخص قد ذهب.

مدّ يده إلى المبنى، لمس واجهة دكان. ربما عندما يصل البيت سيكون قد استعاد بصره ثانية. يا للجحيم. كل هذه الأشياء وُضِعَتْ لامتحانك، إنها الحياة، الحياة أرسلت تمتحنك.

خرمان على سيجارة يا رجل، ربما يستطيع الذهاب إلى حانة جلانسي مباشرة ويطلب أجرة السيارة من سافل ما هناك. آه لتذهب جلانسي إلى الجحيم! فالوقت الذي يحتاجه للوصول إلى هناك يكفيه ليصل إلى البيت، تستغرق الوقت نفسه الذي يحتاجه للوصول إلى البيت.

لكنها حماقة إيه! تذهب لتناول كأس بيرة وتنتهي إلى متسكع أعمى — قصة حياة سامي، نعم إنه محظوظ كالجحيم.

— المعذرة!

— آسف.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

يا للجحيم يا رجل بدا وكأنه وضع يده على حلمة ثدي امرأة. بسم المسيح لا بد أنه سيتعرض لاعتقال لعين!

تابع سيره. رجل معركة، هذا هو سامي فالمعروف عنه أنه رجل معركة. وإن سألته سيخبرك عن ذلك: لا عقل لديه هناك ويقاتل كالمجنون.

ذلك صحيح رغم أنه كان سيحاول التعقل.

إن دخل باباً مفتوحاً سيسقط أرضاً. لا بأس، سيمسكه شخص ما.

حتى الرأس القديم، لم يكن فارغاً إلى ذلك الحد، يا يسوع المسيح، لم يكن كسولاً في المدرسة، حقيقة. وقبل أن يُضرَب، آخ فهو لم يُضرب سابقاً، خراء.

يا يسوع المسيح، يا يسوع المسيح.

كرة القدم، لقد أحب اللعبة عندما كان صغيراً، كرة القدم ؛ كان مهووساً بها

يا يسوع المسيح.

رغم البَرد والمطر والثلج، كنت تراه في الخارج يلعب كرة القدم. لو كانت هناك فرصة صغيرة، لو كان محظوظاً لمشى تلك الطريق إلى نهايتها. لقد انتهت الاستكشافات.

لكنها لم تنجح، يا رجل، تعرف ما أقصد، أنت تحاول فحسب.

في أي جهنم هو الآن؟ لقد توقف عن المشي. لا غرابة في أنه توقف عن المشي لأنه لم يتخوزق يعرف أين كان! تمام.

لكن في أي جهنم هو! إنه على الطريق، هناك، ولم يستطع أن يضيع، ذلك ليس ممكناً. تمام، إنه عند الناصية، هناك فراغ، كان

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يقف في فراغ وكانت هذه الناصية الثانية التي تلي حانة البلازر، عظيم، تمام، لم تكن ناصية شارع حقيقية، لم يكن شارعاً حقيقياً، بل مجرّد تقاطع طرق صغير؛ وهكذا كان عظيماً أن تبطئ، لو كان هناك بساط سحريّ! لكن لا وجود لبساط سحري وهكذا تقف هناك، تمام. توقف سامي هناك. استردَّ أنفاسه. كانت طريقاً مستقيمة، لقد جاء في خط مستقيم ومن هنا إلى الأمام الخط نفسه، لأن الخط نفسه سيوصله إلى مبنى الشقق السكنية، إلى الطريق الجانبية الصغيرة فوق الجسر، والتي ستفضي به إلى هناك. حتى لو كان لديه أجرة تاكسي فلن يقبل السائق أن يوصله، لأنها قريبة جداً. سيقول له، اذهب إلى الجحيم ذلك ما سيقوله له، لأن وجهته قريبة جداً. أنت أقرب من أن تأخذ تاكسي، تحتاج لخمس دقائق مشي فقط، ذلك ما سيقوله السائق، الوضع رائع إذن. أمامه مفارق يجتازها، حوالي ثلاثة مفارق إلى المفرق الرئيسي. والممر— الكبير الخامس، عندما تعبره يبقى أمامك إبحار سهل، إبحارٍ سهل يا رجل. تمام إذن، انطلق، فقط انطلق. خطا إلى الأمام مبتعداً عن الناصية، ذراعاه أمامه في الهواء تنتقلان من جهة إلى أخرى، قدمه اليمنى تتحسس، تستطلع الطريق، ولمس شيئاً، عمود إنارة، جيد، حافة الرصيف. لم يكن شارعاً حقيقياً. كان أشبه بشارع فرعي ولا يمكن أن تشغله حركة مرور أبداً. سمع أناساً يمرون. بوسعه نيل المساعدة لو أراد، لكنه لا يحتاجها الآن، سيحتاجها فيما بعد، لكن ليس الآن، من الأفضل ألا يطلبها الآن، لأن....

لأن ماذا. لأن من الأفضل ألا يطلبها، أنزل قدمه اليمنى عن الرصيف ويده اليسرى ما تزال على عمود الإنارة، ثبت عقبه الأيسر أسفل الرصيف لكنه استند عليه. بحق الجحيم يا رجل ادفع، ادفع نفسك إلى الأمام، تمام، حرّك قدمه اليسرى إلى الأمام ثم اليمنى، فاليسرى. كان وراءه شخص ما. فقال، أشعُرُ بالدوخة، أشعُرُ بالدوخة. كان قد توقف الآن. قال، أشعُرُ بالدوخة.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

تنحنح، أنت هناك؟ لا، لا أحد هناك، مهما كان، لا أحد هناك، إلا إن كانوا قد صمتوا. لكن بسم المسيح، يا رجل، يا عيسى. ووووه. القدم اليمنى، ثم اليسرى والكرّة نفسها ثانية. تمام تابع إلى الأمام، كان يسير إلى الأمام، يا إلهي العزيز يا رجل، يا مسيح يا قادر، هذا جيّد جداً، لأنه كان على ما يرام، القدم اليمنى فاليسرى فاليمنى وهكذا، جُرّها، فقط جُرّها، ذلك رائع، استغنيت عن المساعدة. لم تحتجها فاستغنيت عنها. سيحتاجها فيما بعد، ليس الآن. فقط تقدم، تقدم يطوي طريقه. قدماه تطويان الطريق لأنه يجب أن يصل وجهته عاجلاً أم آجلاً، عشرين أو ثلاثين خطوة ويكون قد طوى عشر أو ربما اثنتا عشرة ياردة. حركة مرور لكنها بعيدة على الطريق الرئيسية وليست هنا لأنك لا تجد حركة مرور على هذه الطريق لأنها مسدودة، وهي ليست شارعاً حقيقياً ولا تفضي إلى أي مكان.

أناس من جديد، أولاد يثرثرون مبتعدين بأصواتهم العالية، مرّوا به فمشى خلفهم بسرعة حتى فقدهم عندما مرّ باص كبير واختفت أصواتهم الآن وتابع سيره لأنه ذاهب إلى هناك يا رجل، ولم يبق أمامه الكثير الآن، كان يقترب من هناك، فقط لو يستطيع أن يرى، تعرف، ذلك ما كان يفكر فيه، لو يستطيع أن يرى، على الأقل الأمكنة التي كان يجتازها في الشوارع والطرق. رائع، وصل الرصيف الآخر، وصعده، صعد الرصيف، نجح بسهولة، وإلى الأمام مباشرة لا مشكلة، إنجاز كبير، لم يكن الأمر صعباً، إلى الأمام مباشرة، تمام، وخطوات إلى البناء عند الناصية، حركة المرور على يمينه. كانت حركة المرور على يمينه وهكذا يجب أن تكون، لأنها الطريق الرئيسية ويفترض أن تكون على يمينه. وهذا يعني أنه يسير في الاتجاه الصحيح جيّد، يا يسوع المسيح، جيّد يدك على المبنى وها أنت تتابع السير، هوّن عليك ولا تضيّع وجهتك وما من سبب لتضيّعها فهذه لعبة طبطبة مستقيمة، لعبة التصفيق، وذلك ما

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

فعلته؛ أنت أعمى ولعبة الطبطبة مناسبة لذلك، يا رجل فأنت لن تركض، هّون عليك فقط.

تمام. لا بأس بسيجارة. أووه، سيجارة ستكون جيّدة الآن. توقف سامي وانطلق ثانية لأنه من الأفضل أن يستمر بالسير، بدلاً من التوقف كل عدة ياردات، ذلك سخف، غباء مطلق يا رجل، تعرف ما أقصد، الأفضل أن تستمر في السير وترى ما يحدث لأنك تحافظ على هذا الإيقاع في سيرك ولا شيء سيوقفك ما دمت سائراً بخطوات ليست واسعة بل كافية للاستمرار إلى الأمام، وتشغل نفسك بشيء أو بآخر ورأسك مشغولة به، مشغولة كلياً، مشغولة بذلك ولا شيء سوى الحقيقة يا رجل. وهكذا يجري الأمر، تلك هي الحقيقة ولا شيء سواها. تشعر بشيء من الفراغ وهو مجرد مدخل بيت تغمره العتمة قليلاً ويداك تتحسسان لا شيء بحثاً عن جدارين صغيرين وبعدئذ تجده، إنه هناك، الجدار التالي، بعد المدخل مباشرة. تمام، شكراً للجحيم أنك فطرت، قدم له الجنود فطوراً.

تمام، تابع إلى الأمام، تحياتي القلبية لك يا فِضّي.

تعرف لا يقدمون لك فطوراً دائماً، هذا يتوقف على مزاجهم، هم من يقرر إن كانوا سيقدمون لك فطوراً أو لا.

وغالباً لا. أنت جائع وتذهب جائعاً، تمام إذن، تلك كانت الضربة، ترتكب جريمتك، ترتكب جريمتك

تلك تشبه أغنية صغيرة

ترتكب جريمتك ترتكب جريمتك

ترتكب جريمتك ترتكب جريمتك

ترتكب جريمتك ترتكب جريمتك

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ذات صباح عيد ميلاد، ذلك هو اللحن. ما هو اللحن اللعين؟ لحن ذات صباح عيد ميلاد. لم يستطع سامي أن يتذكره يا رجل لم يستطع أن يتذكره، ذات عيد ميلاد في الصباح اللعين. لكن لها لحن ولحن محدد، ما هو؟ لأن لها لحناً محدداً وليست مجرد كلمات، قصيدة لعينة لم تكن مجرد قصيدة لعينة يا رجل، إنها أغنية تغنّيها، لذلك لابد من وجود لحن، يا للجحيم الفظيع!

تجذب بنطلونك إلى الأعلى

تدفع خطواتك الأفضل إلى الأمام، الخطوة الأفضل إلى الأمام

تمام. تختصر القصة الطويلة هنا لأن رأس سامي يزداد هياجاً وليس ما يخرج منه جيداً دائماً. كان الفتى منتهياً أقصد كان منهكاً، ولذلك لا فائدة من إطالتها. إن أردت أن تكون عادلاً: تمام؟ انسها، انسها، إنها مجرد قصة شخصية صغيرة، تعرف ما أقصد، امنح الفتى استراحة، بحق الجحيم، من الأفضل أن تقبل ذلك أحياناً.

لتذهب إلى الجحيم

سفلة أنذال، يا رجل تعرف ما أقصد، ذاكرتك اللعينة، استمر، إيه استمر، إلى الجحيم بك أنت أيضا، كلنا نستطيع فعل ذلك. سفلة. لا فائدة من غضبك أيضا لا فائدة من غضبك. لو غضب سامي لكان غضبه مدمراً. تفهم قصدي، أولئك الفتيان يا رجل الذين خسروا المعركة ربما تراهم يقفون في مكان ما، يستطيع أن يراهم الجميع، لقد جنّوا. غاضبون جداً، يصرخون وينادون على السفلة، بلا سبب واضح، لقد انفجروا يا رجل جنّوا. سامي الشجاع.

آخ كان سامي يفعل ذلك، يفعله بأسلوبه الخاص. لا فائدة من تدميره، في النهاية. كان فيه شيء من الهلوسة لكن ليس كثيراً، خصوصاً عندما تفكر في الأمر. بدا كأنه عرف أن هذا ما يحدث له، وهكذا تغلب عليه أوقفه عندما بدأ. عرف ذات مرة شخصاً

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

بحق الجحيم أنت تمزح؟ لقد عرف مئات الأشخاص، المئات. شيء فظيع يا رجل فتيان يخفون حالتهم، موجودون بكثرة في العصفورية لكن هذا الفتى لم يكن في العصفورية بل في بنسيون على ما أظن.

قصص، آه إلى الجحيم بالقصص يا رجل، الحياة مليئة بالقصص، موجودة لتساعدك عندما تكون في ورطة في خراء عميق، تأتي لإنقاذك لإخراجك منها، والشيء الذي تعلمته في الحياة هو القصص. رأس سامي، محشوٌ بها، لقد قابل بعض السفلة في زمانه، ولا يبدو عليه العمر أيضاً لأنه ليس كبيراً فهو في الثامنة والثلاثين فقط، لكنه بدا أكبر، بسبب الحياة التي عاشها.

لم تكن أسوأ من حياة أي سافل آخر، كلا لم تكن أسوأ. لقد تابعت قدماً إلى الأمام، ذلك ما فعلته يا رجل تابعت قدماً إلى الأمام، ماذا يسعك فعله أيضاً؟ لا شيء آخر. ولا حتى عندما تفكر بالأمر. لا شيء سوى هذه الأشياء الصغيرة التي يمكن أن تتشاغل بها. تدخن، تدخّن، سامي خرمان على سيجارة، هؤلاء السفلة الذين ظنوه سكيراً سافلاً، كانوا مخطئين. لم يكونوا نصف مصيبين، فلم تخطر له فكرة المشروب قط، التدخين فقط. كان بوسعه الاكتفاء بالتدخين فقط، حسن إذن، إن لم يستطع الحصول على سيجارة، سيحتمل ذلك حتى يحصل عليها، عندئذٍ سيستقيم الأمر، فما أن يحصل عليها حتى ينسى كل شوقه لها. ذلك ما يحدث، كل تلك الاحتياجات التي تسيطر عليك كلياً، تنساها حالما تنالها، وتنسى كم أرّقك احتياجك إليها، تنسى ذلك لأنك حالما تنالها تتسرب خارج ذاكرتك وإلى الأبد. كأنك لم تفكر فيها قط، حتى تفتقدها ثانية.

ربما كان عليه أن يذهب إلى حانة جلانسي. فكرة جيدة. بالتأكيد سيجد هناك سافلاً ما يقرضه جنيهين، حتى موريس العجوز، اللعين، خلف البار، ذلك العجوز السافل، حتى موريس سيساعد

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

سامي لا شك في ذلك. لا أعين يا رجل، تعرف ما أقول، لا أعين لعينة، يا يسوع المسيح يا قادر، تمام استرخ. كانت حركة المرور عنيفة أيضاً ويجب أن يعبر هذه الطريق ولا مجال لعبورها، ليس بمفرده، لا يستطيع ذلك بمفرده؛ لا جدال في ذلك.

الصبر مفتاح الفرج لا بأس...

الصبر. هيّا يا سفلة راح يرفس طرف الرصيف بكعبه، مطأطئاً رأسه لسبب ما. أنا أعمى، قال على أمل أن يكون بقربه أحد ما. لأنه يفترض أن يوجد أحد ما. لكن لا أحد. الصبر، يجب أن تتعلمه. تتعلم كيف تقف هناك. ما هي تلك الأغنية؟ الأغنية اللعينة يا رجل ما اسمها؟

أخيراً، أصوات. رفس الرصيف ثانية. هل بوسعكم مساعدتي لعبور الشارع؟

– ماذا؟

– لا أستطيع أن أرى.

– ...

– أنا أعمى.

– أنت أعمى؟

– نعم.

سمع سامي الشخص يهتف وكأنه يفكر في صحة ما سمع. فقال سامي: تركت عصاي في البيت.

– نعم، حسن يا صاحبي تمام، فقط انتظر دقيقة حتى تتغير الإشارة الضوئية... بعدئذٍ همس الشخص بشيء ما ورد عليه آخر همساً. واختلط الأمر على سامي. خوف مفاجئ. سمع همساً أكثر. ما

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ذلك يا مسيح بدا كأنه عرف الصوت، كأنه عرفه، ولم يكن مريحاً يا رجل لم يكن مريحاً قط: يمكن أن يكون أي سافل، أي سافل يا رجل تعرف ما أقول.

بعدئذٍ أمسك الشخص بمعصم سامي الأيسر وجذبه منه، لننطلق يا صاحبي...كان يُقاد. حاول أن يمشي بخطى ثابتة حيث كان يسير لكنه لم يستطع أن يحدد السرعة، كان عليه أن يفعل ما يفعله الآخر، معه، لأنه يمشي معه، وهناك أناس آخرون، عرف بوجودهم، لقد سمعهم، سمعهم يتحدثون أو أنه سمع شيئاً مثل شواش ريح، مثل تيار هواء أو ما شابه، أصواتاً كتلك التي تحملها الريح. يا يسوع يا قادر، يا يسوع يا قادر تفكر بكل السفلة الذين تورطت معهم خلال السنين الماضية، يمكن أن يكون أي منهم، أي سافل منهم

– هل أنت بخير يا صاحبي؟

– نعم.

كان قد توقف عن السير ومن ثم تابع ثانية. واصطدم بشخص.

يا للجحيم!

– عفواً لم أكن إه... يا يسوع.. شعر برغبة بالبكاء شعر برغبة بالبكاء

– هوّن عليك قال الفتى.

– أنا بخير.

– تمتمة. سمع تمتمة.

– تمام

– تحسسته؟

نعم كان سامي على الرصيف ولم يتوقف حتى وصل جدار مبنى، لم يكن جداراً بل واجهة دكان، يده على الزجاج، يلهث منقطع الأنفاس منهكاً وعطشان. شعر وكأنه ركض الماراتون. متشنجٌ، متشنجٌ، كلما فعلت

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

شيئاً ما تتشنج عضلاتك، دائماً تتخوزق تتشنج، كل شيء فيك؛ كل عضو في جسمك القحب يتشنج. وكان مضطراً أن يعبر الشارع الجديد، عرف أين هو الآن، ظن أنه عرف. وهناك شارع آخر عند الزاوية، هذه الزاوية، حيث يقف يا يسوع المسيح يا قادر. حركة المرور تهدر. آو يا يا يا يا، بحق الجحيم، يا يسوع، حسن.

تمتمة تمتمة. شخص ما بقربه. أناس يمرون به، إلى الجحيم بالمارّة.

إلهي، أوه يا إلهي! كان ضائعاً تعيساً. سفلة، سفلة أنذال. نكتة لعينة.. جنود سفلة. لقد عرف سامي القصة اللعينة. عرفها جيداً.

بلع ريقه؛ فمه جاف، سعل، كاتاراه[1]، أحنى رأسه وفتح فمه وتركها تسيل إلى الرصيف. كان ما يزال متكئاً على واجهة الدكان، صوت هادر من داخل الواجهة. ابتعد عنها الآن. خطا جانباً. كان بحاجة لسيجارة، لمقعد، لاستراحة، هذا جنون شيطاني، يا رجل

هذه هي، غلطته، إنها غلطته، لا غلطة شخص آخر، لا أحد غيره هو، إنها غلطته هو.

اقترب من واجهة الدكان. كانت دافئة. لا يستطع البقاء هنا فسيراه الناس، الناس داخل الدكان، سيخرجون ويرسلونه إلى الجحيم يا رجل، سيستدعون له البوليس يجب أن يتابع سيره. إلى أين؟ إلى اليسار. يا يسوع المسيح. تمام. تمام. هذه الأشياء. يجب ان تنتبه لنفسك. لا فائدة من التسرع اللعين. فاهدأ، ذلك ما تفعله بعدئذٍ تتحرك، تتحرك

كان هناك، قرب مركز المدينة، إنه بخير، وبقي أمامه شارعان فقط. هذا الأول وبعدئذٍ الثاني وربما آخر، قبل الشارع الرئيسي، والجسر، وحالما يعبر الجسر، يكون قد وصل

---

[1] كاتاراه : الإفرازات الناتجة عن التهاب القناة التنفسية .

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

وعندما يصل بيت هيلين، يا مسيح، سيكون منهكاً، سينام أسبوعاً كاملاً. ما لم يسقط على الطريق اللعينة الآن يا رجل، لأنه منهك. رغب في هذه اللحظة اللعينة لو يحبو، ذلك ما رغب بفعله، أن ينكبّ أرضاً ويكمل الطريق على يديه وركبتيه. بحق الجحيم يا رجل. يا للجحيم ماذا يشبه كل هذا؟ يشبه كابوساً فظيعاً كأنه فيلم كرتوني لعين من أفلام والت ديزني. مقارنة مع هذا، يا يسوع المسيح، إنه مثل كابوس باجس بوني اللعين، تعرف ما أقصد.

تحرك. تمام!

النوم، سينام مباشرة حتى صباح الغد. ربما لن يأكل فسيكون تعباً. عندما يصل البيت ستكون الحوالة بانتظاره.

هل سيكون غداً الخميس. جاءت الحوالة الماضية يوم الجمعة، كان يمشي. اضبط تنفسك، لكنه انطلق دون أن يفكر في ذلك، مربتاً على واجهة الدكان ومن ثم على الجدار، تمام، جيّد، تمام. إنه بحاجة إلى عصا. الطقس جيد وهذا شيء جيد الآن على الأقل، فقد كان سيّئاً قبل شهرين عندما كانت الأرصفة كلها متجلدة وخطيرة يا رجل.

إحدى محاسن الرؤية، أنك على الأقل يمكن أن تقابل سفلة تعرفهم. لكن الآن تنتقل من مكان إلى آخر معتمداً على أن يروك هم. أقصد أن هذا مركز المدينة، وما كان ليمشي هكذا مسافة دون أن يقابل سافلاً ما، كلا لو استطاع أن يرى ولو حتى متسوّلاً ما، لكان قابل أحداً. لا ضير في ذلك. إضافة إلى أنك كنت مطأطئ الرأس وتمشي بجانب الجدران طوال الوقت وهذا قلل فرص اللقاء.

شدّ قامته. يجب أن تاخذ الوضعية المناسبة. يا يسوع المسيح مَنْ يخدع مَنْ إن كان يعربد منذ يوم الجمعة.

عربدة لعينة يا رجل كان ذلك جيداً، عربدة فظيعة.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

لكنها غلطته، جنون فظيع! يضرب الجنود، أحمق زوجك السافل أحمق، أي جحيم فظيع هذا؟

يا يسوع المسيح!

هذا ما صار إليه. أعمى. كان أعمى. تلك هي النتيجة. تعرف، تمام، هذا أنت، هذه هي النتيجة، هذه هي. مَنْ الأعمى الذي كان يعرفه؟ بوبي دينز، متسكع مجادل، كان السفلة يفرّون من طريقه، كان لزقة لعينة. لم يره سامي منذ سنوات. جيّد. ربما يكون قد مات. مَنْ غيره؟ لا أحد.

لا عجب أنك غضبت لكنك تفهمت ذلك، أقول لك، تمتمة، تمتمة تمتمة تمتمة، ذلك كل ما حصلت عليه.

طعام، معجنات! شمّ رائحتها القويّة. ظن أنه عرف المكان؛ كان يجلس هناك أحياناً هو وهيلين في صباحات السبت يقرآن الصحيفة. كانت تحب الفرجة على واجهات الدكاكين هنا. كانت أحياناً تتركه حوالي نصف ساعة جالسا في الداخل يقرأ الصحيفة. ويمكن أن يتوقفا عند الزاوية يتناولان كأساً إن لم تذهب للفرجة. ويشتريان علبة سجائر بنكهة النعناع القوي. كان لها أنفٌ قويٌ كأنف السبنسلي— مهما كان كلب السبنسلي اللعين يا رجل.

آو يا يسوع المسيح هيلين يا رجل — من يعرف — من يعرف.

لكن لا فائدة من أن تقلق، ليس على أمور لا يسعك معالجتها.

توقف ثانية، كتفه على الجدار، عيناه مغمضتان. لم يكن على ما يرام. بطنه تمغصه. أراد أن يفرّغها، يتخلص منها. إحساس مرعب في أحشائه، مرعب ومغثٍ. بدا له كتحذير مسبق، إحساس مسبق من نوع مختلف. لأنه رجل لعين منهك كلياً ولا يستطيع فعل شيء. لا شيء سوى أن يمشي. يجب أن يمشي. استدار لكن لا، واستدار إلى الوراء

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

ثانية؛ تلك هي الطريق التي يجب أن يمشيها، لقد استدار مرة، وهكذا يجب أن يستدير الآن إلى الوراء. إنها الطريق المؤدية إلى الجسر.

سيكون الأمر رائعاً. عَبَرَ ملتقى الطرق الكبير وعبر الجسر، وهكذا تمام، وهو كذلك، فقط امش، ذلك كل ما تفعله، تمشي خطوة خطوة.

خطوة، خطوة، استمر في المشي فقط. لا تغرق في ذلك الإحساس المسيطر هناك، ولا تدعه يسيطر عليك، استمر في المشي، يا يسوع المسيح كم هي كثيرة المرات التي انتابه فيها هذا الإحساس، المرات التي عاشه فيها عاشه بأسوأ ما يكون يا رجل، وليست هذه المرة الأسوأ، لم تكن الحالة نفسها وقد تجاوزها يا رجل، لم تكن الحالة الأسوأ فقد رأى الحالة الأسوأ، رآها يا رجل، رأى سفلة يتخوزقون يموتون، يُضربون حتى الموت، لقد رأى الكثير منهم يا رجل. تشارلي، لم تحتج إلى تشارلي السافل ليخبرك عنهم، أنت تمزح يا رجل لتذهبوا إلى الجحيم. سفلة أنذال. لقد رآهم سامي، لقد رآهم، لكنه أراد حقه، هذا كل ما يريده، ذلك كل شيء يا رجل، يريد حقه اللعين. فقد اعتقل بسبب هذا وذاك، حسن، تمام، تمام، ذكري فيكم!

لم تشأ حتى التحدث عنه لم ترغب في ذلك؛ ولهذا لم يقل سامي شيئاً عما حدث في الحانة، مهما يكن لا تقل لهم شيئاً يا رجل لا شيء، لا تقل شيئاً على الإطلاق؛ نصحه جدّه بذلك وكانت نصيحة صحيحة، لا تقل شيئاً لأي سافل. جنود أنذال يا رجل. إه! ابتسم سامي. سفلة قحاب. أنت تمزح! تابع سيرك يا رجل انطلق إلى الأمام، تلك هي القصة ؛ كم بقي أمامك، كم بقي؟

تعرف المثل القديم: "الحياة تستمر". عبر سامي الجسر وشق طريقه صاعداً إلى البناية، لم تكن مسألة عادية يتغلب عليها بل مسألة اختارها وأنجزها. هكذا تنجح، وهو كذلك. إضافة إلى أن

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

هيلين لم تعد. عرف ذلك حالما خرج من المصعد. الريح اللعينة تدخل عبر الموزّع كالمعتاد. تلك هي مشكلة هذا المكان إذ إنك تواجه فيه عوامل الطبيعة التي تجعلك أحياناً تسمع أشياء. نعم، إذا كانت الريح قوية كانت تجعل الأشياء تصدر أصواتاً، وإن كنت عائداً إلى البيت ليلاً تظن أنك سمعت أشياء، حتى إنها يمكن أن تكون مخيفة قليلاً، وترى الكثير من الخيالات؛ حتى الآن، رغم أنك لا تستطيع أن ترى خيالات أو ما شابه تشعر أن الأمر غريب، وكأن شخصاً يراقبك، لكنه يتجنب الوقوف في طريقك أو شيئاً من ذلك القبيل، ما هذا الغباء يا رجل، تجاهله، فهذه محض تخيّلات، هذا هو جوهر الأمر.

فتح الباب، دخل وأغلقه وراءه. دخل غرفة المعيشة وارتمى على الأريكة. منهكاً، كان منهكاً تماماً. بلع ريقه، بلع مراراً وتكراراً، بحق الجحيم، نوبة بلع.

هيلين غير موجودة، إنها في العمل، ما لم تكن في السرير. كم الساعة؟ بعد الظهر. إنها في العمل. ما لم يكن يوم عطلتها.

آو، يا إلهي، بحق الجحيم

تنفسه أفضل الآن. مدّ يده ليفك رباطي حذاءه، فكهما. استلقى ثانية وحاول خلعه بقدميه، لكنه عجز. فعاد ثانية واستعمل يديه لخلعه.

غفا، ربما قرابة ساعة ونصف. عندما استيقظ نهض، خلع جاكيته، أشعل المدفأة الكهربائية وراح يتجول في الشقة. في المطبخ بدا كل شيء مرتباً. إضافة إلى أن الحليب كان حامضاً، والخبز يابساً. تلمس المجلى ولوح تجفيف الأواني. لا يوجد حتى فنجان! تلمس على طول الممر إلى غرفة النوم، تلمس، السرير إنه مرتّب. والآن، هذا بحد ذاته غير طبيعي. فالمعروف والمعتاد أنها لا ترتب السرير إلا بعد عودتها من

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

العمل، ما لم يعد هو قبلها. ها هو ذا الدليل يظهر لحضرتكم، إنها، وبالدليل القحب الظاهر، لم تعد إلى البيت. لا بد أن هناك شيئاً ما. لأنه لم يكن هناك شيء على الإطلاق. ثيابها! هي ما أراد أن يتأكد منها، ليرى إن عادت وأخذت ثيابها. إضافة إلى أن هناك شاباً يعمل إلى جانبها، ربما ذهبت إلى خلوتها لتفكر بحسم أمورها.

استلقى على السرير. لم يشأ أن ينشغل بذلك الآن. لم يشأ حتى إن يفكر فيه، لأن هذا شيء لا يستطيع أن يسيطر عليها، لا يستطيع فعل شيء مفيد. ما يستطيعه الآن هو الاهتمام بنفسه. إنه يشعر بالإنهاك. كان حرياً به أن يشعر بالإنهاك بعد كل ما مرّ به خلال اليومين الأخيرين. كيف تتغلب على كل شيء؟ لا يمكنك. تعلّم ذلك منذ سنوات. لقد حاول تشارلي بار فعل ذلك، حاول التغلب على كل شيء، نعم كان يحاول.

لكن سامي ليس تشارلي بار. لم يرد أن يكون تشارلي بار، ولم يستطع ذلك أيضاً. لا يكره سامي الفتى، حتى أنه لم يحترم أحداً كما يحترمه، لكن إلى الجحيم بتشارلي بار، جميعنا متمايزون ولدينا حياة وخيارات مختلفة، تجارب وتأثيرات مختلفة. ولن تنساق لشعور كارثي لأنك اخترت طريقاً بدلاً من الأخرى. كما أن لتشارلي عيوبه أيضاً. لا يوجد قديسون في هذا العالم السافل. لحسن الحظ يعرف سامي أنه ما لم تكن الأمور قد تغيرت فإن الفتى ينكح له زوجته. وهكذا بحق الجحيم، أقصد...

يا يسوع المسيح، هذا أمر سيّء، سيّء جداً يا رجل، أن تتكلم عن الفتى بهذه الطريقة، انقلب سامي على بطنه ودفن وجهه في الوسادة.

فيما بعد كان في غرفة المعيشة جالساً على الأريكة، فنجان قهوة وما شابه، كن ممتناً لبعض النعم الصغيرة، فعلى الأقل يوجد سكر والراديو يصدح. لم يكن سامي مولعاً بالتلفزيون حتى في أفضل الأوقات وكان هذا

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

في صالحه. كان يهتم بالرياضة وبعض البرامج الوثائقية فقط، بينما كان يشاهد معظم البرامج الأخرى لتمضية الوقت، خصوصاً إن كانت هيلين موجودة وكان مستأنساً بها. كان يحب كثيراً قراءة كتاب والاستماع إلى برامج الراديو الحوارية والإخبارية. لكن الموسيقى كانت شغفه واحتياجه الأهم. فقد كانت الموسيقى تنشطه، تحفزه. كانت تصفه هيلين بأنه رجل الأمزجة. تلك كلماتها، رغم أنه يخالفها الرأي. وإن كان هناك شخص مزاجي فهو هيلين نفسها. لكن من حقه أن يكون مزاجياً وهذا بسبب الحياة التي عاشها.

طالما أحب الموسيقى أيضاً. خصوصاً في السجن، لديك الوقت لسماع أي شيء هناك، ودون موسيقى ستنتهي إلى العصفورية يا رجل. كانت موسيقى الكاونتري هي المفضلة هذه الأيام، لكن هناك نوع آخر يحبه أيضاً لأنه لا يسعك الاختيار دائماً. خصوصاً في السجن. أغاني دانيال جونز مفضلة لديك أيضاً. تذكر سامي مذيعاً في إذاعة محلية، بدا وكأنه كان يرتب أغاني برنامجه وفقاً لرغبة سامي. كان ذلك من سنوات. لكنه كان أمراً مخيفاً جداً. تكون مستلقياً هناك وسط الظلام القحب. سماعة الرأس على أذنيك ينسرب منها صوت يدخل جسدك. أغنية على وجه الخصوص، كانت نوعاً من النواح على الانفصال عن الزوجة وما شابه- إن رأيتها سلم لي عليها / يمكن أن تراها في تانجيري- عندما يفلس الزواج. كان يشعر بالأسى على نفسه، إضافة إلى فكرة أنه لن يستطيع رؤية ابنه، بيتر الصغير، لن يستطيع رؤيته ثانية، وهكذا لن يرى الزوجة والولد، فلا غرابة أن يشعر بالأسى على نفسه. لكن الأمر أكثر من ذلك. لأنه كان غاضباً جداً، هذا ما شعر به فعلاً، ولم يكن في الحقيقة يريد أن تعود المشكلة اللعينة.

الوحْشَة، والوحْشَة فقط، وحْشَة وحْشَة قحبة، وحْشَة لعينة، هذا ما كانَت عليه حيَاته، وحْشَة. يا يسوع يا قادر.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

ليس الآن. لم تبق عاطفة، لقد نفدت. نفدت، حالة نفاد، لا

مازال يشكو من الرئتين والأضلاع عندما يشهق فجأة، عندئذ يشعر بالألم. لقد بردت القهوة، فنجان آخر من أجل الطريق. لم يستمع لديلان جونز طوال هذه الأيام. ربما سيعاود الاستماع إليه ثانية. كان في الحانة فتى يتحدث عن ألبومه الأخير الرائع. ربما يستطيع الذهاب والاستماع لأغنيتين.

إلى الجحيم بالأغاني، يا رجل إلى الجحيم، ماذا تعني، ماذا يعني ذلك.

كان في الثلاجة سلطانية فاصولياء، إضافة إلى بعض جبن الشيدر الذي ربما كان متعفناً، لم يتفحصه وعلبتا طعام محفوظ أيضاً. لكنه سيدخرهما. إن كان اليوم هو الأربعاء فغداً الخميس وبعده الجمعة، هذه هي الفترة التي ستمضيها مفلساً إذن.

غريبة الطريقة التي انقلبت بها الحياة. لكنه شعر بالرضا لسبب ما. وكأن السلام قد حلّ عليه. تبدو الحياة سخيفة لكن كما ترى. أنت تذهب في طريقك وأنا في طريقي.

نام أخيراً وعندما استيقظ ذهب إلى السرير، تمدد عليه مستمتعاً به. لم يكن مرتاحاً جداً، بسبب حركة بعض النوابض من حين لآخر، وهذا بسبب طريقة استلقائه على السرير. كان جسمه منهكاً كثيراً على أن يشعر بأي شيء. رأسه مزدحمة بالأشياء، خبيصة أشياء مختلفة، تنوس وتتقد ثانية منشغلة بشيء آخر. بعدئذ استيقظ. حتى إنه لم يعرف أنه كان نائماً. أقصد مثلما عندما تكون أحياناً بصحبة أناس وتغفو خمس دقائق. بدت وكأنها ومضة رغم أنه عرف أنها لم تكن ومضة، فقد دامت طوال الليل. وذلك شيء غريب. كيف تعرف أنها دامت طوال الليل؟ هذا أمر لا علاقة له بالعمى. يحدث

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الأمر نفسه مع الجميع. ويحدث بسهولة. طبعاً هو لم ينم لأنها كانت ليلة هادئة كالقبر، بل لأن حاستك السادسة تنبئك بذلك. تصبح هذه الأشياء مراوغة قليلاً. يبدو أنك تستيقظ متأقلماً مع كل شيء فعلته مؤخراً في حياتك. وكأنك كنت تستيقظ عادة على شيء غريب يدغدغ نهاياتك العصبية. مثل أحد هذه الأحلام الغريبة التي تحلمها، ليست كابوساً لكنها أقرب إلى كابوس يوقظ الحاسة السادسة. وحالما تستيقظ تهلع كالجحيم وتمد يدك إلى أقرب سلاح للدفاع عن نفسك ضد غريمك السافل. أيا يكن ذلك الغريم.

حرّك ساقيه. لم تكن هيلين بقربه.

يمكن أن تعود في أية لحظة. بإمكانها ذلك. لم تكن أول مرة يتشاجران. لقد أزعجها بأشكال شتى. ولذلك تأخرت كثيراً لتسمح له بالنوم معها، أقصد مشاركتها السرير نفسه وهلم جرا.

في الواقع يمكن أن تدخل الآن، في هذه اللحظة، لأنها كانت تبقى في الحانة ساعات عدّة إضافية، أحياناً. اعتاد رئيسها السماح لبعض الزبائن المختارين بتناول مشروبين إضافيين. والمشكلة أنه يطلب من هيلين البقاء معهم، كانت المسؤولة عن البار وهكذا كانت تتحمل كل المسؤوليات الإضافية الصغيرة.

هيلين لعينة بارعة، أقصد خلف البار. أما بديلها فكان فتى أخرق قليلاً. نعم كان يحاول ابتداع طرق جديدة لجذب الشاربين؛ ويجعر إن نجحت خطته. بحق الجحيم، كيف تحتمله هيلين؟ كان سامي سيضربه منذ أشهر، لكن هيلين أقلقها الأمر. تلك كانت المشكلة. بدت، أحياناً، وكأنها تحتاج أشياء تقلق بشأنها. ويمكن أن يضغط ذلك على أعصابك. لا شيء أسوأ من سافل يقلق عليك طوال الوقت. كانت جدة سامي فظيعة في هذه الناحية— جدته لوالده — كانت تحتضنه بقوة قبل أن يغادر البيت، تحضنك مطولاً وتنظر إليك

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

تلك النظرة القاتلة وكأنها تحاول أن تحتفظ منك بأكثف صورة ممكنة لأنها آخر مرة ستراك فيها في هذه الحياة، يا رجل! لأنك وحالما تخطو خارج عتبة الباب يمكن أن تقول وداعاً لأي شيء كان— للحياة؟ الجحيم يعرف ماذا، فكل الشرور تنتظرك هناك في الخارج لتطبق على حنجرتك، ولن تكون هي معك لتنقذك. طبعاً لم تكن ملحدة وكانت تعرف أنك ذاهب إلى بيت ملحد، بيت لا يعرف الله، بيت إن لم يبارك الله صغاره، سيعلقون هناك في الأعراف حيث يصرخون متضرعين إلى الأبد.

أنت صغير، تلك هي النتيجة. وتجعلك تشعر كصغير، كل ذلك القلق، وكأنك غير قادر على تدبّر الأمور، يا رجل، تعرف ما أقصد. وكأنك عاجز عن تدبّر الأمور، كأنك زلابية. إضافة إلى المخاطرة. ذلك ما يصيبك. ذلك ما يزعجك. بعدئذٍ ترى نفسك مجبراً على فعل أي شيء كان، تفعل أي شيء يقلقها، ترى نفسك مدفوعاً لفعله حتى لو أمكنك تغيير رأيك لو أنها بقيت صامتة، أما الآن فلا تستطيع. وهكذا تتجاهلها وتتابع ما كنت تفعله وتنجز العمل.

وتلك كانت قصة الأسبوع الماضي. عرفت هيلين أين سيذهب فجنّ جنونها. كان مفلساً، ولن يحصل على نقود طوال الأسبوع اللعين. لكن ذلك لم يغيّر في الأمر شيئاً مادامت هي تعمل. أنت مفلس! ماذا يعني؟ ما مشكلتك القحبة، مادامت هي تعمل؟.

ظهره يؤلمه كثيراً. أسفل العمود الفقري، والكليتين. انقلب على بطنه. بعدئذٍ تيبست رقبته. وثقل رأسه يضغط على أذنه المريضة. ليست مسألة لوم الجنود، فذلك غباء، لا فائدة منه. إنه النظام. إنهم ينفذون الأوامر، تعرف هناك حل وحيد لهذا الأمر اللعين: اضرب السفلة! وبذلك يعرفون من هو الزعيم. تلك هي المسألة، وأول أمر يجب أن يعطى. أقصد تخيّل إنهم لم يعطوه أجرة الباص إلى بيته.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

كان ذلك نذير شؤم. حتى عدوك الأسوأ، عندما يعمى، تحرص على التأكد أنه وصل بيته. أو هل تهتم؟ إن كانت لديك غريزة المجرم لن تهتم، وهم جنود تدربوا على القتل لدرجة أنه يجب ردعهم عنه— تجريدهم من أسلحتهم وكل صلاحياتهم وإجراءاتهم، واحدة بعد الأخرى خاصة عندما— لا يطيع — وصولاً إلى كل الصلاحيات الاستثنائية المتعلقة بعدم إطاعة الأمر.

يأتيه هذا الصوت الخافت، عبر السقف، أو الجدار أيضاً، كان مضبوط الإيقاع، لا كموسيقى بل كوقع خطوات شخص يذرع الغرفة جيئة وذهاباً بخطى موزونة. أنثى أم ذكر؟ أنثى. إنها امرأة لا تستطيع النوم نهضت لتفقد الأولاد، ربما لتصنع لنفسها كوب شاي. وبعدئذٍ لم تستطع النوم. ذهنها مشغول، ربما هي قلقة جداً ولا تستطيع النوم! آه اخرس. لا، لكن من يعرف. ربما ترغب. لا ضير في ذلك، إنه أمر طبيعي.

تشاهد هذه الأفلام حيث تمشي النساء عاريات، بمئزر منزلي، روب ديشمبر وينشمر الثوب إلى الوراء قليلاً وترى الحلمتين مشرئبتين خارجاً. كل ذلك لإثارتك. ذاك هو هدفها. زوجته السابقة، عيّشته أوقاتاً عصيبة، لم أقصد التلاعب بالألفاظ، كانت لديها هذه الأفكار. لديهن أفكار دائماً. كل الناس لديهم أفكار، لكن للنساء أفكارهن الخاصة ولا تعرف ماذا تصنع بهن، خصوصاً عندما تكون شاباً، تتساءل ماذا يرين فيك! لكن وبصدق إن الرجال، يا مسيح يا قادر، قطيع سفلة قذرين بكل ما في الكلمة من معنى؛ تعرف ما أقصد، جوارب متسخة بالعرق وما شابه، سراويل تحتية تفوح رائحتها. أما النساء فليس لديهن خيار، كلا ما لم يكنّ سحاقيات عندئذٍ سترى الحلمات تتقافز على بعضها وكل ذلك الارتطام والضجيج، والشيء نفسه إن كانا لوطيين، فستسمع ارتطام الساقين والخصيتين بالإليتين.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ذلك ما حدث في السجن مرّة.. هذا الشخص الذي أحبه سامي وكان يحاول أن يحضنه على نحو خاص، يا يسوع كان ذلك غريباً، الذقنان القاسيتان وتلك الأجزاء من جسميكما ترتطم ببعضها البعض، وركبتاكما أيضاً، كنت تدرك ذلك، يا رجل. كيف لم يَبْدُ عليك الانسجام جيداً، ربما بسبب الشيء الآخر وليس الاحتضان، في الواقع قال له الفتى ذلك، قال: سامي أنت تحتضنني كامرأة وأنا لست امرأة. رائع، حسن، لكن كيف يفترض بك أن تتصرف، لأنه لم يشأ أن يجرح الفتى، وقد أحبه، تعرف ما أقصد، كان فتى لطيفاً وآه على ذلك. صعبة هي الحياة، صعبة جداً. مد يده إلى الراديو، أشعله ليعرف كم الساعة، بعدئذٍ ذهب ليتبول، وضع بطانية على كتفيه. يجب أن يجلس فوق جلاس التواليت خشية أن يتبول خارجه.

وجد في المطبخ ملعقة، أكل الفاصولياء الباردة من الثلاجة. أخذ كوب الشاي معه إلى السرير وجلس يشربه هناك. خرمان على سيجارة لكن ماذا بعد، انس ذلك، شرح له فتى، ذات مرة، كيف من الضروري أن يقلل، قدر الإمكان، الحليب والسكر وما شابه، لكن خصوصاً التدخين والمخدرات فهذا يعني أنك نجحت، وإن نجحت يعني أنك ستصبح مليونيراً. أحمق سافل. تقابل الكثير من هؤلاء الحمقى في السجن، وكلهم لديهم خططهم للعيش.

تعرف، فكرة معقولة، لو تستطيع الإقلاع عن التدخين، ستكون تلك ميزة إضافية خصوصاً إن كنت تمارس الرياضة، ترى هؤلاء الفتيان أقصد كيف يفعلون ذلك، بحق الجحيم، لا تعرف من يوزّع تلك الملصقات. أحد المسفلسين السفلة بشفتين جربانتين ويمكن أن يكون أي شخص بقياس ثلاثة آلاف وستين شيئاً قحباً، وأنت تمج المجة الأخيرة. بحق المسيح، إن كانت لديك عادة سيئة كتلك— بالإضافة إلى عماك— لم تتح لك الفرصة اللعينة. ربما استطاع الإقلاع

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

عن كل تلك الأمور. فقد كان مهدداً طوال سنوات. وهذا ما سيفعله، سيقلع عن التدخين. وذلك سيريها رجلاً جديداً.

ابتسم للفكرة. لكنها حقيقية: فأي شيء ممكن عندما تدخل طوراً جديداً.

وتنجح الأمور، نعم. ويبقى السؤال فيما إن كانت نحو الأفضل أم الأسوأ. لكنها تنجح، على المدى الطويل.

كم الساعة الآن!

هذا الديلان جونز لديه صوت مخملي كتلك الأصوات التي تسمعها في الـ بي بي سي، والتي يبدو أنها مركبة كما في تلك النوادر في الأغاني، مثل هذه الأغنية عن جيران غامضين في (كينت) أو في مكان ما، كيف كانوا يحفرون حديقتهم وكيف تساءل صديقه عن سبب الحفر هل كان لدفن جثة أم حوض سباحة أم ماذا! وتبين أنها أرضية ملعب تنس أخضر يعدّانها لتوأميهما ولد وبنت، أصبحا هاويي تنس ويريدان أن يصنعا منهما محترفين قويين من أجل شرف الملاعب الإنكليزية الخضراء فقد آن الأوان ليعيد عشاق التنس بعض الفخر لبلادهم، ووافق ديلان جونز أن يكون هو هاوياً غير بارع وتمنى لهما أن يكونا فخر بريطانيا، وهذا ما سترونه يا معربدي آخر الليل في السنوات الست أو السبع القادمة عندما يضمن أن يشكل هذان التوأمان الفريق الرائع. وهناك أيضاً أغنية العظيم الأخير، سامي ديفس، طقطقة أصابع. اعتاد أن يغني وسيجارة تتدلى من بين أصابعه، أصابع طويلة، تريك كم هو نموذجي وبارد دائماً. حلم سامي مرة بذلك النوع من الغناء النموذجي. أناس يبذلون جهدهم.

بعدما أنهى الشاي وضع الكوب تحت السرير واستلقى على ظهره، يستمع لموسيقى الجاز بلوز. الحسرة على القراءة. من الآن فصاعداً سيعتمد على الكتب الناطقة، أو طريقة بريل[1]

---

[1] طريقة بريل: كتب خاصة بالعميان يقرؤونها بوساطة اللمس بأصابعهم

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

الخميس. يومه الأول الحر كرجل أعمى. بدلة جديدة وكل ذلك الخراء. هناك أمور يجب أن تنجز وعليه هو أن ينجزها. هو ولا أحد غيره. ولا هيلين حتى إن دخلت من الباب في هذه اللحظة. هو الذي سينجزها. لابأس إذن، إلى مركز الخدمة لاجتماعية. خير البر عاجله. لكنه مفلس. مفلس ومنهك، جسمه مثل— الجحيم يعرف مثل ماذا— لقد ضربوه ضربة قوية، هكذا شعر بها لكن يجب أن يذهب، وإلا حملوه مسؤولية التأخير. وبعدئذٍ مأوى العميان، إن كان هناك مكان كهذا فيجب أن يذهب ويسجل اسمه فيه، يسجل اسمه للحصول على عصا بيضاء وكلب مرافق. من الواضح أنه ستكون هناك قائمة انتظار، فأنت لا تحصل على شيء بسرعة في هذه الحياة. وهو لم يحب الكلاب قط ؛ لكن لا بأس.

مأوى عميان! أي جحيم ينبعث من جرس هذه الكلمة، ينبعث منها كابوس فيكتوري قحب. بسم المسيح، بوسعك تخيل ذلك كله، مساكين سفلة ينقرون بعصيّهم متلمسين طريقهم في الغرف ذات الجدران البيضاء، رجال ونساء وأولاد جميعهم يتشاركون هذه الأماكن، يلبسون قمصان النوم المهلهلة صيفاً شتاءً، يتلمسون طريقهم، يعنّون ويهمهمون، وأبناء الطبقة الراقية، بقبعاتهم الحريرية السوداء وأوشحتهم البيضاء وفساتينهم المنفوخة، يزورون هذه الأماكن المشتركة وهم في طريقهم إلى الباليه القحب أو ما شابه، إلى مقصورة خاصة في الآيبروكس بارك لشرب الشمبانيا مع السلمون الفرنسي المدخّن أو أي شيء تافه يسليهم أثناء فرجتهم على كرة القدم.

المتع بالنسبة لسامي، المفيد بالنسبة له، أو الشيء الذي يمكن أن تكرهه هو أن تخاطر فيما يتعلق بمركز الخدمة الاجتماعية. لو كان رجلاً مقامراً لربما كانت هناك فرصة ضئيلة لذلك، لكنه لن يغامر؛ ليس الآن على الأقل، رغم أنه اعتاد المقامرة فقد كان مقامراً كبيراً، لكن ليس الآن.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

نعم ربما كان بوسعه القيام بمقامرة صغيرة، مجرد مقامرة صغيرة، بجنيهين لكل مرة، في المحلات المتناثرة حول مركز الخدمة الاجتماعية، وبرامج العمل الاجتماعية، آه على تلك الأيام. كيف حدثت ورطته هذه؟ في الواقع يمكن أن تكون لمصلحته، فأنت لم تحب أن تفكر فيها كثيراً لو لم تنته هكذا، لكن عندما تفكر في الأمر، يا يسوع يا قادر، فقد كان يستحق راتب عجز وظيفي. تعرفين ما أقصد، إن كان زوجك قد فقد بصره، فليست غلطته هو، لا لم تكن غلطته لأن الجنود القحاب هم الذين أعموه، وفعلوا ذلك بصفتهم الحكومية. وها هو أعمى. لذلك فهو يستحق شيئاً ما جنيهين إضافيين. واثق جداً؟ اللابصر يعني أنك فقدت وظيفة الرؤيا، قدرتك البصرية. وهكذا سيجري تأهيلك للقيام بعمل خاص بالعميان. لذلك يجب أولاً أن يعيد تسجيل اسمه في مكتب العمل بصفته أعمى ولم يعد قادراً على تسلق السقالات، تعرف ما أقصد: أعطنا حلاً، الفتى أعمى، فكيف بحق الجحيم سيصعد السلم بسطل مليء بالإسمنت؟ أنت تمزح، لا صعود جدران إسمنتية مسلحة، فقد انتهت مهنة البناء القديمة، مادام غير قادر على الرؤية، تفضّل، هذه نهاية لعينة. سامي الشجاع، إلى الجحيم، تفضّل لا برامج عمل اجتماعي بعد اليوم! ليضعوها في مؤخرتهم، سفلة.

صفق سامي وفرك يديه بعضهما بالبعض. قهقه ضاحكاً. لا مفر! يا يسوع، العينان القديمتان يا رجل، انتهتا. هووووه! يا يسوع المسيح!

إلا إن أعطوه عملاً خاصاً بالعميان.

تمام.

هكذا يجب أن يتحرك ويتحرك بسرعة، لأنه إن لم يعد تسجيله فسوف يخوزقونه بذلك التأخير.

انتهت القهوة

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أولاً يحتاج إلى منشار. سيحصل عليه. لا يملك في البيت من العدّة سوى مطرقة ومفكي براغي. كان ينوي شراء بعضها من سوق الأحد. لكن لا بأس، الآن يجب أن ينشر عصا المساحة. لذلك يحتاج منشاراً. رفع صوت الراديو وخرج من المنزل.

مشى في أحد الموزّعات المفتوحة، بجدار شرفة إرتفاعه أربعة أقدام، تلعب فيه الريح؛ ويمكن أن يكون الوضع سيئاً في الشتاء. في الباب المجاور تعيش امرأة عجوز لكنه سيطرق الباب الذي يليه حيث يعرف أن رجلاً يسكنه؛ فقد رآه مرة أو مرتين لكن لم يكلمه قط.

عندما انفتح الباب قال سامي: " مرحباً، أنا جارك أعيش على بعد بابين، وكنت أتساءل إن كان بوسعي استعارة منشار لدقائق عدة، إن كان لديك منشار."

– منشار؟

– نعم، أعرت منشاري لأخي في الأسبوع الماضي. وأحتاج منشارك الآن لدقائق عدة فقط.

– آه، نعم، لا بأس.

سمع سامي جلبة نبش في خزانة الردهة، وبعدئذٍ عاد الشخص إلى الباب وقال: "ستعيده لنا اليوم؟"

– آو نعم. نصف ساعة على الأكثر.

– لا أريد أن أكون فظاً لكنه منشار أبي، إنه في العائلة منذ عشر سنوات. أين قلت لي إنك تسكن؟

– على بعد بابين.

– أنا مستر ماك جيليفاري. لا أظن أني رأيتك.

– هز سامي رأسه

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– تعيش هنا منذ زمن؟

– نعم منذ فترة، أنا والمدام... قال سامي الكلمة الأخيرة تلك ليريح الشخص. ومد يده.

نعم، نعم لا تنزعج يا بني.

لمس سامي أسنان المنشار. وضغط عليها، وضع يده اليمنى على مقبض المنشار وقال: مصنوعة من الخشب! إن ملمسها جيّد.

عاد إلى البيت دخل وعلق المفتاح على المشجب، مرر أسنان المنشار على صابونة قبل أن يبدأ النشر. كان يجب أن يطلب سيجارة من الرجل، بوسعك أن تعرف، من صوته، أنه مدخن. تمام؟ بصق سامي في راحتيه وفركهما ببعضهما، تمام، جهز كرسي الطعام ووضع تحتها ورقة صحيفة.

بعدئذٍ راح يدندن إيني ميني ماييني مو ووضع كاسيتاً في المسجلة.

بعدئذٍ شرع ينشر:

بعد ثلاث أو أربع سنوات زواج،

لأول مرة لا نرتب السرير

والسبب أننا متخاصمان

يا للجحيم يا رجل، ما هذه الأغنية التافهة التي اخترتها! غباء خراء بول– تُظهر كم هو بطيء الزمن على الفتى الذي هجرته زوجته– من الواضح أن الفتى لم يزاول أي عمل يدوي في حياته ولم يفكر قط أن بوسعه فعل شيء ما. تعرف وربما لم يخطر ذلك لكاتب كلمات الأغنية. هيلين هي التي نبهته إلى ذلك، كيف يسعك أن تعرف من طريقة غناء جورج جونز أنه أدى الأغنية دون أن يبدو مضحكاً، ولم يقصد التهكم.

عندما يكون سامي ميالاً للغناء أحياناً كان يحوّر الأغنية:

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

بعد عشرين سنة زواج
هذه أول مرة نفعلها في السرير
والسبب أننا لا نتكلم
لأننا نفعل شيئاً آخر بدلاً من ذلك

لا شيء فيها مضحك على نحو خاص لكنها نوع من الأشياء التي يمكن أن تُضحكهما هو وهيلين. فقد كانت من دعاة المساواة بين الجنسين.

تعرف لم تكن أغنية سيئة للعمل اليدوي لأنه كان يعمل بحذر. إضافة إلى تلك الطقطقة التي مازالت تسمع في عظم الكتف عندما كانّ يسحب المنشار إلى الوراء. ولم يكد ينتهي حتى اجتاحته رغبة مجنونة بسيجارة وكأس واستلقاء على السرير، إضافة إلى مجرّد التفكير في ورطته إن هي دخلت الآن في هذه اللحظة.

مَنْ يخدع مَنْ؟

على الأقل لم ينشر أحد أصابعه، طوى الصحيفة على النشارة التي فيها ورماها في سلة المهملات. عندما أعاد المنشار إلى الشخص أبقى يده ممدودة، وقال: " أنا سامي."

–أنا بوب، سعدت بلقائك.

تصافحا

–انتهيت بسرعة.

–نعم، فقد كان عملاً صغيراً. بالمناسبة المنشار جيد.

–نعم كما قلت لك فقد كان لأبي وهو عندنا منذ سنوات. أعتقد أنه كان لجدي.

–صحيح؟ هاه! ألا يوجد لديك ورقة زجاج؟

–كلا يا بني آسف، لست محظوظاً، كان عندي ونفد.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

-فكرت أن أسألك فقط

-آسف

لو فكّر بمسألة العمر فسيقدّر عمر بوب بالخمسين / ستين لكن من يعرف، ربما كان أكبر، ظن سامي أن بوسعه تذكر وجهه لكنه لم يستطع أن يتأكد من ذلك. بدا له ودوداً. تخطئ ثانية فقد قابلت سابقاً أناساً ظننتهم ودودين وتبيّن لك فيما بعد أنهم أوغاد سفلة، لا يمكنك أن تعرف ذلك دائماً.

جيّد أنك صنعت العصا. اختبرها متجولاً في البيت ووجدها جيدة. كان الأمس كابوساً. لن يحدث ثانية. هذه العصا هي الفارق بين الحياة والموت ؛ ليس تماماً بل تقريباً.

صنع قهوة جديدة وجلس ليفكر. تلك هي العصا إذن! جيّد.

توقف الكاسيت. تساءل كم هي الساعة. لا يهم. لولا أن لديه أموراً ينجزها؛ أموراً يجب إنجازها، وبسرعة. يجب أن تكون سريعاً لأنهم يتبعون طرق كثيرة ليتغلبوا عليك إن تباطأت، ولهذا يجب أن تنجز العمل حالما يخطر بذهنك وذلك ما فعلته يا رجل تحركت وأنجزت علامتك المميزة. لكنه لا يستطيع، ليس الآن، فهو مُفلس، ولا نقود في المنزل، فتش مرات عدة. ومركز الخدمة الاجتماعية يبعد عدة أميال، ولا يستطيع أن يمشيها، ربما في وقت آخر لكن ليس الآن. كونك أعمى يعني أنك بحاجة إلى نقود يا رجل؛ فلا يمكنك الذهاب إلى أي مكان. لا يمكنك المشي. لقد مشى سامي كل البلد، من أقصى جلاسكو إلى أقصاها، ومن أقصى لندن إلى أقصاها. وماذا يعني؟ العصا جيدة لكن ليس كثيراً، لكنها ليست عصا مكنسة سحرية يا رجل لا يمكنك ركوبها. ثم إنه لم يكن قادراً فمازال جسده منهكاً- ذلك ما جعله ينام طوال يوم أمس. وما كان بهذا السوء لولا

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

القتل الذي ناله. يكون معافى عادة. لكن جسمه مازال في طورٍ النقاهة ومازال يؤلمه. وكان في طريقه للتعافي، وسيكون جاهزاً قريباً. أمامه أمور يجب أن يستعد لها استعداداً عالياً ويجب أن يكون قوياً. الرياضة القديمة. لكن أضلاعه هي المشكلة فهي مازالت تؤلمه في التنفس. حتى عملية النشر الصغيرة تلك أرهقته. وهكذا اضطر أن يستريح. لو لم تكن مؤلمة جداً!

إنها مؤلمة

كان يجب أن ينهمك في إنجاز تلك الأمور، حقيقة كان يجب أن ينجزها، لأنه لا يستطع تأجيلها. كم هي الساعة الآن؟ حتى الوقت القحب لا تستطع أن تعرفه! فتح الراديو. الأمور ستطبق عليه بالتأكيد لا مفر من ذلك. وهكذا كان مضطراً للذهاب إلى مركز الخدمة الاجتماعية، وما شابه. يجب أن يذهب، لكنه لم يستطع لأنه مفلس. بحق المسيح، كيف سيستطيع إن كان مفلساً يا رجل؟ لا بأس، يمكن أن يصل مركز الصحة والرعاية الاجتماعية ويحصل على موعد مع الطبيب، يمكنه فعل ذلك، يستغرقه الأمر عشرين دقيقة مشياً أو نصف ساعة على الأكثر.

نعم، لو كان يستطيع أن يرى! يا يسوع المسيح يا رجل، أحمق، سيستغرقه الأمر أسبوعاً. لا ليس مع العصا،لا، ليس ومعه العصا هذه العصا القحبة، إنها مفيدة. لكن مركز الخدمة الاجتماعية في المقام الأول. ولا يستطيع أن يصله دون إجرة باص. وهذه هي مشكلتك، لا فائدة من القلق. لا ليس بسبب يوم واحد، لن يخوزقوه بسبب يوم واحد.

لكن يجب أن يوجد نقود في المنزل!

لقد بحث لتوّه. نعم لكنه سيبحث من جديد كان بحاجة لستين بنساً فقط يا رجل. حتى إنه يستطيع تدبر أمره مع السائق بثلاثين—

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

لا بد من وجود فراطة في مكان ما. كان سامي معتاداً على ذلك، عندما يعود إلى المنزل يضع ما في جيوبه من فراطة فوق إفريز المدفأة. وأحياناً يتركها هناك لفترة. وتكثر.

غريب يا رجل كيف لا يوجد أي بنس هناك. تعرف ما أقصد؟ وكأنها أخذتها كلها. كيف كان سيخطر ببالك أنها ستفعل ذلك؟ ما لم يكن هو نفسه الذي أخذها، يمكن أن يكون هو، فقد كان مفلساً في الأسبوع الماضي، يا رجل، لذلك خرج إلى السرقة، هيا بحق الجحيم! لكنه لم يستطع أن يتذكر أنه أخذها.

نهض عن الأريكة. يجب أن يحذر طاولة القهوة، فقد ضرب ركبته بها الليلة الماضية، يجب أن تحذر كل هذه العوائق والمخاطر: دار حولها، ومن ثم إلى إفريز المدفأة وتحسسه. لا شيء سوى قصاصات ورق كثيرة وقطع صغيرة بدت له مثل أزرار بلاستيكية أو ما شابه، وبعض أعواد الثقاب.

طظ، فالحوالة تصل غداً. كان عليه أن يتحلى بالصبر فقط. أن يكون صبوراً. لا فائدة من استعجال الأمور؛ تظنها توصلك إلى غايتك لكنها لا توصلك. إنها تُرجعك إلى الوراء، خطوة إلى الأمام وست إلى الوراء. وهكذا كانت تسير الأمور معه: الصبر مفتاح الفرج يا رجل. لا نقاش، لا نقاش في ذلك.

آه إلى الجحيم بالصبر سيذهب إلى حانة جلانسي!

ضحك وهز رأسه. كان يجلس مسترخياً على الأريكة.

لا، لكنه يستطيع، يستطيع. إنه بحاجة ماسة للخروج من المنزل، سيجننك هذا الجلوس هنا يا رجل. ثم إنه سيختبر العصا. التجوال حول البناية شيء ممتاز، لكن الاختبار الحقيقي سيكون عندما يخرج من باب المصعد في بهو البناية ويعبره إلى الرصيف. ذلك هو الاختبار

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الحقيقي ربما لن يذهب إلى حانة جلانسي لكن يبقى الخروج من البيت فكرة جيدة. وماذا هناك أيضاً؟ لم يكن بوسعه الجلوس هنا طوال اليوم. وهذا الراديو حمل خراء، يا رجل. وهو خرمان على سيجارة أيضاً. ثم إن بطنه تقرقر، فقد كان جائعاً حقاً. في النهاية سيذهب إلى السرير، عادة سيئة. وذلك كل ما فعله منذ عصر الأمس. يجب أن تتحرك. خصوصاً عندما تكون مفلساً. الاحتمال الأسهل أن تذهب إلى السرير، تحاول أن تنيّم الخراء، تصل الأعراف، لكن ألا يبدو أنك أصبت بالأنفلونزا! لا تخلط الأمور عندما تكون مفلساً يا رجل، لا تخلط الأمر مع الأنفلونزا القحبة، تعرف ما أقصد، تحاول أن تصل الأعراف، أنت لست مريضاً بل مفلساً، لذلك يجب أن تخرج من هناك. ورأسك، لا تستطيع أن تتغلب عليه؛ ورأس سامي تحديدا من الصعب التغلب عليه يا رجل، سيجننك. ثم هناك مستويات مختلفة والأمر يتوقف على الطريقة التي كان مفلساً فيها الآن. إنها سهلة هذه المرة لأن الأسبوعين ينتهيان صباح غدِ الجمعة.

تمام إذن. سيذهب إلى حانة جلانسي.

سيفيده المشي، سيكون فرصة لتحريك عضلاته، فهذا الجلوس ضار للجسم. في حانة جلانسي شباب سيساعدونه. ربما يكون ليغ هناك، أو تام، أيضاً— ربما يستطيع رؤية تام؛ لأنه لا يزال لديه بعض الثياب في البيت، ويحتاج لمقامر يصرّفها له. لكن لا تهتم بذلك، ليس الآن.

يا مسيح يا قادر

يجب أن ينجز بعض الأمور الملحّة، نعم تلك هي المسألة، في الواقع كل ما يجب فعله هو أن يتحرك، فهناك أمور يجب أن تنجز، لا يسعه الجلوس هكذا لأن من عادة الأمور أن تطبق عليك حين لا تتوقعها، تطبق عليك حتى لو لم تكن مستعداً، حتى لو كنت مرهقاً، ولو كان جسدك منهكاً؛ لذلك يجب أن تكون مستعداً.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تمام إذن، تمام

نهض سامي عن الأريكة وأطفأ الراديو، إنها لا تصلح الأمور، ذلك السافل الغبي وبرنامج حزازيره التافهة، كل هذا الغباء والأسئلة السهلة التي يبدو أن لا أحد يستطيع الإجابة عليها.

أوه، يا يسوع المسيح، هيلين.

كانت يد سامي على جبهته، أحس بالسقم، بالوهن، بسقم قحب يا رجل. لم تكن الأمور تطبق عليه، لأنها أطبقت وانتهت. لقد انهزم، هزموه هم وليس جسده. لا لم يكن جسده القحب، يا رجل، لا لم يكن جسدك.

انتفض جسمه، بعدئذٍ تلمس طريقه إلى النافذة وفتحها. لا تمطر؛ ولا تبدو ستمطر. شم رائحة، رائحة من نوع غريب. يا يسوع.

رائحته. ربما كانت رائحته. لم يستحم منذ... الجحيم يعرف منذ متى. كان عفناً مثل الجحيم، وذلك بسبب النوم في الطريق ثم في السجن، فقد كان بنطلونه مبللاً عندما استيقظ على فرشة القش الرطبة. هذا إن لم يكن قد تبول في ثيابه. تبوّل بالتأكيد، يا للعنة. لا، لا. لا لا يمكن أن يكون قد تبوّل وإلا لتحدّث الجنود عن ذلك. كانوا سيستحسنون الأمر سيتندرون به. إنه بحاجة لحمّام، لكن فيما بعد ليس الآن، بعد أن يعود.

أغلق النافذة. استدار ومشى دائراً حول مسند الأريكة إلى الباب ومن ثم اجتاز الردهة إلى غرفة النوم. قميص وبنطلون. تلمس بحثاً عن البنطلون ذي الثنيات. بنطلونه الجديد بحاجة للغسيل؛ ربما سيغسله ويجففه. لا يُحب هذا البنطلون ذا الثنيات، لكنه يبقى أفضل من الجينز لأنه يريد أن يظهر بالمظهر اللائق.

لن يزعج نفسه بحلاقة الذقن. سيحلق ليلاً قبل أن يستحم. ربما مضى عليها أسبوع، يمكن اعتبارها مشروع لحية مادام منظره مقبولاً، إضافة إلى أن الحلاقة الآن همٌّ إضافيٌّ.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الحـذاء، يـا يسـوع! لقـد نسـي الحـذاء القحـب! هـذه الخفافـة القحبة!

يا إلهي أوه يا إلهي. ماذا تفعل؟ ذلك السافل الأحمق الذي سلبه حذاءه ربما لم ينتبه كم هو جيّد يا رجل تعرف ما أقصد ربما باعه السافل مقابل علبة بيرة سوبر لاجر. لأن ذلك ما يحدث مع بعضهم، أغبياء، حتى إنهم لا يعرفون ماذا يسرقون. تصرُف يوتّر، يوتّر، يخوزق.

تنهد سامي. ما هذه الحالة. ما هذه الحالة

إن لم تكن جميلاً فيجب أن تتجمل. ليس في الشارع فقط بل حتى للذهاب إلى حانة جلانسي. يجب أن تتأنق، وقد تأنقت. زوجك، سامي، له سمعته ومعروف بأنه نموذج الفتى الخلوق، تعرف ما أقصد، من غير اللائق أن تخرج بخفافة رياضة كريهة؛ أنت تمزح!

لا بأس، مسّد شعره براحتيه، ومن ثم فركه من الأمام إلى الخلف عند الفودين. إن لم يستطع حلاقة ذقنه فسيذهب إلى الحلاق ما لم تحلقها له هيلين، ربما ستحلقها له.

تمام

حتى لو تمشى فقط حول البناية. فلنِ يبقى جالساً في البيت. لم يعجز بعد. صحيح أنه عُمِيَ لكنه لا يزال قادراً على المشي. سار إلى الممر، أقفل الباب وراءه، تلمس طريقه إلى المصعد. كانت العصا جيدة. المشكلة الوحيدة هي المعصم وكيف يمسك بالعصا. عندما اختبرها في البيت كان يغيّر طريقة مسكها باستمرار، كانت مُتعِبَة ومن الصعب مسكها؛ جرّب بيده اليسرى أيضاً لكن معصمها مازال متيبساً منذ أن ضرب الجندي السافل، إضافة إلى أنه لم يكن قادراً على استخدام يده اليسرى بالشكل الملائم وذلك يشعره بوخزة ألم. طبعاً لو كان للعصا مسكة، ربما سهّلت حملها؛ إنه يحملها الآن كما يحملون السكين في أفلام هوليود.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

توقف المصعد.

خرج منه، توقف قليلاً ليحدد اتجاهه نحو باب البناية، عندما أصبح خارج البناية فكر: إن اتجه يميناً وحتى نهاية البناية سيصل فسحة، فسحة مساحتها....الجحيم يعرف مساحتها.

وبعد الفسحة بناية أخرى. عند نهايتها يوجد ممر مشاة، ومن ثم إلى الأمام سهل يؤدي مباشرة إلى الطريق الرئيسي. وتلك هي المنطقة التي يقصدها.

كان عادة يجتاز فسحة عندما يخرج من باب البناية. فسحة كبيرة مفتوحة، تمتد مباشرة أمام البناية. لكنه لا يستطيع عبورها الآن يجب أن يلزم الرصيف ويسير على طول جانب الطريق. الجحيم يعرف ماذا فعل البارحة، كان ذلك شيئاً مغلقاً على الذاكرة. لابأس إذن.

ربما يجب أن يعود. عقد صفقة مع نفسه، إن وصل ممر المشاة وكان الجو عاصفاً، فسيعود أدراجه ويلغي المشوار، فهو ليس مازوخياً حتى الصميم.

تمام إذن، شق طريقه عبر المخرج. أول شيء سمعه كان صخب كرة قدم، أولاد يلعبون كرة القدم. يا يسوع المسيح، تلمّس بعصاه إلى اليمين، توجد حافة عشبية. للأسف لا يمكنك رؤية هذه الساحة من بيت هيلين لأنه كان يحب الفرجة على الأولاد يلعبون كرة القدم. طبعاً لا يستطيع ذلك الآن، لن يستطيع الفرجة على كرة القدم ثانية. يا للجحيم القحب. ستأخذ تعويضاً عن ذلك وحده يا رجل. لا، لكن ليس الأمر غريباً، ليس غريباً البتة.

كانت العصا عظيمة، ولا يحتاج الآن إلاّ لنظّارة شمسية. العصا تنقر، صوتها جيد؛ لكنه ضعيف؛ لو أنها حقيقية ربما كان صوتها أقوى. إضافة إلى أنها بيضاء اللون.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

لا، سيعود إلى المنزل.

ربما ضاع بين هنا والجسر. لا فائدة من أن تكون أحمق قحباً طائشاً. تلك هي المسألة. سيعود إلى البيت يا رجل إلى الجحيم بالمشوار. يوم لطيف وهلم جرا وتنفس الهواء المنعش شيء لطيف، لكنه عائد إلى المنزل، لقد استدار وانتهى الأمر. مازالت العصا في يده اليمنى. لا فائدة من التغابي، ليس بعد ما جرى في الأمس؛ إلى الجحيم بحانة جلانسي! من يخدع؟ يحتاج سنةً للوصول إليها. وإن وصل ماذا سيفعل؟ من الجيد أن يتحدث عن سفلة عرفهم ويقدمون له المشروب؛ لكنك تحتاج للتعارف، ذلك أول شيء، وهذا شيء يجب أن تفعله بنفسك. ولا مجال لفعله إلا إن دخلت وشرعت بالشحاذة.

الصبر، تصل الحوالة غداً. عندما يستيقظ ستكون هناك بانتظاره، قابعة هناك في المغلف الأسمر. بعدئذٍ سيخرج قليلاً. ربما سيشتري لنفسه فطوراً جاهزاً من دكان ما؛ لحم وبيض وما شابه، كل شيء، مكعب سجق وبودينغ أسود، كل شيء، توست. سينجز كل الأمور، سينجز كل الأمور.

ثم العصا أيضاً، ليست سيئة، لقد أحسن نشرها. لكن يجب أن يصقلها الآن، من مكان النشر، لا يريدها أن تنسّل. وبعد أن يدهنها بالأبيض سيعرف الناس وظيفتها.

تمام.

كان يتحسس إفريز المدفأة ثانية لا بَحثاً عن النقود بل عن رسالة من هيلين. خطر له أنها ربما ذهبت إلى مكان لسبب ما. ربما لترى أولادها، أو شيئاً من هذا القبيل. إضافة إلى أنها كانت تترك له رسائل. نعم، اعتادت ذلك — خصوصاً بعد بعض أعماله الرعناء. لا يتراجع عما يقوله، خصوصاً إن كان قد أسرف في المشروب أيضاً. كانت تجننها تلك الأشياء. لا غرابة! لكن يبقى أنها كانت تترك له رسالة أحياناً. وربما فعلتها هذه المرة. وتلك كانت المشكلة القحبة،

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

لكن كيف سيعرف ذلك! حتى إن وجدها فكيف سيعرفها! شيء فظيع عندئذٍ سيحتاج شخصاً آخر يقرؤها له. توجد قصاصات ورق كثيرة، ولا يمكنك أن تعرف ما هي، إضافة إلى أنه لم ييأس بعد من إيجاد بعض النقود. فمن المحتمل أن تخبئ هيلين نقوداً في مكان ما، كانت من ذلك النوع من النساء الخبيرات.

آه ذكري فيها.

كان التلفزيون يبث أخبار العاشرة. وفي أمسيات الخميس، أحياناً، يبث بعدها أفلاماً، سيتشاغل عنها.

بصراحة لقد شعر بارتياح كبير. خصوصاً عندما تفكر بالأيام القليلة الماضية. كما أنه لم يسلم بهزيمته على أية حال وهذا جيّد يا رجل. هؤلاء السفلة يظنون أن بإمكانهم أن يهزموك يخوزقوك؛ لذلك سترتاح قليلاً بعيداً عن أنظارهم.

إنهم لا يعرفون زوجكِ، كلا حتى لو ظنوا أنهم يعرفونه.

كانت قدماه تسخنان، خلع جوربيه. كان قد أوى إلى الفراش قبل ساعة لكنه غادره مكرهاً لأنه لم يستطع النوم. حمام، نعم، فكر بذلك، ذلك أبعد ما وصل تفكيره. غداً سيكون مستعداً له، إنه منهك الآن. سينقع قدميه في الماء الساخن لكن ذلك يتطلب جهداً كبيراً: إيجاد القِدر وتحضير الماء الساخن وكل تلك الأشياء. حتى الخصيتان أيضاً، فكر بالاستمناء وهو مستلق في الفراش لكنه لم يستطع، لأنه كان يمسك خصيتيه من هنا وتفلتّان من يده الخرقاء من هناك، شعر بهما غريبتين، طريتين وضعيفتين، وكأنهما كانتا متورمتين وتتعافيان تدريجياً، وكأنه كان مريضاً لفترة طويلة، كأنه كان مستلق (مستلقياً) في سرير مشفى منذ فترة ويتماثل الآن للشفاء، لكنه لَيس جاهزاً للعودة إلى المنزل بعد، مازال غير جاهز لذلك، ورغم أنه كان يشعر بصفاء الذهن، لم يكن على ما يرام، جسده تحديداً لم يكن على خير

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

ما يرام. وذلك ما كانت تقوله الخصيتان يا رجل ذلك ما قالتاه له، إلى الجحيم بك وباستمنائك، ذلك ما قالته له خصيتاه.

التلفزيون يبث إعلانات. ربما سيعود إلى النوم.

أيقظه ساعي البريد صباحاً. ثلاث رسائل. عرف مظروف الحوالة.

الأخريان ليسا مشكلة، إنهما لهيلين؛ فهو لا يتلقى رسائل أبداً، رسالة لها إطار نافذة وهذه لا تستحق الاهتمام. لكن الأخرى كانت لغزاً. ربما يستطيع أن يطلب من بوب العجوز، أن يقرأها له. لكن تلك فكرة سيئة. قد يكون الرجل جديراً بالثقة، لكن المشكلة ليست في الرجل بالضرورة. فالسرّ ينتشر بسرعة. يقرع أبواب الناس. كثير من الأسرار متداولة. يأتيك الناس يبيعونك أشياء وإن لم يجدوك يقومون بالنهب. هذا ما قالته هيلين على أية حال؛ ربما كان ذلك صحيحاً. الأفضل ألا تقول شيئاً لأحد. إن اكتشفوا عماه فلن يبقى حياً لشهر واحد، أسبوعٌ واحدٌ يا رجل وسيرمونه في الشارع. لذلك يجب أن يُحترس كثيراً.

كان يتضور جوعاً، يا يسوع المسيح. مكتب البريد لن يفتح قبل نصف ساعة أخرى على الأقل. قهوة من جديد. لقد قرر سامي القيام بالتمارين الرياضية لكن في ذهنه فقط، لم تكن فكرة جادّة، بعدئذٍ نسيها كلياً. رأسه ليست كما عهدها؛ اعتادت كثيراً على الحياة الجيدة خلال الأشهر القليلة الماضية، لكنها ليست على ما يرام الآن. حسن يجب أن تعود إلى حالتها الطبيعية.

إلى الجحيم بالقهوة. ستكون مختلفة لو كان لديه تبغ يدخنه معها.

وضع شريط كاسيت في المسجلة. بعدئذٍ تناول العصا ليجربها. لديه نصف علبة طلاء أبيض في خزانة الردهة. كل ما عليه فعله أن يجدها، لأنه توجد في الخزانة ثلاث علب على الأقل بجانب بعضها.

خطّطَ للرحلة، نعم، لقد خطّطَ للرحلة. وهكذا تمام، مكتب البريد يقع على امتداد الجانب الأيسر من الساحة الكبيرة عندما تخرج من المخرج، مقابل الجهة التي تمشى عليها البارحة عندما خرج قاصداً

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

حانة جلانسي، وهو يتوسط صف دكاكين صغير؛ الميني ماركت، مكتب المراهنات، الصيدلية. اتخذ كل الاحتياطات. المشرب العام يقع منعزلاً على الزاوية. وعليك أن تجتازه حتى تصل موقف الباصات. الطريق التي تسير عليها الباصات مختلفة عن الطريق المؤدية إلى الجسر التي كان سامي يمشيه دائماً كلما ذهب إلى المدينة، إذ كان عندئذٍ يسير على طول معبر المشاة، الذي يقع مقابل الصيدلية مباشرة على الجانب الآخر من الساحة. إنها معقدة ولا يمكن وصفها لكنها بسيطة إن كنت تعرف المنطقة وسامي يعرفها جيداً. أو ظن أنه يعرفها. ربما لا يعرف شيئاً لكنه في الواقع لم يكن قلقاً بخصوص ذلك، لا يقلقه إذا كانت هذه الطريق أو الأخرى، مادام محتفظاً بتركيزه، ذلك هو الشيء المهم، لا تدع ذهنك يتشتت. وتلك هي مشكلتك أنك تنحرف دائماً عن خط تفكيرك.

لو خططت للأمر والتزمت بخطتك. وذلك ما فعلته، التزمت خطتك. لو رتبت الأمور بأولوياتها! كان جاهزاً، انطلق.

خرج من المصعد وراح ينقر الطريق بعصاه يميناً وشمالاً، وعبر خارجاً باب البناية، لكن ببطء، لأنه لم يكن مستعجلاً، لا عجلة مهما يكن الأمر. تمام. تابع سيره منعطفاً إلى الشمال فإلى مكتب البريد دون أية مشكلة. انضم إلى الطابور في الداخل. طبعاً لم يتوقع أية مشكلة. والمشكلة القحبة هي إن هو أخلّ بالخطة يا رجل. لكنه لم يخل بها، فقد كان يتبع خطة صارمة. وبعد أن حصل على النقود دخل الميني ماركت واشترى نصف أونصة تبغ، ورق لف وولاعة؛ واشترى خبزة وسجق أكلهما فوراً. وبعدئذٍ إلى الصيدلية مباشرة. يجب أن يكون حذراً هنا لأنهم يضعون تلك الرفوف على الأرض. كان يدخلها أحياناً لشراء أشياء لهيلين؛ فوط نسائية وما شابه، حبوب للصداع، لذلك فهو يعرف التصميم الداخلي هنا. هو لم يعرفه- أقصد فقط أنه كان يعرف أنها

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

منطقة خطرة. عندما نقر بعصاه ضرب شيئاً معدنياً، من أول نقرة: توقف عن النقر وقال أريد نظارة شمسية.

أجابت امرأة، إنها خلفك مباشرة.

إيه أيمكنك أن تختاري لي واحدة. أية واحدة تحبين أقصد أن لا فرق عندي...

مادامت على قياسه يا رجل فماذا يهم شكلها. أعطته نظارة وجرّبها. عظيم تركها على عينيه وأعطاها ورقة نقدية. من فئة العشرين، عندما أعادت له الباقي وضع النقود الورقية في جيبه العلوي. وكان على وشك أن يطلب منها إيصاله إلى موقف الباص، لكن إلى الجحيم بها، ستحتاج لمساعدة فيما بعد وهكذا فلن يخاطر بطلبها الآن. في الخارج عند الباب مزّق السيلوفان عن علبة التبغ ولف سيجارة. لكنه لم يستطع إشعال ذلك الشيء القحب. ربما الريح تطفئ الشعلة. حاول مرات عدة، ممسكاً مقدمة السيجارة بأصابعه ومتحسساً الولاعة كي لا يخطئها، هذا إن كانت تعمل. ربما باعوه ولاعة لا تعمل يا رجل في الميني ماركت القحبة، من يعرف، لكنه أقلع عن المحاولة وتابع متجاوزاً الزاوية، متجهاً إلى الطريق الرئيسية، ولزم اليسار من جديد، قريباً من الحافة العشبية حيث الرصيف وذلك يساعده على البقاء في الاتجاه الصحيح.

بدا له وكأن أشخاص عديدين ينتظرون على موقف الباص وهذا فأل خير. لكن عندما وصل الباص ولسبب ما سلحت بطنه، بدا عاجزاً عن الحركة؛ سمع الأبواب تنفتح وبقي واقفاً مكانه ؛ وسمع الأبواب تنغلق وبقي واقفاً مكانه. بعدئذٍ استعاد نفسه وصاح: أنا ذاهب إلى مركز الخدمة الاجتماعية! هل يذهب الباص إلى هناك؟

– نعم!

– ...

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– ذاهب إلى هناك

– نعم، قال سامي.

– حسن هذا سيوصلك إلى هناك.

خطا سامي خطوة إلى الأمام. قالت امرأة: الرجل أعمى، اجلبه معك!

أمسكت يدٌ بمرفقه. وشخص قال أين تذهب؟

مركز الخدمة الاجتماعية.

نعم هذا الباص يوصلك حتى بابه.

اقتيد سامي إلى درج الباص وصعد. "أنزله أمام مركز الخدمة الاجتماعية"، قال الشخص لسائق الباص.

– تمام...

– سأنبهه عند الوصول إن أعطاني ستين بنساً!

أدار سامي رأسه. أنت السائق؟

– هكذا يسمونني.

تأبط سامي العصا وأخرج بعض الفراطة من جيبه، بسط كفه، أخذ السائق المبلغ المطلوب وبعدئذٍ قُطِعَت التذكرة ووضعت في يد سامي. ستنبهنا عند الوصول؟

– لا تقلق.

تقدم سامي ممسكاً بدرابزين الباص وبقي متأبطاً العصا. بدا له الباص مزدحماً. لم يصطدم بأحد. ربما كانوا يبتعدون من طريقه. لمست يده نهاية الدرابزين ثم الفراغ، الدرج إلى الطابق الثاني. الدرج إلى الطابق الثاني، ذكري فيه، صعد.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

خرمان على سيجارة. كان خرماناً حقيقة، خرماناً على سيجارة. تبسم وحاول التغلب على ذلك لكنه فشل. غبي، ذكري في بالسيجارة، تابع سيره ارتطمت قدمه بالدرجات، لكن لا بأس يا رجل، تمام، المشكلة في العصا التي كانت تحدث جلبة وتلك النخعة عندما انطلق الباص. لكنه على خير ما يرام، إنه بخير ولا أحد يستطيع التعرف إليه، لا أحد يستطيع أن يتعرف إليه! تعرف ما أقصد، النظارة وهلم جرا، النظارة، النظارة الجيّدة. زوجكِ الشجاع وصل، أصبح في الطابق الثاني، إنه هناك يسعى إلى الحياة الغالية، القطب القديم وهلم جرًا.

أصواتٌ. تمام. نقر بالعصا

تريد مقعداً؟ قال شخص.

– نعم.

– حسن.

اقتيد إلى مقعد وأجلس، ارتطم بالشخص الذي كان يجلس بجانب النافذة. فقال: آسف.

– لا بأس.

إنها امرأة.

أشعر برغبة في التدخين، قال. وفي الحال وضع السيجارة بين شفتيه. قدح الولاعة وتحسس اللهب. إنها تعمل. أمسك مقدمتها وأشعلها. ومجّ.

وبعد دقيقة كان يضحك لنفسه، مجرد فكرة سخيفة، كيف اتفق أن الباص كله فارغ إلا من شخص واحد وما كنت لتعرف ذلك وبعدئذٍ يتفق أن المقعد الذي تختاره كانت تجلس فيه أنثى،

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

فجلست أنت على ركبتيها! آسف وكل ذلك الخراء! يمكنك تخيّله، شيء غبي! وانفجر ثانية بالضحك وسمعه الناس، إلا إن كانوا صمّاً. شيء فظيع.

آه يا يسوع المسيح يا يسوع المسيح، لا بأس لا بأس. ومجّ مجة عميقة من السيجارة. كيف اتفق أنه كان مسروراً؟ المسيح وحده يعرف. ربما بسبب تأثير النيكوتين القحب في الدماغ. لكنه لم يكن مسروراً جداً ؛ ليس الأمر أنه كان مسروراً، بل راضٍ عن نفسه، مسرور منها، فهو الآن يركب الباص.

أنت تمزح؟

وهكذا تمام، لديه قرارات يقررها وقد أقر بعضها. كان يبلي بلاءً حسناً. النقود في جيبه وهو هنا. لم يكن سامي استثناءً، حتى إنه لم يرد أن يكون استثناءً. كل ما أراده هو البلاء الحسن. بقدر ما يستطيع.

إن كان من عمل ينجز مباشرة فانجزه فوراً أعمىً كنت أم مبصراً. ذلك ما تعلمه سامي. زوجك الشجاع، تعرفين إنه لا يُلام على ما حدث له. يلام على بعضه، لكن ليس على الكل. لست مسؤولاً أبداً عن شيء، ليس في هذا العالم: تعرف ما أقصد، يا رجل، لست مسؤولاً أبداً عن كل شيء. لكن لا تلم أحداً أيضاً، اللوم عليك: هكذا تخوزق وتابع إلى الأمام، إلى الأمام.

كان سامي مسترخياً في المقعد. بعدئذٍ لف سيجارتين ووضعهما في العلبة.

أوخ. لو أمكن لهيلين أن تراه ولو لمحة سريعة فقط وهو ينجز العمل.

نعم كان يزداد وهناً، لا شك في ذلك. تمارين الرياضة القديمة يا رجل، يجب أن يبدأها، كان عليه أن يبدأها. بعد أن حصل على النقود. ربما بعد أن يُعاد تسجيله. من يعرف؟ من يعرف؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

المركز الطبي!

كان الباص قد توقف.

المركز الطبي!

بهذه السرعة، بحق الجحيم. لم يتوقع هذا الوصول السريع. وراح يتلمس طريقه بعصاه إلى قمة الدرج لكن العصا بقيت تنحشر هنا وهناك، يا رجل. نعم بقيت تنحشر، أشياء تخوزقك، يا رجل. حالة هلع خفيفة لكنه على ما يرام، لو تمهّل، فقد كان متعجلاً. يجب أن يكف عن العجلة، تمام. صبَرَ عليه السائق، أيضاً، بقدر المستطاع فلا يمكنك أن تلومه. لكن سامي كان ينزل الدرج ولم يكن الأمر سهلاً، لقد صعد الباص بسهولة، لكن النزول صعب، كنت تحاول الخروج إلى الهواء الطلق لكن العصا بقيت تنحشر هنا وهناك. خبط كتفه بالحاجز فوقف يستعيد توازنه.

أنت على ما يرام يا رجل!

تابع سامي سيره.

هوّن عليك أنت على ما يرام.

وصل سامي أسفل الدرج وتابع إلى الأمام، ساحباً يده على الدرابزين منطلقاً إلى نهايته الأخرى.

– أنت تمام الآن؟

لم يجبه سامي، أمسكت يده بالباب اليساري ونزل، نزل إلى الطريق. إنه على الطريق ويجب أن يصل الرصيف بسرعة، بسرعة يا رجل، هيّا. ذات مرة كان هناك شخص نزل عن الرصيف في شارع أرجيل عصر يوم سبت والحشود في كل مكان، بحق المسيح، وكان هناك باص قادم بسرعة داخل المضمار فخبطته المرآة الجانبية على

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الجهة اليمنى من مؤخرة رأسه، فتدفق الدم، يا لها من خبطة! قفز السائق خارجاً من خلف المقود بغية مساعدة الفتى لكن المسكين غادر المكان بسرعة، ربما اعتقد أنه قد ارتكب خطأً ما، آذى ملكية شركة قحبة أو ما شابه، وحاول السائق معرفة اسمه لكنه كان قد غادر المكان منخرطاً في الحشد السريع — رآه سامي، السافل التعس، كان مدمىً.

أي شيء ممكن على وجه التحديد. فأنت لا تعرف مسبقاً. ولا يمكنك أن تؤرجح عصاك أمامك فقد تضرب الناس. كلبٌ، ذلك ما يحتاجه سامي.عندما يحصل على كلب ستختلف الأمور.

كان أمامه ناس لا بد أنهم سائرون في الاتجاه نفسه. لو يستطيع أن يبقى سائراً معهم. كانت بوابة الحماية للمركز الطبي عند الزاوية. دخلها مرتين فيما مضى. لفترة قصيرة. ركز ذهنه على النقر بعصاه.

يا مسيح لم يعد يستطيع سماعهم الآن. كان الناس يبتعدون، لكن ماذا يهم، لا مشكلة.

الفسحة الفارغة عند الزاوية،تلمس بعصاه منعطفاً ثم مشى مجتازاً الفسحة وهو ينقر بعصاه من اليسار إلى اليمين، تابع سيره. بعدئذٍ سمع صوتاً عالياً:

– هيه!

تابع سيره

– هيه!

لم تكن لتتوقف لأنه كيف تعرف أنك أنت من يصرخون عليه! لم تتوقف لأنك لم تستطع معرفة ذلك، لا تستطيع أن تعرف يا رجل وهكذا تابع سيره.

– هيه أنت ذا النظارة الشمسية!

– ذكري فيك....

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– هيه أنت!

توقف سامي. تكلمني؟

– نعم. أنت مستعجل قليلاً هيه!

– ...

– تعرف أنه يفترض أن تدخل من البوابة.

أخرج سامي علبة التبغ وتناول سيجارة.

– ممنوع التدخين.

– لم أدخل المبنى بعد.

– نعم لكنك في حرمه.

– لست داخل المبنى.

– لا يهم أعدها مكانها

أعاد سامي السيجارة إلى العلبة.

– يفترض أن تدخل من البوابة.

– ...

– لا أن تدخل عبر الشارع مباشرة.

أدار سامي رأسه، متمنياً لو استطاع رؤية هذا السافل.

– إلى أين أنت ذاهب؟

– ماذا هل أنت تحر؟

– أين أنت ذاهب؟

– قسم العجز الوظيفي.

– نعم لكن أي قسم؟

– بسبب العمى

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– قسم فقدان البصر، ألديك موعد؟

– ماذا قلت؟

– لديك موعد؟

أسألك إن حصلت على موعد؟ قال الفتى، وبدا الآن أنه اقترب كثيراً من سامي.

لا أعرف، قال سامي.

– هل لديك بطاقة؟

– بطاقة؟

– لو حصلت على موعد مسبق لكان معك بطاقة.

– لم أحصل على بطاقة.

– نعم حسن هذا يعني أنه ليس لديك موعد. أم إنها حالة طارئة.

– ما اسمك؟

– صموئيل.

– الحرف الأول؟

– س.

بعد قليل وضعت بطاقة في يد سامي وقال الفتى، "اصعد الرصيف". تحرك سامي باتجاهه حتى نقرت العصا حافة الرصيف، صعده.

– خذ البطاقة إلى قسم الطوارئ.

– أين؟

هناك: امش بخط مستقيم، ثلاثين ياردة؛ تجد باباً دواراً على يسارك. ادخله فيكون مكتب الاستقبال على يمينك. أعط البطاقة لموظف الاستقبال. حاول أن تلزم الجانب الداخلي عندما تمشي. وفي المرة القادمة أدخل عبر البوابة.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

هتف سامي وقال، ذلك لأنني أعمى ، لم أرها.

– نعم حسن في المرة القادمة.

– آسف، لم أرها.

– حسن، اذهب.

– ذلك لأنني أعمى، تعرف ما أقصد، لم أستطع رؤيتها.

– ...

– لم أعرف

– نعم لا بأس. اذهب.

– تعرف ما أقول، أنا أعمى، لم أرها لذلك عبرت عبر الشارع، هكذا أتيت عبر الشارع... كان سامي يقبض على العصا. سمع حركة، ربما الشخص، أو غيره، يتركه مبتعداً. آسف جداً، قال: آسف جداً.

–تابع سيرك.

ابتسم سامي. سافل لعين. تمام. انطلق ماشياً. الحوالة صُرفَتْ والنقود في جيبه. وهو هنا. رائع. كان يجب أن يَعُدَّ الخطوات لكَن. لا بأس لا بأس.

صخبٌ، صرير أبواب ووقع خطوات. انتبه لنفسك! صاح شخص ما.

جمد في مكانه. تجاوزه الصخب. سار حتى وصل جداراً، سمع هسهسة. باب أوتوماتيكي. تابع إلى الأمام وشعر بتغير الهواء واختلافه حيث كان يدخل؛ نقر، الأرضية بالعصا فأصابت شيئاً ما. قال: آسف، أنا أعمى، أبحث عن قسم الطوارئ، أيمكنك إرشادي؟

لا جواب، بدا أن لا أحد بقربه. تابع السير، رغم التمتمة، لقد سمع تمتمة. توقف ثانية. وقال: آسف، إيه... أنا أعمى إيه أتساءل.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

كانت التمتمة من ورائه. استدار وقال: أبحث عن قسم الطوارئ.

أنت فيه قالت امرأة.

– آو، حسن

– الطابور هناك بجانبك.

– ألا يوجد مكتب استقبال خاص بالعميان؟ أبحث عن قسم فقدان البصر.

– لا أعرف.

لم تكن لهجتها وديّة. هز سامي كتفيه لا مبالياً. نقر بعصاه إلى اليسار. تمتمة أكثر. هل هذا هو الطابور؟

– ...

– هيه ألا توصلونني إلى نهاية الطابور؟

– إنه أمامك تماماً.

نقر بالعصا بحثاً عن المقعد، وجلس.

حياة قحبة يا رجل. تنهد، لاحظ الرائحة القوية. تعرّق متراكم كالمعتاد.

آخ، حسن، الجحيم يعرف كم سيطول انتظاره. لا فائدة من الانشغال بهذا.

ما حدث أن الطابور كان يتحرك خطوة خطوة عندما ينهض شخص إلى الطاولة، يتحرك الجميع إلى الأمام لملء الفجوة.

راح يغني لنفسه أغنية لم تدم طويلاً وألفى نفسه بغتة يفكر بوالده، على غير المتوقع ودونما أي سبب. ثم بوالدته. بكليهما، رآهما معاً، حضراه بغتة، بدا ذلك منذ زمن طويل مضى. حضرته

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

حياته كلها وأيام طفولته، يا للجحيم القحب. سيموت ذات يوم. بعدئذٍ سيفكر فيه ابنه. قدر مشؤوم، قدر قحب. منذ سنوات لم ير زوجته السابقة، والدة ابنه. مازالت في ذاكرته تلك الفتاة العشرينية. كانت بعمره تقريباً. لم يقابلها والده قط، ولم يعرف أبداً عن حفيده بيتر، مات قبل أن يولد. أحزنك التفكير في ذلك. يا مسيح يا قادر وتذكر والدته، تذكر نظرتها الغريبة، تعابير وجهها، وهي تضع طفلاً في حضنها؛ بحق الجحيم، كان ذلك منذ سنوات مضت.

نقاش يدور بقربه. شاب يحدِّثُ آخرَ بصوت جهوري، يخبره عن معركة حدثت ويغلظ الأيمان. وهكذا عرف الجميع كم كان صنديداً وكم كانت حياته قاسية، ومن أين أتى.

عندئذٍ تفكّر بالآخرين الجالسين من حولك، كيف لا تعرف أي شيء عنهم، كيف كانت حياتهم. شيء مضحك، لو كان الفتى ذكياً وفكّر بالأمر، بحياتهم، لما تكلم جهاراً. فقد علمتك الحياة؛ أن هناك دائماً بشراً أتعس منك.

كان السجن مليئاً بأشخاص أصواتهم جهورة مثل هذا الفتى. كانت تنرفزك لكنك تعتادها بعد فترة، في الواقع تحول شعورك إلى الأسى عليهم، إذ تبين لك كم عليهم أن يتعلموا بعد. وبعضهم لن يتعلم أبداً. سفلة مساكين.

أخيراً جاء دوره فأعطى البطاقة وعنوانه وبقيّة المعلومات. قسم فقدان البصر في الطابق الرابع وسيقله المصعد. سأل: "هل سيرشدني أحد ما؟" سمع حركة خلفه ويدٌ أمسكت بمعصمه: "أنا سآخذك"، قالت امرأة وسحبته إلى الأمام. كان يعرف أنه يمكن أن يرفس كعبيها فجعل خطواته قصيرة تفاديا لذلك. غيرت مسكتها. أمسكته من كمه. شعر بالحرج، وتمنى لو تتركه وسيكمل وحده. قال لها: " اليوم أدفأ قليلاً".

– "نعم أدفأ..."

بعدئذٍ توقفت وأفلتت كمه وسمعها تضغط زر المصعد وتقول إنه قادم.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

عندما انفتحت الأبواب دفعته من كتفه إلى الداخل. دخل المصعد وسمعها تضغط الزر من الداخل ثم خرجت بسرعة. انغلقت الأبواب. صعد المصعد. "هذا جميل!" قال، وافتعل سعلة وكأنه ينظف حنجرته. كانت التفافاً على حقيقة أنه تكلم بصوت عال. عرف أن لا أحد سواه في المصعد، لكن ربما كان مزدحماً يا رجل تعرّف ما أقصد، أو ربما توجد كاميرا مراقبة. وموظف الأمن جالس يتفرج عليه في هذه اللحظة تماماً، يضحك منه ضحكة صغيرة من كونه يكلم نفسه. نعم، "إلى الجحيم"، قال وحرك رأسه. إلى الجحيم.

توقف المصعد. انفتحت الأبواب فخرج بسرعة. انغلقت الأبواب. انتظر. سمع شخصاً يمر بقربه.

– مرحباً.

– قسم فقدان البصر؟

– نعم.

– أين أنت ذاهب؟

– لا أعرف.

– هذا الطابق الرابع؟

– نعم.

– يفترض أن يكون قسم فقدان البصر.

– إنه كذلك، فقد كنت فيه.

– آو.... ماذا أنت أعمى أيضاً؟

– نعم.

– يا مسيح يسرني لقياك. نقل سامي العصا إلى يده اليسرى، ومد اليمنى ليصافحه، لكنه لم يجده.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– هل غادر المصعد؟

– نعم، قال سامي؛ آسف، كان بوسعي إيقافه لك.

برطم الشخص بشيء ما.

– سأجلبه لك. استدار سامي وتلمس بحثاً عن الزر وضغطه. لن يستغرق دقيقة.

– آو يا يسوع المسيح... عنّ الشخص، توجد أدراج في مكان ما هنا، يجب أن تكون حذراً.

– آو، تمام.

– أنت خائف من السقوط.

– بحق الجحيم. نعم... أليس معك عصا؟

– لا.

– عليك بواحدة.

– هتف الشخص.

– تجعل الأمر مختلفاً كلياً.

– سجلت اسمي.

– ماذا، هنا؟

– لا.

– في جمعية خيرية؟

– نعم.

– أية واحدة؟

– .....

kutub-pdf.net

– إيه؟

– هناك في شارع القديس فنسنت. هنف الشخص. بدا لسامي كأنه كثير التشكي.

– "يذهب آخرون إلى غالوغيت"، لا أقصد الإساءة أعني إن كنت جباناً.

– لست جباناً.

– نعم حسن ليس معيباً أن تكون جباناً. هتف الشخص ثانية. أقصد أنهم حصلوا على عصيهم الخاصة.

صوت أبواب المصعد تنفتح. "ها قد وصل"، قال سامي.

– أيمكنك إيقافه لي!

– نعم! أدخل سامي عصاه بين البابين انغلقا وارتدّا منفتحين وانغلقا ثانية لكنه ضغط على الزر وأبقاهما مفتوحين. "أخبرنا عندما تدخل"، قال سامي.

– إنها هذه الأدراج اللعينة.... أين أنت؟

– هنا، اقترب من صوتي، ليس بعيداً.

– تخاف أن تتحرك حركة خطأ، تعرف ما أقصد.... لكزت يده سامي بقوة.

– هوّن عليك يا صاحبي.

– آسف.

– تمام؟

– فقط أبحث عن الزر اللعين.... انغلقت الأبواب عليه.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– انفتحت ثانية. سافل قحب، تمتم الشخص. انغلقت الأبواب.

انتظر سامي قليلاً وبعدئذٍ تجول في الطابق. انفتح باب، فنادى: مرحباً!

– نعم! قال رجل بصوت مهذب.

– أبحث عن عيادة فقدان البصر.

– في كلتا العينين؟

– نعم.

– إلى الأمام حتى نهاية هذا الممر ومن ثم إلى اليسار. سهل جداً.

– عظيم شكراً... عندما وصل بحث عن مسكة الباب فتحه ودخل.

– أجلس هناك من فضلك.

– أين؟

– قادم لأريك أين.

– آسف.

بدا من صوته أنه شاب في الثامنة أو التاسعة عشر. أمسك بمعصم سامي وقاده إلى حافة كرسي طرية المقعد وطلب منه الجلوس فيها. جلس سامي وأسند ظهره على مسندها فغاص فيها وارتفعت قدماه عن الأرض، بحث عن مسندي الذراعين، أوقع العصا، ودفع جذعه إلى الأمام مسنداً عقبيه على الأرض.

– معك بطاقة المعاينة؟

أعطاه سامي البطاقة وسمعه يرقن على مفاتيح الكومبيوتر.

– إذن أنت تسجل في خانة العجز الوظيفي وتدعي فقدان البصر في كلتا العينين؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– نعم.

رقن الفتى على مفاتيح الكومبيوتر وراح يكرر ذلك بعد كل سؤال وجواب. هل العمى خُلُقي؟

– لا.

– حصل فجأة أم أنك شعرت بإخطار مسبق؟

– لا.

– هل عانيت من مشاكل عينية مزمنة؟

– لا.

–لم تعان من أية مشكلة عينية؟

– لا.

–أياً كانت؟

– لا أتذكر. لكن عندما كنت صغيراً – لم أكن أجيد لعبة السهام المريّشة – لم أستطع إصابة مركز القرص ولا حتى القرص نفسه! لكنني لم أحتج لنظارة، ولم يؤثر ذلك على أشياء أخرى، مثل كرة القدم أو ما شابه.

– آو، إذن تمارس الرياضة... كرة القدم؟

– نعم، كنت ألعب.

– لكنك لا تلعب الآن؟

ابتسم سامي: لا.

– هل توقفت بسبب عماك؟

– ماذا؟ لا. توقفت وحسب.

– مع من كنت تلعب مؤخراً؟

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– ...

– لصالح من لعبت مؤخراً؟

– لفريقين.

– من كان آخرهما؟

– لن تعرفهما كان ذلك مع ناديين إنكليزيين.

– فريقين إنكليزيين؟

– نعم

– ما اسمهما؟

– لن تعرفهما. أظن أنهما حُلاّ.

– لكن يبقى من الواجب أن تخبرنا، إلا إن كنت لا تتذكر.

– اسيكس بروفينشيال ليغ.

– ومن؟

– نورث فليت أماتيور.

– كم بقيت معهما؟

– إيه حوالي أربعة أو خمسة أشهر.

– متى كان ذلك؟

– إيه، منذ عشر سنوات، في الواقع منذ أحد عشر عاماً.

– وهل خضعت لفحص طبي كامل لديهما؟

– إيه نعم، أظن ذلك.

– ألم تكن تعمل حينها؟

– ...

– ألم تكن تعمل عندما كنت تلعب لهما؟

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

هتف سامي: من حين لآخر.

– هل كنت مسجلاً لدى مكتب العمل؟

– نعم من حين لآخر نعم.

– هل تلقيت تعويضات أو مساعدات من النادي عندما كنت مسجلاً في مكتب العمل؟

– لا.

– على الإطلاق؟

– لا. فقد كانا ناديي هواة.

– وهل كنت كمستخدم كامل الأهلية للعمل؟

– نعم.

– تعمل في تجارة البناء؟

– حسن، ليست تجارة، أنا عامل بنّاء – نصف خبير.

– هل سجلت في الأعمال العامة عندما كنت في السجن؟

– نعم.

– لم تسجل في الخدمات الثابتة بسبب عاهات جسدية أو عجز وظيفي؟

– لا.

– ولا أي عجز طبي؟

– لا.

– ما آخر عمل قمت به؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– في جمعية خدمات عمل.

– وقبل ذلك؟

– أوه يا مسيح تتكلم عن إيه.... كان ذلك في لندن منذ أحد عشر عاماً.

– وتركت لأن العمل انتهى؟

– نعم لقد انتهى العمل، وسُرّحت.

– ليس بسبب قصور وظيفي أو عجز جسدي؟

– لا.

– متى حصلت آخر مرة على إعانة مرضية؟

– لم أحصل عليها منذ فترة طويلة.

– متى؟

– أوه يا مسيح لا بد أنه كان منذ أحد عشر أو اثني عشر عاماً مضت.

– نعم وأنت لا تعمل الآن؟

– لا.

–لكنك مُسَجّل؟

– نعم

– كامل أهلية العمل؟

– نعم حسن أقصد نعم لكن ليس الآن. سأعيد تسجيلي.

– متى فقدت بصرك؟

– الأسبوع الماضي. الاثنين أو الثلاثاء — أظن الثلاثاء.

– أتدّعي بوجود سبب لهذا العجز الوظيفي. أم أنه حدث دونما سبب؟

– حسن لا بد من وجود سبب.

– ما هو؟

kutub-pdf.net

– إيه...

– هل أسجل " لا أعرف "؟

– إيه، نعم

– هل كنت موقوفاً لدى البوليس في تلك أثناء؟

– ذلك صحيح.

– ولم تراجع طبيباً بعد؟

– لا.

– هل شُخّص العجز الوظيفي من قبل مرجع طبي؟

– ليس بعد.

– هل رفعت دعوى مدنية للتعويض عن العجز الوظيفي؟

– لا.

– ولا مرّة؟

– ...

– ولا مرّة؟

– لا.

شرع الفتى، يرقن على مفاتيح الكومبيوتر بصمت، بعدئذٍ قال: "هيه إسكيس برفينشيال فريق جيّد جداً أليس كذلك؟"

– نعم. ألم تلعب هنا قط؟

– عندما كنت صغيراً.

– لمن؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أوخ، مع فريقين.

هتف سامي. هل تلعب أنت أيضاً؟

– نعم لفريق القسم. ولكنني لعبت مع فريق آخر أيضاً.

– جيّد.

– مع تشيرش ليغ.

– أوه يا مسيح نعم، تشيرش ليغ القديم! طالما كان فريقاً قوياً.

– ومازال!

– قهقه سامي ضاحكاً.

– تعرف، فقد كنت تلعب.

– آه حسن تلك هي الطريقة الصحيحة يا بني. بقدر ما تحبها، تعرف ما أقصد، بقدر ما تحبها. يا مسيح لقد اعتدت العيش من أجل اللعبة. لو تريّثت... كان مكتشفو اللاعبين ميالين لذلك ويتمنونه. لكنني غادرت.

– ماذا حدث؟

– غادرت وحسب. كان تصرفاً أخرق. ماذا عنك أنت؟

– حسن تلقيت عرضين.

– حقاً؟

– لم أقرر بعد. هناك رئيس نادي يجري خلفي الآن لكن أظنني سأرجئه شهرين.

– آه حسن جيّد، نعم يجب أن تُأمّله. لا تقطع الطريق عليه مهما حصل.

– آه، لا، الطقس بارد، لذلك سأنتظر حتى نهاية الفصل.

kutub-pdf.net

– تأكد من أنك ستستمتع بالأمر، ذلك هو المهم. فأنا أفتقد اللعب كثيراً.

– هناك أشخاص في مثل عمرك ولا زالوا يلعبون.

– آو، أعرف.

– لكن، عيناك للأسف.

آخ من غبائي أنا يا بني، مشاجرة صغيرة مع الجنود، لقد قتلوني. هز سامي كتفيه. لم يمكن تجنبها ؛ كنت سخيفاً وكذلك كانوا هم.

– قتلوك؟

– نعم.

– وتقول إنك كنت سخيفاً؟

– ...

– شرع الفتى يرقن على مفاتيح الكومبيوتر ثانية.

– قال سامي: ماذا هل تسجل هذا؟

– نعم.

– حسن أفضّل ألا تفعل.

– لكن واجبي أن أسجل ذلك يا مستر صموئيل.

– كيف؟

– لأنها معلومات.

– ...

– ويجب علينا أن نسجلها.

هتف سامي. لا يوجد لديك زر إلغاء.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– نعم لكن ليس من أجل هذه العملية. إن كان المراجع لا يريد إدخال معلومات فيجب ألا يقولها. فمجرد أن تدخل الكومبيوتر لا يمكن إلغاؤها. لا أملك الصلاحية؛ أنا مجرد موظف إدخال معلومات. غير مسموح لي الحكم على شيء إن كان معلومات أم لا.

– لم تسجّل قصة كرة القدم.

– حسن تلك ليست معلومات.

– الآن، أتود إضافة شيء؟

– ...

– إيه؟

حك سامي ذقنه؛ أمسك العصا واستند عليها للنهوض عن الكرسي سمع الفتى سينهض ويمشي إليه:

– سأرشدك إلى المكتب الطبي لتلقّي المعلومات، قال. أتمسك بذراعي؟

– ماذا؟

أخذ يد سامي ووضعها حول معصمه. رغم انفعال سامي وتوتره حاول ألا يضغط على معصم الشاب. معصمه نحيف؛ وبوسع سامي أن يكسره بضربة واحدة. تحرك الفتى إلى الأمام الآن. مشى سامي معه. لم يمش هكذا مع أي شخص من قبل. الغريب في الأمر أنه بدا مسيطراً على نفسه رغم أنه لم يكن مسيطراً على نفسه لأنه لم يعتد أن يسيطر عليها، ومع ذلك يده هو هي التي تقبض على اليد القائدة لا العكس. استغرق دقيقة ليتذكر أنه غاضب. ضربت عصاه باباً. فتحه الفتى وأدخله، قاده إلى كرسي وقال: " اجلس هنا لن تطول جلستك".

...

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– أنت على ما يرام الآن؟

أفلت سامي معصم الفتى؛ وأحنى جسمه فوق الكرسي استعداداً للجلوس.

– أنت على ما يرام يا مستر صموئيل؟

هتف سامي. لا شيء لديه يقوله. حتى إنه لم يعد غاضباً. لكن كان من الأفضل أن يذهب الفتى الآن، أن يبتعد عن طريقه.

وضع العصا على الأرض وجلس وأسند ظهره، كتّف ذراعيه. سمع الفتى يغادر. على أية حال كانت غلطته الغبية يا رجل تعرف ما أقصد، أنت تثرثر، تثرثر.

إلى جهنم. تعرف كان بوسعه أن يدخّن. أتظنهم يخصصون غرفة للمدخنين، ربما لديهم غرفة لذلك. آخ حسن إلى الجحيم بالسيجارة يا رجل تستطيع الاستغناء عنها. راح يهمهم بأغنية، بعدئذٍ توقف. صمت مطبق، لا صوت. الغرفة السابقة كانت هادئة لكن هنا لا يسعه سماع شيء. ربما لا أحد هنا، ربما كان وحيداً. ولا بد من أشياء هنا وهناك. إنها غرفة مكتب، تعرف ما أقصد، لا بد من وجود أشياء. أشياء من كل الأنواع. تلمس بحثاً عن عصاه وبعدئذٍ مدّها ليختبر الفراغ من حوله: ارتطمت بأشياء؛ قطعة أثاث.

غباء. إن مجرد التفكير في ذلك غباء مطلق بالتأكيد، وحالما ينهض ويمشي متلمساً الأشياء في الغرفة سينفتح الباب. هكذا هو حظه يا رجل تعرف ما أقصد، حظ لعين بالتأكيد. الأفضل أن تسترخي، وتترك الأمور تأخذ مجراها. وما الذي سيكون هنا على أية حال! أقلام رصاص وأقلام قحبة أو ما شابه.

إضافة إلى كاميرا الفيديو التي ربما تكون شغّالة، بحق الشيطان أنت تمزح.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تثاءب سامي. آو يا مسيح كان متعباً يا رجل؛ كل شيء متعب. تثاءب ثانية؛ المشكلة في أن هذه الكرسي مريحة جداً؛ لم تجدها مريحةً في البدء، لكنك اعتدتها، بدأت الجلوس منتصباً، لكنك تدريجياً وجدت نفسك نصف ممدد ومضطجعاً بسبب ميلانها. شعرت برغبة بخلع الحذاء. تثاءب من جديد. يا يسوع المسيح. المكان دافئ جداً، يبدو أنهم يشغلون التدفئة المركزية بكامل طاقتها.

في الواقع لديه سبب وجيه ليكون متعباً، ليغفو قليلاً، وإغماضة عين كهذه، غفوة صغيرة، لن (لن تكونا سيئتين. فلم يبق هناك ما يمكن أن يحدث له؛ ثم إنه لا يقف على حافة جرف عال ويمكن أن يتدحرج إلى الأسفل، إنه في مكتب — الناس هم المشكلة.

هم المشكلة اللعينة ولهذا عليك أن تكون حذراً، كن حذراً.

يجب أن تكون حذراً جداً يا رجل. اعتدل في جلسته، أسند مرفقيه على فخذيه، زفر ثم شهق، مراراً. املأ رئتيك بالأوكسجين النقي. لأن كل شيء يدفعك إلى النوم. تلك هي المشكلة؛ خطوة لعينة، أقصد المجيء إلى مركز الخدمة الاجتماعية، وكل تلك الأشياء اللعينة عطلت ذهنك عن العمل، فلم تستطع أن تفكر، لو تتبع خطة ما. ولذلك يجب أن تبقى يقظاً مهما كلفك ذلك. فأنت بحاجة لكل أحاسيسك؛ استعداداً لأي شيء. لقد قرأ سامي ذات مرة كتاباً عن الخفافيش؛ لديها حاسة السمع المذهلة هذه، صوتية أو شيء من ذلك القبيل، وكأنها طوّرت رادارها الخاص، تعويضاً عن العمى. ثم، يا يسوع! ذلك البرنامج الحربي الذي شاهده في التلفزيون عن فتى أعمى يقف عند أحد جانبي الجدار ويعرف ماذا يحدث على الجانب الآخر. وقد استطاع فعلاً أن يعرف ماذا يجري في غرف عدة حيث كان فيها أناس واقفون وهلم جرا — وكذلك أحد أولئك الأشخاص، على مسرح البلاديوم، الذي كان بوسعه أن يطوي شوكه الطعام؛ لكن

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

ذلك كان عرض هواة بالمقارنة مع ما كان يفعله ذلك الفتى الأعمى الذي بدا كأنه طوّر نوعاً من أعضاء الحواس المختلفة كلياً، وكأنها كانت خُلقية المنشأ. وهكذا قد تكون مستحيلة على أمثال سامي. ربما كان يجب أن تَعمى عندما كنت طفلاً، في تلك الساعات القليلة الأولى عندما كنت تصرخ وترفس شاقاً طريقك إلى العالم. لأن كل الأطفال يكونون عمياناً لحظة ولادتهم. تذكر سامي رؤية طفله الصغير بيتر في سريره في المشفى وكان مهتماً في أن يعرف أنه لا يعاني من عاهات خُلقية لأنك لا تستطيع معرفة ذلك إلا لاحقاً. ترى عيونهم لكن كيف تعرف أنها تبصر! أقصد أنك ترى دكاناً مليئاً بالأحذية لكن ولا واحد منها يمشي. هذه الأشياء، كل هذه الأشياء المختلفة....

– أنت المستر صموئيل؟

– نعم. هز سامي رأسه. لم يسمعها تقترب.

– أيمكنك أن تخطو إلى الأمام بهدوء لو سمحت.

لا بد أنها كانت قريبة جداً. فقد فاحت رائحة عطر أو ما شابه، ربما صابون مُعَطّر. بوسعك أن تتخيّل هذا الحس المُطلق بالنظافة القحبة، بلوزة مفتوحة عند الرقبة، الزرّان العلويان مفتوحان، إشارتان لمستر حلو، ثم التنورة الأنيقة والجاكيت، المجوهرات، وبعدئذٍ تلك– ما هي الكلمة القحبة إيه– الأناقة أو ما شابه، ترفٌ، نعم ترفٌ. نهض عن الكرسي: تبع ذلك الحفيف الصادر عنها؛ نزوة عابرة يا طفلي.

– تقدم.

– إلى أين؟.

– ستجد مقعداً على يسارك بين المكتبين.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

نقر سامي بعصاه وهو يمشي. ارتطمت بشيء ما أشبه بطاولة منه بمكتب، سار ملتفاً حولها. طاولة أخرى، أو مكتب آخر لا يمكنك أن تعرف بالطريقة التي تنقر بها عصاك. توقف قليلاً.

– تابع الآن إلى اليسار، بين المكتبين.

يا مسيح يا قادر كم خطوة إلى اليسار تقصد؟ نقر بعصاه حتى وجد الفراغ، وتحرك فيه إلى الأمام. كان ضعيفاً جداً وارتطمت ركبته اليسرى بشيء ما.

– الكرسي أمامك الآن، اجلس.

كانت الكرسي عادية. شكراً للجحيم لأنه نسي أن يتفحصها. جلس عليها منتصب الجذع ليريح عموده الفقري، وأبقى يده على العصا.

– تؤكد فقدانك البصر في كلتا العينين يا مستر صموئيل إيه؟

– صحيح. أدار سامي رأسه، بدا أن صوتها يصله من مكان ما في الجهة المقابلة.

– ماذا يتضمن ذلك؟

– إنني عاجز عن الرؤية، فقط. حاول أن يزحزح الكرسي لكنها كانت مثبتة على الأرض.

– ماذا تقصد بالتحديد؟ كل شيء؟

– نعم.

– لا تستطيع رؤية أي شيء على الإطلاق؟

– لا. تحرك سامي ثانية؛ كان صوتها يصله الآن وانتابه شعور أنها كانت تمشي في الغرفة.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– وتقول إنه حصل دون سابق إنذار؟

– نعم.

– لا إشارات لعمى تدريجي؟

– لا، أقصد كما قلت للفتى هناك. استيقظت فوجدت نفسي أعمى.

دقيقة صمت. عندما تكلمت الآن جاءه صوتها قريباً من الجهة المقابلة: وهذا في الوقت الذي كنت فيه موقوفاً لدى البوليس؟

– صحيح.

– وتؤكد أنك تعرضت لضرب جسدي من بعض رجال البوليس؟

– ماذا؟

– .....

– ماذا تقولين؟

– إنهم قتلوك.

– قتلوني؟

– هذا ما هو مسجّل هنا.

– حسن لا أحب الصيغة التي سجل بها.

– أنا أقرأ ما قلته أنت لموظف الإدخال الأولي، وقد أدخل العبارة بين قوسين إشارة إلى أنها عبارتك أنت. هل تشعر أنه أخطأ في هذا؟

– انظري لا أستطيع أن أتذكر ما قلته بدقة؛ كل ما أذكره أنني أخبرته أنني فقدت بصري يوم الاثنين أو الثلاثاء الماضيين، استيقظت أعمى.

– أتنكر أن هذه هي الكلمات التي قلتها؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– لا أعرف، لا أستطيع أن أتذكر: أعرف أنني لم أستخدم تعبير ضرب جسدي. ذلك ما أعرفه.

شدّ سامي قبضته على العصا.

تابعت كلامها: ما أدخل هنا هو عبارة " لقد قتلوني "، وأُدخلت بين قوسين لكنها تعبير عامي وليس كل من يقرأ أقوالك سيفهم ما تعني. شعرت أنه من الأفضل استخدام تعبير ضرب جسدي في البيان التفسيري لكن إن كنت تفضل تعبيراً آخر... هل لديك تعبير آخر لتقدمه؟

– كان ذلك عراكاً.

– عفواً؟

– انظري، ما هي العبارة؟

– لقد قتلوك.

– هل بوسعي تغييرها؟

– كلا، آسفة، لكن بوسعك إضافة توضيح بخصوصها، إن رغبت بإيضاح ما تعنيه فيمكنك ذلك.

فرك سامي ذقنه، محركاً جلدة الوجه عند الحنك. كان يجب أن يحلقها، لقد أخطأ بعدم حلاقتها. هتف وبعدئذٍ قال: كانوا يستخدمون التقييد الجسدي.

أدخلت هذا الإيضاح في الكومبيوتر وهي تتكلم في الوقت نفسه: كلماتك أنت هي التي تُدخَلُ دائماً يا مستر صموئيل. أترغب بإضافة شيء آخر؟

– لا، اتركيها على حالها.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– عظيم. الآن يوجد نوعان من العجز الوظيفي: ذلك المرافق للسبب الموجود كدليل، وذلك الذي يبقى مستترا وراء ما يسمى العفوية – الزائفة. البند السابق يمكن أن يتيح للمراجع الاستفادة من تعويض العجز الوظيفي لكن ما يندرج تحت البند الثاني فلا. لكن كلا البندين يضطران المراجع إلى إعادة تقدير أهليته/ أهليتها الجسدية فيما يتعلق بتسجيله/ تسجيلها بوصفه / وصفها كامل / كاملة الأهلية – للعمل، عندما يثبت العجز.

مد يده إلى علبة التبغ في جيبه، لكنه توقف.

– الآن يا مستر صموئيل أرى أنك لا تسعى للتعويض.

– صحيح.

– م م م.

– ...

عادت الآن تتكلم وترقن على مفاتيح الكومبيوتر في آن معاً: كونك لا تسعى للتعويض فيما يتعلق بادعاء التقييد الجسدي يمكن أن يُعَدَّ من قبل بعضهم عدم اتساق، أتساءل إن كنت تعي ذلك.

– انظري أنا أقول إنني أصبت بالعجز الوظيفي بسبب التقييد الجسدي. لم يكن عفوياً. أقصد أنني لم أفقد بصري دونما سبب، بل بسبب ما، وأياً كان لا أعرف إلا أنه سبب ما. وهكذا يجب أن أسجل ذلك. أقصد هذا هو ما أفعله، أسجله هنا كما يفترض بي أن أفعل. أنا لست ضعيفاً، إن كنت أستحق التعويض فأنا أستحقه إذن؛ وإن كنت لا أستحقه فأنا لا أستحقه. تعرفين ما أقصد، هذا ما أقوله.

– نعم حسنٌ مركز البوليس مخوّل بتقييد الموقوفين لديه يا مستر صموئيل وبالتأكيد إن أصيب الموقوف بعجز وظيفي، وتبين أنه ناجم

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

عن التقييد الذي تعرض له، عندئذٍ يحق له أن يتقدم بطلب لقسم البوليس للحصول على تعويض عن العجز، وإن قُبل الطلب عندئذٍ يحصل على التعويض.

– نعم هذا كل ما أقوله يا آنسة كان تقييداً جسدياً، كانوا يقيدونني وانتهيت إلى العمى أقصد أنني أوافق على ما قلتيه ما قلتِه. مد يده إلى علبة التبغ لكنه توقف.

– على أية حال أود أن أوضح عدم الاتساق يا مستر صموئيل: من جهة قلت إن هذه هي القضية، ومن جهة أخرى بوسعي تخيّل بعضهم يقول، حسن إن كان صادقاً فلماذا لا يقوم بأي عمل؟

– ...

– لماذا لا يفعل شيئاً؟

– نعم لكنني أفعل، أنا هنا من أجل المساعدة.

– سيميلون إلى افتراض أن من أصيب بعجز وظيفي على يد آخر، وإذا كان ادعاؤه صحيحاً، سيتخذ إجراءً ضد المتسبب للحصول على التعويض.

تبسم سامي وهز رأسه. انظري يا آنسة أنا أقول إن البوليس لم يتقصد أن يفقدني بصري أقصد لو أنهم اقتلعوا عيني بأداة حادة عندئذٍ كنت سأطالب بتعويض؛ تعرفين ما أقصد، لكنهم لم يفعلوا ذلك. قيدوني جسدياً نعم، وانتهى ذلك إلى عجز وظيفي. إن كان مقصوداً، لو تقصّدوه، حسن ذلك يعني التعويض، كنت سأتقدم بدعوى مباشرة. لا شك في ذلك. تمام؟ لست صفيقاً، وأنا أقدّرُ عالياً ما تقولينه لي.

تابعت الرقن على الكومبيوتر لفترة.

أريد أن أترك الأمر على حاله، تمتم سامي ونظر إلى معصمه لكنه لا يلبس ساعة وحتى لو كان يلبس ساعة فلن يستطيع أن يراها. ذكري في التدخين يا رجل حتى إنهم لا يسمحون لك أن تدخن.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– يجب أن تفهم أيضاً يا مستر صموئيل إن كان العجز الوظيفي بسبب التقييد الجسدي كما تدعي وتم إثبات ذلك عندئذٍ يرتفع العامل الثانوي الذي يتعلق بتلك التقييدات، ويصبح هذا الثانوي رئيسياً. لماذا مورس عليك التقييد الجسدي...

– تريدين أن أحدثك عن التقييد الجسدي؟

كلا أنا لا أريد أن أعرف، يا مستر صموئيل، لكنني أريدك أن تفهم أن ذلك سيزيد الارتياب في مسألة الاتهام؛ يمكن أن ترى نفسك في وضع لا تحسد عليه إذ يصبح الأمر محط جدال، على أرضية احتمال أنك أنت الذي تسببت بالعجز الوظيفي، أي أنك كنت السبب الأساسي في عماك.

عرف سامي أن هذا ما كان ينتظره. لقد عرف ذلك. كان واضحاً كالجحيم. قرض الجلد حول أظفر إبهامه الأيسر.

– أتريد أن تضيف شيئاً؟

– نعم لقد كان الشيء نفسه. كتّف ذراعيه فوق صدره.

– مستر صموئيل؟

– نعم؟

– هل لديك ما تود إضافته؟

– أمال سامي جذعه إلى الأمام وقبض على ركبتيه. أقول إنني تعرضت لتقييد جسدي، تمام؟ والنتيجة أنني عميت، فقدت بصري، ذلك ما أقوله.

– ...

– ماذا هل يوجد خطأ فيما أقول؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ليست مسألة خطأ، نحن فقط نملأ استمارة طلب.

– أتعتقدين أنني يجب أن أطالب بتعويض؟

– عفوك يا مستر صموئيل، أنا لا أقول شيئاً من هذا القبيل.

– حسن ماذا إذن؟ أقصد طريقة كلامك. أنا لا أريد أن أكون مزعجاً. أقصد أن ذلك ما تقولينه أساساً، لا تنزعجي مني، فذلك ما تقولينه لي. يا مسيح يا قادر، أنا لست إيه أقصد – كفى، أقصد أنا الآن أعمى، أعرف أنه لم يكن خطأ البوليس، كانوا يقومون بواجبهم اللعين. كيف كانوا ليعرفوا ما سيحدث؟ لم يعرفوا، لم يعرفوا، لا ألومهم، ليس بتلك الطريقة، لم يكن الأمر مقصوداً أقصد أني أعترف بذلك، يا مسيح! هز سامي رأسه، بعدئذٍ انتبه لمفاتيح الكومبيوتر. هل تسجلين ذلك؟

– عفواً؟

– يا مسيح يا قادر. آسف... انظري يا آنسة لم أعرف أنك ستسجلين ما قلته، أقصد...

– أتود أن تسحب شيئاً؟ أتطلب أن أسحب أقوالاً ما؟

– حتى إنني لا أعرف ما قلت.

– حسن أترغب بإضافة شيء ما...

هتف سامي. فرك عينيه، فقد كانتا تحكّانه. ما كان ليفقد أعصابه. يجب ألا يفقد أعصابه لأنها كانت غلطته على أية حال، كالعادة اللعينة. وإن كان سيفقد أعصابه عندئذٍ سيفضح نفسه لأنه كان هو الغبي، هو فقط ولا أحد غيره. مد يده إلى علبة التبغ وأخرجها. قلبها، وراح يفتّلها بين أصابعه. أخذ نفساً قصيراً، وبعده آخر أطول. طريقة لتصفية الذهن. البطن، القفص الصدري. حالة

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

استرخاء، استرخاء. دعها تنتهي، دعها تنتهي. أصغى لمفاتيح الكومبيوتر. لا فائدة ترتجى منها. لذلك دعك منها.

تبسّم وهز رأسه

ربما لم أحبك

بقدر ما يجب أن أحبك

ربما لم ألتقيك

بقدر ما كان يمكن أن ألتقيك

تباً لهم، تباً لهم. تنهد وأسند ظهره على مسند الكرسي.

كان يجب أن ينام، ما كان يجب ولا يجب أن يستيقظ أيضاً. إلى الجحيم بهم جميعاً.

كانت تتكلم، ذكري فيها. ذكري فيك يا دجاجة. رفع سامي عصاه ونهض واقفاً. بْلا بْلا بْلا.

– مكتب الخدمات الطبية لقسم البوليس لديه إجراءاته الخاصة يا مستر صموئيل.

– حقاً؟

– ...

توقف سامي قليلاً وقال: أيمكن أن آخذ استمارة وأملأها بنفسي؟

– نعم تستطيع، لكن تعرف أنه توجد فترة زمنية اشتراطية في مثل هذه الدعاوي. أنت تؤكد أن العجز الوظيفي حدث الثلاثاء الماضي؟

– نعم الثلاثاء

إذن أمامك ثمانية أيام أخرى بما فيها يومي أحد. يجب أن أنبهك أيضاً أنك حتى لو ملأت استمارة جديدة فالاستمارة الحالية ستبقى في الملف كجزء من سجل القرائن.

– ألا يمكنك شطبها؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– كلا. لكن أستطيع سحب دعواك على أية حال.

– حسن يمكن ذلك أقصد أني أنا ألغيها أيضاً، ألغيها.

– ...

– إيه؟

– مستر صموئيل إن كنت تشعر أنك فقدت بصرك فمن صالحك أن تسجل ذلك من أجل وثيقة الأهلية الجسدية لعمل – كامل الأهلية الجسدية

– نعم.

– ماذا يحدث إن كلفتك جمعية خدمة العمل بعمل ما وفقاً لشروط العقد الساري المفعول؟ إن كنت أعمى فسيثبت عجزك عن القيام بالعمل. لذلك أنصحك بشدّة أن تسجل الآن.

– نعم لكن...

– إنه مجرد تسجيل حالة عجز وظيفي، وحالتك هي فقدان بصر؛ إن ثبت ذلك فالأهلية الجسدية فيما يتعلق بالعمل ستتغير وفقاً له.

– أفهم ما تقولين.

هذا يعني أنك أصبحت مناسباً لأنواع محددة من الأعمال. بعض الأعمال تلائم العميان وبعضها لا.

– صحيح

– أتعتقد إذن أنك ترغب بالتسجيل من جديد؟

– نعم.

– الآن يصبح الجدال طبياً بحتاً. ستطلب إدارتهم تقريراً.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– عظيم.

– وسيُطلب منك الذهاب شخصياً إلى مركز الخدمات الطبية لقسم البوليس، وأنصحك بذلك، إلا أن ذلك يتم بشكل رسمي ووفقاً لطلب رسمي من القسم. والسلطات الطبية في مركز البوليس تحدد تاريخ إصابتك بالعجز الوظيفي. ومن الواضح أنه إذا ثبت وقوعه خلال فترة احتجازك لديهم عندئذٍ يصبحون ملزمين بتقديم إيضاح وافٍ. هذا ما يحدث عادة في مثل هذه الدعاوي.

– نعم. هنف سامي. ترين يا آنسة أنني لست واثقاً متى فقدت بصري، ربما كان قبل، ربما حدث السبت الماضي، في الحقيقة أظنه حدث السبت الماضي.

– أظنك قلت الثلاثاء؟

– نعم لكن ربما كان السبت.

– هل انت واثق؟

– حسن، ليس تماماً.

– لكن ربما كان الثلاثاء؟

– نعم، لأن ذلك اليوم مغلق تماماً على ذاكرتي أقصد أنه أسود في الذاكرة، لذلك أعتقد أنه ربما حدث حينها، وهكذا يكون الأمر.

– وحدث ذلك قبل احتجازك في قسم البوليس؟

– نعم، نعم.

– وهل لديك تقرير من قبل طبيب معتمد؟ كانت ترقن على الكومبيوتر وهي تتكلم.

– ليس بعد، سأحجز موعدَ عيادة صباح الغد. آمل أن أرى الطبيب يوم الاثنين.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– حسن يجب أن تقدم للقسم نسخة عن التقرير الطبي في أقرب وقت.

– ذلك ما أنوي فعله.

– عظيم.

هتف سامي. وهل انتهى، هكذا، طلبي للحصول على تعويض العجز الوظيفي الآن؟

–حسنٌ، يؤسفني أنه لم ينتهِ، رغم أنه مسحوب.

–كيف تفسرين إذن بقاءه في الكومبيوتر؟

–إنه باق كدعوى مسحوبة.

–أفهم أنه من أجل إن غيرت رأيي...

–بخصوص ماذا يا مستر صموئيل.

– حسنٌ لا أعرف بعد، لكن إن فعلت أقصد إن غيرت رأيي ماذا سيحدث عندئذٍ؟

– هذا يتوقف على الشيء الذي تغيّر رأيك بشأنه. هذه الحالات خاصة.

– صحيح.

– هل في ذهنك شيء محدد؟

– في الحقيقة لا.

– أذكّرك ثانية بشرط الفترة الزمنية يا مستر صموئيل، إن ثبت وقوع عجزك الوظيفي يوم السبت لا الثلاثاء فالفترة المتبقية لك للاحتجاج تتناقص إلى خمسة أيام.

– تمام. شكراً لك. أتسمح بالتوقيع هنا؟ وضعت قلماً في يده ووضعتها فوق ما شعر به أنه آلة صغيرة، وأخذت بسبابته وإبهامه إلى بقعة في وسطها. وقع هنا، قالت له.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ملأت صدره رائحة عطرها. قال سامي: " ما أوقعه يمكن أن يكون أي شيء! ابتسم، وقال: إني أمزح "

–كلا أنت محق تماماً يا مستر صموئيل، كان يجب أن أوضح لك. هذا تنازل قانوني يبين أنك جئت إلى هنا وشرحت الوضع بأفضل ما يمكن وبإدراك كامل أن أية معلومة كاذبة يمكن أن تتسبب بسحب بعض الصلاحيات أو كلها من أية دائرة، أو من كل دوائر حكومة هذه المقاطعة، وأن أي عمل تتخذه دائرة في هذه المقاطعة لن يعيق عملاً آخر يمكن أن تعتمده أية دائرة أخرى في المقاطعة

وقّع سامي. بعدئذٍ سمع صوت شق أوراق ثم وضعت في يده ورقة، "نسختك"، قالت الموظفة، تؤكد أنك تقدمت بدعوى لإعادة التسجيل فيما يخص أهلية العمل.

وضعها في جيبه وتناول عصاه. لسبب ما قال لها وداعاً قبل أن يغادر. وعندما وصل الباب اعتقد أنه سمع وقع خطواتها وهي تبتعد. ربما ذهبت لتتغذى. تخيّلها تمشي عبر الغرفة. لقد عرف سامي هذا النوع من النساء. كاملة الأوصاف بشكل غريب؛ ولا يهم ما هو شكلها أو بنيتها، لكنها مثيرة جنسياً إلى أبعد حد. يلبسن أحياناً تلك البدلات الأنيقة، وتكشف بلوزاتهن عن الصدر، وهن جميلات جداً وأنت قصيٌّ عن التمتع بهن. حتى صوتها يحل مفاصلك من تحتك. تلقاهن بكثرة أينما ذهبت في هذا القطاع الوظيفي، وهن أفضل ما فيه–بل يجب أن أقول إنهن أسوأ ما فيه. من هي تلك الممثلة ذات الصوت الرخيم التي توجّه إليك نظرة لا تستطيع نسيانها، وأينما حلّت يخيم الصمت على الرجال من حولها؟ كانوا يعطونها أحياناً دوراً رئيسياً في أفلام بوليسية. حتى من دون بندقية أيضاً، نظرة واحدة يا رجل، وترى نفسك في مأزق. طبعاً أحياناً تكون امرأة من نوع مختلف كلياً.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تمام، حسن ها هو ذا سامي متخوزق الآن.

عندما كان سامي في السجن قابل شخصاً يقضي محكوميته، كان جندياً احتياطياً أو ما شابه، في القوات المحلية، انتهى به المطاف بأن أُرسل إلى مكان في الشرق الأوسط. وزرع هناك في الصحراء بحيث أصيب بمرض من نوع خطير. قال له سامي ذات مرة: كيف بحق الجحيم لم تهرب؟ صحراء يا رجل تعرف ما أقصد؟

– أين كنت سأذهب؟

– إلى أي مكان. استراليا. الصين.

– قال الرجل: أوخ أنت تحلم. هل تعرف أين يقع الشرق الأوسط؟

– الشرق الأوسط؟ الشرق الأوسط يقع في الشرق الأوسط. إنه بين الشرق الأدنى والشرق الأقصى.

– نعم لكن أين؟ أقصد تلك منطقة كبيرة يا سامي.

– بالضبط، منطقة كبيرة، ولهذا كان من الأفضل أن تهرب.

– آه، لا، أعرف ما تقصده لكن العكس هو الصحيح. كلما اتسعت المنطقة كلما سهلت قيادتك

الحب مثل جمرة تخمد

سنمشي ثانية يداً بيد

في ضوء الشفق سأتذكر

المشكلة كما ترى هي حالة سامي وطريقة تفكيره بالأشياء. من يعرف! ليست أمراً يمكن أن تشغل ذهنك به. من الصعب شرحها. ثم هذه أشياء تدنيك وتقصيك. أقصد إنها شيءٌ عظيمٌ بحق الجحيم،

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

صحيح أنت تفكر، جيد يا رجل، تمام، أقصد من سينوح عليها؟ لا نواح، المسألة محض عملية، واقعية، يجب أن تكون واقعياً، تقترب من الأشياء كمن يهبط على الأرض. أقصد أن سامي لم يكن نوّاحاً قط.

لكن يبقى الأمر مفاجئاً، وما يفاجئك هو أنه أمر عادي. إضافة إلى حياتك ذاتها إن رغبت التحدث عنها، أقصد أنها غامضة أيضاً. وفي كل مرة تغوص فيها قليلاً تستغرق وقتاً أطول لتصحو منها، لتعود إلى سابق عهدك. بالكاد تستمر أحياناً، فعيناك قد عُميتا، وأذناك! تعتقد أنك انتهيت لكنك لم تنته. الجنس عامل داعم، لأنه يعني أنك ما زلت حيّاً. تعرف ما أقصد، شئت أم أبيت يا رجل فأنت حي وما زلت موجوداً، تحيا. ربما استطاعت السرعة اللعينة أن تخرجك من المشكلة: تخرجك وتتابع حياتك، بحق الجحيم، حسنٌ حسنٌ، ها أنذا هنا، يا يسوع المسيح!

لأنك من دون فعل الجنس لن تعرف ذلك. هذه حقيقة. ذلك ما لاحظه سامي كثيراً. أنت لا شيء دون فعل الجنس. من يعرف يا رجل؟ أنت تخوزقت انتهيت، تسكر تدخن الحشيشة، مهما تفعل، تجلس أو تستلقي هناك أحياناً، تبقى قابعاً في القعر، توغل بعيداً جداً لكن لا شيء هناك سوى سواد حالك تتخلله بقعاً بقعٌ صغيرة مضيئة. وفي تلك البقع المضيئة بعضٌ منك يحاول الخروج وكأنك تحاول أن تعلق صنّارتك بالأشياء كي تنجو، لتحسّن وضعك. توجد طريقة أخرى لتعرف أنك تتحسن، وهي عندما تجد نفسك تدندن نغماً. تحدث سامي مرة مع شخص، لم تكن محادثة بل كان الشخص يتحدث وسامي يصغي. كان زائراً شاباً، ضابط تثقيف السجن. شخص نظيف لكن مع اعتبار أنه كان على حق. مهما يكن الأمر فقد كان يحكي لسامي عن التجارب الذهنية التي نمرُّ بها. وإن لم تمر بها فإليك الوصفة إذن، ذلك ما قاله على أية حال: يجب أن تهتم بالدين. إنه مثل هدير في رأسك.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

هدير هدير إيه. وكان ذلك الآخر الذي اعتاد أن يحاضر فيه، سافلاً ثرثاراً، أقصد هذا الضابط النتن.

آخ، ومن يبالي! من يهتم! من يبالي؟ كان سامي متعباً. نعم، مسموح لك أن تتعب، تستلقي في العتمة اللعينة مع ذلك الراديو الغبي، كل تلك الأصوات الغبية التي تجعلك تفكر بوجبة- مضاعفة- من توت سياج لعين تافه مع الكثير من زبده بقرية طازجة. وتبقى تفكر بذلك الشخص الذي تعرف أنه لم يعد موجوداً، كان يجب أن يُطلق سراحه بعد أن أمضى محكوميته، فاستعد لتلك اللحظة وراح يتنقل في المكان بابتسامة عريضة؛ كنت تراه ذاهلاً، يبتسم دونما سبب وعندما يراك تنظر إليه يربدّ وجهه مثل سفل المقلاة، إن تكلمت إليه حدثك بجدّية، يجب أن يبقى جدّياً- مثل الجحيم-يحاول ألا يظهر مقدار تفاؤله فتلك مخاطرة يا رجل. بحق الجحيم! كان قلقاً بشأن القدر. لكن يا للجحيم القحب، تلك كانت حالته. يا مسيح! من الصعب شرحها لأنك كيف تعرفها إن كنت لم تشعر قط بالألم كما شعر به ذلك الشخص؟ لم تعش ذلك الألم بعد؟ فهناك زوجة، عائلة صغيرة، أطفال وكل ذلك الخراء بانتظاره؛ لقد كان لندنياً. يا يسوع المسيح، بعدئذٍ جاء اليوم الكبير-في الواقع كان ذلك قبل يومين- فوجدوه مقتولاً خلف مغسل الثياب، وسط أنابيب غرفة المرجل. وجدوه هناك، وذلك ما يمكن أن يحصل لك، بكل الأشكال.

آه خراء. نعم، تتغلب على المشكلة لكن من يبالي يا رجل! أحمق قحب، كانت غلطته على أية حال، كان يعرف القوانين السافلة لكنه استفزهم يا رجل فكانت نهايته على أيديهم، نهاية القصة.

كان سامي جالساً هناك.

كان جالساً على الأريكة والراديو يصدح، يده تحت ذقنه وجذعه منحن إلى الأمام، لا يفكر بشيء سوى بهذه الذكريات الغبية التي تنبعث من الفراغ.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

سنمشي ثانية يداً بيد.

ماذا سيحدث له أيضاً؟ ذلك هو السؤال الحقيقي. ذلك هو السؤال الذي لم يكن يسأله، جديًا، لنفسه. لكن يبدو أن مادته الأساسية موجودة في رأسه، ولم تستطع أن تتبلور بعد. ربما هو الذي كان يمنعها. كان إبهامه يرفع ذقنه عالياً. هبط فكه السفلي فعاد ورفعه ثانية، اصطكت أسنانه بقوة. أحس بالجلد تحت الذقن رخواً جداً، مترهلاً، وهذا بسبب وهج المدفأة الذي يسفع وجهه. غيّر وضعيته. ظهره يؤلمه ثانية، تساءل كيف يبدو جسمه. هناك فكرة تشق طريقها في رأسه، أحب ذلك أم لا، كانت عن هيلين، إن لم تعد فقد تخوزق، وهو كذلك. لقد تخوزق وانتهى. كان منتهياً. انتهى كل شيء، مهما كان فقد انتهى كل شيء. وفي البدء عليه أن يغادر البيت. لأنه مسجل باسمها. وعليه أن يغادره، يصبح متسكعاً، ما لم يستفد من شيء بخصوص عماه إذ يمكن اعتبارك بين عداد المشردين إن فقدت بصرك. ربما يعطونك غرفة في مكان ما، في بناء خاص. ربما في ملجأ العميان. إن وُجِدَ ملجأ للعميان. لم يقل أحد إنه لا يوجد. ليس الأمر وكأن سامي شخص استثنائي قحب يا رجل؛ أقصد أنه لم يكن موسوماً لأي مجد قحبٍ. وهكذا لا بد من وجود مكان، نوع من مراكز الطوارئ حيث يمكن لكل العميان أن يحصلوا على ملجأ قحب يا رجل! تعرف ما أقصد، تفكر بالأمر، فأينما ذهبت في هذا البلد ترى هؤلاء الأشخاص يتلمسون طريقهم بالعصي. هكذا لا بد من وجود مكان.

لأنه تخوزق.

نعم، في الوضع الحالي للمنزل سامي على الخازوق. لو كان المسكن مشتركاً لكان وضعه جيداً، لكنه ليس كذلك. إنه باسم هيلين فقط. والحوالة لا تحتمل أي مصروف إضافي. وستدخل في مشاكل مع هؤلاء الأشباح الذين يحومون حولك محاولين كشفك.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

كما أن رفع دعوى جديدة على الرعاية الاجتماعية مخاطرة لعينة يا رجل. نعم مخاطرة لعينة؛ إنها عمل خطير. من الأفضل أن تبتعد عن طريقهم— لو تستطيع ذلك لكن المشكلة أن سامي لم يستطع، لم يكن لديه خيارات أخرى.

إلى الجحيم، يجب أن يرحل، يجب أن يرحل وسيرحل لكن ليس الآن؛ ليس لأنه كسول، كلا، بل لأنه يحتاج وقتاً لترتيب الأمور؛ وحين يفرغ من ذلك يستطيع التحرك بسرعة كأي شخص. في الواقع لقد تحرك بسرعة كبيرة أحياناً لمصلحته اللعينة وهذا ما أوصله إلى حالته هذه. حالته النموذجية اللعينة. لا عجب أنه لم يحب التحرك بسرعة يا رجل، وكما ترى فقد تخوزق عندما تحرك بسرعة.

أفسد الأمور يا رجل، لقد أفسدها تماماً.

إضافة إلى أن تلك الراديو تجننه.

أطفأها. تناول كاسيتاً، لكنه لم يضعه في المسجلة. نهض وحرك كتفيه. إنه بحاجة للرياضة. فتح مصراعي النافذة. مدته الريح والهواء بشعور طيب. كنت تشعر أحياناً وكأن رائحة البحر في منخريك، ربما ليست رائحة البحر لكنك لم تتأكد قط، جلاسكو قريبة جداً من شاطئ البحر.

ما لم تكن رائحة قدميه، يا رجل، لا بد أنهما كانتا كريهتي الرائحة. المشكلة في العمى هي أن الكثير من الأشياء التي تجري حولك لا تترك لك مجالاً للتفكير بغيرها. شَعرَ برغبةٍ بالمشروب خصوصاً أن لديه نقوداً وأجرة التاكسي إلى حانة جلانسي، لكنه لن يذهب. لا يقوى على مواجهة الناس؛ ليس بعد. إضافة إلى أنه سيضطر لإيضاح الأمر. لا يستطيع احتمال ذلك، لمجرد أنه لا يستطيع احتماله. فكر في أنه ربما يستطيع أن يعرف شيئاً عن يوم السبت لكن إلى الجحيم بيوم السبت، ماذا سيغيرّ في الأمر، لا يغير شيئاً، سواء عرف أم لم يعرف.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

علاوة على ذلك، هو أنك تدرك أن كل أولئك السفلة يحدقون فيك ويهزّون رؤوسهم. كل ذلك الهراء اللعين. هيلين..... تباً لها يا رجل.

عاوده ثانية ذلك الإحساس المثير للغثيان في أحشائه! أغمض عينيه بقوة، أوه يا يسوع. هناك شيء ما غلط يا رجل شيء ما غلط وقبيح يسكنه. شعر به ولم يستطع التخلص منه قط. إنه موجود، وكأنه يخنقه من الداخل إلى الخارج، يملأ رأسه اللعينة. كان أسوأ مما خمنه، وأسوأ بكثير. الأمور سيئة جداً، يا رجل، بل بالغة السوء.

رفع قدميه فوق الأريكة. استلقى متوسداً ذراعه، محاولاً أن يرتاح.

يبدو أنك سئمت الأمر كله، سئمت كل شيء، عندما انصفق ذلك الباب منغلقاً خلفك. أقصد عندما دخل السجن لأنه عندما خرج لم يستطع أن يحدد إن كان قد انصفق أم لا، لأنه لم يلاحظ ذلك، كل ما رآه حينها كان الطريق أمامه. لكن عندما خرج في المرة الثانية كان تعباً جداً حتى إنه لم يمش الطريق إلى آخره. كان منهكاً وظمآن، ظمآن لدرجة لا يريد أن يعرفها، أقول لك كان ظمآناً جداً، يا مسيح، لقد دخل أول حانة وبقي يشرب حتى تعتعه السكر وذلك لأنه كان منهكاً، ولم يستطع حتى أن يفكر في ما إذا جاء الجنود وقبضوا عليه وقالوا له أخطأنا ويجب أن تعود إلى السجن.

يا مسيح، يفاجئك أنك لم تتفاجأ، تعرف ما أقصد؟ وذلك يجعلك تبتسم.

بعد عشرين عاما زواجاً

لأول مرة لم نرتب السرير

والسبب هو أننا لا نتكلم

لا يوجد سوى القليل لم نقله بعد

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ذكري فيك.

قدماه بحاجة للنقع أيضاً إذ تبدو أصابعها وكأنها ملتصقة ببعضها البعض في هذه الخفافة اللعينة الضيّقة جداً، شعر وكأن ظفراً حاداً ينغرس في جانب إحداها وربما كان ينزف ذلك كل ما عرفه. إن قص الأظافر وما شابه من الأشياء الصغيرة، هي التي ستخوزقه. رغم ذلك يجب أن يحاول إنجازها. ماذا أيضاً؟

يحتاج لحمّام لعين، حمام حقيقي. يستلقي في البانيو لينقع جسمه. ليس بوسعك أن تخرّب كثيراً هناك، بالتأكيد.

تعرف لا ضير في أن تذهب لتناول كأس، إنها ليلة الجمعة. بحق المسيح، تعرف ما أقصد يا رجل، كان قادراً. كنت بارعاً في ذلك، تناول كأس لعين ليلة الجمعة.

آخ لقد تأخر الوقت. لو كان سيذهب لكان هناك الآن.

نهض وفتح علبة حساء، وضع قطعتي خبز في الشواية. الموسيقى تصدح. تمام:

الأشياء التي تستطيع فعلها والتي لا تستطيع، ذلك ما كان يفكر فيه. لا يمكنك كتابتها. حسن تستطيع كتابتها لكنك لا تستطيع أن تقرأها ثانية؛ يجب أن تحفظها غيباً.

ولا إمكانية قحبة لذلك يا رجل فذاكرته مثل غربال لعين. حسن يجب أن تتعلم. ذلك ما كان عليه القيام به، المحاولة والخطأ. يوجد الكثير من النُتَفِ والشذرات التي تستوجب الانتباه. العصا أيضاً، يجب أن يدهنها، تلك على رأس القائمة اللعينة. لديه ليتران ونصف من الدهان الأبيض في خزانة الردهة. لكنه بحاجة لشخص يجدهما له لأن الخزانة مليئة بأكوام علب أخرى ولن تستطيع التمييز بينها.

وضع كاسيتاً آخر وانتظر. يشبه سابقه، لم يستطع الاستماع إليه أيضاً. هيلين مغرمة بأغاني الحب الرومانسية. وكانت تنكر أنها أغانٍ رومانسية على الرغم من انها رومانسية.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يا يسوع المسيح، إنه بحاجة للتركيز. يجب أن يرتب الأمور، يصنّفها. فتح غطاء شوّاية الخبز وتلمسه، على وشك النضج. ودقيقتان أيضاً للحساء. ربما ذهبت تزور أطفالها. أو ربما مع ذلك الشاب زميلها في الحانة. لقد نسي سامي المرأة التي تصادقها هيلين، صديقتها. ربما ذهبت تمضي عندها ليلتين، لأنها قَرفَتْ منه يا رجل ومن يستطيع أن يلومها، لا أحد، كانت محقة، يَا رجل، محقة جداً. حياة الناس، ماذا يعرفون عن الحياة؟ لا شيء. حتى إنهم لا يستطيعون فعل الكثير. تعرف، غريب كيف التقيتَ تشارلي! ليس غريباً جداً، فقد قابلته في حانة قرب تقاطع جلاسكو وكان عائداً من اجتماع. تشارلي شاب طيب مع أنه لا زال يزرع القنابل. جميل أن تراه وقد خفف من غلوائه قليلا. في البدء لم تكن تستطيع التحدث معه. تغيير التكتيكات ذلك كل ما احتاجه الأمر. بعض الناس لا يتغيرون يا رجل يبقون على حالهم. وذلك ما لا يحبه السفلة. يريدونك أن تغيّرَ نفسك. لكن إن لم تفعل ذلك، إن تجرأت وهاجمت عندئذٍ، يا رجل، تراهم لا شيء. يجب أن تبدأ بالنظر إلى الجانب المضيء من القضية. مهما يكن: فأنت لن تخضع بخنوع — تلك دعوة للبقاء على أهبة الاستعداد وذلك هو جوهر الأمر.

وضع سامي الزبدة على الخبز المحمص. كان جائعاً. يجب أن يتسوّق، يشتري بعض المأكولات، مؤونة، قبل أن يفلس.

عندما عَميَ سامي كان في الثامنة والثلاثين

في الثامنة والثلاثين من عمره

ولم تشرق الشمس

كلا، لم تشرق الشمس القديمة

نعم، إنه يمشي الطريق عائداً من جديد

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الفتى المسكين

يمشي الطريق عائداً من جديد

كان يفعل ذلك أحياناً، يكتب أغاني، كانت تأتيه الكلمات أولاً ثم الموسيقى. لا، ذلك خطأ لعين، كانا يجيئانه معاً، نعم، معاً.

المميّز في سامي ليس أنه لم يحب التحدث في السياسة بل إنه لم يكن يريد أن يشعر بالإثم. لقد جعله تشارلي يشعر بالإثم. في الواقع لم ينجح في جعله يشعر بالإثم أبداً؛ لقد حاول ذلك لكنه أخفق. لذلك كان ممتعاً أن ترى تشارلي أكثر استرخاءً. كان بوسعك أن تتحدث في السياسة على سبيل التغيير. وكان لديهما أشياء جيّدة يتحدثان عنها.

عندما عمي سامي كان في الثامنة والثلاثين

في الثامنة والثلاثين من عمره

ولم تشرق الشمس

كلا، لم تشرق تلك الشمس

إلى الجحيم يا رجل أشعل الراديو، أخرج الكاسيت. تجننك الأصوات أحياناً، وتجننك الحياة غير المعقولة التي تعاش في كل مكان في هذا البلد المَسفِلِس، مثل قصة خرافية لعينة. لا تستطيع أن تصدق أذنيك لدى سماعكَ بعض الأشياء. تتابع عملك تتعشى وهلم جرا، تغسل الصحون، وتصغي إلى هذه الأصوات. وتفكر يا يسوع يا قادر... ما هذا الخراء الذي يجري هنا. لا يستطيع سامي أن يرى ما يجري. لا يستطيع رؤية الأشياء، يا رجل. تعرف ما أقصد، ومازال عليه أن يصغي إليها، إلى هؤلاء الحمقى السفلة. وأنت تزداد غضباً لدرجة تشعر معها برغبة في أن تلكم بقبضتك نافذة المطبخ اللعينة

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

وبقليل من الحظ ستقطع وريدك الرئيسي، ذلك الوريد الكبير الموجود في معصمك اللعين، نعم، الوريد الكبير.

ماذا يعني، ماذا يعني

استيقظ، مازال الراديو يصدح لمست يده إفريز المدفأة، كان نائماً على الأرض بين المدفأة والأريكة. كان متعرقاً ورقبته متيبسة. إنها غلطته. لقد تمدد على السجادة. سمع خربشة، ربما شخص يعمل في الشقة المجاورة، أو ربما فئران، بحق الجحيم، نهض على مرفقيه، لا يحب أن تتراكض تلك المخلوقات اللعينة الصغيرة فوق وجهه. ربما كانت جرذان، فالبناية تغص بها. ذات مرة كان هو وهيلين عائدين إلى البيت وكانا ينتظران المصعد، وعندما انفتح بابه خرج منه جرذ. كيف تقبّل الأمر! أقول لك الحق يا رجل، لقد خرج الجرذ يتبختر بوقاحة ولو كانت تمطر ربما كنت رأيته يحمل مظلته.

صعد إلى الأريكة وفتش عن التبغ. شخص ما يتكلم في الراديو، مستمع يجيب على أسئلة الطرف الآخر من الهاتف. كم هي الساعة الآن؟ فئران أم جرذان، لتقترب منه وسوف يأكلها دون أن يسلخها، سيقضم رؤوسها. لن تقترب منه، فالحيوانات ليست غبية، تعرف مصلحتها. مثل تلك الكلاب الغاضبة التي تراها تحاول أن ترعبك بنظراتها. بعدئذٍ بعدما تنتظرك طويلاً وترى أنك لم تعبأ بها، إنها تشعر بذلك، تتركك وتذهب بعيداً. وكذلك القطط، إلا أن القطط تذهب في المحاولة أبعد من ذلك فهي تنخر عليك أولاً. هي تعرف أنك لا تعبأ بها. ولهذا تتركك وتذهب بعيداً. المميّز في الحيوانات، أنها دائماً تلعب لعبة نسبة الأرباح. ربما لا تلعبها. ربما الأمر مجرد هراء. مجرّد أساليب مختلفة تخادع بها نفسك.

نهض سامي واقفاً وذهب ليضع آخر كوب شاي قبل النوم.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

الصحة والخدمة الاجتماعية تفتح من التاسعة والنصف حتى الحادية عشرة من صباح السبت ولا يوجد أي طبيب في عياداتهما، لا ترى سوى موظفي الاستقبال وطلاب الطب. ذهب سامي مبكراً لتكون فرصته أكبر في الحصول على موعد معاينة ليوم الاثنين. أي باص يستقله عن الطريق الرئيسي يوصله هناك. وراح يلتمس طريقه بعصاه انطلاقاً من زاوية الشارع. كانت في المدخل الثاني. وعندما اقترب أكثر راح يطبطب بيده على حائط المبنى حتى وصل المدخل. طابور من الناس أمام الباب، راح ونظارته على عينيه يلتمس طريقه إلى الأمام ببطء على أمل إن أصاب شخصاً ما فلن تكون الضربة موجعة. رفست قدمه تنكة فارغة. خاطبته امرأة. بدا أنها عجوز. أنت أعمى يا بني؟

– نعم.

– تريد الطبيب؟

– نعم، لحجز موعد.

– تعال. أخذته بيده إلى المكان الصحيح. سيفتحون خلال دقيقة.

اتكأ سامي على الحائط، رفع العصا وحجزها بين ساقيه، أخرج التبغ ولفّ سيجارة. دخل وراءه أناس آخرون. بدأ رجل يتكلم. جاء صوته من مقدمة الطابور. تدرك فوراً أنه أراد أن يسمعه الجميع. كان يهذر بأشياء تافهة، الجحيم يعرف ما هي. يَستَفِزُّكَ سماع هذا السافل. بعدئذٍ تدخلت امرأة لتؤيده. شيء فظيع. كحّ سامي مرتين واستقرت كتلة بلغم بين أسنانه. وبعد أن أوشك أن يبصقها غيّر رأيه فعاد وبلعها. شعر بضغط خفيف على زنده الأيمن، شخص ما في الطابور يتكئ عليه من الخلف، كتفه تضغط على زند سامي. وتتساءل إن كان الشخص مدركاً ما يفعل أم أن ذلك كان عفويّاً؟ لا يمكن أن تكون امرأة، ذلك واضح.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

بعدئذٍ توقف الضغط. ألديك ولاعة يا صاحبي؟

انتظر سامي. فقد بدا وكأن الشخص يتحدث إليه لكنك لا تستطيع أن تجزم. سمع تمتمة خفيفة وقهقهة شخص ما. انطفأت سيجارته، تركها تسقط أرضاً وفرك بحذائه حيث ظن أنها سقطت، يتصرف وكأن كل شيء على ما يرام. زادت التمتمة. وسيكون أفضل لو أنهم جميعاً عرّفوا بأنفسهم بدلاً من هذا الهراء.

مذهل كيف كنت تشعر أنك محط أنظار مَنْ حولك: طقطق سامي كتفيه بشكل عفوي، وعرف أنه فعل ذلك لأنه شعر أنه على وشك أن يتلقى خبطة في ظهره. حاول أن يسترخي. كان ذلك مؤلماً جداً أيضاً، لا تستغرب من كونك مُتعباً طوال الوقت. لا أقول إنه كان سيتلقى خبطة مقصودة، لكن هذا ما خطر له، يا رجل، خطرت له هذه الفكرة اللعينة — لم يكن شعوراً جيداً.

عندما انفتح الباب أخذته المرأة العجوز من معصمه. أوشك أن يطلب منها أن يمسك هو بمعصمها لكنه لم يشأ أن يزعجها، واكتفى بأن قال لها: " شكراً سيدتي".

قادته عبر بابين، ثم إلى مقعد. خلع نظاراته، فرك عينيه. لمس خلف أذنيه حيث تأذتا، لديه كتلتان هناك، طالما كانتا موجودتين حتى عندما كان صغيراً، ربما كانتا طبيعيتين، لكن يبدو أن ساعدي النظارة يستقران عليهما وذلك يضغط على أعصابك. هذا ما لم تكن المرأة في الصيدلية قد باعته نظارة صغيرة جداً، ما لم تكن قد اختارت له القياس غير المناسب لوجهه. فالناس لا يهتمون دائماً. ولم تكن الكرسي مريحة، أيضاً. مضت أشهر عدة على آخر مرة كان هنا وما لم تكن الأشياء قد تغيرت فكل الكراسي في غرفة الانتظار مختلفة عن بعضها، من كل الأشكال والأحجام. أحياناً تجلس على واحدة جيدة لكن غالباً لا تكون جيدة وتستغرب أنها لم تنهر تحت ثقلك. ويوجد مقعدان كبيران من ذلك النوع المجنون المشغول بجهد كبير ولهما

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

مسندان لليدين؛ كانت الأخريات مجرد كراسي مطبخ وقد وضعت ملاصقة لبعضها البعض لدرجة أنه لا مسافة تفصل بين كرسيك وكرسي جارك، وركبتاك ترتطمان بركبتيه. كان ذلك أشبه بوجودك في ممر مزدحم، حيث تنتفي كل الشكليّات، حتى الفتيات الجميلات كن يُخفقن في الحفاظ عليها ويتركن أفخاذهن تلامس فخذيك.

آخ كان جميلاً أن تجلس على مقعد لكن مَنْ يخدع مَنْ. كان عليك التنازل عن كلِ التصرفات الروتينية اليومية، ويمكن أن تُحلّ جميعها لو كنت صبوراً. وسامي بطبيعته ليس صبوراً لكنه قد يكون عملياً، وكان معتاداً على تحمّل الأشياء المزعجة التي كانت تَنْزُلُ به، وإلا لكان الآن ميتاً. وهكذا ركوب الباص وما شابه، كان مجرد تبطل لعين. نزول الطريق ماشياً؟ هوّن عليك، تابع إلى الأمام. لا ضير فيّ ذلك، سامي الشجاع، كم هي المسافة! تمشيها ولا تهتم.

إلى النهاية

مرة أخرى.

هز سامي رأسه قليلاً مبتسماً. بعد ذلك لمست تلك المرأة ذراعه: دورك الآن يا بني، قالت، وأخذته إلى الطاولة.

– شكراً سيدتي

نعم؟ تلك كانت موظفة الاستقبال. لصوتها نبرة الطبقة الوسطى الناقوسية المضجرة التي تسمعها أينما اتجهت في جلاسكو ولها تلك الأصوات الكبيرة الطويلة. إيه أريد موعداً، قال سامي، صباح الاثنين!

–موعد لصباح الاثنين!

هكذا جرى الحديث بينهما؛ شيء فظيع.

–نعم. يجب أن أقابل الطبيب، إيه لقد عميت الأسبوع الماضي ويجب أن أحصل على تقرير منه للرعاية الاجتماعية. فقد طلبوا مني المجيء إلى هنا هذا الصباح للتأكيد، لأن الأمر مهم.

– انتظر لحظة لو سمحت، ما اسمك؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– إيه صموئيل

– الحرف الأول؟

– س.

– وأنت مسجّل لدينا؟

– نعم

– منذ متى؟

– إيه

– منذ أكثر من عام أم أقل؟

– أقل.

– أوه. ولم يستطع الموظف الطبي أن يعطيك هذا التقرير؟

– كلا.

– متأكد.

– يجب أن أخضع لفحص أولاً.

– فحص! من قبل الطبيب؟

– إيه نعم، نعم.

– ممم. وأرسلوك في الرعاية الاجتماعية إلينا؟

– نعم

– حسن أتستطيع أن تخبرني مما تشتكي؟

– إيه من العمى.

– منذ الأسبوع الماضي؟

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– تماماً، نعم.

– لم يفحصك طبيب؟

– لا، ليس بعد ولهذا جئت إلى هنا.

– وتريد مقابلة الطبيب صباح الاثنين؟

– نعم.

– من أجل الفحص؟

– نعم.

– ألا ترى أنها مهلة قصيرة جدا؟

– نعم، آسف.

– لأنه، كما ترى لست واثقة أننا قادرون على مساعدتك بهذه السرعة، آسفة جداً، لكن فقط الحالات الطارئة تكون خلال فترة ثلاثة أيام.

– لذلك حضرت شخصياً ولم أحجز هاتفياً. لم أستطع الذهاب إلى الرعاية الاجتماعية إلا عصر الأمس، وقالوا إنه ضروري جداً أن أحصل على التقرير بسرعة.

– هل قالوا ذلك؟

– قالوا إني يجب أن أحصل عليه دونما إبطاء.

– دونما إبطاء؟ أتساءل ماذا يقصدون بذلك؟

– ذلك لأن إدارة البوليس معنية بالأمر.

– إدارة البوليس؟

– إنها مشكلة بينهما. إن كان هناك أية مشكلة تلفني لهما.

– أتلفن لهما؟ أتلفن لمن؟

kutub-pdf.net

– للبوليس على ما أعتقد.

– تنهدت. يجب أن أتأكد من دفتر الحجز. تقول إنه موعد فحص سريري؟

– نعم أقصد لذلك أريد طبيباً حقيقياً... هز سامي كتفيه.

– مم

نعم، تباً لكِ، أيضاً. سمعها سامي تقلب الأوراق. كان يكره أولئك الناس، كلا لم يكرههم؛ كان فقط يراهم أغبياء. خلع نظارته وفرك وراء أذنيه، خصوصاً الأذن اليمنى التي كانت تؤلمه، رغم أن اليسرى هي التي كانت تطن؛ لكن هذا ما يحدث!

– الحادية عشرة إلا ربعاً.

– صباح الاثنين؟

– أليس هذا ما أردت.

– نعم، نعم، هذا عظيم نعم. وقف سامي قليلاً وبعدئذٍ استدار ليغادر.

– خذ بطاقة المقابلة.

– أين هي.

وضعت البطاقة في يده.

خارجاً في المدخل لف سيجارة. لقد حسم أمره: سيذهب لتناول كأس من البيرة. يجب أن تحتفل بهذه الانتصارات الصغيرة. وإلا نسيت أنك حققتها. هيا يا رجل وقت غذاء السبت، ليس ضرورياً أن تكون سكيراً لعيناً كي تتناول زجاجتي بيرة. كان كل جسمه يحكه. ماذا إذن؟ يا مسيح، ليست مشكلة ألا تستطيع تناول كأس وقت غذاء السبت وستكون أيضاً مهزوماً شرّ هزيمة. حياة سافلة تلك التيّ أتحدث عنها.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

لكنه لم يكن ذاهبا إلى حانة جلانسي يا رجل بل إلى البوكل، الحانة العامة اللعينة، ذاهب إلى البوكل حيث أولاد صغار يدعون الرجولة الصلبة. لكن ماذا بعد، لم يكن في مزاج للتسكع.

بصدق إنه يعاني ظمأً لعيناً أيضاً. نعم مثلما تقوم بعملك الوظيفي على أكمل وجه، تنهيه. وتكون منهكاً عادة. مثل البارحة عندما خرج من مركز الرعاية الاجتماعية، كانت به رغبة لدخول أول مشرب. لكنه لم يفعل. تجاوزه وهو يكزّ على أسنانه ويستجرّ الهواء إلى رئتيه. تعرف لم يكن تجنبها صعباً؛ كانت الحانة عبر الشارع مقابل مدخل البناء ولن تعرف أبداً مع من تتكلم، كل أولئك الأشباح السفلة يتناولون مشروباتهم بذلك الروتين الأصيل. تخيل أن تسكر هناك وتبدأ تثرثر ستنتهي إلى أن تُرمى خارجاً يا رجل، ولا مزيد من الحوالات لك يا سافل.

أسبوع دون مشروب لكن لا يسعك التذمّر من ذلك. إضافة إلى حقيقة أن أيام السبت تحديداً كانت مختلفة، أقصد أنها كانت تقليداً، حتى هنالك في إنكلترا يفعلون الشيء نفسه. كأسان من المشروب مع برنامج الرياضة، السباق، المقابلات قبل مباراة كرة القدم، البيلياردو، والتنس أيضاً.

بعدئذٍ في طريق عودته إلى المنزل سيشتري بعض المؤن من الميني ماركت.

تمام.

استطاع سامي أن يشعر بالشمس عندما صعد الطريق ماشياً. وقت لطيف من السنة، الربيع، خصوصاً فصل الربيع المتأخر، حيث لا تكون تجارة البناء سيئة عندئذٍ. لو تركك السفلة بشأنك! لكن ذلك ما فعلوه تحديداً. لو لم يكن رئيس ورشتك معتوهاً لتركوك تتابع عملك.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

لقد أحب سامي عمله، عمله القديم في البناء. توقف ليلف سيجارة لكنها فكرة سيئة مع وجود كل هذا الهواء هنا.

التسكع، هو أحد الأشياء التي سيخسرها بسبب عماه. كيف بحق الجحيم تستطيع التسكع؟ لأنك لن تخرج ما لم تكن قاصداً مكاناً محدداً. إضافة إلى أنه لا فائدة من تسكعك ما دمت لا ترى شيئاً على الإطلاق؛ وكان سامي يحب النظر حوله، الفرجة على الموظفات والبائعات الجميلات، تلك الفتيات اللاتي يعملن كموديلات حيّة؛ جميلات جداً يا رجل. لا أكذب عليك، يا يسوع يا قادر، تفرّج عليهن عندما يبدأ الصيف! المنظر نفسه كل سنة، ترى نفسك محاطاً بكل تلك الأجساد، أينما نظرت ترى سيقاناً طويلة وحلمات أثداء. ماذا تسميه؟ الألم الجميل؟ ألم جميل. ألا يوجد فيلم بهذا العنوان؟ يجب أن يُصنع فيلم كهذا إن لم يكن هناك واحد.

وصل إلى قمة الطريق وراح الآن يتلمس دربه بين الأبنية المجاورة للبناء الذي يقطنه وصفّ الدكاكين القصير داخل الساحة. يجب أن يتبول. وهذا سبب إضافي للذهاب إلى الحانة. عدا عن صعوبة الوصول إلى هناك. ستكون الحانة مزدحمة وعلى ما يذكر فالتواليت هناك في الأسفل على الجانب الأيسر. ربما لا. لكنه سيجده، لا ضير في ذلك. من هو الشخص الأعمى في التاريخ؟ هناك ملايين العميان في التاريخ، أيها الأحمق. نعم لكن أحدهم استثنائي. ألم يكن ذلك ضابط في جيش أو ما شابه؟ تذكر سامي أنه قرأ عنه في رواية. ربما رواية فرنسية، أو روسية. كان يركب ذاك الحصان الأبيض الكبير ويقود قواته. حسن لم يكن يقود قواته، بل يجلس هناك مثل حصان رئيس مجنون مرسلاً قواته لأسر الكولونيل كوستر— لا غرابة أنهم سلخوا جلدة رأس ذلك الكولونيل رغم غزارة شعره الأشقر.

شخص ما يتكلم بعدئذٍ توقف الكلام. بدا له أنهما اثنان أو ثلاثة يمشون خلفه. تمهل حتى تجاوزوه. بدأ الكلام ثانية بعدما تجاوزوه، وضحك أحدهم. لا غرابة إن انتهى بك الأمر إلى جنون الاضطهاد!

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

لا، لكنك تسمع أشخاصاً يضحكون ولا تعرف ما يُضحكهم. ما تعرفه، كل ما تعرفه هو أنك تلبس نظارة شمسية قحبة وتحمل عصا قحبة، وهذه الرائحة المقرفة الفواحة من خفافة الرياضة القحبة التافهة العتيقة التي في قدميك وهي أصغر بعشر نمر من مقاس قدميك!

ارتطم بحائط على يساره، تلمسه قليلاً وتوقف، أي حائطٍ لعين هذا؟ في أي جهنم هو؟ لقد صعد الدرج بعد أن عبر الساحة، منذُ خمس دقائق. بحق المسيح لا يبدو أنه يصل أي مكان، ربما كان يدور في حلقة مفرغة. بحق الجحيم، لا يمكنك حتى أن تمشي، تعرف ما أقصد، لا تستطيع حتى أن تمشي.

تمام، تمام، تمام! استرخ، استرخ. كان رسغه القحب يؤلمه أيضاً. ذلك لأن العصا مزعجة دون مسكة.

وهكذا، ما الذي سيفعله الآن؟ سيمشي. ذلك ما سيفعله. إلى أين؟ يا يسوع المسيح، حياة مذهلة.

لا بأس. لا يمكن أن تكون الحانة بعيدة جداً عن مكان وجوده لأنه صعد الدرج ولم يصادف شيئاً غير عادي – لكنك لم تنتبه للحائط. لا شيء في ذلك غير طبيعي. وهكذا لا بد أنه كان في المسار الصحيح.

إلى الجحيم بالحانة يا رجل فهو لم يكن ذاهباً إلى الحانة، بل إلى البيت. وهو كذلك. إلى الجحيم بالحانة. سيمر على الميني ماركت لشراء بعض التبغ، ورغيف خبز وكأس حليب، وعلبتي معلبات. لا شيء مُغرياً. وبعدئذٍ إلى المصعد، فالبيت.

غريبة الطريقة التي تتصرف بها. الأفضل لك ألا تفكر فيها.

استدار إلى الوراء. حسناً فعل عندما نقل العصا إلى يده اليسرى ليريح معصمه الأيمن. لم يكن الأمر أفضل مع اليسرى أيضاً، فأعادها

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

بعد خطوات عدة إلى اليمنى. إضافة إلى حقيقة أنه في اليد اليمنى سيستطيع التواصل مع الحيطان بشكل أفضل. نبح بجواره كلب. تصور لو ولدت أعمى، لما عرفت ما هو الكلب اللعين. كل ما كنت ستسمعه هو صخب النباح هذا يا رجل والذي سيكون مرعباً، مريعاً، ربما كنت ستظنه صوت سافل مجنون! لكن سامي، على الأقل، يعرف ماهية الأشياء، ماهية الأشّياء. كابُوس! لا لم يكن مجرد كابوس ويمر.

لم يكن شيئاً جيداً، يا مسيح يا قادر، كان مجرد–

يجب أن تكون حذراً؛ ذلك كل شيء. أكثر حذراً من السفلة الآخرين. لا شيء خاصاً في ذلك فأي شخص بأي عجز وظيفي سيكونون جميعاً متشابهين. حتى لو كنت قد فقدت ساقيك فقط، سيبقى عليك أن تكون أكثر حذراً، لا خطأ في ذلك. تيقظ، وهوّن عليك، فأنت لم تهلع، كان الأمر أسهل من أن يجعلك تهلع، استطعت أن تشعر به يزحف إليك وكان عليك فقط أن تحترس منه، بحيث إن لم تقع، تكون قد انتبهت لنفسك– كنت حريصاً. وصل إلى مكان خال، تلمس بعصاه، وصل حائطاً وراح يتلمسه بيده، كانت زاوية، دارٌ حولها وبقي الحائط تحت يده حيث يفترض أن تكون واجهة، واجهة الصيدلية. آه حسن لقد توقع شيئاً كهذا، أقصد لقد عرف أنه سار في الطريق الخطأ. تمام، لا بأس يا رجل. لم يكن الحائط حجرياً كان نوعاً من المعدن وكان فارغاً، عرف ذلك عندما طرقه بيده. محرك سيارة يعنّ. هذا ما لم يكن زقاقاً مغلقاً. إن كان قد سار في الاتجاه الخطأ من بداية الشارع؛ وهو كذلك على الأرجح، سار بشكل زاوي وتخبط في فجوة.

وهكذا وجد نفسه عند مؤخرة بناية مقابل بنايته. لكن في أي جانب؟ يا مسيح حتى إنه لم يكن متأكداً من أنها تلك البناية! لكن كيف عرفت؟ لم تعرف، خمنت فقط. حسن، إنها بناية أو أخرى،

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

توجد بنايتان فقط، وثالثة لكنها على بعد ربع ميل ولا يمكن أن يكون قد سار ذلك القدر. مازال محرك السيارة يعنّ. تلمس بعصاه الطريق أمامه باتجاه صوت المحرك. وعندما اقترب منه صاح: مرحباً أنت هناك! مرحباً أنت هناك!

صاح شخص: نعم ماذا هناك؟

توقف عنين المحرك، لكن سامي بقي يتحدث بصوت عال: "إيه... لا أستطيع أن أرى... أنا أعمى، لقد أضعت اتجاهي.. أضعت اتجاهي."

– ...

– هل ترشدني إلى صف الدكاكين؟

– لا تقلق يا صاحبي لا تقلق.

سمعه سامي يبعد أدوات وبعدئذٍ يصيح: أنت ابق هنا... وبعدئذٍ كان بجانب سامي: تمام؟

– تمام... أمسك بمعصم سامي وانطلقا، يمشيان ببطء. يوم لطيف إيه؟

– نعم ليس سيئاً، قال سامي، مادام المطر منحبساً، كنت ذاهباً لتناول كأس لكنني مشيت في الاتجاه الخطأ.

– ماذا أتريد أن تذهب إلى الحانة؟

– لا لا ليس الآن، لقد غيرت رأيي: سأكون ممتناً لو توصلني إلى صف الدكاكين.

– سأوصلك إلى الحانة لو أردت أقصد أن لا مشكلة في ذلك.

– لا لا، قررت ألا أذهب.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– ربما هذا أفضل أيضا، قال الفتى، إلى الجحيم بالمشروب إيه!

– نعم أنت لا تمزح. هيه هل تمانع أن أمسك أنا بمعصمك بدلاً من أن تمسك أنت بمعصمي؟

– لا على الإطلاق، هيا.

– شكراً، لأنني أجد هذه الطريقة أسهل.

– لا تقلق يا صاحبي لا تقلق. أنا أحاول أن أصلح سيارتي العتيقة.

– آه، تمام، نعم.

– لا أخفيك أنها كومة خردة لعينة! ماركة فارغو ويلز. ستتزوج ابنتي بعد أسبوعين، في ليفربول. سأذهب مع زوجتي لحضور الزفاف. ولا أخفيك أن إصلاحها وجعة رأس لعينة، أقصد أن تسافر بها كل تلك المسافة! جريمة، وكراجات التصليح أيضاً، تغص بالعمل. الأفضل أن تركب الباص، وهو أرخص في النهاية، أيضاً. وضيوف الزفاف وكل العائلة والجيران وهلم جرا يملؤون البيت وهكذا تضطر أن تحشرهم جميعاً فيها. أنت متزوج؟

نعم، قال سامي: لم يستطع أن يزعج نفسه بقول لا.

تابع الفتى ثرثرته، سائراً به إلى باب الميني ماركت. إن لم يفتح له الباب فربما يتابع سامي سيره إلى البناية. بدلاً من التسوق. فمن المفترض أن تفعل ذلك بنفسك. خدمة – ذاتية لكنه كان مثل فتى الأمس جيداً وخدوماً وطلب من شخص ما أن يحضر له الخبز والحليب.

وهكذا وصل إلى نهاية الرحلة ودخل البناية، دافعاً الباب الزجاجي. كان مقفلاً وبعدئذٍ بدا أنه انفتح ثانية وكأن شخصاً ما قد

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أمسكه ودخل خلفه. مشى إلى المصعد ضغط الزر وكان يفكر بأفكار غبية. أصاخ السمع ولم يسمع شيئاً لا غرابة في ذلك لأن لا شيء هناك ليسمعه. سيكون الدخول إلى البيت جيداً. سيذهب إلى السرير مباشرة. سيأخذ الراديو معه ليسمع مباراة كرة القدم. وكل ما شعر بحاجته الآن هو الاختفاء عن النظر، بعيداً عن الخطر. يبدو أنك بدأت تُذعَرُ حتى من الأشياء الصغيرة وكأن التناسق قد تشوّش، وبدأت تسمع الأشياء لأنك لا تستطيع الرؤية. ثم بدأت مخيلتك اللعينة تعمل.

كان بردان أيضاً وذلك أمر غريب، كيف بحق الجحيم؟ كان بردانا، يجب أن تتدفأ، يا مسيح يا قادر، إنه بحاجة لأن يشعر بالأمان أو ما شابه، ربما يعاني من نزلة برد، ربما هذه هي المشكلة. وهذه تفسر حالته الآن لأنه لم يكن عادة يتوتر هكذا كالجحيم. وذلك المصعد أيضاً أين هو بحق المسيح! أحياناً يستغرق سنوات ليصل. أولاد سفلة يلعبون الاستغماية. ومدمنو مخدرات سفلة يحقنون أنفسهم ويبقون الأبواب موصدة بإحكام. المصعد قادم. خلع نظارته ووضعها في جيبه، خطا جانباً وخبأ العصا بقدر ما يستطيع. خرج من المصعد شخصان. تمام ضغط الزر. تحرك المصعد. ذلك ما تفعله المصاعد، تتحرك. المصاعد اللعينة تصعد أو تهبط حسب الزر الذي تضغطه، كما قال القس للمثلة. قال القس للمثلة! تتساءل يا رجل إن كان هناك قسٌ!

يا مسيح بدا بذلك مثل والده، نوع من العبارات التي اعتاد والده قولها!

إنه متوتّر، لماذا كان متوتّراً هكذا؟ أردت أن تصرخ، يا يسوع المسيح، أنا متوتّر. يجب أن تصعد، يجب أن تصعد، اصعد. توقف المصعد، انفتحت الأبواب، وعلى طول الممر تلمس بحثاً عن لوحة الاسم على الباب. شكراً للجحيم، وضع المفتاح في القفل وأداره، انفتح الباب. دفعه وولج إلى الداخل، أغلقه وصاح هيلين: هل أنت هنا؟ هيلين!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

لا جواب

هيلين...! همسها عالياً هذه المرة: هيلين! أنت هنا؟

- ...

حسن، حسن، خلع جاكيته وعلقها على المشجب، خطر له أنه يمكن أن يكون في البيت أناس. كيف ستعرف، لن تعرف، يجب أن تفتش مصيخاً السمع للأصوات، والأنفاس وكل ذلك. وضع الخبز والحليب على طاولة المطبخ وذهب إلى المرحاض. لم تكن المرة الأولى التي ينسى فيها أن يطق قفل الباب طقتين، ولن تكون الأخيرة. أقصد بحق المسيح لقد نسي ذات مرة أن يغلق ذلك الشيء اللعين، الباب القحب، أقصد نسي أن يغلقه فعلاً. تركه مفتوحاً كما لو أن هيلين لم تذهب إلى عملها، شيء فظيعٌ.

على أية حال، أنت تضخم الأشياء، وتعمل من الحبة قبة. معتوه. هكذا انتهيت. يجب أن تنتبه إلى نفسك. رأيت ذلك في السجن. أشخاص كثر مصابون بجنون الاضطهاد.

تثقل عليك المشاكل. تشعر برغبة في إزاحتها من طريقك، إنزالها عن كتفك. مثل ذلك الإحساس الذي ينتابك عندما تقف على حافة جرف وتنظر إلى البحر والريح تهب وسفينة تمخر الأفق وتشعر كأنك منهارٌ كليّة في الخلاء وهذا، يا مسيح يا قادر، نقيض الحصار، نقيضه تماماً.

كان سامي يشعر بنقيض النقيض، بكلمة أخرى كان محاصراً يا رجل. تعرف ما أقصد، محاصراً، وستزداد حالته سوءاً قبل أن تتحسن، ذلك مؤكد، ستزداد سوءاً. كان يجب أن يتصرف على نحو أفضل، في الواقع كان يجب أن يتصرف على نحو أفضل. ويجب أن تتغيّر خطته كلها. خطته الأساسية كلها. كل شيء. يجب أن يغيّر. كل شيء، كل هذه الأشياء المختلفة يجب أن تنجز وهو المرشح

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

لإنجازها. لا أحد غيره. وإن لم ينجزها فلن تُنجز. لن تُنجز ما لم ينجزها هو. الأمر بهذه البساطة. لقد تغيّرت حياته. يجب أن تتقبل ذلك. ويبدو أنه لم يكن يتقبله. بدا يتصرف وكأنه ليس أعمى. كأنه لم يفكر بنفسه كرجل أعمى لكنه كان يصطدم بكل هذه العقبات والأشياء اللعينة، مازال يتعثر بها. لقد تغيرت حياته، تغيرت؛ والأفضل له أن يتقبل ذلك بسرعة. لكنه أراد لحياته أن تتغير على أية حال أقصد أنها كانت حياة تافهة.

آخ كان ذاهباً إلى الفراش. إنه جائع لكن لا يهم، فالأكل الذي لن يأكله الآن سيأكله فيما بعد. ذكري في هيلين. ذكري فيها.

دخل غرفة المعيشة، ليجلب الراديو معه إلى الفراش، لكنه تركها مكانها. شغّلها وجلس. ربما سيدهن العصا القحبة. أسبوع كامل مضى وهيلين خارج المنزل. فلا غرابة أن يكون قلقاً. لا، هو ليس قلقا. بوسعها أن تفعل ما تريد. فالقرار قرارها. كل تلك المدة وأنت وحدك وماذا يهم لا يهم، تعيش من دونهم. كان سيغيّر حياته أيضا، حتى قبل هذا الخراء، تلك هي المسألة كلها. لقد أخبرها بذلك أيضا، يجب أن أقول إنه حاول، لكن لم تنجح المحاولة. كانت تتكتم على أي شيء لا يعرفه مهما صغر لأنها كانت تلعب معه لعبة الصمت ولا تبوح له بشيء. وأقولَ لك: تذهلك النساء يا رجل. حدث ذلك قبل يومين من شجارهما، صباح الجمعة. وانتهى الأمر إلى مشاجرة، مشاجرة فظيعة، تمام! ارتكب سامي الشجاع الخطأ القاتل، باح لها. لم يبح بكل شيء بل بما يكفي ليفسد الأمور. لقد اعتاد تجنب ذكر ذلك كلياً. تلك هي المشكلة. لم يتكلم عادة عن ذلك لأي كان لا يقول شيئاً البتة. وتلك كانت الطريقة السليمة. ذلك ما اعتاده. ونجحتَ، نجحتَ بتفوق في ذلك.

ليس الأمر أن هيلين لم تكن فضولية بشأن ماضيه وما شابه، بل إنها لم تظهر أي اهتمام قط. عرفت أنه سجن مرة لكنها لم تسأله

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

شيئاً عن الماضي، وهكذا لم يكن هناك ضرورة ليتحدث في ذلك. كان غباءً مطلقاً منه، لأنه كان بوسعه ألا يخبرها شيئاً عن ذلك حتى آخر العمر، ولكان ذلك أفضل، وما كانت لتناقشه في ذلك، لا مشكلة، وتستمر الحياة، لا ضير في ذلك. لكنه ثرثر، تحدث ليقول لها إن ذلك كله قد أصبح ماضياً فحسب. كانا مستلقيين في السرير، رأسها على صدره، السيقان ممدودة فوق بعضها البعض، ويدها تعبث بشعر صدرك يا رجل لدرجة أنه ينتابك معها أحياناً الخوف التافه من أنها ستعقده لك وما شابه.

استرخ أيها السافل.

كان يحاول أن يسترخي. وهكذا بدأت.

استرخى استرخاءً لعيناً. كان يستجمع قواه لجولة ثانية، لكنها كانت نعسانة. شعر بالرغبة وأرادها أن تشاركه ذلك أيضاً. راح يتحدث دون تفكير، ويجب أن تتخيّل شخصاً بعمر سامي، تحذف من عمره أحد عشر عاماً، كان مراهقاً أحمق لكنه شعر برضىً كبير! رضىً قحبٍ! يا يسوع المسيح. لقد شعر، بذلك الرضى الحقيقي.

آخ، أراد أن يريها كم كان الأمر غبياً. وكم كان هو غبياً أيضاً.

اعتاد أن يكون غبياً! لكن الأمر انتهى! انتهى ومات. عرف ذلك وهو مستلق قربها، عرف أن كل ذلك الخراء انتهى. ذراعه على كتفها، تنزلق إلى الأسفل، يده على كفلها، يداعبها بسلام، لحظة للمستقبل. هكذا كان الأمر. تلك كانت اللحظة الغبية، المستقبل لا الماضي. باح لها بذلك. في الواقع، لم يبح بل أراد فقط أن يقبض على المستقبل. أراد أن يدخل إليه جزءاً من الماضي، وبذلك يستطيع الدخول هناك، هكذا كان الأمر في ذهنه: الخروج من الماضي والانفصال عنه بعدئذٍ يمكن أن يبدآ معاً بداية حقيقية. عرف أن ذلك ممكن.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

لكنها لم تعرف. لم تفكّر بوجود مستقبل. تلك كانت مشكلتها، لم تفكر بوجود مستقبل. كانت تأخذ علاقتهما على علاتها يوماً بيوم. لأنها في أعماقها كانت تفكر أنهما مفترقان لا محالة. تلك غلطتها، لا غلطته. كان فيها عيب ما، وذلك ما قالته، هي التي بقيت محبطة، وليس هو. لأنها فقدت أطفالها، أُخذوا منها، كل ذلك النوع من الخراء. لأنه هكذا كان الأمر، خراءً. ما كان ذلك ليحدث لو كان هو موجوداً. تعرف ما أقصد يا رجل، ذلك الأحمق السافل الذي تزوجته. لم تستطع أنت أن تقنعها أيضاً، لم تستطع أن تقنعها.

ذلك جعلك....

تعرف شعرت في قلبك أنك تخوزقت — وفي بطنك أيضاً، وإن لم تنتبه لذلك.

بحق الجحيم.

في الواقع لم يكن سامي خبيراً بالنساء. تسمع أولئك السفلة في السجن يتحدثون عنهن. السؤال الكبير لا يحصل على إجابة أبداً. حتى إنه لا يُطرح: كيف حصّلتَ هذه الخبرة إن كنت قد سُجِنتَ كل هذا الوقت أيها الغبي!

آخ!

مع هيلين، فقط، تعرف ذلك. كنت تريد أن تحميها نعم. حتى ولو بالتفكير في ذلك، يا رجل.

يا يسوع المسيح، في أي جهنم هو التبغ؟ القصة ذاتها دائماً: لا تستطيع أن تجده عندما تريده. لف سيجارة. مضى أسبوع لكنه بدا طويلاً جداً. أنت قلق. تسمع هؤلاء السفلة في السجن. تصغي إليهم، يدخل حديثهم من أذن ويخرج من الأخرى. تبجّحاتٍ قحبة، كلها تبجّحات مقرفة. قصص من السجن، دروس تعلمتها. غباء، كل ذلك غباء. كان تشارلي محقاً، أقصد أنه كان محقاً كل الحق، تعتقد أن

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

سامي لم يعرف! تشارلي هو الذي لم يعرف هو الأخرق الذي لم يكن يعرف لكنه ظن نفسه يعرف.

لقد غضبتَ من أشياء لا تستوجب الغضب، كان ذلك خطأً فادحاً.

يخبرك الناس أشياءً. يرغبون دائماً أن يخبروك أشياءً. أنت زلابية. زلابية تافهة، هكذا يقولون لك. حتى شخص مثل تشارلي عندما يخبرك شيئاً يُصْدِقكَ القول لكنه ما كان ليخبرك ذلك لو لا أنه يعتقد أنك لا تعرف، أنك جاهل تافه، زلابية. تمضي هذه السنين كلها في السجن لكنك لا تعرف شيئاً عن النظام، تعرف ما أقصد، هكذا يعتقدون أنك، مجرد مخلوق تافه.

آه، انسَ، انسى انسَ يا رجل، ومن يبالي؟

إلى الجحيم بكرة القدم، سيجننونكم يا رجل، تعرف ما أقصد: رجال ناضجون تهتاجون لكرة القدم! مدّ يده إلى المسجلة، وضع الكاسيت في المسجلة وكبَسَ زر التشغيل.

ويلي نيلسون اللعين آخر صوت أراد سماعه يا رجل. أول صوت احتاجه وآخر صوت أراده.

ويلي اللعين

تمام. كان سامي سيطفئها. وبدلاً من ذلك أخفض الصوت، كي لا يسمعه على الأغلب. لكنه بقي يسمعه.

الأزمنة تتغيّر، وهم يتغيّرون، تعرف، بعض الناس لا يصدقونك. حسن إنه حقهم.

كانت السواقة هي مشكلة سامي. حالة غبائه القحب. ذلك ما ترويه حكايات الحياة الحقيقية المؤسية. وأكد الذين حكوها أنها تدور حول القدر والحظ اللعين السيّء. لكن، في الحقيقة، كانوا يحدثونك عن الغباء، عن غبائهم لا أكثر ولا أقل. غباؤهم أوصلهم إلى السجن.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

سفلة حمقى: يفاخرون بحماقتهم القحبة. كانوا يروونها بطريقة تظهر لك أن كل شيء كان بسبب سوء حظهم، حاولوا اصطناع الضحك أحياناً وعندما نجحوا كان ذلك لأن النكات كانت عليهم. وكم مرة اضطر سامي للاستماع لهذه القصص، في السجن وخارجه أيضا. تسمعها أينما ذهبت، نعم هناك دائماً سفلة يريدون أن يقصوا عليك قصصاً. يبدؤون وكأنهم سيصارحونك ويطلعونك على أسرارهم. مجرّد خدعة ليتبجحوا أمامك، ليخبروك أن ما حدث لهم مختلف عما حدث لأي شخص آخر، أنهم الأذكياء والآخرون أغبياء. يخبرونك أن عمليتهم الصغيرة نجحت، لقد فعلوا الكثير يا ولد ولا تشغل ذهنك لأن كل ما يمكن أن يخطر لك خطر لهم، وقد فعلوا الكثير، كل الأشياء الأساسية، ثم، فجأة، يخفقون بسبب شيء سخيف قحب ومؤسف ولا يبقى أحد حياً، لا أحد في العالم كله، يسعه التفكير ما هو. وهكذا يتبين لك أن الأحمق الذي يخبرك القصة ذكي سيّء الحظ. ذلك ما يقوله لك، يا رجل، إنه في الحقيقة ذكي سيّء الحظ يخذله القدر دائماً. ولولا القدر لكان هناك تحت الأضواء المبهرة يشرب الأنخاب مع نجوم هوليود. ذلك، الهراء المعتاد يا رجل، خراء، كل الخراء الذي يجري، يجننك وعليك أن تستمع إليه، وتكاد تجن، تفقد أعصابك وأنت تستمع إليه تريد أن تتقيأ، تشعر بالغثيان، لا تستطيع النظر إليهم يا رجل، لا تريد أن ترى أعينهم الوقحة.

كان سامي يحاول أن يُفهم هيلين. الرسالة! ماذا كان يحاول أن يقول لها، كيف حدث ذلك؟ الغباء! النساء يجب أن يعرفن، وعلى الرجال إخبارهن، يجب أن يتصارحوا. عن ماذا كان الحديث؟ خراء. كانت السواقة مشكلته. لم يحصل قط على رخصة سواقة، وهو لا يعرف السواقة يا رجل لذلك لم يحصل على رخصة لأنه لم يتعلمها قط. أخبر هيلين بذلك. ماذا إذن؟ كان الأمر مضحكاً على أية حال. فكر به وإن وجدت ما يُضحك فاضحك. ليس الأمر في أنه لم يحصل على رخصة سواقة فقط بل إنه لم يكن يستطيع السواقة. وما حدث كان بفعل الخمر.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

لم يكن الخمر بل هو، هو فقط. كان في طريقه إلى "السفن سيسترز" للقاء شاب أيرلندي بخصوص عمل. كان أحد الفنادق الكبيرة يُجدِّد ديكوره، نُزِعَ ديكوره السابق وأعيد بناؤه على مظهره القديم السابق وذلك بدعم من الحكومة بسبب قيمته الأثرية. كان العمل مطروحاً للتعهد، وكان الشاب ذا نفوذ وسيتوسط لسامي. وهكذا لم يكن الأمر شاقاً. ما حدث أنه دخل الحانة ريثما يحين الوقت وسجل اسمه للعب البولة.

ربح الجولة الأولى وكانت ضربة حظ. كانت تلك إحدى الليالي اللعينة، أقصد أنه لم يكن لاعب بولة ماهر. كانت الضربة موفقة أيضا و سُرَّ بذلك وعندما خسر في النهاية دعاه شخص لحديث جانبي، وشيء يقود إلى آخر، سرد له شذرات من قصة حياته.

وعندما وصل الفتى الأيرلندي لم يكن سامي بحاجة إلى عمل بعد، كان قد حصل على عمل. نهاية القصة.

كان تعويضاً ممتازاً عن شخص لم يعد موجوداً. ولا يهم ما كانوا يفعلونه عدا إنهم نجحوا في خمس عمليات... خمس عمليات جيّدة. وقبض عليهم في السادسة. وهكذا انتهت المسألة. كانت المشكلة في السواقة لكن لا فائدة من التحدث عنها. كانت المشكلة في الدبرياج والكير. كان ذلك جنوناً قحباً أيضاً لأنه ما كان يجب أن يحدث. فلم يعرف الجنود بوجود سامي، لم يروه لأنه كان داخل السيارة. وكان الجنود مسرورين بالقبض على بقية المجموعة. عندئذٍ أشغل سامي محرك السيارة (ستيف ماكوين)! كان تشغيلها سهلاً يا رجل لكنه لم يستطع حتى إن يجعل الدواليب تدور، ربما كانت مفرملة أو ما شابه، أياً كانت العلة فقد نال عليها سبع سنوات. بحق الجحيم يا رجل. جنون! رواها لأشخاص عدة. أضحكتهم أحياناً وأحياناً لا، لكنهم عرفوا عما كنت تتحدث. الغباء يا رجل ذلك ما كنت تتحدث عنه.

لكن عندما رواها لهيلين بدت أسوأ من الغباء. وحالما انتهى عرف أن خطأً ما قد حدث، لأنها بقيت مستلقية بقربه دونما حركة. تابع ثرثرته محاولاً إصلاح الأمر، لكنها بقيت صامته ولم تنطق حرفاً. يا

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

للجحيم القحب! أقصد أن السبب الوحيد لإخبارها بذلك كان ليريها كم تغيرت الأمور، وكيف أن كل ذلك الخراء أصبح مجرد ماض. حاول أن يريها كيف وكم تغيّر. ذلك ماض وهذا هو المستقبل. لكنك تحتاجه أيضاً للدخول إلى المستقبل، تعرفُ ما أقصد يا رجل يجب أن تخرج الماضي وتطلعها عليه. أقصد فقط أن تدعها تراه. كيف تفعل ذلك أيضاً؟ بعدئذٍ انقلبت على ظهرها. يا مسيح يا قادر! يتذكر ذلك بوضوح كبير. أردت أن تمسكها وتهزّها. كأنها لم تصغ، يا رجل، لم تكن تصغي. لقد حسمت أمرها، كانت ساهمة في أفكارها، وكان هو خارج أفكارها. لأنها لم تفهم، لم يستطع التعبير، مهما كان السبب، فهو لم يعبّر جيداً عن أفكاره.

بعدئذٍ خيّم الصمت. هيلين بارعة في الصمت! كانت بارعة في معالجة الأمور بالصمت. ظنها نامت. لكنه عرف من تنفسها أنها لم تكن نائمة. ورحت تتساءل إن تقصّدَتْ أن تشعرك أنها مستيقظة، ربما كانت تحاول ذلك، وكأنها تعطيك فرصة لإصلاح الأمر، مازال هناك وقت لإصلاح سوء الفهم، إن كان الأمر كذلك فمازال هناك فرصة وهي متاحة الآن، وإن لم تستغلها الآن فكل شيء سيضيع إذن، كل الهراء كل شيء سيختفي ويضيع، ينسرب من قبضته: هكذا تجاهل الأمر وراح يتصرف وكأن كل شيء بينهما على ما يرام، كأنه لا زال سعيداً بنتيجة الشيء الأخير وهو...الجحيم يعرف ما هو يا رجل. أخبرها أيضاً قصته القديمة مع جاكي ميليجان. وبالتفكير فيها الآن، فقد كانت غباءً، يجب أن تعترف بذلك، ما كان يجب أن يخبرها فتلك قصة لا تحكى لامرأة. مهما يكن تصورك لها يا رجل فليست بالقصة المناسبة، لكنه أراد بذلك أن يخبرها شيئاً عن نفسه كولد. كان ذلك أحد دوافعه وأهمها، بالتأكيد. لم يخطر له ذلك حينها لكن، بحق الجحيم، أقصد إما أنها كانت تحبه أولا تحبه.

جاكي، حزين كالموت. ما زال في السجن، إن لم يكن قد مات، ربما مات. كان من ليفربول. ما حدث أنه ذهب إلى السموك ليؤدي

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

عملاً صغيراً لأناس هناك. وبعد أن أنجزه كان عليه أن يتخفى. وهكذا كتعاطف من مستخدميه -مُغفلي الاسم- أعطوه غرفة في جلاسكو، وهكذا ذهب جاكي إلى جلاسكو. وبقي هناك أسابيع عدة بعيداً عن النظر والبال. والمشكلة أنه لم يطق صبراً إضافة إلى تكدس النقود في جيبه. جاكي شاب طيب لكنه مقامر. مقامر مجنون، وتلك مشكلته، بصدق. وكذلك النساء. قصة قديمة. كان هناك سباق الخيول، سباق الحواجز، بعد احتفال رأس السنة. وهذا ما جرى.

لم يظهر الفتى طوال شهرين على الأقل. الشيء الوحيد الذي سمح له به هو المراهنة في مكاتب المراهنات من حين لآخر لكن حتى ذلك الهراء القحب لا ينفع لأنه حتى هناك يجب أن تحترس أيضاً. وهكذا ضجر جاكي من ذلك الوضع، فهرب ذات يوم لحضور سباقات الخيل ومحفظته مليئة بالنقود، ألفين أو ثلاثة آلاف دولار. وهكذا زاغ عشر دقائق فقط تصيد خلالها الفتاة. فقد كان جاكي أنيقاً ووسيماً جداً، وربما خفيف الحركة، وذلك لكونه سكوسي[1] أو ما شابه. ما حدث أيضاً أنه راهن على الأحصنة الأربعة الأوائل. لا مزاح يا رجل ففي ظرف ساعة ونصف كان أمامه اثنا عشر ألف دولار. حدث هذا منذ عشرين عاماً، تعرف ما أقصد. كانت الفتاة مشدوهة كلياً. كانت قد خرجت من بيتها لقضاء، بعض الأمور. لم تقابل شخصاً مثله من قبل. ما حدث بعد السباق، أن جاكي راح يخطط، كانت يداه تحكانه وهلم جرا. كان يخطط للعب الورق، هكذا أوقف تاكسي وطلب من السائق أن يأخذهما إلى أبيردين. والآن! الفتاة متزوجة ولا تريد الذهاب إلى أبيردين، لا تستطيع، يجب أن تعود إلى البيت وما شابه، لكن جاكي أغواها، قال لها إنه تلقى رسالة للذهاب إلى هناك ولا توجد مشكلة لأن بوسعها العودة بالطائرة

---

[1] التسمية العامية للهجة ليفربول المحلية

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الأخيرة ولا خطر في ذلك. لكن لم تكن هناك أية طائرة، حتى إنه لا يعرف شيئاً عن ذلك. وكل ما كان يفكر فيه جاك جاكي هو أبيردين. فرصته الوحيدة. إما الآن أو لا! تعرف ما أقصد؛ يستطيع الذهاب الآن، ولا وجود لمرة ثانية. ولا يريد لذلك الشخص الفظ، المغفل الاسم في جلاسكو، أن يبحث عنه. لذلك يجب أن يعود في الصباح مع حلول الفجر. تعرف إدينبرا ليست جيدة، قريبة جداً، خطرة جداً ولا يستطيع أيضاً الذهاب إلى نيوكاسل لأن تلك أخطر على أية حال. رأى الأمر بهذه الطريقة لأنه إنكليزي وإلخ. قال لسامي إنه فكر بالذهاب إلى ديوثيل في فرنسا لكنها خطيرة جداً، الصعوبات كثيرة. مهما يكن، كان يجب العمل الآن مباشرة خصوصاً أن لديه المال والفتاة. إلى أبيردين إذن، بالتاكسي، مهما كلف ذلك. حجز غرفة في فندق خمس نجوم وما شابه، سندويش سلمون وزجاجة شمبانيا، نياكة سريعة ودوش ثم خرجا. وجد الكازينو؛ اضطر لرشوة البواب بسبب ما يسمى عضوية ثماني وأربعين ساعة. حلّ المشكلة واسترخى. فقد نجح في ذلك على أية حال، تعرف ما أقصد، ذلك كل شيء. فمن الآن وصاعداً إلى الجحيم بأي شيء، تمام، وهكذا أخذ الفتاة إلى مطعم الطبقة — الراقية هذا، وليس ثمة سبب وجيه لذهابهما لأنهما لم يكونا جائعين. لا أظن الجوع هو السبب، إنما أراد أن يقدم للفتاة هذه الفرصة، وهكذا تناولا وجبة ومشروباً وإلخ— ومن ثم إلى الكازينو. لم يكن جاكي يحب مقامرة الروليت ولا البلاك جاك، ولا كل ذلك الخراء، كانت البوكر لعبته المفضلة وسمع من المقامرين قصصاً عن أرباح فاحشة. وكان يأمل أن يحقق الخطوة الأولى. وهذا هو السبب الرئيسي لوجوده هنا في الكازينو. إنه يفتش إذن. يجب أن تتيقظ الآن كثيراً أيضاً، لا تنسَ أيضاً أنها أبيردين يا رجل ويجب أن تحترس، يوجد الكثير من الناس الذين يبحثون عنه بالطبع، لا نقصد البوليس.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

على أية حال، وبعد محاولات عدة حقق الاتصال مع احد رعاة البقر الكنديين وعرف أن هناك مقامرة وعلى بعد أميال عدة خارج المدينة، على الشاطئ. لا مشكلة. أوصلهما راعي البقر إلى هناك. وباختصار وصلا إلى بيت المقامرة وخسر جاكي نقوده. لأنه لم يكن محظوظاً كما قال لسامي لكن من يعرف فقد كانوا يلعبون الستود وكل ذلك في الجولة الأخيرة حيث خسر على الكرت الأخير في القطع. بصرف النظر عن النتيجة، لم يكن في اللعب غِشٌ، وهكذا لم يعترض جاكي. خرج من البيت حوالي السابعة صباحاً وعاد ماشياً. كان لا يزال معه ثلاثة جنيهات يدخرها للطوارئ. وهكذا في منتصف الطريق تذكر الفتاة، مازالت هناك يا رجل تنتظره في البيت، يبدو أنها نامت على كرسي في إحدى الغرف. لكن لتذهب إلى الجحيم ماذا بوسعه أن يقدم لها؟ لقد خرج من المقامرة مفلساً، والأفضل لها أن تتدبر أمر عودتها بنفسها، هكذا كان مسار حظه. والأسوأ في الأمر أن النقود التي قامر بها ليست له— لا بل إنها له، كان معظمها رصيد العمل، ولأسباب عدة لم يكن التخفي بالأمر السهل يا رجل، تفهم ما أقول. فقد كان يائساً، إذ أن نصف سكان بريطانيا السفلة يطاردونه، ولا ينقصه النصف الآخر. وهكذا في النهاية استطاع الاتصال بسامي ويمكن أن نقول إن سامي كان خائفاً قليلاً، كونه في التاسعة عشرة فقط. وصادف أنه وأصدقاءه قد اعتادوا ارتياد أحد مكاتب الرهان التي ذهب إليها جاكي. آخ لابأس، تباً لكل شيء، وبعد يومين قبض عليهم جميعاً في ليك ديستريكت، نهاية القصة، لا فائدة من إطالة هذا التعذيب. حُكِم سامي ونفذ أربع سنوات سجن. وحُكِم جاكي بسبب الكثير، قصة لندن وغيرها.

محبط يائس. لا فائدة من الحديث على ذلك. ما كان يجب أن يتكلم عن ذلك. ولا شيء يستحق الحديث عنه على أية حال. مجرد هراء.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

هراء، ولا يهم، تعرف، ليست مشكلة عويصة. انس الحكاية، أزحها من طريقك وانسَ.

فكرت هيلين بجاكي. كيف بحق الجحيم تعرّف إليك؟ كيف التقاك بحق الجحيم وأنت فتى في التاسعة عشرة.

وماذا بعد، كان الفتى يائساً، ولا فائدة من العودة إلى تلك القصة.

لكنه كذب. قال لهيلين إن جاكي كان يبحث عن رفيق سامي، لأنه سمع أنه مقامر جيّد. بينما كان يبحث عن سامي لأن سامي هو المقامر الجيّد. لم يكن يقامر بمبالغ كبيرة بل بما يوجدٍ في جيبه، وعرف جاكي ذلك. وهذا ما انتهيت إليه. نحن جميعاً متخوزقون يائسون يا رجل تعرف ما أقصد.

تلك كانت النهاية. تلك هي هيلين الغامضة يا رجل. ربما ظننت أنها ستجن بسبب الفتاة التي تركتها مع رعاة البقر السفلة، لكنها لم تهتم لذلك. لم تبد اهتماماً بقصتها لتذهب إلى الجحيم.

الجفاء الكبير.

حدثت كل تلك الأمور عندما كان صغيراً. وبدا أنها تفهم ذلك. إضافة إلى أنك أخبرتها شيئاً انقضى منذ عشرين عاماً. وأخبرها به فقط ليريها أنه قد تغيّر! يا يسوع المسيح! لأنه كان يرى الطريق أمامه، طريقهما معاً، هناك أمور كثيرة لينجزها وهو الوحيد الذي يجب أن ينجزها لا أحد غيره، ذلك ما كان يخبرها به. ذلك هو جوهر القصة. لقد أخفق في الأولى والثانية أيضاً، لقد أخفق في ذلك أيضاً، لم يخفق فقط بل زاد الأمور سوءاً. لو تركها تخلد للنوم!

ليست العبرة اللعينة في القصة؛ حتى ولو كانت مجرد هراء سخيف. فكل ما كان يفعله هو إفهامها أنه قد تغيّر. ذلك كل شيء. تمام.

لذلك لا تثرثر. كان يعرف ذلك قبل أن يبدأ، أقصد أنه عرف ذلك، يا يسوع المسيح. لا بأس. تباً، لا تستطيع أن تنجح دائماً.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ويبدو أن بعض الناس يرغبون بذلك. طبعاً ما كان يجب أن يفعله يا رجل: هو أن يأخذها بين ذراعيه ويقبّلها، كان يجب أن يقبلها أن يقول لها إن كل ذلك الخراء قد انتهى لأنه قد انتهى فعلا، انتهى. كان يجب أن يقول لها ذلك. كنت تخدع نفسك يا رجل تلك هي المشكلة. كانت الفرصة بين يديك وأضعتها. هكذا إذن تركتها. كان يجب أن تتركها. أقصد عندما يحدث وتضيعها، عندئذٍ اتركها. ذلك ما تعلمته. ابق عاقلا مهما كلفك ذلك. هكذا تباً لها. العصا بحاجة لدهان وهذا وقتها. نهض سامي عن الأريكة. لا تنزعج. لا بأس.

إن جزءاً من مشكلة الخروج من موقع إلى آخر هو أن السفلة لا يعرفون القصة، لم يلاحظوا أنك تحتاج لمساعدة. فالعصا البيضاء والنظارة سيعملان كجواز مرور.

قفل الباب طقتين. من الآن فصاعداً، سيأخذ كل الاحتياطات. من الآن فصاعداً يا رجل. من الآن فصاعداً.

مشى على طول الممر، توقف وطرق الباب. عندما انفتح الباب، قال: "مرحبا."

– نعم، أهلاً يا بني... كان الشخص نفسه الذي أعاره المنشار.

– أنا ثانية. الأمر، إيه.....في الواقع أنا أعمى. بدا ذلك غبياً....

– .....

– لذلك استعرت منشارك أمس. لأنشر رأس المسّاحة – استعملتها كعصا.....

– آو..... حسن

– والآن، أريد أن أدهنها بالأبيض ليُعْرف سبب استعمالها. وهكذا تساءلت، أقصد لديّ بعض الدهان الأبيض في خزانة الردهة، المشكلة أنه توجد علب عدة في الخزانة، و...إيه لا أستطيع تمييزها عن بعضها، تعرف ما أقصد، يبدو الأمر غبياً!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– .....

– أفكر لو يمكن أن تساعدني لإيجادها؟ وعندما أجدها فلا مشكلة... لكنني أود التأكد أنها العلبة المطلوبة.

– آو نعم يا بني أفهم ما تقصد، نعم.

– عظيم.

– نعم يا مسيح!... لا تقلق. انتظر حتى ألبس حذائي. هيه بالمناسبة ما اسمك؟

– سامي.

– سامي، صحيح نعم أخبرتني سابقاً. أنا بوب. سألبس حذائي. ادخل لدقيقة.

– إيه.

– فقط لتسلّم على زوجتي وهلم جرا، إنها تتفرج على التلفزيون مع أحفادها الصغار.

– لكنني تركت الباب مفتوحاً.

– أذهب واغلقه.

– تردد سامي ثانية. تعرف يا بوب، لا أريد أن أكون قليل الأدب، لكن المسألة أني يجب أن أخرج وما شابه، إيه.

– فقط لتسلّم. أذهب وأغلق بابك.

– تنهد سامي. أريد أن أدهن العصا.

– سأدهنها لك يا بني لا تقلق لذلك.

– نعم، لكنني أريد أن أدهنها بنفسي. أقصد....

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– حسنٌ، حسنٌ، تمام.

– تعرف سأخرج فيما بعد. القصة يا بوب، إنها إيه... إنها صديقتي، عندما تعود إلى المنزل. أريد أن أنتهي من العمل وما شابه قبل أن تعود.

نعم لا تقلق، ذلك ما أقصده سأدهنها لك بنفسي. ضربة فرشاة، أقصد لا مشكلة في ذلك إن انتظرني دقيقة.

– .....

– انتظر فقط لألبس حذائي.

عاد الرجل إلى الداخل. أغمض سامي عينيه. حقيقة الأمر هي أن سامي لم تكن به رغبة في الكلام. لو دخل وقابل زوجة بوب سيجد نفسه في ورطة لعينة: سيضطر لإيضاح حالته. وربما كانت زوجته تعرف هيلين، ربما التقتا على الدرج أو ما شابه، ربما في المصعد. كان أمراً فظيعاً معقداً. كل شيء فظيع معقد. وبطنه يا رجل ما زالت تمغصه، تمغصه. يا مسيح يا قادرٌ! مشى عائداً إلى بابه ووقف متكئاً على إطاره. الهواء رطب، بدا له أن المطر قادم.

وصل بوب. فتح سامي الباب وقاد بوب إلى الداخل. ماذا يعني! الحياة قصيرة جداً، والزمن أيضاً. وكلاهما لا معنى له. بدأ بوب يثرثر. وكما توقع سامي بالضبط، فقد تقابلت زوجته وهيلين من قبل. بحق الجحيم! كان بوسعك تخمين ذلك. فتح سامي الخزانة. قال: العلبة هنا في مكان ما.

بحق بطرس يا سامي لديك أشياء كثيرة هنا! ضحك بوب. إنها فتحة العظمة. سأشعل الضوء إيه؟

أوه نعم أشعله. خطا سامي إلى الوراء، مصغياً لبوب وهو ينبش الأشياء من حوله. لا يريده أن ينبشها. يجب أن تكون على الرف

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

الثاني هناك، قال له، إنها لصق الحائط، ألا تراها؟ يجب أن تكون هناك علب عدة إيه.

– تمام!

– جيد

– نعم البيضاء.... أراها.

– شكراً للجحيم.

– أين فراشيك وهلم جرا؟

– في غرفة المعيشة.

– أنزل بوب العلبة عن الرف، أطفأ الضوء وأغلق الباب. ثم قال،" نعم، كانت صديقتك وزوجتي تثرثران معاً."

– تمام.

– منذ أسبوعين، لكنها لم تقل إنك أعمى.

– لا.

– فتاة لطيفة....

– نعم.! انظر يا بوب لا مانع لدي أن أدهنها بنفسي أقصد يا مسيح....

– أوه لا.

هتف سامي

– لن تستغرقني دقيقة. أعرف أنك راغب بدهنها لكنني أفكر بصقل الدهان، لا أظنك تريدها غير مصقولة. ثم يمكن أن تترك مناطق غير مدهونة. وربما لم تفكر بالبلاط، إن أسقطت عليه بعض الدهان

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ويجب أن تزيله. وأنت لن تعرف حتى إنك لوثت البلاط بعدئذٍ ستعود صديقتك من عملها وتجد نفسك في مشكلة. لا تسئ فهمي يا بني لا أقصد أنها تسيطر عليك، قصدت فقط أن الدهان سيجف وستلعن أنفاسك في تنظيفه؛ أقصد عندما يجف ويقسو.

فتح سامي باب غرفة المعيشة. سيترك بوب يدهن العصا؛ إضافة إلى أن ما قاله كان مقنعاً — ليست بالمشكلة الكبيرة، أقصد بعض بقع الدهان هنا وهناك، ماذا تغيّر في الأمر. لا بأس، شكراً يا بوب.

– سأستخدم هذه الصحيفة العتيقة إيه؟

– استخدمها.... تناول سامي التبغ وجلس في الكنبة، لف سيجارة. لا سيطرة له على الأمر، لذلك كان عليه أن يعتاد الفكرة؛ وهكذا، فرصة جيّدة للاسترخاء.

كان بوب شخصاً طيباً، لكن ماذا سيفعل بطيبته تلك. فسامي لا يريد للسفلة أن يحشروا أنوفهم في بيته. وآخر شيء رغب فيه أن تقف زوجة بوب ببابه. يا مسيح يا قادر! استطاع أن يتخيل بوب يخبرها عن فوضى بيته وتأتيه راغبة بترتيبه. بالطبع لن تفعل ذلك؛ لن تفعله؛ كلا ما لم تعلم أن هيلين قد رحلت. لكنها لن تعلم أن هيلين قد رحلت، إلا بسبب فوضى البيت. وسيخبرها بوب بذلك سيخبرها بالتأكيد. شيء غبي جداً يا رجل غبي؛ كالعادة، تعمل من الحبة قبة كبيرة. تنهد سامي: " نعم لم أقل لك أيضاً إن هيلين تزور أطفالها الآن.

– آه. تمام.

– من زواجها الأول وما شابه، الأولاد يعيشون مع طليقها.

– آه.

تعرف إنهم في المدرسة، أقصد أنها لم تردهم أن يتعطلوا عن دروسهم، إن هي أحضرتهم إلى جلاسكو.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– نعم، أفهم ما تقول.

– إنه جيّدٌ جداً، زوجها أقصد طليقها، انا لا أذمّه.

زوج هيلين كتلة خراء مقرفة، يا رجل. كان أحمقَ من الطراز الأول. ما كل هذا الهراء الذي يقوله له؟ لا ضرورة له، مجرد هراء، كان يجب أن يدير الموسيقى. تنحنح وتناول أول كاسيت وقع تحت يده، كان لباتسي كلاين، وضعه في المسجلة ثم أخفض الصوت.

– أين يقيمون؟ قال بوب

– تظاهر سامي أنه لم يسمع

– إيه سامي؟

– ماذا؟

– أين يقيمون؟ الأولاد.

– في ديمفريز...! آو

– ماذا هل تعرفها؟

– حسن ليس كثيراً يا بني – أنت تذكّرني بسنوات مضت، عندما كان الأولاد صغاراً، تعرف أنا وماري، حصلنا على كرفانة من زوجين صديقين قديمين لماري. في مكان ريفي شمال سترنرار. يا مسيح! ذهبت ذاكرتي بعيداً. موقع كرفانات جميل، هناك في منطقة مرتفعة. القارب الأيرلندي، أتذكره جيداً.

أمسك سامي بالمنفضة ونفض رماد سيجارته. لحسن الحظ أن بوب ثرثار. شرد سامي. بعدما أنهى بوب دهن العصا، أراد أن ينظف الفرشاة أيضاً لكن سامي قال: لا، بصدق، أنا سأنظفها.

– أنت جاد؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– نعم.

– لا تتعب نفسك بها.

– لا يا بوب بصدق، يجب أن أعتاد على فعل ما يلزم بنفسي.

– صحيح... نعم، أفهم ما تقصد.

– لست عاجزاً كلياً. شكراً لدهن العصا.

– أوه يا مسيح! مجرّد عمل بسيط.

– لا، بجد، إنها خدمة حقيقية.

– لو كنت مكاني، كنت ستفعل الشيء نفسه.

– لا، لكن....

– أووه!

رافقه سامي حتى الباب. ليس لأنه لا يثق به، بل يثق. لكن الأمر، يا مسيح، يا الله! تباً، لا مشكلة. فأنت لا تريد المخاطرة، ذلك كل ما في الأمر. عاد سامي إلى غرفة المعيشة. أطفأ المسجلة، فتح النافذة لتخرج رائحة الدهان، فأفلتت الريح القوية مصراع النافذة من يده، فجاهد ليدخل الترباس في مكانه. يا مسيح! اتكأ بمرفقيه على إطار النافذة، مستشعراً سفع الريح على وجهه. كانت الأمور مؤسية، لكنه سيعتاد الفكرة.

اهجرني إن اضطررت

فسأبقى أتذكر

ملاكاً يطير قريباً

من وجه الأرض

يا مسيح لقد أحب هذه الأغنية. أغنية حزينة، يغنيها ويلي السافل.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

جلس على الكرسي وبحث عن التبغ. تعرف كان يستطيع الخروج لتناول كأس. مضى أسبوع الآن، أسبوع دونما مشروب. ولم يكن ذلك سيئاً خصوصاً أن لديه نقوداً. وكان بوسعه التحدث مع بعض السفلة حديثاً حميمياً، مع شخص ما يستطيع الوثوق به. فقط ليستفسر عن الأمور جيداً. يكوّن فكرة عن يوم السبت المعتم في ذاكرته. شغلك ذلك. دون فائدة لكنه لا يزال يشغلك. لذلك أردت التحدث مع ليغ، لاستيضاح الأمور فقط. لكن بما إن سامي قد نسي فمن المرجح إذاً أن يكون ليغ قد نسي أيضاً. بقليل من الحظ، بقليل من الحظ.

لم يستطع أن يزعج نفسه بالتحرك. كان سيذهب إلى الحانة ويجلب نصف زجاجة وعلبتي بيرة، ويستطيع الجلوس هنا، بسعادة تامة. يستمع للموسيقى، ثم يحسب الأمور. فكرة جيدة، المشكلة أنه لا يستطيع أن يزعج نفسه بها. متعبة هي الحياة. لهذا لزام عليك أن تستمر. ما تستطيع السيطرة عليه؛ إن تمكنت من السيطرة عليه، إن استطعت إلى ذلك سبيلا.

إن لم تستطع السيطرة عليه فتباً له، يا رجل ما المشكلة اللعينة؟ لا مشكلة، وأنت أيضاً.

اتركها، فقط اتركها. تعرف ما أقصد، إن لم تستطع السيطرة عليها اتركها إذاً. انس كل ما يخصها.

سأبقى أتذكر
ملاكاً يطير قريباً جداً

واحدة من هذه الأغاني التافهة، يا رجل...غريب بعدئذٍ كيف تسلح بطنك. بطن سامي اللعينة، يا رجل، بقيت تسلح.
كانت مضطربة.

فيما بعد جهّز الحمّام. أخيراً لأنه يجب أن يكون نظيفاً يا رجل. أنت تمزح! بحق الجحيم! عشرة أيام دون حمام حقيقي.

إضافة إلى الأوجاع والآلام. الماء الدافئ سيريح هذا الجسد، والكدمات أيضاً، المرجح أن هناك الكثير من الجلد الميت سينسلخ.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

سيكون عند الحد البنفسجي المصفر. ستأخذ الطبيعة مجراها، إن تركتها بحالها.

كان يستخدم الراديو لمعرفة الوقت. من العاشرة حتى منتصف الليل يوجد برنامج جيد؛ سيستلقي في البانيو لينقع جسمه ويستمتع بالاستماع إليه. بعدئذٍ اللحية اللعينة، إنها تطول يا رجل وستصبح في عداد اللحى الطويلة إن لم ينتبه إليها، وستصبح مشكلة عويصة. ففي أفضل الأحوال بشرته حساسة جداً عند الرقبة. عندما كان يافعاً لم يستطع أن يحلقها دون أن يتسبب بجروح وطفح فيها كلها. ولم ينفع والده الأمواس القديمة التي أصر أن يحلق لسامي بها، تلك الأمواس التي ينفصل نصلها أحياناً إن لم تثبته جيداً. كانت جريمة شنيعة يا رجل وقال البوليس إن الدماء كانت تجري في كل مكان. لكن لم يضطر شقيق سامي أن يجاهد مع الموس، فسامي هو الذي دخل المعارك وجنى شقيقه المكاسب، إذ عندما بدأ يحلق ذقنه كان والده قد أقلع عن استخدام الأمواس وجلب له علبة شفرات جاهزة للاستخدام.

كل تلك المعارك مع الوالد. تخجل منها، عندما تتذكرها!

ماذا تفعل سوى تنشئة عائلة. خذ مثلاً ابن سامي. آه تباً لهذه الحياة، يمكن أن تكون محبطة. والزمن يمر وبعدئذٍ يفوت الأوان.

مشكلة زوجة سامي الأولى كانت مامي وبابي. مامي تقول هذا ومامي تقول ذاك وبابي يقول هذا وبابي يقول ذاك. فتاة جميلة حقاً، إن كنت لم تشاهد الشفة المربلة، ذلك النوع من الشفاه السفلى، لدى النساء. إنها مثيرة جنسياً إلى أبعد حدٍ، يا رجل، وبعدئذٍ تعرف ماذا تعني الشفة المربلة.

آخ، لقد كانت شابة. نعم، مسموح لك أن تكون شاباً، بحق الجحيم، فقد كنت شاباً، كلنا كنا شباباً في وقت من الأوقات.

قرر ألا يحلق، سيطلق لحيته: لم يطلق لحية منذ سنتين. إضافة إلى أنه لا يريد أن يجرح أنفه. وربما امتلأ البانيو صنع لنفسه فنجان قهوة

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ولف سيجارتين، حمل كرسياً من غرفة الطعام إلى الحمام ووضع عليها ثيابه النظيفة وكل ما يلزم. كان الماء ساخناً جداً. يجب أن ينتظر قليلاً.

لا لن ينتظر لأنه سيبرد يا رجل! كيف بحق الجحيم عاد فجأة ليفكر بوالده من جديد؟ دوافع الحرص على المال التي تقتضي عدم إضافة ماء بارد إلى الماء الساخن لأنك دفعت نقوداً لتسخينه! كان ذلك يجنن والدة سامي. لقد انتظرت الماء نصف ساعة حتى يبرد. وحتى هذا لم يوفر نقوداً! المشكلة أن والد سامي كان يكره أن يعطي أي شيء للسفلة خصوصاً الرأسماليين المقرفين. كان يقول: أنت تدفع ثمن الماء الساخن، وهكذا تحصل عليه، لذلك لا تبرّده. لا تعطِهم ما يريدون، إنهم قطط سمان سفلة قحاب.

حسن هو لم يقل ذلك لأنه لم يكن يشتم. كان يشتم لكن ليس أمام الصغار، لم يفقد أعصابه قط.

فتح صنبور الماء البارد ثانيةً وخلع ثيابه. نزل البانيو ساناداً يديه الاثنتين على حافتيه، متخيلاً سوء تقديره وتعثّر قدمه بالحافة والسقوط أرضاً. الساعة العاشرة والراديو تبث الأخبار العالمية. الخراء المعتاد، إضافة إلى أن الماء لا زال ساخناً جداً وعليه أن يضيف المزيد من الماء البارد قبل أن يستطيع أن يقرفص فيه. لامست خصيتاه الماء. نعم كانتا أول ما لامس الماء. لا غرابة أنك تسببتَ بانفجار كل تلك الشرايين.

غطس نفسه في الماء أكثر، حتى أذنيه ليسمع الباب إذا قُرِع نعم إنه يُقرَع، لكنه لن يجيب ما لم تكن هيلين، وعلى أية حال لديها مفاتيح الباب، حتى هي أيضاً، إن كانت قد نسيت المفاتيح، عليها أن تنتظر. كلا ما لم تكن راغبة بخلع ثيابها والتمدد قربه في البانيو. في هذه الحالة سيفكر بالأمر. شرط أن تعده بترك جسمه بحاله. كفي عن ذلك يا هيلين يكفي الآن. بلا هذه الدغدغة المثيرة يا طفلتي أريد أن أنقع جسمي، تعرفين ما أقصد النظافة يا حبيبتي النظافة! ضحك سامي. وسرعان ما غاص تحت الماء، منزلقاً على طوله حتى لامست

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

قدماه حافة البانيو الأخرى، وحده فقط يتلذذ وسط المحيط الكبير الغزير. جزيرة لعبية صغيرة، يتمدد فيها، وصوت يمرّ به، ارتحل العقل بعيدا مع موسيقى الكنتري. كانت أشبه بهجوم عسكري معاكس عليك مواجهته بمؤازرة الله لمدة نصف ساعة لعينة. سمعت كمنجات جيّدة وطبول بينغو وتبيّن لك أنها أغنية أجنبية– يا يسوع!

لا بأس، لا بأس، انسها وكفّ عن التذمّر.

آه المشكلة الوحيدة هي في كونك عرضة للخطر كثيراً. استرخ، إنه الوقت المثالي لينال منك سافل ما – كم كان ذلك سهلا، إنه الوقت المثالي، المكان المثالي وليس في متناوله أدنى سلاح، ولا أي سلاح. حتى إنه لم يغلق باب الحمام ولم يقفل الباب الخارجي أيضاً ليزيد في الطين بلّة. إلى جهنم يا رجل هذا أمر لا يستوجب القلق. لكنك ارتكبت في الحياة أخطاءً لا يمكن إنكارها. لم تكن أخطاء شخص آخر، كنت تشعر أحيانا بالقوة فتنطلق وتفعل شيئاً ما. ويتبيّن أنه خطأ. لم تكن قوياً بقدر ما ظننت. حدث ذلك كثيراً. لذلك يجب أن تحترس. لأنك انتهيت إلى رجل غض، فاتر الهمة، تعرف ما أقول: تسلّم بالأشياء. غبي. إن انعدام الرؤية الذي تعانيه الآن هو درس، درس لعين. عندما يعود البصر ستتغيّر الأمور. وهو الذي سيغيّرها. هيلين هي الملامة في شجارهما الذي وقع يوم الجمعة: لا يحق لها أن تقول له ألا يخرج لكسب العيش. هي تعمل وتدخّر نقوداً. أما هو فلا يعمل. هكذا كان الوضع يا رجل تعرف ما أقصد: كان يملك ما يكفي احتياجاته الأساسية. كانت هيلين مضطربة، ولم تجادل. أجر زهيد كل أسبوعين. كيف تستطيع العيش به؟ طبعاً لا تستطيع. لكنها هوّنت الأمر عليه ذلك لأنها كانت تكسب نقوداً، لكن تباً لها ولنقودها، يا رجل. فأنت لن تنام مع فتاة وبعدئذٍ تتركها تدفع ثمن كل شيء. لم يكن سامي قوّاداً قط. رَجُلُكِ سامي ميزته أنه لم يكن قوادا سافلا.

إنكلترا. كان يفكر في إنكلترا الآن متى وإذا، إذا ومتى.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

هذا الحمّام جيّدٌ. إنه خطوة في الاتجاه الصحيح. ربما سيحلق ذقنه ويقص أظافر قدميه. حتى العينان اللعينتان يا رجل! كلما فكرت بهما أكثر بقيت الفرصة متاحة ليكون العمى مؤقتاً يحتمل أن يكون عصب في العمود الفقري قد انزاح من مكانه، وهكذا فكل ما يحتاجه هو أن يعاد إلى مكانه. وعندما يعاد إلى مكانه. لقد تكلم مع هيلين في أمر الذهاب إلى إنكلترا، لم تعارض الفكرة، الأولاد فقط كانوا المشكلة. لم ترد أن تكون بعيدة عنهم كثيراً. ليس قبل أن يكبروا. تخيل أن تفقد أولادك أيضاً! أقصد بالنسبة للمرأة. لقد فقد سامي طفله لكن الأمر مختلف. إضافة إلى أنه كان يرى بيتر من حين لآخر. أما هي فلا. أمر مشين يا رجل، فلا غرابة أن ترى هيلين محبطة. وعندما تفكر في الأمر تشعر بالامتنان للرحمات الصغيرة. بعدئذٍ ومن جديد تفكر أن الطفل وقد بلغ ذلك العمر، فتقلق قليلا... المخدرات هي الشيء الأخطر، لقد عرف سامي كثيراً من السفلة. يبدو الولد على ما يرام لكنك لا تستطيع الوثوق بذلك. تعرف لو علم ابن سامي أنه قد عَميَ سيأتي لزيارته. لا شيء مؤكد. لكن سامي لا يريده أن يأتي لزيارته حتى إنه لا يريده أن يعرف. ليس الآن. ليس قبل أن تستقر الأمور. عندما يرتبها سيختلف كل شيء.

غطس رأسه تحت الماء مصغيا للهدير الصاخب في جمجمته. كان قد بدأ يفكر بأشياء لم يرغب التفكير فيها. الحياة محبطة، بل أكثر من محبطة. لقد خضت هذه المخاطرات. نعم لقد خاطر سامي. سارت حياته على ذلك المنوال. كان يقامر حتى عندما كان ولداً. الأشياء التي فعلها! لا غرابة أن والده جن منه. تعرف عندما تفكر في الأمر! لو عشت زمانك ثانية، كنت ستضحك منها أحيانا، وقد ضحكت. ألم تكن أشياء مفرحة بما يكفي. في الواقع كانت على العكس، عكس الفرح. المسألة أن مزاج سامي يبدو مختلفاً عن مزاج الآخرين. في حالته هذه.

كتلة خراء يا رجل كتلة خراء. رفع رأسه فوق الماء سمع صخب الموسيقى أحد برامج موسيقى الكنتري التي تسمعها في الراديو وكنت

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تتشوّق لسماعها، يقدمون الكثير من المعزوفات الخارجة عن المألوف واعتاد أن يسجلها إن توافر لديه كاسيت فارغ، وبعدئذٍ عندما تعود هيلين إلى المنزل يسمعها إياها. لم تكن تأوي إلى الفراش مباشرة بعد تغيير ملابسها، كانت دائمة التوتر وترغب بالاسترخاء أولاً، ربما تحدثه عن السفلة الأنذال الذين ارتادوا الحانة الليلة، تخلع حذاءها أمام المدفأة، تستمع للموسيقى. لا أقصد أنها كانت مولعة بموسيقى الكنتري، فقد كانت السول[1] موسيقاها المفضلة. لكن بحق الجحيم بعض موسيقى الكنتري هي من جنس السول. بدأتُ تدرك ذلك الآن، لكن بعد وقت طويل. إضافة إلى أنه لو لم يكن موجوداً، فلن تستمع إليها أبداً، بل لمغنيات السول وكلهن يتكلمن أثناء الأغاني، وهذا أمر لم يحبه سامي. لو اكتفين بالغناء لكان أجمل يا رجل لكنهن لا يكتفين فيقلن: تعرفن يا بنات الأغنية التي سأغنيها، إن كانت قلوبكن انفطرت نصفين، هذا ما عليكن فعله:

رُح اعمل أحسن ما فيك

بـ يلّي بتملك بين إيديك

ولا تخلّي همومك تنهيك

الدعايات، يا رجل، خراء مقرف. بما أن موسيقى الكنتري للراشدين، أقصد بعضها على أية حال. لذلك نادراً ما تسمعها. فهم لا يريدونك أن تسمعها، أصحاب السلطة، تفهم ما أقصد، لا يحبونك أن تسمع موسيقى الراشدين. لكن سامي كان يتابع هذه البرامج. ولمقدم هذا البرنامج عادة سيئة فهو يتكلم أثناء بث المعزوفات، أقصد أنهم لا يتكلمون في أثناء تقديم المعزوفات الكلاسيكية، لا يحلمون أن يتكلموا في

---

[1] موسيقا السول / Soul music / نوع من الموسيقا الشعبية لدى الزنوج الأمريكيين المعاصرين، تعبّر عن مشاعر جياشة، مثل الجاز والبلوز.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أثناء ذلك لأن أول ما سيحصل، هو أن أعضاء البرلمان السفلة سيحتجون في البرلمان، وفي مجلس اللوردات وإلخ، سيقيم هؤلاء البرلمانيون ومنتخبوهم ثورة يا رجل.

تلاشت شجاعة سامي

دونما سببٍ.

دهمه ذلك الإحساس المفاجئ في أحشائه، في بوابة المعدة القحبة. رفع رأسه ليصغي. بعدئذٍ أمسك بحافتي البانيو ونهض واقفا. قطرات الماء التي تساقطت عن جسمه إلى الماء أحدثت صخباً دام حوالي دقيقة. بقي ذلك الصخب في أذنيه واختلط مع أشياء أخرى، مثلما إن كنت تحاول التركيز، إضافة إلى صوت الراديو الذي كان عالياً جدا. فقد ترك باب غرفة المعيشة وباب الحمام ليستطيع سماعه بوضوح.

كما أنه لم يقفل الباب الخارجي، بحق الجحيم! حتى إنه لم يقفل الباب اللعين! تخيّل أنه لم يقفل ذلك الشيء التافه! غبي أحمق يا رجل، معتوه.

لا بأس

أخذ شهيقاً عبر منخريه وأرخى كتفيه. كان يجب أن يقفل الباب. كان نسيانُ ذلك غباءً، تخيل أن تنسى إقفاله! ماذا سيحصل؟ لن يحصل شيء أبداً، لأنهم إن أرادوا الدخول، فسيدخلون في كل الأحوال، نهاية القصة. الجنود أو الحشاشون القتلة السفلة القحاب، إن أرادوا الدخول فسيدخلون بكل بساطة. تباً. خرج سامي من البانيو ممسكاً بحافتيه كي لا يقع. جفف جسده، لبس ثيابه بهدوء وخرج من الحمام إلى الردهة، ومن ثم إلى غرفة المعيشة، وصفق الباب خلفه مباشرة، أغلقه ثم وقف ساكنا. الموسيقى عالية ولم يسمع شيئا. تحركت يداه إلى اليمين، قبضتا على

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

إطار كرسي الطعام. أراد أن يخفض صوت الراديو لكنه لا يريد أن يعبر الغرفة ليفعل ذلك فسوف يُلقى القبض عليه، يُقبض عليه وسط الغرفة بعيداً عن الباب. تمام. بلل شفتيه ليتحدث بصوت عال لكنه لم يفعل، وبدلاً من ذلك تراجع إلى الخلف، قبض المسكة وأدارها فتح الباب وخرج وأغلقه خلفه بإحكام. وهذه ضربة مزدوجة للقبض على أي شخص موجود في الردهة، بفعل المفاجأة، وإن كان في غرفة المعيشة أحد فعليه أن يفتح الباب أو أن ينزل من النافذة متسلقاً ستة طوابق. أغلق باب المطبخ، لكنه بحاجة لسلاح ولا سلاح معه. اتجه إلى خزانة الردهة، بحث عن مطرقة لكنه لم يجدها. ربما رماها في مكان ما، بقي يبحث عنها قليلا ثم سمع قرعاً عالياً على الباب الخارجي استدار بسرعة، اصطدمت جبهته بإطار الباب. تراجع إلى الخلف وأمسك نفسه عن السقوط وهو يصيح: أيها السافل.

أسرع إلى المطبخ بحثاً عن سكين تقطيع الخبز، كانت في الدرج، أغمد النصل في الجيب الأيمن لبنطلونه، وأبقى يده عل المقبض. تمام. كان الآن يقف أمام الباب الخارجي. صدمة موجعة تلك التي تلقاها يا رجل تحسس صدغه، متوقعاً أن يلمس فيه انبعاجاً أو ما شابه، تعرف ما أقصد.

تمام. لم يستطع سماع شيء. الراديو التافه، يا رجل. أصاخ السمع، لا صوت. لا توجد عين في الباب حتى لو كان بوسعه أن يرى عبرها.

كرجت قطرة ماء خلف أذنه. كان متيقظاً لظهره. تحسس بيده تحت قميصه الداخلي، رطوبة، لقد نسي تجفيف رأسه. حتى إنه لم يغسله بل...

يا مسيح يا قادر! تمام، تنهد، أرخى معصم يده اليمنى، ربما كان يسمع أشياء. قال: "هل من أحد هناك؟ هل من أحد هناك؟" الشيء المؤكد يا رجل أنه لن يفتح الباب اللعين.

أمرٌ مؤكد. سواء كانوا موجودين أم غير موجودين. سيعلمونه بوجودهم. نهاية القصة. أزلج الباب. تناول المفتاح عن مشجب

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الثياب وطق القفل طقتين. ووقف مصيخاً السمع ثم استدار مبتعداً. ومن يبالي، هز رأسه، وأبقى يده على مقبض السكين، قصد غرفة المعيشة، وصل الراديو وأخفض صوته: توجد حركة، عبر الغرفة.

– إن كانت تبدو كنتري فهي أغنية كنتري إذاً... صحيح ذلك يا سامي؟

– ...

– ستضع السكين جانباً؟ أم ماذا؟ إيه؟

– قال شخص آخر: أعتقد يجب أن تفعل كما يقول الرجل.

لحس سامي شفتيه ثم هنف وهز كتفيه، وضع السكين على طاولة القهوة الصغيرة، وقال: " إنها للدفاع عن النفس لا للجريمة".

أمهلاه دقيقة ليلبس ثيابه بعدئذٍ وضعت الكلبشة في معصميه إلى الخلف. كان اثنان آخران ينتظرانِ خارج الباب، في الممر. وعندما أركبوه السيارة وجد نفسه محشوراً بين اثنين منهم راحا يتبادلانِ حديثا تافها فوق رأسه. كان الضجيج الرتيب في أذنه اليسرى مرعباً وبدا أن عينه اليسرى تحكه وكأن جنجلاً ينبت فيها. وماذا بعد بحق الجحيم. أراد حكها ولم يستطع. فقال: " هذه الكلبشة اللعينة أمر مخالف للقانون؛ فلن أهرب منكم."

قهقه أحدهم.

– أيمكنني التدخين؟

– سامي أنت عدواني سافل. نعرفك جميعاً.

– أطلب أن أدخن فقط، أنتم العدو الأسوأ، تعرفون ما أقصد؟ الطماشات وهلم جرا.

– اخرس.

حرك كتفيه، لتخفيف الضغط عن ذراعيه ومعصميه. لا فائدة من الجدال مع السفلة. لا فائدة من الغضب. لا فائدة على الإطلاق. لم

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يكن ذاهباً إلى أي مكان. سيبقى جالساً هنا حتى يقرروا أمراً آخر وهكذا استرخى. فالقرار ليس في يده. كذلك سرعة اتخاذه. ومجرد هذا السواد يمنحك الفرصة للتركيز فلا مرئيات تقطعه عليك. شخص ما علمه التقنيات. وهي تعتمد على تمارين تنفسية. وهي جيّدة خصوصاً إن كنت مدخناً لأنها تساعدك على تنظيف رئتيك أيضاً: تزفر كل الهواء من رئتيك إلى أقصى حد ممكن بعدئذٍ تجر نفساً تحبسه قليلاً، ثم تزفر ثانية، ثم تجر نفساً بطيئاً من منخريك، نصف النفس المعتاد، ثم تعيد الكرّة مرتين وبعدها مرتين أيضاً، وتكرر ذلك حتى تنسى أمر التنفس كلّه. وهذه مفيدة في الحالات الحرجة. حتى أنه لم يتعلمه من شخص في السجن بل من شخص عمل معه في البناء. تخلصك من غزل السعال* القديم المكدّس في رئتيك، من استنشاق الدخان وما شابه يا رجل؛ فوق في أنفك وتحت في حنجرتك، عندما تبصق في الصباح تخرج كتلة بلغم كالرغوة. لكنك تثابر على هذه التقنية لأنها تساعد على تهدئتك، هكذا كي لا تفقد أعصابك. المشكلة أنك لا تتذكرها دائماً وتبقى عرضة لفقدانها حتى قبل أن تبدأها. لكن آخر شيء كان بصدده هو أن يفقد أعصابه، فحالته لعينة فظيعة يا رجل. حتى أن عصاه ونظارته ليستا معه أيضا، ولا التبغ أيضاً. لكن لو كانت معه النظارة على الأقل لاستطاع أن يغمض عينيه ويغفو قليلا، ما من شخص آخر كان سيكون أكثر حكمة. مادامت الأمور على هذا المنوال فلن تتاح له الفرصة، لأنه مكشوف. جرّ نفساً من منخريه، وزفر إلى أقصى حد ممكن.

عندما بدأ الاستجواب نُقلت الكلبشة إلى الأمام. بدا له أنه يوجد أشخاص عدة في الغرفة، يريدون معرفة ما جرى يوم الجمعة، ومنذ البداية، عطلة نهاية الأسبوع المغلقة على الذاكرة. وصلته أصواتهم من

---

* مرض يصيب الرئتين نتيجة استنشاق روائح المواد العازلة

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

أماكن مختلفة وبدا أنهم يتحركون في الغرفة وهم يتحدثون. والكومبيوتر يعمل طوال الوقت. بدأ القصة بالتسلسل. الملاسنة مع هيلين بدأت بسبب تافه، وما تلاها لا يستحق الذكر. في الواقع لا يستطيع أن يتذكره لأنه تافه جداً. اعتقد أنها خرجت للعمل مبكرة، شيء من هذا القبيل. توقع أن تعود متأخرة لساعات عدة. وتلك مشكلة بالنسبة له، وجودها في العمل ليلاً، في العطل الأسبوعية خصوصاً إن كان لديه بعض النقود. فذلك شيء مثير خاصة بالنسبة لشخص مثل سامي لأنه لم يكن بيتوتياً، لم يعتد على ذلك. وهكذا كان يحب الخروج إلى الحانات، ليس من أجل الشرب فقط، بل لأنه كان يحب الصخب والعربدة وسماع الثرثرة أيضا. حتى إن أخذنا بالحسبان أنك عدت إلى الوطن منذ ثلاث سنوات، فما زلت تحبها.

–لا أكذب عليكم، حتى مجرد الخروج للنزهة الصباحية حيث تنسى أين أنت وبعدئذٍ يصل مسمعك ذلك الصوت الجلاسكوي الأول فيجعلك تبتسم. تفهم ما أقصد، لأنه يكون مفاجأة حقيقية.

وتشعر بالرضا، تعرفون، تشعر بالرضا، بالابتهاج. وبعدئذٍ في الحانة، يا مسيح! لا يكون في نيّتك أن تسكر؛ تذهب لتناول كأس فقط وتنتهي إلى شرب كمية كبيرة قصة قديمة لكنها حقيقية. تقابل أصحاباً وتجلسون تثرثرون. ذلك المشهد الجلاسكوي، يا رجل، سفلة يشترون لك مشروبا وتضطر أن تشتري لهم مشروبات بالمقابل.

– ...

– تمام تقول لنا إن صديقتك لم تعد. وهكذا خرجت من البيت، ذهبت إلى مكتب مراهنات وراهنت على بعض الأحصنة الرابحة، وبعدئذٍ إلى الحانة، وذلك كل شيء، نهاية القصة.

– نعم، حتى استيقظت صباح الأحد.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– وتبولت.

– كنت منقطعاً عن المشروب لأسبوعين، وهكذا ربما أسكرني المشروب أكثر من المعتاد.

– أو أنك كنت تشرب أكثر من المعتاد أيضاً؟

– نعم لأننا لم نتشاجر شجارات سيئة كثيراً أنا وهي، ذلك ما أقوله.

– إضافة إلى أنك كنت محبطاً.

– كنت محبطاً، نعم، لأنني لم أستطيع الحصول على عمل وهلم جرا، كالمعتاد.

– ما الذي جعلك تعده شجاراً سيئاً؟ قلت إنها كانت ملاسنة والآن تقول كان شجاراً سيئاً. فكيف؟

– لأنه قلما يحدث، فعلاقتنا طيبة، وهكذا عندما يحدث تصفه أنه سيّء، لأنه يقلقك. كنت قلقاً، ولذلك خرجت لأتناول مشروباً.

– ومنذئذٍ وحتى صباح الأحد لا تستطيع أن تتذكر سوى شذرات هنا وهناك؟

– صحيح.

– أي نوع من الشذرات؟

– إيه

– تقول شذرات، ماذا تعني بالضبط؟

– أقصد... توقف سامي. وكذلك توقف الشخص الذي يرقن على الكومبيوتر. كانوا ينتظرونه. الصمت يعمل ضدك. تحرك سامي فوق الكرسي، مخففاً من ضغط الكلبشة، وقال متمتماً: " إنها موجعة جداً".

– ماذا تقصد بالشذرات يا سامي؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– هل تقصد ما الذي أتذكره؟

– بالضبط.

– لست واثقاً، أنا فقط إيه.

– ...

– تقول إنك كنت في الأسبوع الماضي تشرب بصحبة شخص.

– حسن كنت مع ليغ، أخبرتكم بذلك.

– تمام وأمضيت الليلة معه؟

– ويوم السبت أيضاً.

– هكذا، تلك كانت شذرة واضحة أليس كذلك؟

– إيه... أدار سامي رأسه، اثنان منهم يسألان عادة لكن أحياناً يتدخل هذا الآخر، الذي تكلم مؤخراً، بدت لكنته إنكليزية قليلاً.

– لقد ذكرت شذرات واضحة.

– أعني فقط أن بعضها يتفق أنه واضح جداً.

– جيّد، ركز على الشذرات الواضحة إذن.

ضحك شخص ما.

– أيمكنني التدخين؟

– قلت إنك قابلت رجلين، خلال ذلك النهار.

– آه حسن، إن كنت تشرب في الحانة فمن المرجح أن تقابل أناساً.

– من؟

– من؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– من؟

– تريد أسماء؟

– ...

– هز سامي كتفيه. بيلي كذا...

– بيلي كذا...؟

– أقصد لا أذكر كنيته. وبعدئذٍ روبرت – تام، تام روبرت، قابلناه أيضاً.

– قابلتما تام روبرتس؟

– يعمل في السوق.

– ماذا يعمل؟

– بائع متجول.

– ماذا يبيع؟

– لا أعرف. أشياء مختلفة...

– أشياء مختلفة. وهكذا قابلته؟ أشياء مختلفة؟

– كنا روّاد الحانة، قابلناه في الحانة.

– كان يبيعكما أم كنتما تبيعانه؟

– ...

كان جوابه الصمت.

– لا أعرف ما تقصد. قال سامي. لا أمل بسيجارة؟

– هكذا إذن. قابلت رجلين. أولاً، الشهير بيلي كذا، ثم، البائع المتجول في السوق. ومن أيضاً؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– صدقني يا صاحبي لا أستطيع إفادتك بشيء، لقد سكرت بسرعة، كما قلت لك.

– رجل مدمن مثلك؟

– حسن تعرف كيف تجري الأمور، المدمن يسكر بسهولة.

– هكذا جرى إذاً؟

– ثروة من المعلومات.

– وقابلتهما اليوم؟

– ماذا؟

– اليوم، قابلت هذين الرجلين؟

– عن ماذا تتكلم؟

– إنه مهتم بالسؤال.

– لم أقابل أحداً اليوم.

– ذلك صعب تصديقه. إيه؟

– مستر صموئيل...

– ماذا

– تكلم عندما يوجه لك الكلام.

– لا أعرف دائما فيما إذا كنت أنا المقصود بالكلام، تلك هي المشكلة.

– مشكلة ماذا؟

– مشكلتي.

– مشكلتك؟

– أسمع أصواتاً، أصواتكم تأتيني من كل الاتجاهات.

– أتعتقد أننا غير منصفين بهذه الطريقة؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– ابتسم سامي.

– ستلاحظ بخصوص المستر صموئيل، أنه يستعمل ذهنه.

– ذكي.

– شاب ذكي، دعنا إذن نقف عند الشذرات الصغيرة الواضحة. عند هذا البيلي كذا، بيلي الشهير، ماذا عنه؟

– ليس شخصاً كبيراً.

– آووه.

– أقصد أنه أصغر مني. وشعره بنّي على ما أعتقد.

– هل قال لك ذلك؟

– بل تذكرته.

– وعيناه زرقاوان؟

– ربما، لم ألاحظهما، لكني واثق جداً من لون شعره. وهو أصغر مني بالتحديد.

– وقال لك ذلك أيضاً؟

– بل تذكرته.

– ظننتك تعاني من فقدان البصر.

– تنهد سامي.

– أقصد ذلك ما كنت تقوله للناس، إضافة للتلميح، لصديقتك، أنت شقفة أفّاك. كنا نقرأ إفادة قدمتها لزملائنا وهي قصة بغيضة جداً.

– غيرت رأيي.

– عفنون، هذا ما وصفت به زملاءنا.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– كنت غاضباً حينها، تعرف ما أقصد، بسبب حرارة الموقف، يحتمل أنني بالغت.

– يحتمل أنك بالغت؟

– نعم.

– تقول بشكل أو بآخر إن زملاءنا أعموك.

– ...

– كان جوابه الصمت.

– ليس كذلك، قال سامي، الأمر أنني لا أستطيع تذكر التفاصيل الإفادة لديكم وليست لدي. حتى لو كانت لدي فلا أستطيع قراءتها.

– شخص ذكي مثلك! لا أصدق

– ...

– تعرف أنه ليس دقيقاً دائماً. وأنه يعيد كتابة الإفادات. هل لاحظت ذلك؟

– ماذا؟

– ماذا؟

– ...

– سأقول لكم ما يهمني، وأنا بصراحة أتكلم كرجل مراهن، هو أسماء الأحصنة الرابحة التي يتكلم عليها الشخص. أقصد أن سامي يقول إنه راهن على كل الأحصنة الرابحة وأريد أن اسمع منه أسماءها.

– إيه...

– إيه؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– أحاول التفكير.

– تعرف إن راهنت على حصان رابح أتذكره. أنسى أسماء الخاسرين فقط. الأمر أشبه بلقاء رفيق لم تره لمدة، يمكن أن تنسى اسمه، لكنك لا تنسى أنك قابلته. أقصد بعد اللقاء، في نور الصباح البارد، تزيد أو تنقص من الذاكرة هنا، وتنقص منها هناك. وهكذا أوجه سؤالي لسامي، لك يا سامي، ما هي الأسماء الرابحة التي راهنت عليها؟

– كانت هي المرجحة للفوز، لذلك لم أهتم بأسمائها.

– آه!

– اهتممت بوقت السباقات فقط ووضعت إشارة أمام الأسماء المرجحة للفوز.

– هل لأنك كنت أعمى؟

– لا.

– أميّاً؟

– لا.

– في أي مكتب مراهنة راهنت؟

– إيه أعتقد أنه في كوين ستريت.

– يوجد مكتبان في كوين ستريت؟

– أعتقد في المكتب الكبير.

– تعتقد في المكتب الكبير.

– نعم

كنت في مكتب الرهان الكبير في كوين ستريت وراهنت على بعض الأحصنة الرابحة، المرجّحة. ولا أذكر اسم أي منها أعتقد أن اسم أحدها برنس شيئاً ما أو آخر، برنس ريجينت، شيئاً كذلك.

– هل كان ليغ معك؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– لا قابلته فيما بعد، عندما خرجت.
– وهل أخبرته أنك راهنت على الأحصنة الرابحة؟
– ربما، لا أستطيع أن أتذكر، ذلك يعتمد.
– يعتمد على ماذا؟
– هز سامي كتفيه.
– وماذا عن هذا البيلي كذا، وتام كذا، هل أخبرتهما؟
– لا، أشك في ذلك.
– لم يكن مهماً؟
– في الواقع لا.
– وهذا البيلي كذا وتام كذا هل كانا معاً أم كل بمفرده؟
– ماذا؟
– عندما قابلتهما، هل كانا معاً؟
– لا أتذكر.
– من قابلت أولاً إذاً؟
أعتقد بيلي لكن ربما كان تام.
– في أية حانة؟
– آو يا مسيح تسألني الآن، دخلنا كل الحانات.
– ما اسم أول حانة دخلتموها؟
– أعتقد أنها كانت حانة كامبل.
– كامبل! هذه ليست في كوين ستريت. تحتاج لمشي طويل من هناك إلى كامبل أقصد إن أردت المشروب وكنت في كوين ستريت، فلن تمشي كل تلك المسافة. لكنكم مشيتموها؟
– أنا أحب تلك الحانة كثيراً.
– كم تحبها؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– احبها وحسب.

– نعم، لكني أعتقد أنك لو كنت مغرماً بالمشروب فستشرب بسرعة، الأسرع الأفضل، وهكذا ستدخل الحانة الأولى أو الثانية. خصوصاً أن جيوبك محشوّة بالنقود.

– ...

– إيه؟

– الموقوف يرفض الإجابة.

– في الواقع لا.

– في الواقع لا، ماذا؟

– الأمر يعتمد على...

– وتعتقد أنك قابلت الرجلين هناك؟

– ربما لكنني لست واثقاً.

– لست واثقاً؟

– ليس تماماً.

– طيب كم ربحت؟

– ما يكفي.

– كم؟

– مئة وعشرين جنيهاً.

– مئة وعشرون.

– مئة وعشرون. هذا مكسب معقول لشخص يعتاش على بقشيشات الضمان الاجتماعي يا سامي يا ولد، لكن حتى لا يبدو أنك ذو هيبة. بالطبع فأنت محنّك. كدت أنسى ذلك.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– نعم لقد سجن هذا الشخص سابقاً، ويجب ألا نستهين به، لقد كرس سمعة. رجل محنك في مأزق!

– ومأزق طويل، نعم. الممتع في ذلك أنني أتحدث عنه لشخص عادي مثلي. كيف دخل مكتب الرهان وراهن علي كل الأحصنة الرابحة. وبعدئذٍ قرر أن يتوقف. والآن أرى هذا ممتعاً. لأنه يعني أنه ليس ساذجاً.

– حسن أنا لست مقامراً يا رقيب.

– نعم لكنه مقامر كما تعرف وهذا يعني أنه يعرف متى يتوقف. وهذا فقط بسبب التسجيل: هنا لديكم شخص من هذه النوعية، وليس بساذج عندما يتعلق الأمر بالمقامرة، فيدخل مكتب رهان ويربح بعض الجنيهات من رهانه على أحصنة يدعي أنه لا يعرف أسماءها، وبعدئذٍ يقرر أن يتوقف حوالي الثالثة بعد ظهر الجمعة، إذ ما تزال كل أنواع السباقات مستمرة. إضافة إلى أنه راهن في أحد مكتبي الرهان في كوين ستريت ويجب أن يكون لديهما سجلات مراهنات ذلك اليوم ما لم يكونا يتهربان من الضرائب، وهذا الرجل هنا، شخص لامع مثله لا بد أن يعرف أن سجلات الرهان يجب أن تكون موجودة كي يستطيع مراجعتها من يريد.

– ...

– وبعدئذٍ مشى نصف ميل ليتناول كأسا بينما الحانات موجودة على كل زاوية على طول الطريق. إيه يا سامي؟ هل ذلك صحيح؟ ما أقوله.

– إي

– إي! ماذا تعني هذه؟ الـ إي!

– تعني نعم.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– تعني نعم، مممّ. هل ما زلت مصراً على حكاية مكتب الرهان؟

– أدخله أحياناً لتمضية الوقت، خصوصاً عندما يكون الطقس سيئاً.

– آه، معلومة جديدة، لاحظوا ذلك. وبعدئذٍ، حسن وبعدئذٍ يقابل مستر دوناغهو أو بطريقة أخرى المعروف باسم ليغ، والغريب هنا كيف أن مستر دوناغهو لا يتذكر أي بيلي ولا يتذكر أيضاً أي باعة جوالين.

– ...

– هل سمعت ذلك يا مستر صموئيل؟

– لم أعرف أنه كان يحدثني.

قهقهة قهقهة.

– لكن ما يتذكره مستر دوناغهو، أنك قابلت شخصاً كنت تعرفه مسبقاً. أليس ذلك غريباً؟

– لا أعرف.

– لا تعرف؟

– لقد أخبرتكم ما حصل كما أتذكره وهو موجود في كومبيوتركم.

– نعم موجود في الكومبيوتر، لكن نديمك لم يتذكر أي بيلي كذا. في الواقع لا وجود لـ بيلي على الإطلاق. ذلك ما قاله لنا. في الواقع هذا ما لم يقله لنا، قال لنا أشياء أخرى لكن لم يكن بينها بيلي. ولا بائع متجول أيضاً – ماذا سميته؟

– تام روبرتس

– تام روبرتس، السياسي، ذلك صحيح.

– ...

– إيه؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– الكلام لك الرقيب يخاطبك يا مستر صموئيل.

– عفواً.

– ...

– حسن؟

– ماذا؟

– تام روبرتس، ناشط سياسي؟

– ماذا تعني؟

– أليس ناشطاً سياسياً؟

تبسم سامي.

– ماذا إذن؟

– لم أقل ذلك.

– آو، لا بد أنه شخص آخر إذن.

– ...

– ماذا قلت إذاً؟

– لم أقل إنه سياسي.

– لا نسألك عما لم تقله، بل عما قلته. ذلك ما نريد معرفته.

– ...

– الموقوف يرفض التعليق.

– لا، لا أرفض التعليق بل أحاول أن أتذكر ما قلت، أعتقد أنني قلت إنه بائع متجول. أعرف أنه يعمل في السوق.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– ماذا يعمل؟

– هز سامي كتفيه، يبيع يشتري.

– يبيع ويشتري ماذا؟

– أشياء مختلفة.

– وقد التقيته ومعك كل تلك النقود؟

– صحيح.

– واثق من ذلك؟

– نعم... حسن، أقصد إضافة إلى ما قلت، فقد كنت سكراناً، قد أكون مخطئاً، لكن لا أعتقد أني مخطئ في هذه النقطة.

– إذاً ليغ هو المخطئ؟

– بخصوص؟

– لا تتذاكَ يا سامي.

– انظر أنا لا أحاول أن أتذاكى، بل أحاول أن أفهم بوضوح، حتى بالنسبة لرأسي أعني، يا مسيح، لا أحب أن تعتم ذاكرتي. ما أقوله هو إنني كنت نصف واع ولم يكن ذهني مركزاً لأنني كنت قلقاً، مضطرباً، لأنني تشاجرت مع فتاتي، لكن ربما يكون هو مخطئاً. أو ربما نكون كلانا على صواب والأمر كله اختلافات في التوقيت أو ما شابه. كنا سكرانيْن، تعرف ما أقصد، كنا ندور الحانات، بسبب وفرة نقودي، يا مسيح! كنت أملأ الكؤوس فقط ذلك ما كنت أفعله، وهكذا من يعرف، من يعرف، بصدق، لا أستطيع أن أحدد لك من رأيت ومن لم أر. ذلك ما أقوله لك، لقد أعتمت ذاكرتي. بعدئذٍ اعتقلني زملاؤك.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– صباح الأحد.

– صباح الأحد، صحيح، كله مسجل لديك. تنهد سامي، حرك كتفيه حركة دائرية ليخفف من تيّبسهما، لوّى معصميه، وتنهد ثانية.

– لا شيء آخر تضيفه؟

– في الواقع لا.

– لا شيء أبداً؟

– حسن، إيه أتذكر أن رأسي اصطدمت بعمود إنارة وسخر مني لبغ. صباح السبت كما أظن وتعرف لأنها نكتة بالنسبة إليه، أن يرتطم رأسي بعمود إنارة لأنني كنت أترنح، فهو الذي كان يعرج لكن أنا الذي كنت أترنح، هكذا أقصد أنني تذكرت ذلك. إضافة إلى هذه الفتاة التي تغني للباتسي كلاين، بعض أغاني الكارا أووك أو ما شابه، ربما لم تكن كارا أووك، ربما كانت فرقة، لا أستطيع أن أتذكر، سوى أنها كانت مطربة رائعة نادرة يا رجل. أعتقد أنها غنت أغنية كريزي، لكن ربما لم تغنها. واحدة من فنانات منوعات الكارا أووك إنهم جيدون لدرجة أنك لا تعرف إن كانوا محترفين أم مجرد متدربين.

– سامي أنت سافل مبتذل.

لم أقصد أن أبدو هكذا، أنا فقط أخبرك كيف حصل ذلك. هتف سامي، رفع يديه المكلبشتين وحك أنفه ببراجم أصابعه.

– أي شيء آخر؟

– أعتقد أنني قابلت في مكان ما، ليلة السبت ذلك الشاب ستيوارت فور، يشرب في حانة جلانسي يبدو أنني قابلته وزوجته

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

كما أذكر. إنه مغنٍّ جيّد أيضاً، يؤدي وصلات جيدة للبيتلز والأوتيس ريدينغ، ذلك النوع من أغاني الستينيات. لكنه جيّد.

– أي شيء آخر؟

– إيه.... قطب سامي جبينه. هز رأسه، أرخى كتفيه، آسف إنني أتيبس، من الجلوس مطولاً. إنني أتألم كثيراً الآن. ليس في العينين فقط، وفي الأذنين أيضاً، إضافة إلى الأضلاع. ولذلك ذهبت إلى الطبيب هذا الصباح.

– يا قحب، يا متبجح، يا سافل، تريد أن ترى طبيباً؟ حسنٌ، سأجعلك تقابل طبيباً سافلاً مثل.

–هتف سامي. يمكنه إذن أن يفحصني. أريد فقط الاطمئنان على حالتي الصحية، رأياً طيباً وهلم جرا.

....

– لكني أريد سيجارة، فهذه ستريحني.

– آه أنت رجل صعب يا سامي.

– أنا لا أتظاهر. فأنتم لم تعطوني الوقت الكافي لأحضر تبغي، كنت خارجاً لتوي من الحمّام.

كان يستلقي صاحياً في الزنزانة وفيها شخص آخر. وعلى ما يذكر سامي، لم يبد ذلك الشخص أية محاولة للحديث، لم يكن في مزاج ليسمع القصص التافهة – من ملفات البوليس– فقد شعر أنه كبير، كبير جداً على هذا السلوك. آخر شيء كان ينقصه أن يقضي عقوبة أخرى. لن يكون قادراً على احتمالها. تلك هي الحقيقة.

الحقيقة اللعينة: ترتكب جريمتك تدخل السجن. لقد أمضى سامي ما مجموعه أحد عشر عاماً في السجن. كرجت العبارة على لسانه. لكن كيف هو وقعها في نفسه؟

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

إنها الحياة، لقد تحولت إلى جزء منك. يمكنها فعل ذلك، كما فعلت مع هيلين. كانت امرأة جهنمية بتعاملها مع مشاكلك، وبعدئذٍ أصبحت مشاكلها مشاكلك. وسجنها سجنك. لكن لم يكن سجنها قط، لم يكن من حقها فعل ذلك. لقد أُحْبِطَتْ؛ لا غرابة أنها أُحبطت. لكنا جميعاً أُحبطنا. لو أرادت أن تذهب لما منعتها يا رجل، تعرف ما أقصد، لتنقلع.

لا بأس تستفزك الأشياء. ولا حاجة للغضب. لقد تمنَّيْتَ لو لم تغضب، نعم لقد تمنَّيْتَ أحياناً!

لكنك تفكر بما انحدرت إليه. حالة أشبه بكابوس. وكلما استيقظت تراه في مستوى جديد.

لكن لا يمكن أن يسوء أكثر مما هو عليه الآن. كان الآن مُحَطَّماً، هذا هو الدرك الأسفل؛ سامي في الدرك الأسفل. لقد وصله الآن يا رجل، الدرك الأسفل اللعين، إنه في قعر الوجه اللعين، في السواد الحالك المُبَطن في الأعراف، في المَطْهَر، يشبه شيئاً كذلك، مَطْهَرٌ، حيث كل ما يسعك فعله أن تفكر. فكر، ذلك كل ما تستطيعه. تفكر فيما فعلته وفيما لم تفعله، لا تستطيع أن تنظر إلى شيء، لا تستطيع أن ترى شيئاً، إنها منطقة كارثية تماماً، عقلك ذكرياتك اللعينة... منطقة كارثية. تعجب من هذه الأشياء. كيف حدثت لك لا لأي شخص آخر؟ لم يكن سامي شخصاً عادياً، تلك هي المسألة يا رجل، لم يكن شخصاً عادياً لأنه لو كان سافلاً عادياً لما حدث له ذلك كله. هكذا، يجب أن تنظر إلى حياتك، فما فعلته هو الذي جعلك مختلفاً. وكلها ضربات لعينة قاضية يا رجل مصادفات لئيمة؛ حتى فقدان البصر، رغم أنه لم يحدث عفوياً، لم يكن عفوياً بل من فعل هؤلاء الجنود السفلة، من فِعْلهم، فقد كان غباءً مطبقاً. سفلة خنازير أنذال.

تقلّب الأمر في ذهنك أيضاً! كل شيء سار غلطاً بغلط! كل حياته اللعينة! مباشرة من البداية سارت غلطاً بغلط. حتى الأشياء الأكثر

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

غباء: سارت غلطاً بغلط أيضاً! شعرت برغبة في أن تسأل شخصاً ما. كيف يبدو الأمر؟ كيف حصل ذلك لي وليس له! ذلك الشخص هناك. كيف لم يحدث له ذلك؟

أنت فقط.

هيلين. هي أول شيء يخطر له. نعم، هي أول شيء، يا رجل. تعرف عندما تفكر بالأمر يتبين لك أنها هي القضية اللعينة ولا شيء آخر يا رجل. لا شيء لدى سامي أهم منها! يا يسوع المسيح! تلك هي القوة اللعينة لذلك الأمر. وسامي لا شيء، لا شيء البتة. وقد تمسَّك بها. تلك هي المسألة. تمسَّك بها وتمسَّك بها مطولاً. وسئمت هي الأمر. لو لم تذهب الأسبوع الماضي لذهبت في الأسبوع القادم. ولا تستطيع أن تلومها يا رجل! تعرف ما أقصد، يا مسيح يا قادر، ربما قابلت شاباً سافلاً، أحداً ما يرتاد الحانة، زبوناً نذلاً مُداهناً، ربما أحبها وذهبا معاً. تلك هي القصة اللعينة. تماماً كما جرت القصة السابقة، قبل هذا الخراء القحب يا رجل. هذا العمى الخرائي، العمى اللعين، العمى، العمى السخيف يا رجل! عماء لعينٌ سافل، عماء بشري سخيفٌ.

بشريٌ سخيفٌ.

الجحيم يعرف ما هو.

ضرط الشخص الآخر ثانية. هذا ما كان يفعله يضرط أثناء نومه.

كان سامي بصدد التفكير، كان بصدد التفكير. ما الذي كان يريده ذلك السخيف تشارلي؟ يا للجحيم اللعين! تتساءل ماذا يريد يا رجل؟ في هذا العمر وما زال يزرع القنابل يجب أن تتساءل! عمره أربعون عاماً، كرمى للمسيح! لا يبدو أنهم يطلبون المزيد، مطلوب منه فقط أن يقول إنه قابله. لا أكثر من ذلك، فقط أن يعترف أنه قابله. يريدون أن يثبتوا شيئاً خراءً مقرفاً.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

كان ليغ يثرثر.

ليس بالضرورة. لأنه لم يعرف شيئاً قط. كان زلابيه في ذلك المجال؛ مجال السياسة. اعتقدَ أنه يعرف لكنه لم يكن يعرف. كان تشارلي غريباً بالنسبة له. لكن أن يكون غريباً بالنسبة لسامي أيضاً فتلك هي المشكلة.

لا ليست مشكلة. ليست هي المشكلة ولم توجد مشكلة أصلاً. لا مشكلة على الإطلاق، وتلك هي المشكلة اللعينة! تعرف ما أقصد! تلك هي المشكلة اللعينة، يا يسوع المسيح!

تبسّم سامي.

تباً. إنه متعبٌ، منهكٌ من التعب، منهكٌ وعطشانٌ، لا حول ولا قوة على الإطلاق. أراد أن ينام فقط، أن ينام وبعدئذٍ يستيقظ، نشيطاً وحيوياً. تعرف ذلك بسبب العمى، تكون منهكاً طوال الوقت، لأنك تستهلك طاقة عضلية كبيرة في كل المجالات الأخرى. عملية التعويض، كل هذا البحث الذي قمت به وتبرطم نفسك بالخزانة والأبواب وأعمدة الإنارة القحبة لقد كنت منهكاً يا رجل، لا غرابة أنك بحاجة إلى النوم طوال الوقت.

ستخرجه هيلين من المشكلة. لكن في أي جهنم هي، أقصد يجب أن تسأل هذه الأسئلة، لأنهم سيفعلون ذلك لا محالة. ماذا لو كان قد حصل لها شيء يا رجل؟ يجب أن تبدأ بطرح الأسئلة على نفسك. يجب أن تبدأ، ابدأ بذلك، يجب أن تسأل هذه الأسئلة، يجب أن تطرحها، مثل إن كانت قد ماتت أو ما شابه؛ وإن كان شخص ما قد قتلها، يا رجل، يجب أن تسأل ذلك. تعرف: إذا كان شخصٌ ما، أي شخص، يا رجل، إذا كان شخص ما، إذا سافل ما قد مسّ شعرة واحدة من رأسها، شعرة تافهة من رأسها، يا رجل، يكفي ذلك ليكون انتقاصاً فظيعاً. كثيرٌ جداً أن تُمَسّ شعرة من رأس تلك الفتاة يا رجل.

يجب أن ترى الأمر من وجهة نظر البوليس، أيضاً. يا مسيح يا قادر! يجب أن تساعدهم لمعرفة ذلك، يجب أن تساعدهم، شيء يجنن.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

عندما يكون الأمر كذلك، يا رجل، اختفاءً في ظروف مريبةٍ، ماذا تفعل؟

هذه البطانيات الحقيرة تسبب له الحكّة عند رقبته وذقنه. وَبَرٌ لعينٌ، سيحلق ذقنه، ذقنه الهبْيَة اللعينة التي تطول. أول شيء سيفعله: سيحلقها بأسرع ما يمكن.

ترى الأمر من وجهة نظرهم أيضاً. إضافة إلى قرارها. البقاء معه وهلم جرا، يا للشجار السيّء.

هؤلاء السفلة بوسعهم اكتشاف أي شيء يريدون. تعرف؟ عندما تفكر بالأمر. حتى البقاء في المنزل، لا حقّ له فيه، لا حقّ له البتة، بوسعهم أن يتهموه بوضع اليد غير القانوني يا رجل، إن أرادوا ذلك. نعم، يستطيعون اتهامه بأي شيء لعين.

آو يا مسيح إنه متعب. كيف بحق الجحيم لا يستطيع النوم قليلاً ولو مجرد إغفاءة صغيرة. ظهره السبب، إنه يؤلمه، ولم يستطع الاستلقاء على بطنه بسبب الكلبشة، ولم يستطع أن يرتاح. لم يستطع أن يرتاح، تعرف ما أقصد بالراحة اللعينة. إنه منهك جداً يا رجل، تلك هي حالته، منهك. ليلة سعيدة يا سفلة، ليلة سعيدة إن استطاع النوم، فقط إن استطاع النوم، لكن كيف بحق الجحيم تستطيع أن تنام ما لم تكن مرتاحاً في نومك؟ سؤال وجيه. رائحة كريهة أيضاً، الشبح القحب الضراط يا رجل يضرط ثانية.

كان الشخص يتمشى. سلوك يبعث على التوتر. وقع الخطوات يقترب ثم يبتعد، ويبتعد، وقد امتلأ رأس سامي بها، عقله يعمل على وقعها، ومع كل ذكرى تتعلق بوقعها، هذه الخطوات اللعينة، تؤثر فيك، وصدعت رأسك يا رجل صدعت رأسك اللعين.

ماذا تشبه في المحصلة! ربما لو كان قادراً على الرؤية. لكنه مستلق هناك في هذه العتمة الحالكة، هذه العتمة اللعينة المطبقة... الجحيم يعرف ماذا كان يمكن أن يرى، إنه الأعراف اللعين.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– هيه ألن تجلس...

– إيه؟

– قلت ألن تجلس، أحاول أن أنام.

جلس الشخص. ربما كان مخبراً على أية حال. انقلب سامي على جنبه وتغطى بالبطانية. لكن وفي أقل من عشر دقائق كما خمن سامي أمسكه شخص من كتفه وكان عليه أن يقف ويخرج معه محاولاً الإمساك ببنطلونه، بقيت خفافته تحت السرير اللعين.

– لديك خزانة مليئة بالقمصان. ما زالت في أوراق السيلوفان.

– اشتريتها

– اشتريتها!

– كلها مقاسات مختلفة

– نعرف أنها مقاسات مختلفة يا سامي.

بدأ شخص آخر في الغرفة يضحك.

– اشتريتها بالرخص.

– تلك مفاجأة.

– لأنني فكرت أن أقامر بها.

– وهكذا من أين اشتريتها؟

– منذ أسبوعين

– ...

– من شخص في الحانة، اشتراها من مزاد ثياب متضررة بحريق، ذلك ما قاله لي على أية حال.

– وهل صدقته؟

– حسنٌ، لم يكن لدي سبب وجيه لأشك فيه.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– على ماذا اعتمدت في ذلك؟

– إيه؟

– إن لم يكن لديك سبب وجيه لتشك فيه، فعلى ماذا اعتمدت؟

– كانت له نبرة؟

– أوه كانت له نبرة حقاً بدا مثل رجل أجنبي محترم.

حسن، حسن.

– بصدق، ذلك ما فكرت به، في البدء اعتقدت أنه أحد أبناء الطبقة الإنكليزية الراقية لكني أعتقد أنه من نوع آخر، ربما جاء من أوربا للقيام بنوع من تسويق أجنبي لماركات تجارية.

– هذا خراء

– ...

– أنت سرقتها يا سامي.

– لم أسرقها.

– عظيم ستسجن بتهمة السرقة.

– لا بأس أقصد يجب أن تفعلوا ما يجب أن تفعلوه، لكنني عددت الفتى حديث العهد في المهنة، وبدا أنه مفلس، وكأنه بحاجة لبعض النقود. وسرني أن أشتريها منه. وعلى أية حال فقد فهمتها كمحاولة للحصول على ثمن بطاقة العودة إلى وطنه، إذ كان ذاهباً، أقصد إلى بلده، وطنه الأصلي. كانت صفقة، كنا اثنين في البار.

– أنت تافه يا مستر صموئيل، وتزداد تفاهة.

– ...

– تفهمني؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– ماذا؟

صوت صادر عن شخص يمخط، ثم صوت باب ينفتح وينغلق، بعدئذٍ يد تقبض على كتفه. كان الشخص قريباً جداً بحيث شم سامي رائحة نفَسِهِ وكانت عابقة برائحة مشروب، مثل الفودكا أو ما شابه.

أريد جدِّية ... إنه الشخص الإنكليزي ثانية، يتكلم بصوته الهادئ. لم يستطع سامي تحديد نبرته لكنها محليّة من مكان ما ... لذلك أصغ لزميلي عندما يكلمك وحاول جهدك أن تفهمه، إن كنت تعاني من مشكلة ما أعلمنا، فنحن هنا للمساعدة.

نعم، يا سامي، تعرف كان لدينا انطباع أنك من طبقة أرقى من هذه. أتحدث إليك بحرص شخصي، ظننتك شخصاً يمر بفترة عصيبة، لأنك كنت تقاوم بنزاهة، ثلاث سنوات، تبذل جهدك لتخلص نفسك، تعمل في جمعية خدمات العمل، على علاقة مع امرأة جميلة، لا أعرف إن كان لديك مشكلة كحولية، يقول زملاؤنا إنه لديك مشكلة، لكنني لا ألاحظها. أنا أحدثك بحرص شخصي، لكن إن كان لديك مشكلة ربما تكون تحت السيطرة، وأن صح ذلك فأنا أرفع قبعتي احتراماً لك، نراك الآن تتعامل بالمسروقات أشياء تافهة، بالنسبة لمتمرس مثلك لكن ها قد وقعت، فنحن بصدد كشف الحقيقة وإن كانت هذه هي الحقيقة فنجد أنه لا بد من تصديقها إذن. حتى هكذا، قليلاً من هذا وقليلاً من ذاك، يمكنك فهمها، ويمكنني فهمها، تحتمي خلف الحوالة وهلم جرا أقصد ومن سيهتم ببعض الجاكيتات الجلدية. لكن المشكلة فيما أنت متورط فيه الآن، إنه خطير، وسأكون صادقاً معك، لا أعرف أنك تأوي السافل الذي تأويه. لا أحد يحب أن يكون مخبراً، أقدّر ذلك، لكن هذا الشخص شيء مختلف.

– أي شخص؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– أي شخص تحب – بيلي، تام، لا يهم. يكفي أنك تعرف أن هذا أمرٌ جدّي، لذلك أنا وزميلي هنا. لكنك عرفت ذلك على أية حال ألم تعرفه؟

هز سامي رأسه

– عن ماذا حدّثك؟

– حديثاً عاماً.

– نعم؟

– كرة قدم، شيئاً من ذلك القبيل.

– حسن ربما لا نتحدث عن الشخص نفسه بعد كل ذلك لأنني أقابل أولئك الأشخاص ولا يتكلمون عن كرة القدم، لا يتكلمون عن السباقات لا شيء من ذلك القبيل، يتكلمون في السياسة فقط، بعدئذٍ، يغضبون، يغضبون ويصبحون أكثر عنفاً، ذلك ما تراه يا سامي يغضبون ويصبحون أكثر عنفاً وما يحدث أنهم يبدؤون الكلام عن أشياء أخرى يتكلمون على العنف وعن آمال الإرهاب. أقصد، دعنا من هذا لابد أنك قابلت أشخاصاً مثلهم عندما كنت في السجن. إيه؟

– نعم، مرة أو مرتين.

– جيد، عظيم، هيه بالمناسبة هناك شيء آخر، ربما لم تلاحظه– هل لاحظته؟

– ماذا؟

– الموظف الكاتب ليس هنا إنه وقت استراحته لشرب الشاي. لا أحد يعمل على الكومبيوتر. هذه المحادثة خارج التسجيل.

هز سامي رأسه وقال: " أعرف أنك تريدني أن أخبرك بشيء ما وأتمنى بحق المسيح لو أستطيع، ربما كنت سكران أكثر مما اعتقدت لكن بصدق، لا أستطيع أن أتذكر، الأشخاص الذين أحدثك عنهم، كل ما يسعني تذكره أنهم تكلموا على كرة القدم وما شابه، أقصد الأحاديث المألوفة".

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– المشكلة يا سامي أننا نعرف أن هذا غير صحيح.

– ...

– تعرف أننا نعرف إن كان ذلك هو كل ما لديك لتخبرنا به فأنت تكذب علينا.

– لا أكذب عليكم.

– نعم، أخشى أنك تكذب، يجب أن أقولها الآن تعرف إنك كاذب سافل، تعرف، هكذا أنت يا سامي كاذب سافل.

– آسف يا صاحبي لكنني لا أستطيع أن أتذكر من قابلت.

– ماذا ماذا؟

– أقول لا أستطيع أن أتذكر من قابلت.

– آه حسن هذه مشكلتك، لأنه بالنسبة لي ولزميلي حتى ذلك بدأ يثير الريبة.

– تفهم ماذا أقول؟

– ...

– هذا شيء لتفكر فيه الآن أليس كذلك؟

– ربما لم يفهم ما قلت له.

– آه اعتقد أنه فهم: إيه سامي، ألم تفهم؟

– ...

– الصمت هو الجواب. ربما يستطيع إن خلع جوربيه. اخلع جوربيك يا سامي. انتظر سامي لحظة ثم انصاع للأمر، وكان على وشك أن يضعهما في جيبه عندما أُخِذا من يده.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– تمام يا ولدي ارميهما هناك بعيداً عنا.

– سمع سامي وقع خطوات ومن ثم خطوات أخرى وبعد ذلك تمتمات. بعدئذٍ اقترب منه شخص ما، وقال الرقيب: تمام يا ولدي تفحص قدميه بحثاً عن، أسلحة مخبأة، أشياء من ذلك القبيل.

– قروح على عقبيه، مسامير أو أورام على الإصبعين الأكبر والأصغر، في كلتا القدمين. إنهما نظيفتان ما خلا بعض الوبر الصوفي.

– يا مسيح سيكون ذلك الفتى محققاً ناجحاً. دعنا نرَ... نعم، مثلما اعتقدت تمام: أضف إلى تقرير الشكل أن هاتين القدمين ليستا نظيفتين فقط بل أنظف من المعتاد، وأصابعهما حُمرٌ. غريب هذا أليس كذلك، أصابع القدمين حمر نموذجية كما تعرف.

– إنهما من النوع الذي يمكن أن يسمى غاضب – الشكل.

– غاضب الشكل. نعم.

– من جهة أخرى، ماذا نقصد عندما نتحدث عن أصابع قدمين غاضبتي الشكل؟

– إنهما حُمرٌ بنفسجية.

– تبدو أكثر شبهاً بلون القضيب.

بقي سامي ساكناً، معصماه يرتاحان على فخذيه، أصغى إلى ضحكهم. بدا أن أحدهم كان قريباً جداً من قفا رأسه لذلك كان عليه أن يمنع نفسه من التململ، فذلك سيزيد ارتيابهم فيه. استمروا في الهذر وتحول انتباهه عما كانوا يقولون إلى كيف قالوه، لأنه كان يتوقع لكمة في أي وقت. لكن الأمر على ما يرام. شعر بذلك، أن الأمر على ما يرام. لم يكن قلقاً، لكن المشكلة أنه عندما يتلقى تلك اللكمة لن يكون مستعداً لها، لكن لم تستطع فعل شيء، وإن كنت لا تستطيع فعل أي شيء فلا تبال بالأمر.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– مزيد من الضحك.

– بعدئذٍ سقط الجوربان في حضنه.

أتمنى لو فحصنا جوربي الموقوف إن كانا مثقوبين! لا أريد أن أسمع شكايات بحق القسم فيما يخص إتلاف ممتلكات الموقوف. فهذا الشاب على موعد مع طبيب أخصائي صباح الاثنين.

– ...

– شخص ما يتكلم إليك يا سامي، أنت متصنع فاشل جداً.

– حقاً؟

– هوه هوه، ويغتاظ بسرعة. وكأننا نحتجزه بحجج كاذبة وخدع وضيعة. قال إنه قابل طبيباً صباح الأمس لكنه لم يفعل، لم يقابل طبيباً أبداً، قابل موظف استقبال.

– صحيح ذلك يا سامي؟

– حجزت موعداً مع الطبيب لصباح الاثنين.

– تنهد شخص ما. حركة تقترب منه الآن. لَمَسَتْ إصبعٌ جبينه فأرجع رأسه إلى الوراء.

– لا، إشّ. إشّ. استرخ. الرقيب يتفحصك الآن...

لمست الإصبع وجنته وبدأت تضغط.

– ماذا...؟

– إنهما غريبتان كما ترى لا أستطيع أن أرى خللاً في عيني هذا الشاب أتستطيع أنت؟

– كلا لا أستطيع.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– طبعاً لأنه يبقيهما مغمضتين لذلك صعب أن تعرف. لكنني لن أتفاجأ أبداً إن اتضح أن ادعاءه كاذب. أشك بوجود أي خلل لعين فيهما. هذا إن سنحت لك فرصة فحصهما. طبعاً لسنا أخصائيين، لسنا مراجع طبية مختصة. مستر صموئيل أتسمح بفتح عينيك للحظة؟

– رمش سامي.

– متأكد أنك تعاني من فقدان البصر؟

– ...

– الموقوف يرفض الإجابة.

– أوافق زميلي يا سامي، تعرف أعتقد أنك لن تكون محظوظاً. أعتقد أن ذلك الطبيب سيلقي عليك نظرة واحدة ويقول لك: "روح انكح حالك". سيقول لك إنك مرهق. سيعطيك تقريراً سيئاً، وسيتساءل كيف أضعت وقت القسم بتسجيل اسمك في سجل العجز الوظيفي، لأنك بقدر لجاجتك فأنت سليم كالكمان، ولديك عينان مثل عيني روبن هود الثاقبتين تصيبان التفاحة على بعد مئة خطوة، ذلك ما سيقول لك. انظر إليهما بنيتين متألقتين. حتى إنك لست مدمن مخدرات!

– وسيصدم الضمان الاجتماعي يا مستر صموئيل، إن تبين أنك كذبت بخصوص قدرة العمل الوظيفي. بعدئذٍ طبعاً، كل زملائنا، يحملون واجب محاربة اللصوصية أينما وحيثما وجدوها. ولهم نظرة خاصة معادية للمتهربين من الضرائب.

حرك سامي كتفيه ومن ثم معصميه.

– إنه ليس نائماً!

– رائحة تبغ يُدخَّن. تنحنح سامي: هل لي بسيجارة؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

لا تدخين في هذه الغرفة يا سامي ظننتك تعرف ذلك، خصوصاً لشخص محنّك مثلك، لكننا نعاملك كما نعامل الجميع، هكذا لا تقل إننا سيّئون معك، هذه رسالة هل تعرف لمن هي؟

– ...

– إيه؟

– لا.

–حسن، سأقول لك، إنها للسيدة ماك جيلفاري. لكنك لست المستر جاك جيلفاري أنت مستر صموئيل. هكذا يبدأ هنا تناقض صغير. تعرف لو كنت أنا مخوّلاً بمتابعة القضية فسأضيّق الطوق على المدعى عليه، لا أمازحك، كنت سأفعل ذلك. لكن الحق حق. أعتقد أنك تريد أن تعرف مضمونها.

– ليست لي.

– نعم لكنك تريد أن تعرف مضمونها ألا تريد؟

– كلا في الحقيقة، لا.

– سأقرأها على أية حال. "عزيزتي هيلين، كنت آمل ألا تتغيبي دون عذر في زحمة العمل. ألا يوجد لديك هاتف. ليس لدينا الوقت لكتابة الرسائل: إننا مشغولون جداً جراء القيام مكانك. أعلمينا إن كنت ستعودين إلى العمل، وإلا سنستخدم شخصاً بديلاً. لا نفضّل ذلك لكننا سنضطر إليه. ألطف تحياتي، جون ج. ب س." هل قلت شيئاً أزعجكِ!

– ذلك مدير حانة كوين يا مستر صموئيل، يتساءلون لماذا اختفت المرأة. ربما تكون مهتماً بأن تعرف أنها لا زالت مختفية، حتى ليلة أمس. بالمناسبة، إننا نتساءل إن كان لديك ما تقوله رداً على ما سمعت.

– إيه...

– ما سمعت الرقيب يقرأه.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– عرفت بوجود رسالة وربما هذه هي. وجدتها في صندوق الرسائل منذ يومين.

– ذلك كل ما لديك لتقوله؟

– وكان هناك رسالتان غيرها أيضاً... تنهد، لقد جف حلقه انحنى إلى الأمام، واضعاً يديه على ركبتيه.

– إيه؟

هتف سامي وقال، " أنا قلق."

– أنت قلق؟

– نعم.

– أصدق أنك قلق، فلديك سبب وجيه لتقلق.

– يكفي يا رجل بحق المسيح!

– يكفي! ماذا تقصد بـ يكفي؟ لقد عطلتنا ساعات عدة، وتصل بك الوقاحة لتصيح بي أن يكفي! من تظن نفسك بحق الجحيم أنت يا بضعة حثالة نتنة!

وتحرك عندما قال العبارة الأخيرة، بسرعة وبغتة، وانحنى سامي. بعدئذٍ خيّم الصمت.

أخيراً قال شخص: لقد قابلت تشارلز بار في حانة كامب بيل يوم الجمعة من الأسبوع الماضي. صحيح أم لا؟

– يمكن أن يكون صحيحاً ويمكن لا، لا أعرف، كنت سكران.

– سامي أتلاحظ أن فتاتك اختفت في ظروف مريبة جداً؟

– نعم.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– نعم؟

نعم نعم نعم أعرف، أعرف، أنا أعرف! وأنا قلق! أنا ق ل ق. قال سامي الكلمة الأخيرة من بين أسنانه، ونهض نصف نهضة عن الكرسي.

– حقاً؟

– جلس سامي ثانية. نعم.

– يا رقيب أعتقد أن هذا الرجل أقل من ذكي.

– ما أقوله إنني قلق.

– ...

– والآن وقع أقدام. بدا وكأنهم كانوا ذاهبين. وانغلق باب. بعد فترة قصيرة قال سامي، عائلتها تعيش في ديمفريز. لا أعرف أين بالضبط لكن في مكان ما هناك.

– ليس لديك فكرة؟

كان صوتاً مختلفاً، الشخص صغير جداً، واضح من صوته. تحرك سامي فوق كرسيه وكأنه تفاجأ بمكان صدور الصوت. العنوان في البيت في مكان ما، قال سامي، لكنني لا أستطيع البحث عنه لأنني لا أستطيع أن أرى.

– هل فعلت ذلك من قبل؟

– ...

– إيه؟

– نعم.

– هل أخبرتهم بذلك؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– من؟

– الرجال الذين كانوا يستجوبونك؟

– أعتقد ذلك.

– أين قابلتها أول مرة؟

– إيه... في حانة جلانسي... لقد أصغى سامي للأشخاص الآخرين. لا يمكن أن يكون هذا واحداً منهم. ويجب أن يوجد موظف الكومبيوتر على الأقل. يبدو أنه متدرب لكنك لا تستطيع التأكد من ذلك. تبسم سامي: هل ذهب الآخران لشرب الشاي!

– نعم، ربما.

– استدار سامي فوق كرسيه وكأنه يستطلع الغرفة.

– هل أنت أعمى حقيقة؟

– نعم لا يمكنني رؤية شيء.

يا للجحيم!

شيء فظيع. وسيكون الأمر مختلفاً لو كنت معتاداً عليه. لكنه حدث فجأة، وهكذا كل شيء هو نوع من – تعرف إنه سوء الحظ. سوء حظ حقيقة. إن عادت صديقتي... إنها جيّدة تعرف إنها جيّدة. هز سامي كتفيه. إن وجدوها، أقصد إن أخبروها ستعود فوراً، بأسرع ما يمكنها. مجرد أن تسمع، تعرف ما أقصد؟ لو يخبرها شخص ما. أقصد أتعتقد أنهم سيخبرونها إن وجدوها؟

– ما رأيك أنت؟

– لا فقط آمل أن يجدها زملاؤك، ويخبروها بالأمر، بأني أعمى.

– ...

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– هل ذهبوا للبحث عنها الآن؟

– من؟

– زملاؤك.

– آه لا أعرف يا رجل نحن هنا أشبه بحراس.

– لا تسء فهمي، لا أسعى لمعلومات. كنت أعبر عن أملي في أن يجدوها... هَتف سامي وتنهد. بعدئذٍ همس الشرطي: اسمع يمكن أن أقول لك شيئاً، ترى هذين الشخصين اللذين يستجوبانك، ليسا من هذا القسم.

صحيح...

– انظر لا تسيء لا تسء فهمي لكن أتعتقد أن الذي كتب الرسالة من الحانة، ينيك صديقتكَ؟

– تكتف سامي. بعدئذٍ هز كتفيه: من يعرف.

– أراد أن يبتسم لكنه أمسك نفسه. الأمور تسير على خير ما يرام، تسير على ما يرام. لقد ضبطت أعصابك، لقد ضبطتها.

– عندما صموئيل

سيكتب أغنية، قريباً، أغنية تفضح السفلة.

شخص ما يدخن سيجارة من جديد. ويسمع أيضاً تلمظ أشخاص يشربون قهوة أو شاياً. كانا يبالغان في ذلك، وكأنهما يمتعان نفسيهما. ربما كانا يشربان مشروباً حقيقياً من علبتي سوبر لاجر سعة نصف ليتر. لا أظنك ستلومها. تمتمة تمتمة كان أحدهما يتحدث عن الغولف. بطولة ما تقام في أمريكا وتُبَث تلفزيونياً. مملة ألعاب الغولف تلك يا رجل، تشاهد كل أولئك السفلة يمشون في المضمار، وأحد الفقراء خلفهم يحمل لهم أدوات اللعب. كرة القدم شيء مختلف. لو

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

جرت الأمور على ما يرام لكان سامي نجماً الآن. كانت رأسه مليئة بخراء كثير، أقصد عندما كان يافعاً. وإلا...

مازال يفتقد ذلك حتى الآن، بوسعك تخيّله، يركض في الملعب وشخص يمرر لك الكرة، خدعة، وتنطلق بها.

حركة. توتّر، ومن ثم أراح معصميه على فخذيه وحاول أن يجلس جلسة مريحة، مبقياً قدميه ملاصقتين للأرضية.

قال الرقيب، سامي، أنت مقزز مقزز حقاً. بيني وبينك وبين الأطرش لا أظنك تدرك الخراء الذي أنت فيه. هذه ليست مسألة سرقة كما تعرف. ولا يهم ما يمكن أن تظنه، لسنا راغبين بإبقائك هنا. نريد منك بعض الإيضاحات فقط. ترى أنك تافه. ولسبب لا يعرفه سواك تصر على عرقلة هذا التحقيق. والآن لا أعرف لماذا تفعل ذلك خصوصاً أنك متعلم وتدرك جيداً أهمية تلك المعلومات المكتومة التي تقدم لنا عوناً حقيقياً أو مساعدة ذات منفعة شخصية عظيمة لك كموقوف. الحقيقة أنك لا تقدم هذه المعلومات، بل لم تقدم أية معلومات. وهكذا لدينا دوافع ملموسة — قوية وراسخة — للاعتقاد أنك تخفي أدلة، على الأرجح. والآن، هل تعرف أن ذلك يضعك في وضع حرج؟

– نعم إن كان ذلك صحيحاً. لكني لا أخفي معلومات. تنهد سامي.

– تعرف أنك تخفي. وإن استطعنا أن نريك سبباً وجيهاً لاعتقادنا ذاك ينتهي عندئذٍ عبء ذلك الإثبات بأن يرجع إلى المنشق، أقصد أنت.

– تفهم يا سامي ما نقوله أننا لسنا أغبياء؛ تعرف سجلّك ونحن نعرفه، ونعرف أيضاً أكثر مما يحتويه سجلك، نعرف كل شيء، إيه... أعطه سيجارة.

– لا بأس، شكراً، لا أريد سيجارة.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– لا تريد. هذا ما توقعته حقيقة ما دمنا نحن نقدمها لك. والآن ترى أننا نعرف أنك قابلت مستر بار. نعرفه لسببين: الأول، أنه كان تحت مراقبتنا؛ الثاني، أن المستر دوناغهو أفادنا بذلك، أخبرنا به.

– لم أقل إنني لم أقابل تشارلي بار قلت فقط أنني لا أتذكر إن قابلته: لأنني كنت سكران. ربما قابلته، لست واثقاً. انظر، رجالك يجب أن يعرفوا ذلك إضافة إلى أنني لست متورطاً معه، أقصد لماذا سأنكر ذلك؟ إن كان هناك ما أعرفه، فلن يكون ذا قيمة تذكر أبداً، لذلك لن يكون لدي ما يدفعني لإخفائه عليكم.

– إذن تقول إنك ربما قابلته؟

– نعم، يا مسيح...

– إنه صديق قديم يا سامي ويجب أن تتذكر.

– هز سامي رأسه.

– هذا شيء من خارج سجلك، لا نهتم بأمر صديقتك. نعرف جيداً أنها إن كانت قد تعرضت لاعتداء ما فلست الفاعل. لكن حتى لو كان الأمر كذلك... تفهم ما أقوله لك الآن. هناك زملاء لنا لا يشاركوننا الرأي نفسه، لديهم ما يمكن تسميته رأياً قاطعاً بوجود جريمة خطيرة ويرون أن مرتكبيها مجرمون خطرون. إن اختفاء هيلين ماك جيلفاري مسألة خطيرة جداً وأخشى أنك متهم بارتكاب جريمة خطيرة. لكنك هنا وفقاً – لادعائنا لا لادعائهم، دعني أعِدْ؛ لا غاية لنا بك، على الإطلاق.

– ...

– أتود قول شيء؟

– إيه كلا.

– جيد، نتوقع منك أن تفكر بالأمر قليلاً. وأخشى أننا مضطرون لإبقاء يديك في الكلبشة. لا تأخذ الأمر على محمل شخصي.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

الأمر يتعلق بالراحة، فمن الناحية النفسية لا بأس به، لأنك تشعر أنك تنجز شيئاً ما.

عندما كان سامي طفلاً

عندما كان سامي طفلاً

كان يحلم أحلامي فيك

الموسيقى تصدح، تتذكر ذلك الشخص الذي توقف قلبه عن الخفقان؟

حسن لا يجب أن تتذكر.

بل يجب، هذه أشياء يجب تذكرها. تظن أنها النقيض لكنها ليست كذلك، إنها الأنوار الهادية. نفذ سامي عملية ذات مرة وكانت هناك تلك الأضواء الصغيرة الهادية أسفل الطريق. احلم أحلامك. لكن تذكر الشيء الآخر. إضافة إلى أنها تبقيك عاقلاً. لأنك لا تكون عاقلاً عندما تشرب. في السجن ترى الموت وما من شيء تكتب عنه لأهلك. يقع الموت. ويقع لأناس مدهشين أيضاً. لقد تنبأت به في المرات الأخيرة. حتى دون أن تصرح به لنفسك ولم تكن تتفاجأ عندما يقال لك إن فلاناً قد مات، نعم... لأنك كنت تتوقعه، دون أن تفكر فيه

ذات يوم سأشفى منك

سأعيش لأرى ذلك اليوم

لكني سأبقى دائماً

أحلم أحلامي فيك

تلك كانت طريقة الفتى صاحب الستريو الشخصي؛ وعرفت أنه سيلاقي حتفه، ولاقى حتفه؛ كان يجلس: ظهره إلى الحائط وعيناه

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

مغمضتان وذقنه على ركبتيه، السماعات على الأذنين، يحلم أحلامه اللعينة. أراد العودة إلى بلده ولم يردها في الوقت نفسه رغم أن زوجته وأطفاله هناك. كانوا يتوقعون أن يقتله الجنود. صعب أن تصدق فتى صغيراً مثله، لكن هكذا جرت الأمور يا رجل أقصد ماذا تفعل بحق الجحيم، لا يوجد سوى ما فعله سامي، يستلقي على السرير اللعين. أصغ إن تكلم الشخص، لكن لم يتكلم. وعندما يقدم له قطعة لحم مجفف لا يأخذها، فقد كان مسلماً لا يدخن ولا يشرب المسكرات، تصلحه جهنم! أنا رجل تقي. ذلك ما اعتاد قوله، أنا رجل تقي، لا أطلب شيئاً. تلك هي مشكلته اللعينة، وهكذا لم يأخذ شيئاً قط، بينما سامي

كان دائم الجنون

وبذلك نجا من الجنون

لكن ليس هذه المرة. إن سجن هذه المرة فسوف يجن. أكان أعمى أم لم يكن.

تقلب في السرير محركاً عجيزته أولاً ثم كتفيه، بعدئذٍ ساقيه، ظهره يؤلمه. لم يستطع أن يقلب على بطنه بسبب الكلبشة التي في يديه. واستطاع أن يقلب على جنبه. لكن تلك الوسادة اللعينة. القذرة تافهة.

نواح نواح نواح إيه! دعك من هذا وركز على وضعك العصيب ولا فائدة ترتجى.لأنك تعرف أيضاً المشكلة. أن تقدم لهم مكافأة، العمى، ذلك يعني تورطاً أكبر.

غريبون هؤلاء السفلة، كيف يعتقدون أنهم بإبقائك في السجن سترى قدراً أسوأ من الموت. لديهم كاميرات تلفزيونية كثيرة، يعتقدون أنهم يتنزهون في شوارع نيويورك الفقيرة أو في مكان سخيفٍ

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

في شيكاغو. كلهم يتمنيكون يقصدون " أل باسينو"، " همفري بوغارت " تعرف ما أقصد يا رجل.

تستذكر حياتك الماضية، لكن لا فائدة؛ بعض الأمور واضحة تماماً. يمنح الناس بعضهم فرصة ثانية. ذلك هو الشيء المحيّر. لم يعد أحد يفعلها. فقط أنتما الاثنان، أنتما الاثنان فقط تفعلانها.

عود ثقاب! لقد أشعل الشخص عود ثقاب! ذلك يثبت أنه مُخبر. لقد وضعوه مع مُخبر. تبسم سامي. انتظر دقيقة وقال، أعطني مجّة يا صاحبي؟

–لا جواب، آه حسن.

والآن بدأ المشي. يثير أعصابك، تحاول تجاهله لكن ذلك محال. فنجان قهوة رائع الآن. يمكنك أن ترمي الشخص به! قهقه سامي وخنق القهقهة، لكنه قهقه ثانية. شيء فظيع.

مشروب سيكون رائعاً أيضاً. حلقه جاف كالجحيم – كأس ماء، ماء مثلج.

وأثر شفة على فنجان قهوة نصف مليء

الفنجان الذي صببته ولم تشربيـــه

آه اللعنة.

تفكر بهيلين الآن يا رجل ربما كانت تفكر بهذا الشخص الموجود هنا. زوجك، يستلقي بردان في غرفته المنعزلة، عتمة متكهفة في عزلة العقل: هذا بالتحديد مقطع من، أغنية يا رجل، لا جدال في ذلك.

مباريات–كرة القدم–قد–لعبها. تعرف لعب مباراة واحدة، كانت مع فريق تروفي.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

رائحة تبغ يُدخّن، تصعد في منخريه. تمام. لأن سامي استمتع به وكأنه دخان سيجارته، سيجارته القحبة يا رجل ومن يبالي، انفثها انفثها.

أنت سافل أحمق مخبر تافه.

لذلك من الأفضل ألا تنزعج. لست منزعجاً. إنها غلطته. غلطة كبيرة. دعهم يتابعون خطتهم. ربما كان أصم. ذلك هو نوع الإثارة التي سيجنونها. أعمى وأصم. أو أبكم أيضاً. مذهل. يمكنك تخيلهم يراقبونك بوساطة كاميرات المراقبة القحبة.

يا يسوع يا قادر يجب أن تتخيّله يا رجل.

– هيه أنت هل أنت أصم؟ قلت لك أن تكفّ عن المشي. ما مشكلتك؟

– اخرس وانتبه لنفسك ولا تهتم بمشكلتي.

– كيف؟

– لأنك تزعجني يا رجل عرفت كيف، تستفزني، تعرف ما أقصد، دعنا في سلام.

غص بنَفَسِه في حنجرته وسعل، خرجت كتلة بلغم، أعادها إلى حلقه وبلعها. ربما لم يكن الرجل مكلبشاً. ربما يريد أن يجرّب ذلك الشعور ماذا يشعرك ارتطام معدن الكلبشة القحبة. تجربة ذهنية — صادقة أفضل من لا شيء يا رجل.

يضايقونك. تحاول ألا تسمح لهم. لكنهم يضايقونك. لا فائدة من مقاومتهم. إنه هدر للطاقة. خصوصاً عندما تفتقر للسيطرة. لو ملكت بعضاً من السيطرة عندئذٍ حسن. ربما يستحق الأمر التفكير عندئذٍ، تبحث عن طرق الدخول المناسبة، طرق الخروج، أشياء من ذلك النوع. المهم في ذلك

لا شيء مهم.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ينتظرهم منذ زمن طويل. لم يعودوا إليه وذلك غريب. إضافة إلى أنه لم ينم قط. ربما ذهبوا لتناول عشاء أحدٍ دسم ولذيذ، ذلك ما كانوا يحصلون عليه يا رجل عشاءات أحد دسمة، هؤلاء الجنود الأنذال السفلة، يتناولون أفضل شرائح اللحم والبطاطا، والبيض المسلوق، وكل المازوات اللذيذة.

أنزل ساقيه عن السرير ونهض واقفاً. سمع حركة على السرير الآخر. أيها السافل التعس، شعرت بالأسى عليه، أياً كان. تلك كانت المشكلة مع جاكي ميليغان. إن كانت هيلين ستلقي اللوم على الفتى، فإلى أي حد تدافع؟ ليست الأشياء بالسهولة التي اعتقدت. كان لها رأيها الخاص فيه، وكان إيجابياً جداً، لكن ذلك لا يعني أنه الصحيح. يا مسيح قدماه تؤلمانه. تلمّس طريقه بقدمه اليمنى، متجهاً إلى نهاية الحائط، مادّاً ذراعيه مقبوضتي اليدين على طولهما، يتلمس إلى الأمام بأصابع قدميه.

– أنت أعمى؟

– نعم.

– لم أكن متأكداً.

تابع سامي سيره. عند الحائط استدار وأسند ظهره، بعدئذٍ أقعى، ثم جلس على الأرض وبسط ساقيه. تعرف كم الساعة؟

– الخامسة!

– كيف عرفت؟

– مجرد تخمين.

– أنت هنا منذ زمن؟

– منذ أمس وأنت؟

– الشيء نفسه.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– يعتقلونك؟

– لا أعرف.

– ولا أنا أيضاً. صخب فظيع أليس كذلك!

– هز سامي رأسه. انظر إيه أقصد من قبل، عندما كنت تمشي وطلبت منك أن تتوقف، كانت رأسي تؤلمني...

– لا تشغل بالك. يداك مكلبشتان؟

– نعم.

– الكلبشة مؤلمة؟

– نعم. حرك سامي معصميه: ليست مريحة أيضاً.

– لماذا يعتقلونك؟

– لم يجبه سامي مباشرة. بسبب سوء فهم. وماذا عنك أنت؟

– يحاولون أن يثبتوا أني أتاجر بالمخدرات.

– تفعل ذلك حقاً؟

– لا.

– حالة اشتباه خاطئة؟

– نعم، إلى هذا الحد أو ذاك. ما سوء الفهم معك أنت؟

– آخ. لا شيء.

– الكلبشة في يديك تؤكد وجود شيء؟

– من يعرف، الأمر بيدهم

– ما اسمك؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– جَو

– أنا ديفيد. هيه ألم أرك من قبل؟

– لا أعرف، هل رأيتني؟

– أين تشرب؟

– أوخ في أماكن مختلفة، ماذا عنك أنت؟

– تعرف كاستلميلك؟

– في الواقع لا.

– حسن... بالمناسبة متى يقدمون الطعام هنا؟

– الجحيم يعرف متى. عندما يريدون.

– لا توجد أوقات محددة؟

– ...

– ظننته في أوقات محددة.

– ظننت ذلك؟

– حسن كنت أتوقع ذلك.

– تمام.

– هل هو غير عادي؟

– ألم يبق معك سجائر؟

– لا.

يحدث الرجل صخباً وهو يتقلب في السرير. أسند سامي ذقنه على ركبتيه، يجب أن يتبول لكنه لا يقوى على احتمال عبء ذلك. ربما

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يتبول في ثيابه. تمنى أن يصمت الشخص الآن. تحتاج للصمت. يمكن أن تحصل عليه في السجن. لكن السجن يكون عادة صاخباً كالجحيم لكن ليس دائماً. وعندما تحصل على الصمت، يكون غير معقول وكأنه لا يوجد ولا حتى نَفَسٌ، كل ما تسمعه هو جريان الدم في عروقك. وإن تعرضت للضرب تتخيل أنك تستطيع سماع تواشج عضلاتك وعظامك، وجسدك يستعيد انتظام عمله. من الأفضل أحياناً أن تدع الصمت يهيمن. وأحياناً أخرى بالعكس. مازال الشخص يتقلب في سريره.

– قال سامي: هل تعاني من مشكلة؟

قالها بصوته العادي لكن بدت ملعلعة وبدا كأن الشخص انتظر انتهاء اللعلعة قبل أن يجيب: مشكلة؟

– نعم هل تعاني من مشكلة؟

– لا.

– جيّد.

في سجنته الأخيرة، أخبر شخص سامي عن التعقيدات. سأله إن كان لديه صديقة أم لا. كان سامي متزوجاً حينها ولم يرغب أن يخبر الشخص عن خصوصياته فقال له: إن الأمر معقد جداً. لم يرغب بالخوض في الموضوع. قال الشخص: اسمع يا صاحبي تدخل السجن وأنت معقد، وتبقى معقداً عندما تخرج منه لكن التعقيدات مختلفة. كل تعقيداتك الأخرى تولّي بعيداً. ينساك الناس، أقصد ينسون حسناتك، ولا يتذكرك إلا السفلة اللذين يبقون راغبين في أن يخوزقوك.

تذكر سامي كيف اعتبرها حكمة ثمينة. لكنها كانت مجرد خراء.

صرّت نوابض السرير، الشخص يتقلب ثانية. أراد سامي أن ينهي الحديث معه. بدأ يفكر بأشياء من النوع الذي اعتاد التفكير فيه دوماً.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

مباريات لعبتها. حفلات موسيقية حضرتها. نساء ضاجعتهن. أعمال أنجزتها. صدمات تلقيتها. قال سامي: انظر، لقد دخلت هنا، هذا هو الشيء المهم، تفهم ما أقول، يمكن أن تجن أو يمكن أن تبقى حياً. أحياناً يكون الأمر غباء وأحياناً لا. القول الأخير هو من السهل أن تقتل. أفسح لهم المجال وسوف يقتلونك. يجب أن يبقى ذهنك متيقظاً. وهذا هو الوقت المناسب للبدء بذلك.

بعد قليل قال الشخص، لماذا تقول لي هذا؟

– أشعر برغبة بقوله.

– لم أطلب منك نصيحة.

– أنا لا أنصحك. أنا أنبهك فقط. يجب أن تنتبه لنفسك. أعتقد أنك ستواجه مشاكل.

– لا أعرف عما تتحدث.

– لا بأس.

انظر أنا هنا دون سبب.

لا يهم. في الحالتين يجب أن تبقى حياً. لأن هؤلاء السفلة سيقتلونك يحبون أن يقتلوك. لهذا هم هنا تعرف ما أقصد؟ لقد قتلوك صحيح؟ حسن هذا هو الحال هنا لقد قتلوني. إنهم يقتلون. وعندما يقتلونك فهم يقتلونك بلا شفقة، ذلك ما قصدته. إما أن تتركهم يفعلون ذلك وإما لا. أنا شخصياً لا أتركهم، حسن، لا أتركهم. تعرف كيف؟ لأنني أكره السفلة. أكرههم، هكذا أحيا. تفهم ما أقول؟

– نعم.

وكيف أكرههم؟ أكرههم بالمطلق. أحزن سواء ربحت أم خسرت أو انسحبت. لا شيء مثل ضرب أصحاب البزّات الرسمية، والشيء نفسه يسري على المخبرين. أتسمعني.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– ...

– إيه؟

– أسمعك لكن لا أعرف لماذا تقول لي كل ذلك.

– أقول لك لأنني أريد أن أقوله لك.

– لماذا؟

– لأني أريد ذلك.

– بحق الجحيم... صرّت النوابض من جديد، تقلّب الشخص.

نهض سامي واقفاً وسار إلى السطل، ركع فوقه وتبول. بعدئذٍ عاد إلى السرير وتمدد على جنبه تحت البطانيات. أراد أن ينام الآن. أراد أن يفقد الوعي فقد كان متعباً. يحتاج إلى الراحة، كان يرتاح. حتى استيقظ، حتى أيقظه ذلك السافل، مشيته اللعينة، وضراطه، يا رجل، وكل ما يصدر عنه.

كزّ على أسنانه وأغمض عينيه بقوة. أنا متعب، قال، أنا متعب ولا أستطيع النوم.

أنا أتضوّر جوعاً.

تباً لك. انقلب سامي على ظهره، مازال عموده الفقري يؤلمه وعاد الطنين إلى أذنيه وصخب هذه الأصوات الحادة والكلبشة القحبة. كيف يسعك التصرف وأنت في هذه الكلبشة القحبة! جريمة فظيعة، يا رجل.

يا يسوع المسيح!

الآن أمدد جسمي لأنام

وأصلّي لله أن يحفظ روحي

تلك قصيدة، صلاة، حفظها من جدته.

ذلك ما يجري هنا.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

قال، أنت متعب ولا تستطيع أن تنام. لديك كل الوقت في هذا العالم ولا تستطيع أن ترتاح، لا يتركونك ترتاح. صمموا هذه الأمكنة هكذا، كي لا ترتاح فيها على الإطلاق. لا سجائر، لا شيء لديك سوى عقلك. هذا ما أقوله لك، الأفضل أن تعي ذلك. إن لم تنتبه لنفسك تمت. يريدونك أن تقتل نفسك. ها أنذا أخبرك يا رجل، هذا جيد من أجل الحقائق والحسابات، والإحصاءات التي تُظهر أنهم يؤدون واجبهم. أنت لا تصدقني، حسن لكنني أخبرك. يلزمك الحظ لتبقى حياً، وإن لم يكن لديك سوى عقلك استخدمه إذاً، لا تدع هؤلاء السفلة يفقعونه لك يا رجل، تفهم ما أقصد إيه؟ أتسمعني؟

– نعم

– حسن لقد سألتك سؤالاً.

– لم أسمعك.

– لا بأس.

– لم أعرف أنك كنت تحدثني.

– ومن هنا غيرك بحق الجحيم؟

– حسن أنت تقول أشياء ولا أعرف لماذا تقولها.

– صحيح؟

– ...

– هذه الكلبشة القحبة: ضيقوها جداً، إنها تنغرس في معصميك.

– هل تنزفان؟

أخرج سامي معصميه فوق البطانيات، ونظر إليهما. بالطبع، لم يرَ شيئاً.

– لا.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– لا تستطيع أن تنام لأنك لا تستطيع أن تتقلب، ولا تستطيع النوم على ظهرك أيضاً.

– لا تفكر فيها.

– ماذا؟ ماذا تقول؟

– لا يمكنك فعل شيء. سيفكونها لك.

– هه. تبسم سامي. بعدئذٍ تأهب للنهوض لكنه شعر فجأة أنه على وشك الإغماء فعاد واستلقى ثانية، بعدئذٍ جرّ نفسه جراً ليستوي ويجلس في السرير، ربّع ساقيه وأبقى ظهره منتصباً، رقبته متيبسة، مستقيمة، دوخة. لديه رأس دوّاخة. جرّ نفساً من فمه. حبسه بقوة وزفره بقوة، جرّ نفساً آخر إلى داخل قفصه الصدري اللعين، إلى رئتيه. كان الفتى يتكلم الآن! لكن سامي لم يستطع أن يصغي إليه يا رجل لم يستطع أن يسمعه، كان حديثه أشبه بخبيصة سخيفة، يا رجل، خبيصة، كان خبيصة مقرفة.

رجفة، إنه يرتجف يا رجل، أوه يا يسوع تجتاح جسده رجفة لعينة، يا رجل. بدأ يتنفس بعمق وكتفاه تهتزان، لم يستطع إيقافهما، تزحف الرجفة على رقبته وذقنه، تزحف، وكأن أشياء صغيرة تزحف وتخرمش تحت الجلد، تزحف على وجهه عند الوجنتين تشد البشرة إلى الأسفل عند محجر العينين. لا بأس، لا بأس، تابع التنفس تابع التنفس، افتح عينيك افتح عينيك وتخلص منها.

صوت الفتى...

– نعم أنا بخير أنا بخير.

– لقد حضرت حفلة موسيقية رائعة منذ أسبوعين، هناك في إدينبرا، أنا وصديقتي. كانت رائعة...

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تلوّى سامي ليسحب الوسادة من تحته، ثم طواها ووضعها وراءه عند أسفل عموده الفقري تكتّف. جلس لبعض الوقت وكتفاه متيبّستان محنيتان إلى الأمام. كان بوسعه أن يضربه، يا رجل. يضرب من؟ يضرب ذلك الشخص الجالس في سريره. ذلك الذي، ذلك السافل الذي، أي سافل يقترب منه، أي شخص يقترب منه يمكن أن يضربه يا رجل. تلوّى ليمسح أنفه بمعصمه الأيسر، شعر بالرطوبة أسفل ذقنه؛ إنه اللعاب! كان يُريِّل؛ سامي يُريِّل مثل طفل، تمام.

حسن لقد قلتها بنفسك، ولاءات ملتوية، لكن ربما سيلين.

تنهيدة. صوت ولاعة سجائر.

– أعطني واحدة.

– خذ... وضعت سيجارة في فم سامي. ربما تخوزق الآن لكنه أشعل السيجارة على أية حال. ماذا يعني، لا يعني شيئاً. مج بعمق. ونفث ببطء. فتلت رأسه.

خيّم الصمت. كانوا يتكلمون على مبعدة منه لكنه التقط بعض الكلمات. لكن ماذا بعد. لو لم يريدوه أن يسمع فما كان ليسمع. نفض رماد السيجارة في كفه اليسرى. مجّ مجة أخرى، مجة طويلة، سحبها إلى أسفل رئتيه. إن سيجارة مارجوانا ستكون لذيذة الآن، هيه جون هل تلقيت لكمة هناك؟ كنت في الزنزانة طوال ليلة أمس. وكان رأسي كالجحيم... تبسم سامي قليلاً.

سمع طقطقة. شخص ما يقترب منه. خذ كوب شاي. إنه بجوار قدمك.

انحنى ليلتقطها، كان الأمر مربكاً. وضع السيجارة بين شفتيه متجنباً دخول دخانها في عينيه، وحاول التقاط الكأس ثانية. الشاي فاتر وحلو كالدبس. قرأ ذات مرة قصة عن شخص يهودي وآخر أسود

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

التقيا في مقهى نيويورك وتناولا قهوة، كانا مفلسين–وكان الإفلاس سبب تعارفهما–كانا مفلسين دائماً وكلاهما كان يأخذ كمية مضاعفة من السكر والكريما. خراء، شرب نصف الشاي وأعاد الكوب إلى الأرض. استند إلى ظهر الكرسي تاركاً رأسه تتراجع إلى الوراء حتى كادت تلامس قمة عموده الفقري، وأصبحت رقبته مكشوفة كلياً.

سينتبه تشارلي لنفسه. لأنه يعرف أن سامي سافل لا يعتمد عليه وهكذا لا مشكلة على أية حال، المشكلة هي كيف تشرحها. كيف تشرحها؟ نسي سامي كيف يشرحها. حتى إنه لا يبدو أنه يعرف كيف يشرحها. كيف بحق الجحيم ستشرحها لهؤلاء السفلة! ربما إن بدؤوا حفلات التعذيب الحقيقي، لن يكون أمامك خيار. من يعرف ماذا ستفعل. الخلاصة إن أرادوا الحصول عليها بالتي هي أسوأ فسوف يحصلون عليها. مهما يكن ما أرادوه منه، الأمر يتوقف على، يتوقف على سويّة التي هي أسوأ بالدرجة الأولى، على سرعتها.

تمتم قائلاً: " لم أره منذ سنوات ".

– ماذا؟

اعتدل سامي إلى الأمام، وهو يشهق ويزفر. إن رأيته يوم الجمعة فتلك أول مرة منذ سنوات.

– هكذا إذن؟

الرقيب هو الذي تكلم. هز سامي كتفيه، أدار رأسه إلى الجهة الأخرى التي جاءه منها الصوت بعدئذٍ وضع السيجارة بين شفتيه وانحنى ليتناول الشاي. كانت يداه ترتجفان، وماذا بعد. أبقى رأسه خفيضة، بعدئذٍ عبس: يبدو أنني أتذكر محادثة بيننا عن أوركسترا الجاز...

– نعم تمام أنت بخش يا سامي.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– لا آسف أنا فقط.

– نعم، نعم. لكن هناك شيء واحد مهم: لماذا قابلت تشارلي؟ ما السبب؟

– ...

– منذ عشر سنوات مضت. عندما قابلته؟ كان شعرك حينها طويلاً.

– إيه...

– إيه...! ضحك الشخص. صحيح يا سامي فنحن نتكلم عن عشر سنوات مضت، عندما تقابلتما في لندن. ماذا كان السبب؟

– لا شيء.

– هل التقيته صدفة في الطريق؟ في ثيوبالدرود على ما أذكر. أليس ذلك في هولبورن؟

قال الشخص الإنكليزي اللّكنة: "هولبورن نعم. في السادسة والنصف صباحاً. كنت تعمل هناك لدى كالفام جونكشن؟ أين كنت تقيم إذاً؟" إيه؟

– لا أذكر.

– شمال لندن، جنوبها، غرباً، شرقاً –أين؟ في أية منطقة؟

– في الشمال

– نعم؟ جميل. كنت تقيم شمال لندن وتعمل هناك لدى كالفام جونكشن، وبالصدفة قابلت المستر بار في ثيوبالدرود! في السادسة والنصف صباحاً.

– ...

سامي، لقد وجدنا صورة، لك أنت وتشارلي، وتبدو فيها بصحة جيّدة، وكما أقول كان شعرك طويلاً، للأسف لا يمكنك رؤيتها. ها هي ذي، إنها أمامي.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– تبسم سامي

– تذكر المناسبة؟

– إنها الشذرات المضيئة يا رقيب أنا واثق أنه سيتذكرها.

– كنت ذاهباً إلى العمل. تقابلنا لتناول الإفطار معاً.

– فطور عمل. لأنكما كثيرا الأشغال.

– آه حسن أنت تعرف تشارلي، إنه مشغول أقصد إن كنت تعرف فأنت تعرف، لا أستطيع قول شيء.

– هكذا التقيتما صدفة. هذا ما تريدنا أن نصدقه؟ إنه جاء إلى جلاسكو بزيارة وكنت أنت مقيماً هناك وبعدئذٍ تقابلتما؟ محض صدفة!

– تبسم سامي.

– سامي، كلما نظرنا إليك أكثر كلما اكتشفنا أشياء يجب أن نراها.

– آه حسن.

– لست رجلاً تافهاً، وهذا تعقيد إضافي.

– إنها الشذرات المضيئة يا رقيب أنا واثق أنه سيتذكرها.

– كنت ذاهباً إلى العمل. تقابلنا لتناول الإفطار معاً.

– فطور عمل. لأنكما كثيرو الأشغال.

– آه حسن أنت تعرف تشارلي، إنه مشغول أقصد إن كنت تعرف فأنت تعرف، لا أستطيع قول شيء.

– هكذا التقيتما صدفة. هذا ما تريدنا أن نصدقه؟ إنه جاء إلى جلاسكو بزيارة وكنت أنت مقيماً هناك وبعدئذٍ تقابلتما؟ محض صدفة!

– تبسم سامي.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– سامي، كلما نظرنا إليك أكثر كلما اكتشفنا أشياء يجب أن نراها.

– آه حسن.

– لست رجلاً تافهاً، وهذا تعقيد إضافي.

– صحيح، لقد أمضيت سبع سنوات... صمت سامي، انحنى وأسقط عقب السيجارة في كوب الشاي. سمع صوت نشيشها.

– يا مسيح إنه يفسد الشاي.

– أمضيت سبع سنوات... نعم؟

– لا شيء.

– أوه، إنه شيء، سبع سنوات من حياة رجل، إنها شيء كما أعتقد.

– انظر إن كنتم تعرفون فأنتم تعرفون. ليس لدي ما أقوله، لا فائدة.

– لا تضطرب يا سامي.

– لست مضطرباً.

– أنت مضطرب قليلاً وذلك مفهوم، رجل مثل تشارلي بار يبقى طليقاً وأنت هناك، سبع سنوات.

– ماذا تقصد؟

– شاب مثلك، انتهى إلى السقوط.

– تعرفون لماذا انتكـ... سجنت فلماذا تنتا...ـون تعيدون فتح الموضوع.

– أنت لا تصغي.

– ...

– تسمع ما أقول، أنت لا تصغي.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– صمت سامي، بعدئذٍ قال: جاء تشارلي لحضور اجتماع. تعرفون أنه جاء لحضور اجتماع، كان حينها رئيس عمال متجر. كان ذلك قبل أن أسجن بعام. ليس قبل عشر سنوات بل منذ أحد عشر عاماً. تمام؟

– حسن هذا يخدمنا بتحديد الوقت يا سامي

– جيّد.

– ترى نحن نعرف أنك لست متورطاً، المسألة هي في حدوث تلك المصادقة. خذ...

حركة باتجاهه وشيء لامس شفتيه.

– إنها سيجارة يا سامي

– أشعلوها له.

– ترى بوضوح أنها ليست مصادفات. لا نقول إن في الأمر أية مؤامرات، لكنها لم تكن مصادفات يا سامي تمام؟ ويبدو أن ما يقوله زملائي جيدٌ ويستحق الاهتمام. أنت في مأزق ومن الواضح أنها ليست غلطتك. المشكلة أنك وجدت في المكان الخطأ في الوقت الخطأ. أنت سيّء الحظ. لكن تلك ليست غلطتنا. الوقت مهم بالنسبة لنا، مهم لنا تماماً كأهميته لك. أعني أننا لن نبقى في السجن إلى الأبد –إنه مجرد عمل–لكنك أنت ستبقى، أنت آيل إلى هناك، حسن ها أنت فيه الآن أليس كذلك؟

– ...

– أقصد نستطيع إبقاءك هنا إلى الأبد لو نريد. إن أبقيناك هنا، نعرف أنه لن يحدث شيء، بينما إن أطلقناك... فمن يعرف؟ لا نعرف، أقصد من الأفضل لنا أساساً أن نبقيك هنا.

أخذ سامي السيجارة من بين شفتيه.

– تفهم ما أقول. ترى، الآن، يريد زملاؤنا الآخرون، سجنك بأية طريقة بسبب صديقتك، يريدون سجنك حتى تظهر ثانية! وسوف

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يفعلونها. من الأفضل أن تصدق ذلك. الأمر معقد يا سامي إنه عمل معقد. حدث الشيء نفسه عندما كنت في السجن، أتذكر مات هناك شخص في زنزانتك؟

– لم يمت في الزنزانة بل وضع فيها ميتاً.

– ما تقوله شيء خطير.

– قال الشخص الإنكليزي: في الواقع إنه خطير جداً.

– أشاح سامي وجهه عنهم. مج من السيجارة مجّة كبيرة، تحسباً لئن كانت السيجارة الأخيرة. سمع تمتمة وراءه. أغبياء سفلة، يعتقدون أنهم أذكياء، يعتقدون أنهم أذكياء جداً. دعهم يعتقدون ذلك. ذلك كل ما تفعله. لكن لا تستفزهم يا رجل لا تستفزهم. زملاؤكم هم الذين قتلوه.

– ...

– ليس أنتم، لا أقول إنكم أنتم، لكن هؤلاء الذين هناك. تعرفون ماذا أقصد.

– لا تعرف ما تقصد أبداً.

– آسف أنني قلت ذلك.

– ...

– القضية هي أنني كنت مضطرباً. لقد أحببت الفتى، لم يكن مؤذياً.

– ليس هناك من هو غير مؤذٍ، يا سامي.

– بعض الناس ليسوا مؤذين.

– حسن أنا لم أقابلهم أبداً.

استنشق سامي الدخان، حكّ أذنه اليمنى وقال: " يفعل الناس أشياء، لا يقصدون فعلها لكنهم يفعلونها".

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– ذلك الذي تتحدث عنه مجرم.

– أنا الذي انتهيت أعمى، ذلك ما أتحدث عنه.

بعد قليل قال الرقيب، "توشك أن تلقي اللوم علينا يا سامي... أنت من النوع القلق ألست كذلك؟ إيه؟ أقصد لا تعتبر الأمر محض شخصي، لكنك تعتبره شخصياً أليس كذلك؟ بالمناسبة حالتك ليست مقلقة، ربما تستطيع الحصول على مساعدة".

– ...

– لن يفاجئني أنك مهيأ لهجمات هلع. هل أنت مهيأ؟ أتنتابك هكذا هجمات هلع؟. إيه؟ تعرف أذكر أحد زملائي الصغار في المدرسة. كان مصاباً بربو حاد، لم يستطع مشاركتنا اللعب، كنت تشعر بالأسى عليه. كان يهلع عادة. لا أمازحك، كان يهلع طوال الوقت. اعتدت أن أقول له: هيه اهدأ، اهدأ.

"صحيح"، قال الفتى الإنكليزي، "ترى ذلك لدى أناس يعانون من اختلالات وظيفية حسيّة. وعندما يفحصهم اختصاصيون يتبين غالبا أنهم مصابون بعصاب حصري مزمن. ويظهرون نزعات أخرى أحياناً. خذ مثلا، إن لم تعارضِ إثارتي للموضوع، خذ مثلاً هراء الأسبوع الماضي، ما يسمى شغباً، حيث لوحظ أنك شوهدت تضرب.

تبسم سامي وهز رأسه.

– حسن لقد فعلت، لا يمكنك إنكار ذلك بالتأكيد؟ لا يمكنك إنكاره، هيّا، ليس أمام الدليل!

– ...

– أردت أن تقاتل لأنك عرفت أنك ستخسر وستخسر بقسوة.

– تحرك سامي فوق كرسيه وتلوّى ليحك تحت ذقنه. تمنى لو يستطيع رؤية هذين السافلين. كانا يطوفان الغرفة، ولا تعرف دائما من

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أية جهة كانا يتكلمان. ودَّ لو يراهما، لو يراهما فقط. سيكون أمراً لطيفاً يا رجل وسيفرح به، تعرف ما أقول، سيكون أمراً جيداً. هذان السافلان الأخرقان، مدعيا الصلابة القحبة. كان متوتراً، وبحاجة للاسترخاء، كانت به رغبة أن يتكتف. لكن كيف؟ لا يمكنك أن تكتف ذراعيك، تعرف لا يمكنك أن تتكتف يا رجل لا يمكنك أن تسترخي. لا بأس، هذان السافلان يعرفان عما أتكلم، وسيشعر بالفرح لو رأى السافلين الصنديدين، كما يدعيان، يصيدان بالكلاب، أردت أن تضحك، لكن تكتم ضحكتك مضطراً. انتابته رغبة بأن يقفز عن الكرسي! لكنه اضطر أن يكبتها أيضاً. كانوا ثلاثة على الأقل. ما لم يكن عامل الكومبيوتر قد عاد، وهكذا يصيرون أربعة، على الأقل، يا مسيح يا قادر إيه! تبسم سامي، نجح في كبت رغبته، غيّر جلسته على الكرسي. شعر بحاجة للتغوّط، خاف إن ضرط أن يخرج شيء آخر، تمام، تمام... أغمض عينيه وأرخى كتفيه، بجهد كبير. بعدئذٍ يَدٌ أمسكت بكتفه فانتفض إلى الأعلى، أمسكته اليد، بقوة، بكتفه الأيسر. إنه الرقيب. تكلم بصوت مسالم:

أريد منك نقل بعض المعلومات، أريدك أن تنقل كلمة لصديقك القديم. تسمعني يا سامي؟ أريدك أن تقول له أن يحذر الظلام. قل له ذلك.

– لا أظنه يصغي إليك يا رقيب.

– إنه يصغي. ألا تصغي؟ إيه؟ قل له فقط إن الظلام سيكون قاسياً. إن لم يكن خائفاً منه الآن فقد أصبح لديه سبب ليخافه في المستقبل. تلك هي الرسالة.

– ...

– ستنقلها له يا سامي؟ إيه، ترى إنها مهمة ولمصلحته. يظن الناس أننا نلعب. هذا لا يذهلني أبداً. قل له لقد فات أوان اللعب،

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

وأنه، على أية حال، قد كبر قليلاً على لعب تلك الألاعيب. إيه؟ هل ستخبره ذلك؟ إن قابلته.

– ...

– هذا إن قابلته يا سامي.

تركاه بعد ذلك وذهبا. بقي جالساً على الكرسي حوالي عشرين دقيقة أخرى على الأقل. بعدئذٍ جاء آخران وأخذاه إلى الزنزانة، فكا الكلبشة وأدخلاه. مجرد أن انغلق الباب خلع بنطلونه وجلس فوق السطل. خرج كل شيء من الأمعاء وكل القذارات، كل شيء. ارتاح. كاد يموت منها، صعد السرير، سينام، يا لها من راحة كبيرة! وحالما يغمض عينيه سينام، يا مسيح!

السرير الثاني عار. من يعرف أين كان الفتى لكن لابد أنه في مكان ما، لأنهم لا يطلقون سراح أحدٍ عصر يوم الأحد.

وغداً صباحاً سيكون دور سامي. ربما. من يعرف كيف يفكرون.

لقد تخوزق هذه المرة. تخوزق. عرف أنه قد تخوزق. لا فائدة من خداع نفسه. لا شيء هناك يمكن فعله. لا شيء.

سيتقبل النتيجة كيفما تأتي. لا يسعه فعل شيء. لقد تخوزق هذه المرة. نهاية القصة. لا شيء يفعله هو بل هم. سيفعلون ما يريدون.

أي طريق تسلك. أنت لا تعرف هذه الأشياء. بعدئذٍ تقع. لا شيء تستطيع فعله، الأفضل أن تستلقي.

غطى سامي وجهه بالبطانيات، رفع ركبتيه وتكوّر تحتها. تموت. يريدونك أن تموت وهكذا تموت، يتوقف قلبك، ماذا يعني، هذه الأشياء لا تعني شيئاً. تستمر الحياة، يستمر الآخرون في الحياة، تفكر فيهم مستمرين في الحياة، تتفرج عليهم، نمل صغير. خنافس

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

تدب من كل حدب وصوب، ومن يهتم، خراء، لا تريد شيئاً أبداً، حتى إنك لا تريد أن تتفرج عليهم.

تريد، فقط، أن تختفي بعيداً عن الأنظار، تريد أن تبتعد، ومن يريد أن يراهم! تفكر لو كنت أعمى منذ البداية، لو كان عماك خلقياً، ما كنت لتعرف حتى كيف يبدون، ما كنت لتراهم، ما كنت لتعرف، سوى عالمك أنت، تريد أن تختفي فقط، لو تستطيع أن تختفي، عن الأنظار وبعيداً.

كان سامي يختنق. غير قادر على إخراج رأسه من تحت البطانية، وهو بحاجة للطاقة! لا يدخل الهواء أنفه. لم يستطع أن يتنفس. رفع رأسه بقوة خارج البطانيات، أخذ نفساً عميقاً.

فيما بعد جاؤوه بالعشاء. لابد أنه كان نائماً، لحم معلّب وبطاطا مهروسة، بازلاء، قطعة خبز مقلي وكوب شاي. لم يكن جائعاً كثيراً لكنه أكل الوجبة كلها واستلقى بعد أن شرب الشاي. انقلب على بطنه، ربما ما كان يجب أن يأكلها، شعرها صلبة في جوفه. ربما من الأفضل أن ينهض ويقيئها، لم يستطع أن يزعج نفسه بالحركة. لم يكن راغباً بالحركة. المشكلة في البنطلون، مازال مكوماً على الأرض، بنطلونه الأفضل. غبي، لبسه بدلاً من الجينز. لم يفكر أبداً. سوف يتجعلك الآن كثيراً. لم يستطع أن يزعج نفسه بالقيام لرفعه عن الأرض وطيّه.

استطاع على الأقل أن ينام على بطنه. ذراعاه تحت الوسادة، وخدّه فوقها، لم يكن الوضع سيئاً. مريحة جداً هذه الطريقة لقد خففت من ألم ظهره. تمام. سيكون أكثر حذراً في المستقبل، في المستقبل المنظور، المهم أن تنتبه إلى نفسك، تبذل أقصى جهدك. ربما سينهض فيما بعد ويقوم بمجموعتي تمارين. حتى إنه سيمشي في الزنزانة، وهذا أفضل من لا شيء. لكن التمارين هي النشاط الرئيسي، عُدْ إلى اتزانك وبعدئذٍ ستكون بطبيعة ثانية. يستطيع ممارسة التمارين حتى يتعب كلياً، بعدئذٍ يرتمي فوق السرير ويغط في النوم. إن لم

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يستطع النوم فالمزيد من التمارين، ثم استمناء. وعندما يستيقظ بعد ذلك يتناول الفوشار ووداعاً. هذا إن كانوا سيطلقون سراحه. لكنهم سيطلقون سراحه، أخبروه بذلك تقريباً. والكارثة في كيف سيصل البيت. تلك هي الكارثة يا رجل كيف يصل إلى البيت. لأن لا عصا معه ولا يملك أية نقود، إنه مفلس كالعادة. حتى إنه لم يعرف أين هو. يا مسيح يا قادر! كان يفترض أنه في شارع هاردي لكن ربما هو في مكان آخر، بحق الجحيم.

إن وصل البيت غداً فسيذهب ويتناول عدة زجاجات، في حانة جلانسي. إنه بحاجة ليتحدث مع شخص ما يعرفه. وإن تعتعه السكر ماذا يعني؟ سيأخذ تاكسي إلى البيت. هذه إحدى مزايا الاعتقال: أنك تدخّر نقودك. وهكذا تمام.

صوت في المدى، أصاخ السمع لكنه لم يستطع فهمه. يبدو أنه يأخذ منحى دائرياً، يعلو وينخفض. شيء غريب كيف أن للناس أصواتاً خاصة، لكل شخص في العالم، على وجه الأرض. إن كان هناك إله فهو رجل ما. ما لم يكن امرأة. ضحك سامي قليلا. قال: أنت هناك؟ لا كلام مع الله لكن إن صدف وكان هناك مراقب وسمعه يضحك واعتقد أنه ربما جُنَّ أو ما شابه، فهؤلاء السفلة يقدمون تقاريرهم بعد كل نوبة. يا مسيح عاوده إحساس الشؤم ذاك، كان يعاوده قبل النوم، وكأنها ليلته الأخيرة قبل أن يجن. هل سيستيقظ مجنوناً في الصباح. حدث ذلك في سجنته الأولى. بحق المسيح كان عمره حينها اثنين وعشرين عاماً. لم تعرف ماذا دهاك. يا لذلك الكابوس جحيم فظيع يا رجل. لا تحب التفكير فيه. يجب أن تقصه على الناس. قرر سامي ذلك منذ فترة، بالنسبة لطفله، سيوضح له الأمر، عندما يكبر كفاية، لكن ليس الآن فهو مازال صغيراً. لا أسرار. سيخبره القصة. لأنك ترى أناساً يجنون. كنت تحادثهم معتقداً أن كل شيء طبيعي. لم ينبهك لذلك أي سافل، بل كان عليك أن تعرف بنفسك. أشياء مثل أعينهم، لقد رأيت أعينهم، تتطلع هناك، تطوف المكان إما لم ينظروا إليك أو إما أنهم نفذوا إلى داخلك، نفذوا، تعرف

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ما أقصد، لم يسمعوا كلمة مما قلته فقد كانوا يبحثون داخل عقلك ليعرفوا إذا ما كنت تقول الحقيقة وكأن ما كنت تنطقه مجرد تغطية على شيء آخر. وكأنك روح شريرة متنكرة أو ما شابه وكأن جسدك مجرد محارة خارجية. وضع جنوني قحب لكن أقول لك، كل سافل آخر تقابله يموت، حتى إنك لا تستطيع التحدث إليهم، يبدؤون الصراخ والزعيق بوجهك، ينظرون إليك، يحدقون فيك يحاولون أن ينيـ...ك. إنه أسوأ من كابوس، لأنه يحدث، تراه حولك في كل مكان ولا تستطيع أن ترى شيئاً آخر. تراه أينما نظرت. يا يسوع المسيح، لذلك تحتاج إلى خطط للبقاء حياً، يجب أن تخططها مسبقاً.

حتى أنك لا تستطع التنبؤ تماماً بأهدافهم، أقصد الجنود، وهكذا يجب أن تحترس. لهذا إنس المشروب، لا وقت للمشروب، لا وقت. يجب أن يكون أكثر تعقلاً، أيا يكن عقله يا رجل عليه أن يستخدمه لا أن يدمره. يجب أن ينتبه إلى الأشياء التي تحت سيطرته والتي خارجها. تنتبه إلى التفاصيل: لا شيء غير متوقع، لا شيء من هذه الأشياء العرضية لم تفكر بها قط. عليك بالتركيز الكلي. ولا فائدة من رؤية تشارلي. لقد فكر بالأمر لكن لا فائدة ترجى منه. لم يستطع تشارلي أن يساعده، ولم يستطيع هو مساعدة تشارلي. وهكذا فقد وجّه الرقيب الرسالة إلى سامي، سامي هو المعني بها. نهاية القصة. جيّد أن تعرف أين تقف. لو يكون الجنود كرماء ويعطونك نصيحة يا رجل! أتفهم قصدي؟

ولا يريد سامي أن يعرف تشارلي بالأمر. لا علاقة له بالأمر. ليس من شأنه تباً لهم جميعاً. وتباً لهيلين أيضاً. تباً لها يا رجل. وإن كانت تلك هي الطريق التي اختارتها، أو اختاروها جميعاً، فتباً لهم جميعاً. تباً.

صفّ رأسك فقط. إن أتيح لك المجال. لايزال ذلك الصوت يجلجل مبتعداً، كان أشبه: أشبه بتعليق على سباق. تعليق متقطع، لقد انخفض كثيراً. لسبب ما ذكره الصوت بوالده، الذي أصبح غريب الأطوار قليلاً قبل أن يموت. كان يعود إلى المنزل عندما يجب أن

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يكون في مكان آخر، فيدخل ويشرع بالكلام وكأنه فتى تجدد شبابه، يريد أن يعرف أين هي إحدى أخواته، التي كانت في أمريكا يا رجل. إنها هناك منذ ثلاثين عاماً. وذلك السافل المسكين يريد أن يعرف مكانها. تمنّيْت لو كنت هناك لتساعده لكن، في الوقت نفسه، سررت لأنك لم تكن هناك. لم تعالج والدتك الأمر جيداً وتركته لأخيك وأختك الصغيرين يتدبرانه. وعندما وصل سامي البيت لحضور الجنازة كان كل شيء تحت السيطرة. كان واضحاً أن كل شيء قد تم ترتيبه. ولم يكن لديه أي مبرر ليشعر أنه أُقصيَ عن الأمر. لكنه شعر بذلك. كان هناك والدة تشارلي ووالده، كانا صديقي والديه. لم يقيموا قداساً دينياً لكن كانت الجنازة جيّدة. لقد سررت بسماعهم يتحدثون عنه، بالطريقة التي كانوا يتحدثون بها عنه وعن علاقاته خارج المنزل مع الناس، الناس العاديين، مع أصدقائه، ورفاقه وما شابه. ومدّك ذلك بشعور غريب أيضا لأنك تعرف أن أولئك الناس الجالسين خلفك يسمعون هذه الأشياء الخاصة. يا يسوع يا قادر! كان أمراً عظيماً أن تختفي. تعرف عندما ينسلُّ الباص خارجاً من محطة بوكانا ستريت! ينتابك شعور عميق بالارتياح. لكنك لا تود قول ذلك. يا يسوع يا قادر! إضافة إلى أن سامي غضب، هناك في المنزل، عندما عاد الناس بعد انتهاء الجنازة وشرع شخص ما يعظ. وكان غبياً يظن نفسه فهيماً، لكنه غبي. دخل الكلام من أذن وخرج من الأخرى. يجب أن يخرج. أحياناً، يستفزونك هؤلاء الناس كثيراً... وتدخل في مجادلة. كان ذلك غباء، فمن الغباء أن تتورط معهم في جدال؛ لكن ذلك ما يحدث. تغضب دونما سبب، تتسارع ضربات قلبك وتُريد أن تضرب السافل، ذلك الأحمق الذي يلغو بأشياء الجحيم يعرف ما هي، يخرج من فمه حمل خراء تافه، سياسة، هكذا يسميها. كيف يحدث ذلك؟ حتى في السجن، فضّلت أن تستلقي هناك لوحدك، لا تتكلم مع أحد لا ترى أحداً، تستلقي فحسب.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

بعدئذٍ تغضب! يملأ الغضب رأسك اللعينة! تشعر به يخبط، فتدرك حاجتك لخططك الصغيرة من أجل البقاء حياً، تحتاجها جداً، تحتاج تنفسك، وأي شيء.... وهكذا تهدأ. يجب أن تكون تافهاً أبلهَ، ذلك ما يجب أن تكونه، ولهذا تترك الكلام يدخل من أذن ويخرج من الأخرى. حافظ على رأسك سليمة. لأنك إن لم تفعل سيخوزقونك. لا شك في ذلك.

إنه بحاجة إلى النوم. بل هو في أمس الحاجة إليه في هذه اللحظة. لا دورانات! حاول أن يقوّي الفكرة في رأسه، فكرة الدوائر، بحيث عندما يستيقظ يعرف كم دامت الدوائر قبل أن ينام. تجرب هذه الخدع، أي شيء، أي شيء ممكن. لكنها لا تجدي نفعاً. حتى إنك لا تعرف إن كانت تجدي لأنك تنسى، دائماً، التفكير بها عندما تستيقظ في الصباح. وسرح يفكر ثانية بكل أنواع الخراء: بأفكار تخص زوجته السابقة، شقيقه وشقيقته، أعمال عمل بها، وأشخاصٌ عرفهم. عندما عاد الجنود ليأخذوه شعر وكأنه لم يغمض له جفن رغمً أنه كان قد نام الليل بطوله، نام باستغراق. لم يشاؤوا إعطاءه فرصة ليجهز نفسه، أرادوا سحبه من سريره، عارياً، البسْ سروالك. لا بأس يا صاحبي بوسعي فعل ذلك بنفسي. كانوا مستعجلين: تباً لكم ولإفطاركم. كانوا يوصلونه: أنت محنّك، برطم أحدهم، هكذا قالوا لنا على أية حال. بعدئذٍ قال: هات مد يديك.

قال سامي: " اذهب إلى الجحيم، الكلبشة السافلة، أنت تنتا.... تمزح يا صاحبي ".

– اخرس.

– ظننتكم تطلقون سراحي.

– اخرس. سنطلق سراحك لكنك ستعود ثانية.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– يا يسوع المسيح!

– نعم، لقد نمت يا صاحبي ولا نريد أن يفوتك الموعد مع الطبيب.

– نمت؟

– لا تعرف كم هي الساعة الآن؟

إنه خارج الزنزانة الآن ويمشي في الممر حيثما يقودونه، توقف عن الكلام الآن، جندي من كل جانب يمسكانه من زنديه وذراعيه وبقي يتعثر، محاولاً إبطاء السير، لكنهم داروا حول زاوية واجتازوا بابين وبعدئذٍ صعدوا درجات عدة—عرف أنهم يُدخِلونه مكاناً ما وقد وصلوا. مرة واحدة، قال لهم، أبطئوا بحق المسيح. بعدئذٍ وصلوا القمة وخرجوا ثانية. شيء غريب! بعدئذٍ وجد نفسه داخل حافلة وانغلق الباب. لم يتكلم مع أحد. رفع ذراعيه فارتطم مرفقه الأيمن بأحدهم لكن لا تعليق، ثم لم يتزحزح قيد أنملة. تلوى سامي ليحك نحره. لامست أصابعه شعر رقبته، أراد أن يقول شيئاً، لكنه صمتَ.

عندما توقفت الحافلة فك الشخص الذي كان يجلس بقربه الكلبشات ونزعها من يديه. قال الجندي الجالس إلى يساره: اصغ لما سأقوله لك: ستدخل للطبيب (إلى الطبيب)، وستدخل وحدك. حسن؟ تسمعني؟

– أسمعك.

– لا تحاول شيئاً لأننا سنكون بانتظارك، تمام؟ إيه؟

– أسمعك.

– تسمعني. جيد. اذهب الآن.

هتف سامي. أين المدخل؟

– هناك أمامك.

– ...

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– انزل. امش إلى الأمام مباشرة بعدئذٍ إلى اليسار.

هز سامي رأسه

– تفهم ما أقول.

كان سامي قد نزل ومشى. ذراعاه أمامه يبحثان عن الحائط. بعدئذٍ انعطف يساراً على طول حتى وصل المدخل. سمع وقع خطوات أمامه ثم وفي منتصف المدخل سمع خطوات من ورائه؛ ربما يتعقبه هؤلاء السفلة. سفلة قذرون، حمقى. تمام. كان بوسعه الحصول على سيجارة كان يجب أن تطلب واحدة منهم. لا، ما كان يجب أن تطلب منهم.

المرأة نفسها خلف طاولة الاستعلامات؛ السيدة لاديدا، أعطاها بطاقة المقابلة. –

– تفضل اجلس.

– كم الساعة الآن؟

– العاشرة والربع.

– برطم: يا يسوع المسيح!

ذهب يبحث عن كرسي. دعهم ينتظرون، إنها مشكلتهم أحضروه قبل نصف ساعة يا رجل. لا فائدة من الانشغال بذلك. ربما سيسأمون الانتظار وينقلعون. يمكنك أن تأمل ذلك. لم يكن ذاهباً إلى أي مكان. تكتف. آو يا إلهي! تنهد.

سمع خرخرة شخص ليس بعيداً عنه، سافل مسكين يحاول أن يتنفس: أهيت أهيت، أهيت، أهيت، أهيت أهيت. ومن ثم تلك الحشرجة في حنجرته، أهيت، وكتلة بلغم كبيرة تُزدرد، هلامية وبيضاء رمادية.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– أعاني من التغبّر الرئوي، من ذات الرئة.

– التغبر الرئوي، ذات الرئة في رئتي

– وإن لم أُشفَ لن أعيش طويلاً، طويلاً

تشعر برغبة في أن تقدم له شربة ماء لولا أنك تعرف أنها لن تفيده، لكن رغم ذلك اهدأ يا صاحبي وتحملها: شكراً يا صاحبي لا تنزعج إن سعلت.

الناس مهذبون جداً؛ تصدمهم سيارة فتراهم ينهضون من الصدمة وينتا..ون يعتذرون: اعذرني؛ اعذرني، وبعدئذٍ يربتونَ على رفراف السيارة ومسحة صغيرة بكم جاكيتهم لإزالة الدم؛ عفواً يا صاحبي لقد خدشت لك دهان السيارة. يمكنك فهم ذلك لكن، تحاول الاستمرار في هذا العالم، ذلك ما كنت تفعله، محاولاً ألا تستفز السفلة، ولا تدعهم يستفزونك. تباً للجنود، لا فائدة من التفكير فيهم، فلديهم مفكرتهم الخاصة. حجر الزاوية في الموضوع هو أنهم يعرفون بالتأكيد ما يفعلون. ولم يكن سامي يعرف. حسنٌ، لا مشكلة إذن، لا مشكلة. تتحرك عندما يحين الوقت. الأمر بهذه البساطة. لا فائدة من أن تأمل بالأفضل. يمكن أن تقضي حياتك تفعل ذلك؛ تأمل. إن كنت ستجلس، تأمل بالجلوس، وهكذا دواليك. هيّا ابدأ، لكنك لن تفعل سوى ذلك، تعرف ما أقصد. الأمر أشبه بالانتظار، نعم تنتظر. تدخل غرفة انتظار حيث ينبغي أن تنتظر. الشيء نفسه مع الأمل. بالتأكيد سيبني السفلة أبنية كاملة قحبة من أجل هذا الانتظار فقط. غرف أمل رسمية، حيث تدخل وتبدأ تأمل بكل ما تشعر أنك بحاجة لتأمل به. بناية على كل زاوية. لقد بنوها وانتهوا بالطبع، أقصد الحانات. تدخلها لتأمل ويبيعونك مشروباً يساعدك على تمضية الوقت. ترى هؤلاء السفلة يجلسون هناك. لماذا هم هناك؟ إنهم

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يأملون، يأملون بشيء ما، فالتلفزيون عفن لذلك يخرجون آملين بشيء أفضل. أنا ذاهب لتناول كأس يا حبيبتي، سأعود خلال ساعة. تأمل أن تبدأ مباراة كرة القدم قريباً؟ نعم آمل ألا تتأخر كثيراً. لن أتأخر كلا ما لم ألتقِ أحمقاً ما — آمل ألا ألتقي أحداً!

ضحك سامي وغطى ضحكته بيده. هكذا بدت حالة البوكل، الحانة العامة هناك قرب بيته— الحانة التي أخفق في الوصول إليها عصر السبت—سماها البوكل[1] لأنها تجعلك تتبول. تلك نكتة. لا لا ليست نكتة يا رجل. بوسعك أن تدخلها ليلة الخميس وسترى شخصاً يعزف على آلة البوجي وربما نصف رواد الحانة يراقبون كم هو العزف سخيفٌ سيّءٌ ولا يسرّهم. أو ربما تشهد مشاجرات. تكون واقفاً بحالك تشرب كأساً فيأتيك سافل يريد تجاوزك ويقول، اسمح لي دقيقة، بعدئذٍ يخرج الموس من جيبه ويشطب به وجه الشخص الذي كان يقف بجوارك. مجرّد خراء. وإن لم يكن كذلك، فيما يفكرون إذن؟ تراهم يقفون هناك حتى إنهم لا يقرؤون الجريدة، ولا يشاهدون التلفزيون، ولا يتكلمون مع أحد، فقط يقفون هناك يشربون! ذلك ما يفعلونه يا رجل يشربون. شعر سامي برغبة بالانضمام إليهم. ربما إن طلب من الجنود بلطف فسوف يأخذونه إلى الحانة ليتناول كأساً ويتغذى، سمكاً وبطاطا أو ما شابه، شعر برغبة بالأكل. الشيء الذي كان يكتشفه هو أنك تكره المخاطرة، لكنه اكتشف أن بوسعه الاستغناء عن المشروب دونما صعوبة كبيرة، التبغ هو المشكلة. كانت المشكلة عكسية هذه الأيام وهكذا في نهاية المطاف دخل طوراً جديداً في تجربة حياة مُتعِبةٍ. لا بد أن ذلك سبب ألم قدميه اللعينتين. انحنى ليفك رباط الخفافة. كان سيخلعها لو لم يكن مضطراً للبسها ثانية. صرّت الكرسي بجواره، شخص ما يجلس عليها. وبعد دقيقة همس الشخص، هل اسمك صموئيل؟ إيه؟

---

[1] البوكل : bokel ، وتعني المبولة . والفعل منها " boke " . /قاموس أوكسفورد /

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– ...

– اسمعي ألّي، يسرني لقاؤك. أعتقد أنك تبحث عن وكيل؟

أصاخ سامي السمع لأصوات أخرى، أصوات أخرى، أصوات من قرب طاولة الاستعلامات وأصوات المرضى الآخرين...

– إيه أتحتاج وكيلاً؟

– لا.

– متأكد؟ بدا من صوت الشخص أنه دُهِشَ.

– نعم، متأكد يا صاحبي نعم.

– كيف؟ فقد علمت أنك ذهبت إلى مركز خدمات البوليس الطبي يوم الجمعة. ألم تذهب؟

– آسف.

– من الطبيب الذي ستقابله الآن؟ لوغان؟

– ...

– اسمع إنه فظ.

– إنه جيد.

– ليس على حد خبرتي به.

هتف سامي.

– ما أعرفه أنه سافل فظ.

– لقد قابلته منذ أشهر عدة.

– حقاً؟ مَممم. ظننتك ستحتاج وكيلاً. أنت أعمى أليس كذلك؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– من قال لك ذلك؟

– عصفورة صغيرة.

– عصفورة صغيرة منتا...؟

– كلا، لكن حالتك ليست بتلك البساطة، قضيتك الصحية. مما عرفته عنها.

– ماذا تعرف عنها؟

– ضحك الشخص.

– لا، لا أريد وكيلاً، شكراً جزيلاً؛ انقلع من هنا.

– أتفهّم ردة فعلك، لا بأس. انظر، سواء كانت قضية بسيطة أم معقدة، سيّان لدي، سأتوكل عنك لو رغبت.

– أنت أطرش؟

– لا، لست أطرش، لا، شكراً لسؤالك. صَحِّحْ لي إن كنت مخطئاً، كنت تطالب بتعويض من إدارة البوليس لكنك غيرت رأيك؟ إيه؟

– نهض سامي واقفاً، استدار باتجاه طاولة الاستعلامات وسار نحوها.

– نعم؟

– مستر صموئيل، أنتظر موعداً.

– نعم مع الدكتور لوغان، أعرف ذلك لكن لديه مراجع الآن. ستسمع اسمك بدورك.

– إيه جيد، تمام، سأقف هنا وأنتظر.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– يؤسفني أنك لا تستطيع الوقوف والانتظار هنا، فالناس ستدخل وتخرج من هنا.

– خطا سامي خطوتين من الطريق وبعدئذٍ إلى اليسار، وصل الجدار. اتكأ عليه وقال: " سأقف هنا، إن كان يناسبك".

– عفواً؟

– ألا ترين البوليس ينتظرني في الخارج عند المدخل.

– يؤسفني أن ذلك لن يجعل الطبيب ينهي معاينته بسرعة. نعم؟

– هل أنت ضابط بوليس؟

– لا.

– أنت تسد الممر. أتسمح أن تقف جانباً.

– إنها تخاطبك همس الشخص.

– أنت تسد الممر يا مستر صموئيل.

– تعال، قال الشخص وأمسك بمعصم سامي: ثلاث خطوات تحلّ المشكلة.

– أنزل سامي يد الشخص.

– ألا تريدني ن أدخل معك إلى الطبيب؟

– لا.

– سيكون ذلك لمصلحتك.

– قلت إنك لست أطرش يا صاحبي تعرف ما أقصد؟

أفهم ما تقول.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أراد أن يتابع كلامه لكن سامي قاطعه: "انظر يا صاحبي اذهب وقف في مكان آخر".

– إن كنت مصرّاً.

– أنا مصرّ.

هل لديك وكيل آخر؟

– لا أريد وكيلاً، قلت لك ذلك.

– مَمم. حسنٌ

– انظر حلّ عنا إيه، مع السلامة. هز سامي رأسه. واستدار مبتعداً. اعتقد أنه سمع الشخص يذهب لكنه لم يستطع التأكد من ذلك. تكتف، أسند كتفه على الحائط: أخيراً صاحت لاديدا: الطبيب لوغان مستعد لاستقبالك الآن يا مستر صموئيل. تعال من هنا لو سمحت.

وأمسكت يد الشخص بمعصم سامي ثانية وعندما نترها سامي تمتم الشخص: "إن لوغان سافل مكار، سيحاول سحب البساط من تحت قدميك. أنت أعمى لكن لا تسمح له؛ هذه قضية جديدة كلياً لست المسؤول عنها بل على الأرجح شخص أو أشخاص مستخدمون في البوليس. اثبت على موقفك".

استمر سامي يمشي. بعدئذٍ أمسكته يد لاديدا من معصمه. فقال: "شكراً سيدتي". لكنها لم ترد. واحدة من سفلة الطبقة الوسطى الذين لا يريدون أن يتكلموا إليك ومسموح لك أن ترد لكن ليس مسموحاً لك ما لم يكلموك هم. توقف عندما توقفت، طرقت الباب. أصغى ليعرف إن كان الشخص يتبعه. انفتح الباب ودُفع سامي إلى الداخل. ثم انغلق الباب وراءه. بقي سامي واقفاً في مكانه.

– اجلس هناك....

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

جاءه الصوت من لا مكان. غمغمة. والآن خشخشة ورق. سعلة. هناك إيه.....

بقي سامي مكانه. سيقولها هذا السافل على الأرجح حتى لو كان سامي يلبس نظارة ويحمل العصا البيضاء. خشخشة أكثر. يمكنك تخيله يتفرّس سامي من فوق إطار نظارة القراءة، مقطباً جبينه وهو يقرأ بطاقة سامي، ويفكر لنفسه: من بحق الجحيم هذا السافل ذو الهيئة— الشيطانية؟

تبسم سامي. لكن لسبب ما أحس بالتوتّر؛ بسبب ذلك الأحمقِ في الخارج، المدعو — وكيلا. لقد قابل وكلاء من قبل. لا يريد أحداً. لا يحتاج أحداً، ذلك كل شيء.

– أتسمح أن تجلس هناك.

– آسف دكتور أنا أعمى لا أعرف عمّ تتكلم.

– خطوتان إلى الأمام خمس خطوات إلى اليمين. تابع الدكتور كلامه قبل أن يصل سامي الكرسي. المستر صموئيل مسجّل هنا أنك فحصت هنا منذ ستة أشهر فحصاً طبياً دورياً؛ وأنت الآن هنا تشتكي من فقدان البصر في كلتا العينين. صحيح؟

نعم.... وجد سامي الكرسي وجلس. رفس بقدمه إلى الأمام فلطم مقعداً أو طاولة.

– وكيف حدث وفقدت بصرك هل كان بالتدريج، فجأة، أم ماذا؟

– إيه.....

تنهد الطبيب وقال: " التقرير الذي أمامي غامض جداً".

– استيقظت ورأيت أن بصري قد ذهب، قلت ذلك للمرأة في المركز الطبي.

– م م م. ومتى حصل ذلك؟

– لست متأكداً.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– لست متأكداً؟

– لا.

– وفقاً للتقرير فالتاريخ محدد، السبت قبل الماضي.

– إيه.

– أتقول الآن شيئاً آخر؟

– لست متأكداً.

– لست متأكداً؟

– لقد ضيّعت إحساسي بالزمن قليلاً الآن يا دكتور.

– .....

– المشكلة في الاعتياد على ذلك، لا أستطيع التفكير بصفاء.

– أفهم. هل تدهور بصرك سابقاً قبل هذا؟

– لا.

– متأكد.

– نعم؛ كنت أرى قبل دقيقة وبعدها لم أعد أرى.

– تقول إنك لم تخضع لفحص نظارات طبية؟

– لا.

– هل تقرأ.

– إيه نعم.

– م م. وهل تستطيع تمييز الحروف الناعمة مهما صغرت؟

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– لا، لا.

– هل تواجه صعوبة أمام التلفزيون؟

– لا.

– أتوجد سابقة عمى في عائلتك؟ الوالدان أو الأخوة أو الأخوات. الجدّان.

– والدي ووالدتي كلاهما كان يلبس نظاره.

– باستمرار؟

– إيه....

– طوال الوقت؟

– لست متأكداً—إيه أعتقد باستمرار. نعم، طوال الوقت. أختي تلبس نظارة للقراءة، لست واثقاً بشأن أخي، لم أره منذ زمن.

– خيّم صمتٌ لدقائقَ عدة. مزيدٌ من خشخشة الأوراق، ثم انفتح درج وانغلق. وسمع سامي حركة من اتجاه طاولة الطبيب. بعدئذٍ صخب اندفاعةٍ مفاجئة اضطرته أن يهز رأسه، ثم اندفاعة أخرى، هز رأسه ثانية، تمسك بجانبي الكرسي. كانت الاندفاعة الثالثة أكثر قرباً. اندفاعة أخرى. بجانب أذنه اليسرى. بعدئذٍ اليد الباردة على جبينه.

– استمع سامي لتنفس الطبيب، كان متوازناً تماماً، ليس فيه ولا حتى هقةٌ صغيرة.

– حاول أن تسترخي مستر إيه..... كلا، أبق عينيك مفتوحتين الآن لو سمحت.

– مزيد من الحركة الآن. شيء ما لامس خده، شيء قاس. بعدئذٍ لطمه خفيفة على صدغه الأيسر فندّت عنه صيحة خفيفة. هنف. ارتفعت اليد عن جبهته الآن. مشى الطبيب مبتعداً.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– أنت مدخن. هل أفدتنا بذلك عندما تقدمت بطلب للتسجيل لدينا؟

– نعم.

– كم سيجارة تدخن في اليوم؟

– هذا يعتمد على.

– يصعب تقديره؟

نصف أونصه. ما لم أكن مفلساً، أعني إن لم يكن لدي نقود.... ثم هزّ سامي كتفيه.

– تعرف أن معالجة بعض الأمراض والآفات ستحجب إن لم تقلع عن التدخين؟ أنصحك بقوة أن تقلع عنه. التبغ قاتل، ليس فقط بالنسبة لك بل بالنسبة للآخرين، ويمكن أن يساهم عملياً ببعض الأمراض والحالات. هل حاولت الإقلاع عنه سابقاً؟

– نعم، مرات عدة.

– لكنك لم تنجح؟

– كلا.

– م م. حسن يا مستر صموئيل.... في ضوء نتائج فحص التنبيه البصري تبين أنك غير قادر على الاستجابة.

– .....

– أتنام ليلاً؟

– نعم.

– كم وسادة تستخدم؟

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– إيه واحدة.
– أتشعر بالحاجة لإبقاء النافذة مفتوحة؟
– إيه أحياناً.
– من أجل الهواء النقي؟
– نعم.
– أتعاني من تسارع بنبض القلب؟
– لا.
– آلام في الكاحل أو الكتف؟
– لا.
– مشكلة صدرية؟
– إيه.... لا، لا يوجد.
– تبدو غير متأكد؟
– حسن إيه أقصد أني أعاني أحياناً من عسر هضم.
–في صدرك؟
–نعم.
– ما الذي جعلك تعتقده عسر هضم؟
– إيه.... أشعر به مثل حرقة في بوابة المعدة.
– مَ. صداع؟
– إيه لا.
– أبداً؟
– لا.
– لم تعان من الصداع قط؟
– لا. أبداً.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– شيء لافت للنظر. آلام أخرى؟

– .....

– آلام أخرى؟

– تكتف سامي، ثم قال: نعم، في ظهري وأضلاعي.

– لكنك لا تعاني من علة صدريّة. مّ.

– وقف سامي. خلع جاكيته: أعتقد ربما تريد أن تلقي نظرة يا دكتور. رفع البلوزة من تحت البنطلون رفعها هي وقميصه الداخلي. تحرك دائراً في مكانه.

اقترب منه الطبيب: ابق ساكناً. لمس سامي عند الأضلاع وأسفل العمود الفقري. بعدئذٍ قال، أنزل ثيابك.

أطاعه سامي، جلس في كرسيه، سمع الطبيب يكتب. إيه كنت أسأل.

– نعم؟

– أتظن حالتي مؤقتة؟

– ماذا؟

– عيناي.

– عيناك؟

– أقصد عماي، تظنه مؤقتاً أم ماذا؟

– يؤسفني أني لا أستطيع إجابتك. لكني أنصحك بالتحلي بالصبر. ألديك قابلية للاختلالات النفسية والعصبية؟

– لا.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– القلق؟

– لا، على الإطلاق.

– هجمات – هلع؟

– إيه لا.

– لا تفهم ما أقصده بهجمات – هلع؟

هتف سامي. أفهم ما تقصد لكني لا أفهم دوافعك لهذا السؤال.

– تعرف الطبيب كروزير؟

– .....

– في الواقع كتب عنك تقريراً طبياً منذ حوالي تسع سنوات. يصفك فيه أنك مهيأ للإصابة بالقلق، أي أنك مهيأ لهجمات هلع.

– .....

– لدي نسخة من هذا التقرير إنها أمامي. هل تعترض على تشخيصه المرضي؟

– نعم.

– تعترض؟

– نعم. حسن أقصد أنني لا أخالفه كثيراً لأن تلك كانت بسبب الظروف، قلت له حينها – لقد توفي أحد أصدقائي.

– ألذلك تشكك في تقرير الطبيب كروزير؟

– لا أشكك فيه، فقط أقول إن الحالة لم تكن عادية.

– مستر صموئيل أنصحك لمصلحتك أن تتلاءم مع حقيقتك الجسدية. يجب ألا تسمح للأشياء أن تضغط على ذهنك. يجب أن تتحصن ضد السلوك الهاجسي. إن تبين أنك تعاني من خلل وظيفي حسي فسيبذل جسمك جهده للتعويض؛ ويجب أن تساعده على هذا الأمر لا أن تحبطه. لا وجود لأشخاص استثنائيين. ومن خلال

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تجربتي وجدت أن الذين فقدوا بصرهم يتحسسون الأشياء الملموسة بدقة متناهية لدرجة أنك تظنهم يرون بأيديهم. أو أن عصاهم هي الحاسة السادسة؛ يمكن أن تراهم يميزون بين الأشجار والحجارة والماء. أرى أنك لست مؤمناً لكن يوجد بعض المؤمنين الذين، يتمسكون ببعض أشكال الإيمان العملية، يجادلون—وأعتقد بشكلٍ مقنع— أن ذلك الإحساس الخاص بالرؤيا إنما يعود للروح. ليس عادياً على الإطلاق أن تجد أن الجسد بكليته يبقى مقصياً عن الإحساس، عندما تنخبل الروح سواء بسبب النشوة أو التأمل العميق، رغم بقائه على اتصال مع العالم الخارجي. المسألة هنا أن ذلك الحس لا يظهر بسبب وجود الروح في أعضاء الجسد الحسية الخارجية بل بسبب حضورها العملي في الدماغ، حيث تُستَخدَمُ قدرةٌ حسيّة موّجّهة: ويمكن وصفها كنوع من التوفيق المركزي لولا أنه بفعلنا ذلك يمكن أن نفسح المجال لإنكار جوهرها المتعذر إنكاره. أقترح عليك أن تعد وضعك الحالي شبه دائم وانطلق من ذلك التصور، ربما بممارسة المزيد من الكبت الشعوري. أظنك تتلقى راتباً من الضمان الاجتماعي؟

– .....

– أي عمل تؤدي؟

– لا شيء الآن.

– متى قمت بآخر عمل؟

– إيه في أكتوبر.

– أكتوبر؟

– في مشروع بناء المدينة.

– متى تعتقد أنك ستعود إلى العمل؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– إيه....

– هل هناك مشروع آخر في الأفق؟

– نعم لكن أقصد ما لم يتغيّر الوضع... هزّ سامي كتفيه.

– نعم؟

– حسن يجب أن أعيد تسجيلي. يجب أن تكون مبصراً لتعمل في مواقع البناء.

– .....

– كثير من الأعمال التي ستقوم بها هي في الأعالي يا دكتور إيه.... لا توجد أرضيات، لا جدران، ولا أسقف. أنت تبنيها وهكذا... فهي غير موجودة بعد. هز سامي كتفيه. إن كنت لا ترى فأنت عرضة للسقوط.

– م م م.

– لذلك أنا هنا.

– نعم حسن حتى تنجز التقارير الشاملة يا مستر صموئيل.

هتف سامي. كان الطبيب يكتب. تنحنح وقال، إيه كنت أتساءل عن أمور مثل كلب مرشد وعصا بيضاء... أقصد بشأن الحصول عليهما.

– ...

– إيه كيف تتعاملون بهذا الخصوص؟

– نتعامل بهذا الخصوص؟

– إيه، إن أردت كلباً مرشداً، أو عصا بيضاء، كيف تحصل عليهم؟

– يؤسفني أني لا أفهمك.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– حسن إيه أقصد إن كنت لا تملك نقوداً أقصد لشرائهما، أقصد..

– ماذا أتطلب صدقة؟–حسن أجرؤ وأقول إن سُمِحَ بتقديم دعوى عجز وظيفي عندئذٍ يمكن تقديم طلب باحتياجات المدعي والتي يمكن أن تتفق مع العجز الوظيفي الحاصل ويصبح قابلاً للإعفاء من قبل إدارة التبرعات المختصة.

– هكذا يجب أن أطلب صدقة إذاً؟

– ...

– إيه

– عفواً؟

– أيجب أن أطلب صدقة؟ أقصد... أيجب أن أطلب صدقة؟

– هذا أمر يخصك.

– نعم لكني أقول...

تنهد الطبيب. قبض سامي يديه وبسطهما. سمع خشخشة ورق، ثم قال الطبيب: " وصفت لك الدواء نفسه الذي وصفه لك الطبيب كروزير، سيساعد على تخفيف توترك، ومرهم أيضاً لتدهن به جذعك العلوي. تفضل".

– مد سامي يده فأعطيت له الوصفة.

– صباح الخير[1]

– نهض سامي واقفاً. إيه دكتور، تعرف بالنسبة لفقدان البصر... ماذا يحدث الآن؟

---

[1] المراد بها هنا أن المعاينة قد انتهت . وعلى سامي أن يخرج من الغرفة

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– بأي معنى؟

– أقصد، إيه، ماذا أفعل الآن؟

– أعتقد أن هذا يخصك وحدك يا مستر صموئيل.

– لا، أنا لا أقول ذلك، فقط أتكلم عن إيه...

...

– تعرف ما أقصد؟

– لست متأكداً أني أعرف. سيفحصك الموظفون الطبيون في مركز البوليس الطبي. تلك شكليات. وبما أن مركز البوليس الطبي معني بالأمر فأجرؤ وأقول إن مرجعياتهم الطبية هي التي ستقرر الرأي النهائي. إن ثبت فقدان البصر الذي تدعيه عندئذٍ سيسمح باعتماد طلبك لإعادة التسجيل كفاقد للقدرة البصرية.

– هل يعني ذلك أن طلب تسجيلي غير مقبول الآن؟

– حسن وكيف يمكن قبوله؟

– لا كنت أتساءل كما كنت تقول. أقصد أن التقرير إيه... هنف سامي.

– خشخشة أوراق. كان الطبيب يكتب الآن.

– تعرف كنت أتساءل إيه حول إيه المستقبل وما شابه، عيناي...

– لقد أوضحت لك أنه من الحكمة أن تؤمن بثبوت صحة العجز الوظيفي المُدّعى.

– نعم آسف للمقاطعة يا دكتور لكن تعرف عندما تقول المُدّعى؟

– نعم؟

– أتعني أنك لا تعتقد إني أعمى؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– طبعاً لا.

– حسن ماذا تقول إذن؟

– قلت لك منذ قليل.

– أتسمح بإعادته؟

– في ضوء نتيجة فحص التنبيه البصري تبين أنك غير قادر على الاستجابة.

– إذن لا تقول أنني أعمى؟

– لست من يقرر ذلك.

– نعم، لكنك دكتور.

– نعم.

– وهكذا يمكنك إعطاء رأي؟

– أي شخص يمكن أن يعطي رأياً.

– نعم لكن بخصوص أمور طبيّة

– مستر صموئيل، لدي أناس ينتظرون مقابلتي.

– بحق المسيح!

– أرى لغتك مهينة.

– حقاً. آه حسن ذكري فيك إذن، ذكري فيك. جَعلَكَ سامي الوصفة الطبية ورماه بها: ضعها في بخشك.

– نعم. صباح الخير.

أنت معتوه منتا...! بقيَ سامي واقفاً مكانه. راح يبتسم، بعدئذٍ كفَّ عن الابتسام. أنت سافل منتا....

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– نعم. شكراً لك.

ذكري في تشكراتك يا سافل. أمسك سامي بالطاولة؛ بعثر الأوراق التي فوقها، واستدار سائراً حيث اعتقد أن الباب موجود لكنه اصطدم بشيء فأوقعه وتعثر، حاول أن يتوازن لكنه لم يستطع فسقط، مصطدماً بأشياء صلبة وحادة وصرخ عالياً. انفتح الباب ودخل شخص أمسك بذراعه. لكمه سامي أياً يكن واستدار ليهرب نهض على ركبتيه ومن ثم على قدميه. وإذ بالوكيل يقول، هوّن عليك هذا أنا. أنا وكيل ادعاء هذا الرجل يا دكتور لوغان.

– أنت...

– كان سامي يبتعد عن الصوتين.

– كان يفترض أن أحضر معه منذ الصباح لكنني تأخرت في مكان آخر. أعتذر عن هذا الإشكال.

– شرع الطبيب يرد لكن كان سامي قد وجد قبضة الباب، فخرج من الغرفة ومشى. وجد الحائط، طبطب عليه حتى وصل طاولة الاستعلامات ومن ثم وجد الطريق مباشرة إلى المخرج. عند الباب الخارجي لحق به الوكيل وأمسكه: قال له، " تمام ها قد عدنا".

تجاهله سامي وخرج إلى مدخل البناء. تبعه الفتى وقال: "انتظر دقيقة".

– لا.

– هل لي بكلمة؟

– هناك أناس ينتظرونني.

– لن أعطلك أكثر من دقيقة.

– قلت لك هناك من ينتظرني. تابع سامي سيره.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– إن كنت تعني البوليس، إن كنت تقصدهم، فقد ذهبوا.

– ...

– صدقني. ذهبوا من زمان.

– لا لم يذهبوا.

– نعم ذهبوا.

كيف عرفت؟

– لأنني رأيتهم.

– نعم حسن سيعودون. كم الساعة الآن؟

– الحادية عشرة والثلث. هل قالوا إنهم سينتظرون مثلاً؟

تابع سامي إلى الباب الأمامي. بقي الوكيل وراءه وسأله، " كيف سار الأمر على أية حال؟"

– كيف سار ماذا؟

– مع الطبيب.

– ذكري في الطبيب.

– قلت لك إنه مخادع. ولذلك عرضت عليك أن أدخل معك. الأفضل أن تكون مع وكيل في المقابلات الطبية.

خرج سامي من الباب وتابع سيره يساراً.

– ذاهب إلى موقف الباص؟

– توقف سامي واستدار. انظر يا صاحبي شكراً جزيلاً وإلخ... لكني لا أحتاج لخدماتك، ولا أريد وكيلاً أيضاً. معلوماتك خاطئة، أنا لا أسعى للتعويض.

– اعذرني سأذكّرك فقط: مع اعتبار أنك لا تسعى للتعويض الآن لكنك تحاول إعادة تسجيلك وهكذا يمكن أن تغيّر رأيك. يمكن أن تُجبرَ على ذلك. على أية حال، إضافة إلى ذلك ستحاول عندما تسنح

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الفرصة أن تحصل على بعض الجنيهات. ألا توافقني الرأي؟ إيه؟ أقصد أنك لن تخسر شيئاً.

– أنت مضحك جداً يا صاحبي هذه هي حالتك.

ضحك الفتى.

– انظر إيه.

ألّي، اسمي ألّي.

– نعم صحيح، تمام، تظن نفسك تعرف لكنك لا تعرف، تحدثني هنا عن شيء آخر، ذلك ما أقوله لك.

– أنت تترك نفسك عرضة للترهيب.

هز سامي رأسه.

– تركت لوغان يرهبك، هكذا فقدت أعصابك. أرادك أن تفقد أعصابك وفقدتها.

– مع السلامة.

– أقصد هل حصلت على تشخيص مرضي؟ أراهن أنك لم تحصل حتى على التشخيص.

– تابع سامي سيره.

– هذا ليس كارثة على أية حال أقصد لو حصلت على التشخيص لكنت صانع معجزات! لكن كم اقتربت منه؟ ماذا قال؟ هل دونت كلماته الطبية؟ هل أعطاك رأياً؟ أم مجرد وصفة طبية؟

تابع سامي سيره وبخطوات منتظمة، ويده اليسرى على الحائط. لم ينقلع البوليس بالتأكيد. سيكونون في مكان ما يراقبون. ربما عبر الشارع.

–كيف ستذهب إلى البيت؟ إيه؟ إن كنت لا ترى وليس لديك حتى عصا!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

توقف سامي: اسمع يا صاحبي كيف أصل إلى بيتي هذه مشكلتي أنا. تابع سيره.

– ماذا عن إحالتك هل حصلت عليها؟ لأنك إن لم تحصل عليها فستواجه متاعب. أقصد بخصوص المؤسسة الخيرية.

– ذكري في المؤسسة الخيرية.

– لا إنها مهمة.

دعنا في سلام.

–كان الفتى يسير بقربه الآن. قال: اسمع، أنت لا تدّعي على البوليس وهذا مفهوم. لا تريد أن تبدو أنك تدّعي وهذا مفهوم. وأنت قلق أيضاً بخصوص دعوى تعويض العجز الوظيفي وهذا مفهوم أيضاً لأن فيها تشهيراً. حسن ما أود قوله، أن لا مشكلة هنا. فهم لا يهتمون، ربحت أم خسرت أم انسحبت. لا يعبؤون بك. لذلك يجب ألا تعبأ بهم. حتى إن ربحت بعض النقود، لأنك ما إن تحصل على التشخيص ويعاد تسجيلك كفاقد للبصر فسينقص مرتبك جنيهين لأنك لست كامل القدرة على العمل.

توقف سامي.

– هل تعرف ذلك أيضاً إيه؟

– ذكري فيك!

– لا؟ ظننتك تعرفه. يدهشني أنك لا تعرفه. انتظر دقيقة لأشرح لك كيف يحصل ذلك. هيه ما رأيك بكوب شاي؟ يوجد مقهى عند الزاوية. إيه؟ هذا لمصلحتك.

– انظر إيه.

– ألّي.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– ألّي... توقف سامي عن السير. سيعود البوليس وأريد أن أكون بانتظارهم عندما يعودون.

– سيعودون ليعتقلوك مثلاً؟

– أنا لا أناقش الأمر معك، تمام؟ لا أملك الطاقة، تعرف ما أقصد؟ ربما في وقت آخر، في وقت آخر، ليس الآن.

حسن أنا لا أضغط عليك. خذ.

– ماذا؟

وضع ورقتين في يد سامي الأولى الوصفة الطبية، والثانية الإحالة، جعلته يوقعها لك بعدما غادرت.

أخذهما سامي وضعهما في جيبه دون أن يقول شيئاً.

– ترى كيف تنبأتُ بالوضع؟

– انظر إيه ألّي، أقدّر كل ما تقول وهلم جرا، لكن ليس الآن، ربما أناقشها معك في وقت آخر، ليس الآن، ذلك ما أقوله، ليس الآن. شكراً لأنك أحضرت لي الورقتين.

– لا تنزعج. اسمع أصغ إليّ دقيقة.

تنهد سامي

– لا، فقط ريثما يصلون. ترى كيف أقرأ الوضع... تمام لقد ضربوك في قسم البوليس وهذه يمكن أن تكون أو لا تكون صحيحة. يمكن أن يجادل بعضهم أنها حصلت– في الواقع ذلك ما سيجادل فيه البوليس عندما نطلب منهم الاعتراف بحصولها. لكن هل سيعترفون؟ تخميني أنه نعم، يمكن أن يستغرق ذلك وقتاً لكن في النهاية سيعترفون. هل ذلك حقيقي؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– هل عرفت ذلك أيضاً؟

– نعم.

– جيد. لأن كثيراً من الناس يتفاجؤون. سؤال واحد: عندما تعرضت للضرب وعميت هل كان العمى فورياً؟

– لا.

– هل عرف المسؤول بذلك من أجل الدقة أقصد هل سجّلوا ذلك؟ إن لم يفعلوا فالشيء الوحيد الذي يعرفونه الآن هو أنك أعمى. وذلك لصالحك. تعرف لو لم تعمى إلا بعد يومين لكان من الصعب إثبات ادعائك أنك عميت نتيجة الضرب الذي تلقيته في البداية. لكن إن لم يعرفوا فيمكن ألا توجد مشكلة. بالمناسبة ما هي مدة كمون العمى؟ تعرف إن وجدنا أنها تستغرق يومين عندئذٍ سيكون كل شيء على ما يرام لكن إن وجدنا أنه يحدث عادة مباشرة كنتيجة فورية للضرب أو الضربات عندئذٍ يمكن أن نكون في مشكلة. لا تقلق سأتأكد من ذلك. أحتفظ بمرجعين طبيين في البيت، إضافة إلى أنه لدي مرجعيات أخرى.

– من؟

– ذلك حديث يطول.

هز سامي رأسه.

– أنت لا تثق بي؟

– لا أثق بأحد.

– آه حسن قد تكون هذه مشكلة، دعني أقُلْ لك.

رفع سامي يده، وتبسم. حسن يا صاحبي لم أقصد الإساءة لمشاعرك. وأبقى سامي يده مرفوعة وكأنه يريد مصافحته. عندما

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

صافحه ألّي شدّ سامي على يده. بدت له يد ألّي كبيرة كيده. شدّ عليها كثيراً، لم يرد أذية الفتى. قال له: " تمام! والآن اصغ إليّ أنت لا تعرف شيئاً، تظن نفسك تعرف لكن هناك شيء آخر يجري هنا. وهذا ليس من شأنك ولن أخبرك عنه. كل ما أقوله إن الأمر ليس كما تظنه. لذلك دعك منه. تمام؟"

– .....

– تمام؟

– لا، ليس تماماً. ليس عندما تعاملني هكذا.

– أريدك فقط أن تنتا... تصغي لما أقوله.

– وأنا أصغي.

– أنت وكيل، تمام، أقبل ذلك. لم أقبله من قبل لكنني أقبله الآن. ظننتك مخبراً. أنا آسف. لا أعتقد ذلك الآن. تمام؟ لكن يجري هنا شيء لا تعرفه، ولا يخصك، تعرف ما أقصد؟ إنه لا يهمك.

– جربني.

– ما زلت لا تصغي. زاد سامي ضغط يده وألّي يحاول الآن أن يسحب يده. وضع يده الأخرى على معصم سامي وسحب بشدّة. رفع سامي يد ألّي الأخرى عن معصمه، اضطر للضغط ليرفعها لكنه رفعها وأمسكها بقوة.

قال ألّي: "لا أستطيع تصديق هذا التصرف، إنه في منتهى السخف."

– ليس بالنسبة لي.

– لكن هناك بشر يراقبون وهذا سخيف بالنسبة لهم.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– أناس ينتا....ـون يراقبون، ماذا يهمني، أنت تمزح يا رجـل!
زمجر سامي. حرر يده. فرك يديه على بعضهما بـبعض، وضـعهما في جيبي بنطلونه ومشى مبتعداً ببطء، وصل الحائط واتكأ عليه. أصغى. لم يسمع حركة مرور كبيرة. بعد فترة قصيرة قال: " أنت هناك؟"

– نعم.

– انظر إيه أنا آسف وهلم جرا، أعتذر، هي الأمور صعبة الآن.

– نعم حسن.

هز سامي كتفيه. ترى إني ضائع، بصدق.

– لست مضطراً أن تشرح لي.

– ظننت أني شرحت.

– آه حسن لم تشرح.

تبسم سامي. هيه معك سجائر؟

– لا، للأسف.

– انظر تبين لي أنك جيّد، تعرف ما أقصد؟ تبين أنك جيّد.

– أريد أن أكون واضحاً. أمتأكد أن البوليس سيعود؟

قضم سامي ظفر إبهامه الأيمن.

– إيه؟

– ماذا؟

– أمتأكد أن البوليس سيعود؟

– انظر يا صاحبي ألا يمكنك أن تركبني البـاص؟ ممكـن؟ سـأعيد لك النقود. ترى أني خرجت دون عصاي.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– تعال نشرب كوب شاي. إيه؟

– لا وقت.

– كوب شاي. كوب شاي واحد!

– ألا يمكنك أن تجعله كأساً؟ لا، أنا أمازحك فحسب.

– تعرف الأمر أني لا أشرب أبداً، أبداً، مع ذلك ليس عندي موقف أخلاقي ممن يشربون.

تنهد سامي. كنت أمزح فقط، حتى إني لا أريد كأساً.

– متأكد؟

– نعم فقط تركبني الباص....

– طبعاً. متأكد أنك لا ترغب بكوب شاي؟

– لا وقت. انظر إيه... مشكور. سأعيد لك الأجرة سريعاً تعرف لدي نقود في البيت.

– ليست مشكلة.

– المشكلة أني خرجت مسرعاً.... هز سامي كتفيه بعدئذٍ قال: "ومن أجل معلوماتك الخاصة، هناك أمران، إن كنت لا أسعى للحصول على التعويض فليس بسبب المضاعفات الجسدية. المسألة شخصية. أرى أنك لا تدرك بوضوح أنني في مشكله مع الجنود– البوليس–إنهم يضايقونني.

– سيفعلون ذلك لكنني أقصد....

– لا، الأمر مختلف عما تعتقد..... إيه هل نذهب إلى موقف الباص؟

– نعم.

الجانب الأخر من الشارع. أعطني ذراعك..... تابع سامي حديثه وهما يسيران. تعرف لا أريد أن أغرق في تلك العملية، هل تفهم ما أقصد، أنت لا تعرف شيئاً عن حياتي لكنني أريد أن أتخلص منها–

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ما الذي يفعله البوليس وما لا يفعله–أريد النجاة فقط، كرجل يحيا حياة عادية ذلك ما أقصد، مثل جاري ذلك، الذي يسكن في الشقة المجاورة، لديه أحفاد صغار وما شابه، يقوم بأعماله الصغيرة في المنزل. أقصد أن آخذ دوري كجد.

– لو أستطيع أن أقاطعك هنا.

– ماذا؟

– لا أريد أن أكون وقحاً. لكن من الأفضل أن أسألك أسئلة وتجيب عليها. فالكثير مما ستخبرني به لن يفيد مع اعتبار أنه من الأفضل ألا أسمعه؛ ليس الآن على أية حال. لسبب واحد وهو أني مثلك، ليس لدي الوقت الكثير.

– انظر.

– لا، لأن لا علاقة لها بالقضية، من قريب أو بعيد، وذلك ما يُحسب حسابه عندما يكون الوقت ثميناً. جيد أن تكون الأشياء الأخرى ذات قيمة ما لكن إن كنا سنتعاون معاً عندئذٍ سيقال كل شيء وعندما تُشبَعُ الأمور بحثاً، فسأعرفها في سياقها الطبيعي.

هيه مهلك يا صاحبي لم أتحدث قط عن عملنا معاً.

– لنتكلم عنه إذن، لا فائدة من الدوران حول الموضوع، سأوضّح لك الأمر. أنا أتقاضى ثلاثة وثلاثين وثلثاً في المئة –لأنك لن تبيع أثاث بيتك لتدفع لي فواتير الهاتف وطوابع البريد–ربما تفكر أنه أجر مقطوع لكنه صافٍ من كل شيء. أعرف بعض الوكلاء، عندما يصفون الحساب، تكون محظوظاً إن حصلت على خمسة وعشرين في المئة لأنهم يصفون خمسة وثمانين في المئة. وهكذا هم أسوأ من المحامين. لكني ألتزم بالاتفاق، ولن تعقد أية صفقات من وراء ظهرك. ذلك مضمون. إضافة إلى أنه لا داعي للقول إنك إن خسرت أخسر أنا.

– انظر أعطنا مهلة، إن ربحت أنت أخسر أنا.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– اسمح لي أن أخالفك. لقد نسيك البوليس تماماً، لذلك لم ينتظروك. الشيء الذي سأقوله، باعتبار، أنك يجب أن تتابع العمل معي.

تابع سامي سيره.

– لقد ارتكبت خطأً هذا الصباح، ويجب أن تعترف بذلك. لا أدعي أنني كنت سأحصل لك على تشخيص—صحيح أن لوغان متغطرس إلى حد ما– لكن لا بد أنه أدرك أنك دخلت لتقاتل. ذلك أساسي ومهم تماماً في هذه الحالة. كان عليهم أن يتأكدوا أنك لست مخادعاً. وهذه تفرق كثيراً. بينما واعذرني هنا لقد تركته يمسح بك الأرض—هل تعلم أنه صنفك في خانه من يعانون من هجمات—هلع؟

– ....

– اعذرني لكنه رآك تهاجم. والآن خذ الوصفة، لست مضطراً لشراء الدواء.

– لا أملك ثمنه.

– لا ذلك ما أقوله لك، لكن لا تخبرهم السبب لأنه غير وجيه؛ ستعزو ذلك للعجز الوظيفي نفسه وقل إنك غير قادر على مغادرة المنزل ولا يوجد متطوعون اجتماعيون يلبوّن احتياجاتك. أشياء من ذلك القبيل؛ ليست مشكلة الآن– بقدر ما تكون قصتك متّسقة هناك أمر آخر وهو أن تذهب إلى تلك المؤسسة الخيرية وتسجل طلباتك. الاتساق ثانية. سترى أنني أستخدم هذه الكلمة كثيرا.

– هل تعرف ماذا تعني؟ لست وقحاً لكن يجب أن تعرف كيف يستخدمونها. فالشخص الذي يعمى يحتاج إلى عصا يستعين بها، تمام؟ أعني إن كنت أعمى فستحتاج إلى عصا، نظارة سوداء وربما إلى كلب مرشد. هذا هو نوع الأشياء التي تحتاجها إن كنت لا تستطيع أن ترى، إنها متسقة مع كونك أعمى. بماذا تفكر عندما تفكر بأعمى؟ إيه؟ تفكر بعصا بيضاء وكلب مرشد.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– .....

– أنا لست وقحاً.

– لكن لا تنتا... تخدعني.

– ذلك آخر ما أفعله. لكن ما أقوله هو أن فقدان البصر ليس كفقدان ساقيك، لا أحد قادر على أن يقفز إلى رأسك ويرى ما فيها وينصرف. الرجل أعمى بالتأكيد، تمام، ذلك هو الأمر لا جدال فيه – تعرف ما أقصد، لا يمكنهم فعل ذلك. وهكذا فالقضية التي تبنيها تحتاج أشياء أخرى، والاتساق أحدها، وأهمها.

– لا بأس عرفت ما تقصد.

– تمام إذن. وهكذا إن لم تسجل احتياجاتك سيقبضون عليك ويقولون إنك لم تحصل على شيء. وسيستخدم ذلك كدليل ضدك. أقول لك، تعرف لو كنت مكانك فأول شيء أفعله عصر اليوم أن أذهب فوراً إلى المؤسسة الخيرية.

– لا لن تفعل.

– نعم سأفعل.

– هل ستفعل؟

– سأفعل.

– لن تفعل.

– .....

– لن تنتا... تفعل.

– لابأس سنتفق على أن نختلف. وصلنا.... موقف الباص.

سمع سامي رنين النقود فقال له: " الأجرة سبعون بنساً...."

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

أعطاه ألي المبلغ، وتابع حديثه: "الآن يجب أن أسألك سؤالاً. لا تعدّه شخصياً، يجب أن أسأله. هل أنت أعمى حقاً؟ يجب أن أسأله، لا تنفعل."

– نعم، أنا أعمى فعلاً. هل لديك سؤال آخر؟

– كان يجب أن أسأل. سؤال لا مناص منه.

هز سامي رأسه. بالمناسبة لقد سجنت مرة والأفضل أن أخبرك بذلك أيضاً.

– حسن لقد عرفت، مع اعتبار أنه غير مهم. إن بنوا آمالاً عليه سيكونون عندئذٍ كمن يدفع النقود سلفاً. لا أعني بذلك أنهم لن يُثيروه، بالطبع سيثيرونه وسيحاولون الاستفادة من أي شيء ممكن. كنوع من اختبار الماء لكنه ليس بالأمر المهم. الشيء الذي سأطلبه منك هو الصدق. وستجد الصدق مني بالمقابل. لن يفيد دفاعي عنك إن لم تخبرني القصة الصحيحة. ولا تهمني القصة التي سنقدمها لهم، ما دامت القصة نفسها التي سيرويها كلانا. لذلك اضطررت أن أسألك السؤال الشخصي. وسأكون صريحاً معك ما دمت صريحاً معي. يسعدني أنك سجنت، دعنا نسَ هذا. ما أعنيه هنا أننا نعرف الإجراءات، تعرف ما أقصد، نعرف الطريقة التي يعمل بها النظام.

– لا تخادعني.

– ذلك آخر شيء أفعله.

– ابق هكذا إذن.

– لا تقلق.

– انظر.

– لا اعذرني وانظر أنت، فقط ريثما أوضح، أعرف أنه لا يمكنك أن ترفض، وحتى كلامك بتلك الطريقة لا معنى له لأنه يعني أنك لا

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تفهم حالة اللعبة. تعرف ما يجب أن تلاحظه هو أن كل ما أفعله أنا تحديد الحقائق، وإن أعطيتك رأياً فسأقول لك إنه رأي.

– كيف عرفت أنني سأُستَدْعى إلى مركز البوليس الطبي يوم الجمعة؟

– تأكدت من ذلك.

– أين تأكدت؟

– في مجمع القضاء، ليست مشكلة كبيرة، إذ ترسل التقارير إلى هناك قضية مثل قضيتك تثار اليوم وتخبو غداً، وهكذا عليك الإسراع. بالنسبة لأمثالي، فنحن نذهب إلى هناك كل ليلة. يجب أن أكون هناك، وإلا فلن أعرف بالقضايا المعلقة. بالمناسبة لا أحصر عملي في القضايا الطبية فقط، كلا على الإطلاق.

– ماذا أيضاً؟

– كل القضايا.

– ماذا بالضبط؟

– كل شيء، كل شيء؛ لا يهم.

– لم تجب على السؤال.

– حسن لا يوجد سؤال حقيقي لأجيب عليه، مع اعتبار، إن فكرت فيه فلن تجده.

– هيه أيوجد باص قادم؟

– نعم.

– ما رقمه؟

– خاص، علَيه لوحة تقول خاص.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– خاص؟

– خاص بالمدارس، فيه أولاد كثر.

– أصغى سامي إلى هديره وهو يبتعد.

– ما رقم باصك؟

– سأقول لك عندما يصل.

– ما زلت لا تثق بي؟

– أنت تمزح...

– آه حسن ها أنت قلتها إيه! تمام، لن ندور حول الموضوع. يجب أن تتبع حدسك في هذا المجال، وحدسي يقول لي إننا وصلنا حالة الثقة. ربما لم نصل. لكنني اعتقدت أننا وصلناها. لا أعرف رأيك لكن ذلك ما شعرت به أنا.

– شعرت به؟

– نعم، شعرت به، لكن إن كنت لا تثق بي فسأمشي حالاً، أقصد الآن فوراً.

هز سامي رأسه مبتسماً.

– اعذرني لقولي هذا لكنك قاسٍ كره.

– هكذا أنا؟

– نعم قاسٍ كره.

– هل قلتَ لي حقيقة أم رأياً؟

– من بدأ الضرب أولاً؟

– أنا ضربتهم.

– كانوا يحاولون اعتقالك؟

– لا، كانوا ينتا.....ون.

– ضربتهم هكذا؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– يامسيح حتى إنني لم أعرف أنهم بوليس! ليس في البداية، ظننتهم–لا، انتظر: من الطريقة التي حدث بها الأمر؛ عرفت أنهم بوليس، لكن ذلك لأنني أعرف كيف يكون البوليس. ظنوا أنهم يقبضون على شخص ساذج، ما كانوا ليستطيعون ذلك.

– لم يصرحوا عن أنفسهم؟

– لا، لم يصرحوا.

– تمام– انظر إيه اعذرني، شيء واحد فقط، يجب أن تنتبه للغتك؛ آسف لكن كل ثانية كلمة أنكح. إن انتبهت إلي ستراني أختار الكلمات المهنية.

– ...

– لا أقصد شيئاً، لكنها عادة جيّدة تنتهجها لغايات رسمية. غضبت؟

– لا تغضب

– لست غاضباً.

– إنك غاضب. لكن يجب ألا تغضب.

– لا تنتا.... تقول لي كيف يجب أن أكون أو ألا أكون، لا تنتا... تقول لنا ذلك. أدار سامي رأسه ليصغي للاتجاه الذي سيأتي منه الباص.

باعتبار أن لغتك لغة مخبر قحب يا رجل... بصق سامي على الأرض. ما أمرك أأنت مخبر قحب أم ماذا؟

– لا بأس.

– لا بأس!

– لا بأس، أقصد أنك يجب أن تفكر بذلك، أنني مخبر أو جاسوس، لا بأس.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

خبط سامي على صدره لقد سئمت من هذا، تمام! لقد تشاجرت بما فيه الكفاية، مع سفلة مختلفين، ولا أنقصك أنت أيضاً. ربما في وقت آخر، لكن ليس الآن يا رجل فلست على الحشيشة. رأسي لا تنقصك، لا رغبة لي في الشجار. بصق سامي على الأرض ثانية وأبقى وجهه مشيحاً عنه.

– لا بأس.

– في وقت آخر.

– متى؟

– متى انتـ...ت شئت.

– تعرف ما يجب أن تفهمه بخصوص التوكيل؛ يجب أن أفكر بطريقتهم، أن أعرف كل الدقائق والتفاصيل، والكلمات التي لا ينتبه إليها أحد، الأحرف الناعمة كما يقولون. كيف تظن أنني حصلت لك على الإحالة! لأنني أعرف الكلمات التي يجب أن تقال إنها مثل التعويذة. وخلال ثانيتين كان يوقع الإحالة. المهم هو كيف يفكرون وكيف يتصرفون، أقصد المسؤولين، كيف يتنفسون، كيف يمسكون بالشوكة والسكين، نوع السيارة التي يركبونها، أين يسكنون – وهذه صعبة بالمناسبة لأنهم يكرهون أن يعرف الناس أماكن سكنهم. وذلك قبل أن تصل القوانين والقواعد وكل الإجراءات المختلفة؛ البروتوكولات والشكليات، متى تتنحى ومتى تتراجع إلى الوراء، متى تتكلم ومتى تقدم ورقتك الصغيرة –أنت معي؟ كله مهم: متى تعلق الموضوع القديم ومتى تلبس ربطة عنق ومتى تفك زر ياقة القميص. تعرف القصة يا سامي، فعندما تذهب إلى المحكمة لا تبدأ تتصرف كالمهرج، يجب أن تلعب بمهارة. لأنهم هم الذين يصنعون القوانين.

حك سامي ذقنه.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– الشيء الذي لا يعرفونه هو أنت وأنا. ذلك هو الشيء الذي لا يعرفونه يعتقدون أنهم يعرفونه لكنهم لا يعرفونه. لذلك يحتاجون إلى مخبريهم وجواسيسهم. تلك هي مشكلتهم، أقصد من الصعب عليهم أن يعرفوا شيئاً عنا. ذلك لأننا مقيتان. حتى إنهم لا يحبون أن يكونوا في المكان نفسه، في مكاننا!

– أنا لا أحب أن أكون في مكانهم اللعين.

– نعم لكنني مازلت أقصد: نحن مضطرون لكنهم غير مضطرين، هم هناك من أجل النقود ونحن هنا لأننا مضطرّون. لا خيار لنا، بينما لديهم خيارات. وهكذا أقصد ما نفعله وكأننا نقف هناك أمام القاضي وكل ما نقوله يدوّن ويُستخدم كدليل. لا أقول أي شيء لا تعرفه، يا يسوع، فأنت لن تدخل المحكمة وتشرع بالصياح والصراخ ذكري في هذا وذكري في ذاك وذكري في نيافتكم أيضاً.

تبسم سامي.

– إيه، أقصد أنك تعرف ما أعني. تعرف هذا يشبه يوم كنت أحضّر لأيام الدفاع عن أطروحتي؛ المشكلة أنني لا أستطيع التخلص من العادة السيئة. لا أريد ذلك لكن تعرف ما أقصد، لا أريد ذلك. كلما اقتربت من المحاكم ودور القضاء كلما أصبحت مثلهم. اسأل زوجتي وستقول لك. إن أصغيت لنا فلن تعرف الفرق!

– لقد عرفته.

– آه حسن أنا أتكلم على الشخص النموذجي يا سامي وليس عن الرجل القطرس، ليس مثله باعتبار...

– أليس القادم باصاً؟

– نعم.

– ما رقمه؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– مائة واثنتا عشر.

– ليس باصي.

– لا، ما أقوله، هو أنك يجب أن تنتبه إلى هذه الأشياء، أو أنتبه أنا، وكيلك، على الأقل، ذلك ما نتطلع إليها، ذلك هو عملك. وما دمنا في القضية، هل هيلين زوجتك؟ زوجتك – قانونياً؟

هتف سامي.

– صديقتك إذن؟

– على حد علمي.

– تشاجرتما وحسب؟

– ...

– حسن هذا شأنك يا سامي، من ناحية أخرى سأعرف كل شيء، على أية حال، أقصد أننا سنعرف بعضنا جيّداً. سواء أحببت ذلك أم لا.

حركة سير غزيرة قربهما تظاهر سامي أنه منشغل بها.

– أنت معي؟

– ماذا؟

– لا ما أقوله، كوني وكيلك فيجب أن أعرف مشكلتك. لا مشكلة في ألا تخبرهم لكن أنا يجب أن أعرف، وإلا كيف سيمكنني القيام بالعمل؟ ليس ممكناً.

– ما الذي ليس ممكناً؟

– أن أتوكل عنك، إن كنت سأقوم بالعمل بإتقان.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– لم أقل أنك ستتوكل عني.

– ظننت أننا اتفقنا.

– ليس على حد علمي.

أرى، يبدو كذلك.

– لا يبدو شيء على الإطلاق يا صاحبي أنت الذي يقفز إلى النهايات مباشرة. يجب أن أفكر بالأمر.

– حسن هذا حقك. ما سأقوله لك! إن كنت سأحضّر قضيتك فيجب أن تكون كاملة، ولتكون كاملة أحتاج وقتاً. فلا فائدة من توكيلك لي قبل يوم من موعد البتّ في قضيتك. إضافة إلى شيء آخر: يجب أن تتذكر أنهم سيعرفون كل شيء. فما الفائدة من الدفاع عنك إن كنت أعرف أقل مما يعرفون؟

– لن يعرفوا كل شيء. بصق سامي في الشارع.

– لو كنت مكانك لما افترضت ذلك.

– نعم حسن أنت لست مكاني. هناك فرق بين التوكل عن شخص ما وأن تكونه؛ تعرف ما أقصد، أن تكون ذلك الشخص؟

– أفهم ما تقول.

– جيّد.

– كم تحتاج من الوقت لتفكر بالتوكيل؟

– سأرجئ التفكير فيه.

– تعرف المسألة، ليس في أن ترجئه أم لا، باعتبار أنه ما زال عليك في النهاية أن تقول نعم أو لا. أنت معي؟ ذلك هو الأمر الجوهري. إن استغرقت أسبوعاً لحزم أمرك، ففي نهاية الأسبوع

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ستكون أمام القرار. أردتِ ذلك أم لا. ولن أضغط عليك، أقصد لست مضطراً أن أستجدي عملاً، لنكن واضحين في ذلك. لكن الوقت قصير وهناك عمل يجب إنجازه، إعادة البحث وأشياء أخرى... ومن ثم لدي موعد مع سيدة من أجل قضيتها، لقد ناضلت سنوات طويلة من أجلها؛ وقضيتك تافهة بالمقارنة مع قضيتها.

– صحيح؟

– .....

– أنا لا أتهمكم، لكني لا أحب أن أحشر في زاوية، نعم ويبدو أن السفلة يحشرونني، تعرف ما أقصد، شيء يتعب.

– أنا لا أحشرك، بل أفعل العكس.

– أريد أن أفكر.

– خذ وقتك.

– الأمر لا يتعلق بك، ليس شخصياً: إن احتجت وكيلاً فسأوكلك أنت.

– نعم حسن لكن هناك مشكلة المهلة القانونية لتفكر فيها أيضاً، إن انتظرت كثيراً فستخسر الفرصة.

– والأمر يناسبك.

– أنا أحصل على أجري إن حصلت أنت على النقود، وهكذا فالأمر لا يناسبني. نحن نتكلم على الاتساق.

– نعم، حسنٌ، الاتساق... الاتساق، لقد أتخمت يا رجل من ذلك الاتساق، تعبت.

لكن كيف؟ كل ما يمكنك فعله هو أن تخفق. ولا مكافأة هناك، فهم لا يهتمون بهذه الطريقة أو تلك. فليسوا هم من يدفع المال، بل نحن.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

نعم لكن التقارير والإحصاءات السيّئة، سيّئة بالنسبة للسياسيين. فإن شوهدوا يفسدون الأمور، سيكون هناك مضاعفات.

نحن نتكلم على جامعي الأصوات، وبالتأكيد، سيستكلبون في القتال ليهزمونا. يجب أن يظهروا مقدرتهم على إنجاز العمل. إن حصلوا على موارد كافية واعترفوا بذلك عندئذٍ يجب أن يستخدموا هذه الموارد بطريقة مناسبة، ذلك هو واجبهم. قضيتنا ستعتمد على اللا كفاءة واللا أهلية، أي أن طريقة معالجتهم للعمل غير مناسبة. وفي المدى القصير يؤدي إلى اختصار الأمر إلى نقود — وذلك ما يمكن تسميته قانون الظل[1]، لكن تلك النقود مختلفة عن التي تدفع للتعويض، هذه تخرج من ميزانية القسم. عندما يحدث ذلك أو يبدو على وشك الحدوث عندئذٍ سيقصى شخص من منصبه؛ وهذا ما يخافونه، أن يُقصوا من مناصبهم. أنت معي؟

تنهد سامي. ما رأيك؟ قال له، أتبدو ماطرة؟

– إيه نعم.

– غائمة؟

– نعم.

– خمنت ذلك. تنحنح سامي وبصق ثانية. أواثق أنت أننا لا نقف عند عمود إنارة؟

– ضحك ألّسي. سيارتي في الصيانة السنوية الإجبارية، وإلا أوصلتك بها.

هز سامي رأسه: صحيح، إنها صفقة.

---

[1] القانون غير المكتوب.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– .....

– ستتوكل عني، وهو كذلك. تمام؟ إن ما زلت راغباً.

– نعم، راغب، جيد يا سامي، تمام، سنقاتل حتى النهاية — ليس لديك ما تخسره على أية حال!

– حسن لن أقول ذلك بالضبط.

– متأكد أنك لا تريد أن تفكر بالأمر؟

– لا.

تصافحا لتثبيت الاتفاق.

– لا تراجع الآن إيه؟ أنا رجل عند كلمتي يا سامي. وآمل أن تكون كذلك أيضاً. أقول ذلك بسبب حجم العمل الذي ينتظرنا. لا مانع عندي من فعله. لكن المشكلة في إنجاز كل ذلك العمل والجهد ويلغي الاتفاق في آخر دقيقة أقصد لا يهمني أن أخسر، ليس كثيراً، لكن الشكل الآخر فلا، إنه إحباط مرير. والأكثر إحباطاً على الإطلاق أن يربحوا هم. هذا يعني أنهم أنجزوا العمل. ذلك هو الأسوأ في الأمر. وهكذا ماذا عن المؤسسة الخيرية.

– سأذهب فوراً.

– فوراً؟

– حسن أقصد صباح الغد.

– تمام. لأنها مهمة جداً الآن تحديداً.

– لا ضير في ذلك.

– متى؟

– إيه...

kutub-pdf.net

– ربما أستطيع المجيء معك.

لا داعي. بصدق، يجب أن أنجز الأمور بنفسي، يجب أن أتعلم ذلك جيّداً.

– نعم، تمام، العنوان على الإحالة، في نهاية شارع القديس فانسان. لقد سألته عنه. أعرف أنك لست متديّناً وهكذا ستناسبك لأنها غير طائفية، إنها بروتستانتية. تمام؟

– نعم، شكراً لك، حسناً فعلت، إن ضعت سأسأل شخصاً ما.

– أنت مقاتل.

– لا تسخر مني. قال سامي وابتسم.

– لن أحاول ذلك.

– تمام. هيه لست مضطراً للانتظار معي حتى يصل الباص اللعين تعرف سأشير بيدي لأي شيء.

– لا بأس.

– لكنك مستعجل يا ألّي، ليست مشكلة.

– متأكد ...؟

– لا تقلق، أعطيتنا النقود وذلك رائع، أنا مدين لك بسبعين بنساً، سأردها لك عندما أراك ثانية.

– سنلتقي قبل ظهر الأربعاء.

– حسن تمام.

– ذلك هو الوقت الشاغر لدي. سآتيك إلى البيت. أفضل من أن نلتقي في مكان ما، وتتاح لنا فرصة تمحيص الأمور. إضافة إلى أنني

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

سأغتنم الفرصة للقيام ببعض العمل. أقول لك: سنكون ناجحين أكثر مما تعتقد!

– جيد.

– آه حسن ذلك هو عملي؛ رغم أني مضطر لقولها لك، لا تكن واثقاً جداً. ففي العمل ضد هؤلاء الناس لا توجد قادوميات[1] إنه عمل مضن؛ ومنهك أحياناً. لا بأس، يمكنك فقط أن تفعل ما بوسعك. اتفقنا إذن؟

– تذكّر إذن المؤسسة الخيرية صباح الغد، الأمر حاسم.

– لا تقلق.

قالا وداعاً، وتصافحا ثانية. وعندما ذهب أخرج سامي الوصفة والإحالة من جيبه وجعلكهما لكنه لم يرمهما؛ كان على وشك أن يفعل لكنه تراجع وأعادهما إلى جيبه. ربما كان ألي يراقبه. لا قيمة لهما لأنه لا ينوي الذهاب إلى أي مكان صباح الغد. ولا رغبة له بوكيل أيضاً. لا نية لديه بفعل أي شيء سوى ما يشعر برغبة بفعله. يجب أن تضبط أعصابك. لن يخرجه من المشكلة إلا نفسه. عربة ثقيلة تقترب، شاحنة، تراجع إلى الوراء.

من يخدع من؟ تبسم سامي. ترتكب جريمتك فتدخل السجن. بصق في الشارع.

تمتمة من مكان ما. إما من الجنود أو أن باصاً قحباً على وشك الوصول.

هذه حالتك. تلك هي النتيجة القحبة. لن يسابق بغمامتين يا رجل لقد فهم السيناريو. هذا ماذا سيفعله إذن؟ يتكوّر على نفسه و يموت؟ سيكون أمراً حسناً.

---

[1] قادوميات : الطرق المختصرة / الأزقة أو الزواريب

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تمام.

قضية التفكير في حل، التفكير القحب بحل تمام.

تمام، هكذا يجب أن يعمل إذن. يجب أن يخطط. قد بدأ يعتاد العمى الآن. لقد مرَّ الكابوس الأول. إنه في الطور الثاني. وحتى يجتازه يجب أن يكون حذراً. لقد أُشهرتْ السكاكين. ذلك شيء يعرفه. استرخ! تمام، حسن تمام ذكري فيه يا رجل استرخ، استرخ فقط.

كان يُرَيِّل. بحق المسيح! شعر بالرطوبة على جانبي فمه. سيشهر الموس في وجهه حالما يدخل ذلك الباب.

شيء مزعج، سلوك استفزازي، تعرف ما أقصد، الطريقة التي عامله بها كل واحد منهم كساذج. لقد عاملوه كساذج! الجنود الأغبياء السفلة ظنوا أن سامي يعرف شيئاً وهو لا يعرف شيئاً البتة لأن تشارلي لم يثق فيه كما يجب ليخبره أي شيء. تلك هي القصة. سفلة أنذال. تمام، استرخِ. لكنه أمر يزعجك يا رجل! تلك الفكرة، تفهم؟ بحق الجحيم.

وإن لم يفعلها! إن هو لم يفعلها فالنتيجة هي العصفورية، لأنه بالتأكيد لو أراد السفلة أن يقصوه هناك لأقصوه هناك، مباشرة، لا جدال في ذلك. وما كان ليتابع سيره. ما كان سيتابعه. ما كنت لتستطيع.

يتوقف الأمر على الزمن. وهكذا كان يغضب جداً. إنه الزمن، الزمن! كل شيء يتوقف عليه. اللمسة النهائية، وهذا ما افتقده هو. تعرف عندما تفكر في الأمر، فيما كانوا يفعلونه، لقد كانوا يسلبونه، يسرقونه منه. أقول لك يا رجل: ذلك ما كانوا يفعلونه الجنود السفلة، ومركز خدمات البوليس الطبي، الصحة والرعاية الاجتماعية. جميعهم كانوا يماطلونه.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

باص قادم؛ مد يده؛ لكن بعد فوات الأوان. أرأيت، توقيت خاطئ، تأخرت ثانية. لو أنك لم تنتبه جيداً لكان القدر، تحذير صغير. ذلك ما كان يقوله له، إن الباص بعيد ولو لم تنتبه إليه لانتهت حياتك–وما الذي التعن بقي منها يا رجل هو ذلك شيء– نهاية القصة. تحرك إذن. تمام، أصاخ السمع. أخيراً سمع شيئاً. شخصان آخران ينتظران فجعلهما يرقبان باصه. جلس في المقعد الأول في الطبقة الأولى، المخصص للعجزة؛ لا بأس.

كانت تمطر رذاذاً عندما نزل من الباص. كز أسنانه. لا أحد حوله. يجب أن يصل المجمع السكني وحده. تمام. ذلك أفضل. لا مجال للاعتماد على السفلة لإخراجك من المتاعب. يمكن أن يفعل المرء شيئاً ما دون أن يكون مسؤولاً عنه دائماً. من يعرف الضغط الذي يمارسونه على الآخرين. نعم يجدون الطرق لينيـ....ك. وليست مشكلة من تكون فإن أرادوا قتلك يقتلونك.

كان الجدار الحجري رطباً. من البديهي جداً أن يكون رطباً فقد كانت تمطر. ملمسه غريب، رطب وخشن. رائحته جيدة، عذبة، وشيء ما آخر، يصعب عليك معرفته.

شخص يقف هناك. مرت يده على ثيابه. اعتذر له. لا جواب. تابع سيره، بحثاً عن المدخل الآخر فإلى معبر المشاة. كانت قدماه تؤلمانه ثانية. لا بأس فالطقس البارد يمنع الكلب من الصيد. هل رأيت قط كلب الدروكيت؟ مثير للشفقة، مطأطئ الرأس محني الكتفين، أنفه هائم فوق الأرض. يعدو ويعدو لا يرتاح أبداً يبحث باستمرار عن تلك الرائحة. حجز سامي ذات مرة غرفة في نزل، لليلتين فقط لم تكن أمتعته كثيرة، ربما حقيبتان. في الصباح التالي، وليكون أكثر أماناً، أخذ أمتعته معه عندما خرج للتجول، كان يبحث عن عمل، جاب كل المواقع هنا وهناك، يتحدث إلى ناظري العمل.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

على أية حال، لم يحصل على عمل، لكن عندما عاد إلى غرفته وجد قبعة وجاكيتاً معلقتين على المشجب خلف الباب. كانت جاكيتاً مشحّمة بينما القبعة جميلة أنيقة المظهر، ربما كانت كحلية أو ما شابه، فرانك سيناترا. فظيع جداً أن تنام ليلة وهذه الأشياء معلقة خلف رأسك؛ مخيفة —من أين جاءت؟ وإلى أين تذهب! سببت لك نوبات هياج عصبي، خصوصاً في الساعات الأولى لحلول الظلام عندما تبدأ ملامح الأشياء ترتسم في فراغ لم يعتم كلياً.

فيما يتعلق بالحذاء لم يسرقه أي سافل. كان سامي في بيت ما ولبس خفافة الرياضة بالخطأ. لأنه كان سكران. أو أن قحباً آخر لبس حذاءه لأنهم كانوا سكرانين، ولبس هو الخفافة لأنها أفضل من لا شيء. وليغ هو المرشح الأكبر للفوز بحذائه، أخرق نموذجي يا رجل — إلا أنه هو الذي كان يتبختر بالحذاء الجلدي الجديد.

يزداد المطر غزارة

كان يجب أن تفكر

لا لم تفكر. لم يكن التفكير مفيداً. ما فعلته كان أموراً مختلفة، لم تنتا... تفكر فيها قط بل فعلتها. هناك فرق، يا رجل؛ سيذهب سامي سيذهب إلى إنكلترا. هذا ما انتهى إليه.

إن استطاع الحصول على تعويض العجز الوظيفي وهذا غير ممكن حتى في الخيال اللعين، عندئذٍ لن يضطر للقيام بعمل يحتاج لعينين، بل ستزداد نقود الضمان الاجتماعي بفعل التعويض. لكنه لن يحصل على تعويض عجزه الوظيفي يا رجل بل سيكون محظوظاً إن استطاع أن يعيد تسجيله. يا مسيح يا قادر! والتعويض الفعلي مجرد مزحة. لا أمل في ذلك. فهو الذي تسبب بفقدان البصر، هو نفسه. ذلك جلي. إن احتاجوا أدلة فسيعطيها لهم. تمنى ألا يدوم عماك إلى الأبد. حاول ألي أن يمده بالأمل لكن لا أمل هناك. لماذا تنزعج إذن؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

انتهيت خاسراً وتخوزقت خازوقاً مضاعفاً. ادخل اللعبة إذن شرط أن تلعبها بقدر ما تضطر للعبها فقط. لأنها تقدم لك فرصة لتلتقط أنفاسك، وهكذا ما كان سامي يعطي تشارلي فرصة ليلتقط أنفاسه. ربما أعطاه. من يعرف؟ ليست تلك بمشكلة. تعرف حتى ساعتين فقط. دقيقتان يا رجل تكونان أحياناً كل ما تحتاجه. وأنت بعيد عن نظرهم وقريب منهم ولا يلاحظونك أبداً.

كانت هذه الأشياء مجرد تفاهات، اضبط أعصابك. لقد تجاوزت الحالة، حالتك اللعينة. استغرقتك وقتاً وجهداً، تركيزاً واهتماماً بالتفاصيل. وذلك ما أحبه في عماه: تعرف كان ينام الليل مثل جندي منهك يا رجل. منهك من الجهد الذي بذله في تنفيذ العمل يوماً بيوم وتنفيذ الأوامر دقيقة بدقيقة. الحياة العملية هي ما أنهكك، الحياة العملية! ضحك سامي. شعر بالماء على أذنيه، ربما سيغسلهما وينظفهما من الصملاخ.

يعرف أشخاصاً سيقدمون له خدمة، لو طلب منهم. الأمر بيده.

إلى أي جحيم لعين هو ذاهب! لم يعرف. توقف. بحق، في أي جحيم هو يا رجل؟ ضحك ثانية، وماذا يهم. المطر. لطيف. أصواته القصيرة بيت — أ — بات جعلتك تفكر في الأمر ببطء. بيتر الصغير يترنح.

يا يسوع المسيح لكنه يحتاج إلى نقود، إلى ك. ل. ب. ذلك الكلب اللعين يا رجل هو ك. ل. ب. كلب حقير. ضحك سامي — لكن ما صدر عنه كان عويلاً أكثر منه ضحكاً. عند حد معين كان سيضرب ألي. جيد أنه لم يفعل. إنه مسكين. لا يسعك إلا الشعور بالشفقة على أمثاله. لا بأس.

لسوء الحظ، في هذه اللحظة، هذه اللحظة اللعينة. تاه سامي. فقد نسي أية طريق كان يسلك. المطر هو الذي أخرجه عن مساره. تابع خطوات عدة إلى الأمام لكنها صارت أقصر فأقصر. لأنه لا فائدة، لا فائدة البتة. توقف تحسس بحثاً عن الحائط الذي كان موجوداً،

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

والذي ما كان ليجده لا بد أنه انتهى قبل مسافة طويلة. لا بأس لا تعمل من الحبة قبة. لا فائدة من ذلك. سار قدماً يلتمس بحثاً عن الحائط، حتى وصل مدخلاً. وقف فيه.

قلنسوة. أيحلم سامي أم تلك هي حال العميان؟ يلبسون قلنسوات؟ ربما لأنهم لا يستطيعون رؤية السماء وهكذا لا يعرفون إن كانت غائمة أم ماذا، وهكذا يجب أن يكونوا مستعدين.

لم يكن سامي سارق معروضات فاشل، بصدق، لم يكن يحب التبجح. إنها مسألة نفسية. كان ماهراً في ذلك. وكان في الواقع مجرد امتحان صغير استطاع اختبار نفسه فيه. كان بوسعه الخروج وسرقة قلنسوة.

وهكذا:

ماذا سيفعل وكيف حدث أنه لم يستطع التخطيط لذلك؟ لأن ذلك الدكتور النذل قد أزعجه. لكن لا فائدة من الانفعال. كل شيء تكتيك وهذه تكتيكات قديمة، كما قال الرجل. ما كان يجب أن يقع في شركها. آخ حسن تباً لها. كنت تحب أن تهاجم أحياناً. وهكذا رآها سامي: في كل مرة تهاجمهم تقصّر حياتهم، تقرّبهم قليلاً من الأزمة القلبية، تعرف ما أقصد، كنت تقتلهم. هكذا لا بأس. المطر يزداد غزارة؛ خرج من باب المدخل وكان المطر ينهمر عن جسر أنفه.

ماتت مونا الأسبوع الماضي

سقطت على سكة القطار

ما الذي ينوي فعله؟ آخ عرف ما ينوي فعله

ماتت مونا الأسبوع الماضي

سقطت على سكة القطار

سامي مستمع سيّء للقصائد المغناة، لم يتذكر قط كلماتها السافلة على وجه الدقة. وبصدق لم يكن حاد الذهن ولم يكن ما يمكن أن

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تسميه مفكراً. حقيقة لا. توقف عن السير. كان يجب أن يبقى في باب المدخل.

وقع خطوات. قال: "مرحباً". لا جواب. ربما شبح ولا يستطيع الكلام.

كان سامي ينوي الذهاب إلى مطار جلاسكو ويختبئ على متن طائرة إلى لوكينباخ تكساس ليعمل مع ويلي وويلون والأولاد. نعم اهرب يا رجل وإلى الجحيم بإنكلترا، سيذهب إلى لوكينباخ.

أين أنا الآن بالمناسبة؟

"أين أنا بالمناسبة"، هذه قصة قحبة في حياة سامي. تعرف، لقد وقع حجرٌ على رأسه. هذه حقيقة، غير أنه كان جلموداً لا مجرّد حجر، كما أنه لم يقع بالصدفة بل كان متعمداً أيضاً. ثلاثة أشخاص طرحوه أرضاً وآخر وقف فوقه، حمل الصخرة الثقيلة بيديه، حدد هدفه. وكأنه يلعب البولة. وكنت أنت تحدق إلى الأعلى تشاهد هذا الجلمود الفظيع الخشن؛ ثم لم تعد تره (تراه)، ببساطة لأنه سقط، خبطك، على جسر أنفك. ومنذ ذلك اليوم لم يعد هو نفسه. هناك أغنية أخرى. تباً، الحياة مليئة بالأغاني. ربما كان الله مغنياً.

عندما عُمِيَ سامي...

رائحة بيرة. لا بد أنه حلم. حتى أنفك يخادعك!

لم يستطع الوثوق بأي سافلٍ أيضاً.

هل استطاع أن يثق بشخص؟

لا لم يستطع. كل الناس ثرثارين. لقد صنع العالم من الثرثارين. ثرثارون ومخبرون وجواسيس سفلة. تلك هي الحياة يا رجل لا تجد فيها سافلاً تثق فيه. ولا حتى سافلاً واحداً وحيداً استطعت أن تقص

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

عليه قصة بليّتك. وهكذا لم تفعل سوى التخبط في المكان مرتطماً بالجدران وأعمدة الإنارة اللعينة، وأناس أبرياء، خرجوا للتنزه.

هيلين يا رجل!

راحت وما نُسيت

راحت وما نُسيت

لم يعرف سامي حتى إذا كانت هذه أغنية. ما عرفه هو...

لا حتى ذلك لم يعرفه.

تعرف؟ إن وجود صديق في مثل هذه الظروف يجعل الأمر مختلفاً كلياً. لقد قاطع سامي أصدقاءه منذ سنوات مضت لكن ربما هذا هو وقت إعادة التفكير في الأمر. لم يكن ندماؤه جيدين كفاية. ألسنتهم منفلتة العقال، لقد سئمت منهم. أصدقاء أمثال ليغ، لا لا يمكن أن تسمي ليغ رفيقاً. في الواقع، هو ليس سيئاً، لكنه في المحصلة مجرّد سكير. لم يكن راغباً بلقائه صباح تلك الجمعة، كان يؤدي له خدمة فقط. كان يناقشه في مسألة العمالة. ليغ ليس سيئاً، ولا تنقصه التجربة. إضافة لطلته الجذابة. لا تكتفي منه بنظرة واحدة. لكن تلك الثواني العشر الإضافية في اللقاء، تلك الثواني وكل فرصة صغيرة تفيد هؤلاء السفلة. من المؤكد أن المسكين ليغ لم يعرف ما نزل به، أقصد عندما قبض عليه الجنود. لابد أن الأمر أصبح حديث حانة جلانسي، يا رجل. لا بأس. تحاول أن تفكر في الأمر لكن سامي لم يستطع أن يتذكر آخر أصدقائه؛ ربما كان جو شاركي عندما كان في لندن آخر مرة. إن هو عاد إلى إنكلترا سيفعل شيئاً واحداً، سيذهب ليصفي رأسه، سيستقر في مكان هادئ، لن يذهب شمالاً ولا شرقاً ولا جنوباً أيضاً، سيذهب غرباً. لا يعرف أي سافل هناك. غرب فظيع واسع؛ حتى إنه لا يعرف أسماء الأماكن—دوغنهام المقرفة أو ما

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

شابه، هاونسلو، يا رجل، سلوز هول؛ حتى الأسماء هناك مختلفة، هامز ولوس واولز. لكن جلاسكو قريبة جداً، تلك هي المشكلة، إنها صغيرة جداً. كلهم قحاب أنانيون أيضاً تعرف ما أقصد يا رجل، الأمر قاس هناك.

لو يستطيع أن يربح بعض الجنيهات بهذه القمصان فهناك صفقة أخرى صغيرة يستطيع دخولها. إنه بحاجة لتلك النقود القليلة مقدماً. ستجلبها له القمصان. إلا إذا كان الجنود السفلة قد سرقوها، سفلة قذرون. مشكلة عويصة. وسوف يكون تام قلقاً الآن، أيضاً. لا بد أن الجنود يبحثون عنه. ربما هو مخبر على أية حال. وليغ. في الواقع جميعهم مخبرون سفلة. حتى تشارلي الطيّب، إنه السافل الأكثر وضوحاً بينهم.

– هيه، مرحباً هل يمكن أن تخبرني إن كنت قرب المجمع السكني؟

– ...

كلا، تشارلي ليس مخبراً، هذا مجرد غباء. ربما بوسعه أن يتلفن له. لا بد أنهم قبضوا عليه لكنها ليست مشكلة. يستطيع أن يبلغه رسالة مع الولد، يسلمها لزوجة تشارلي. القصد منها أن يعرف بأمر سامي، لكن الولد سيعرف أن سامي أعمى. وماذا يعني؟ انتا... أخبر الصغار! قل لهم الحقيقة، كل شيء.

رفع قبة الجاكيت حول أذنيه. المشكلة هي

بعدئذٍ طبعاً ومن كل بد ستأتيه الزمرة القوية في إدارة المجمع السكني وترميه خارج الشقة. حسن إن فعلوا ذلك فسيقيم سامي كل المتاريس.

استمر في المشي. أحس أن الريح مألوفة. ريح اسكتلندية. رياح اسكتلندية. تصفر في أذنيك، ومضاربك العريضة، قدماك، تلتعنان تسبحان في الماء. كان رسغاه يؤلمانه لسبب ما! الكلبشات القحبة، يا رجل، لأن هؤلاء الحمقى السفلة القذرين أحكموا إغلاقها على

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

رسغيه. يأس لا حاجة له. رفس حافة الرصيف بقدمه. ملتقى طرق لكنه هادئ كالجحيم. مرّ قربه أطفال يركضون. أحذيتهم تطقطق. انتظر حتى رحلوا؛ خيّم الهدوء من جديد. مشى، يداه مسبلتان وكأنه يمشي مشية عسكرية، لكنه لم يكن مسرعاً. وفي الخطوات الأخيرة القليلة أبطأ أكثر. يتلمس بقدمه حافة الرصيف، بعدئذ صعده وشم رائحة زكية. رائحة طعام يُطبخ. بدت كرائحة معجنات. دافئة وشهية. عصافير وفاصولياء. خبز وزبده وإبريق شاي لشخص واحد. وهكذا هو ليس في ملتقى الطرق قبل ممر المشاة لأنه لا يوجد هناك أفران معجنات.

إنه في مكان آخر، إذن.

داست قدمه شيئاً طرياً. خراء كلب، خراءً بشرياً. وبدا أنه أمام تلة. بحق المسيح! بدا كأنه يصعد تلة. أية تلة لعينة هذه يا رجل؟ لامست يده الآن شيئاً رطباً، مثل أوراق الشجر أو ما شابه. إنه سور.

رأسه خفيفة كتفاه محنيان. لم يكن يمشي بطريقة جديرة بالتصوير. كان في الثامنة والثلاثين وعندما يعود إلى البيت سيكون في الحادية والأربعين ونصف. وماذا سيحدث إن وصل قمة هذه التلة اللعينة واضطر أن ينزل الجانب الآخر! هكذا، هذه هي حالك، مجرد تافه أحدب شارد الفكر.

الركض، يا للجحيم! لن يستطيع أن يركض ثانية حتى أمام سفلة يطاردونه. سيضطر لاستخدام عصاه. يستطيع أن يدّورها حول رأسه. وبتلك الطريقة لن يقتربوا منه. ترى تلك العصا! لن يغادر البيت دونها أبداً. حتى لو استعجله الجنود السفلة. "مستحيل"، سيقول لهم: "ليس دون العصا". لن يذهب إلى أي سجن لعين ما لم يدعونه يأخذ العصا. لقد أصبحت امتداداً لنفسه. ذلك ما قاله الطبيب. وهكذا تلك هي حجتك، صاغها لك طبيب ذكي، مخلص للطبقة — الغنية القحبة، سافل نذل.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

على افتراض أنه لن يموت، فماذا سيفعل خلال سنة من الآن؟ ربما يضطر لشغلها كلها؛ يجب أن يخضعها لسيطرته، وترتقي كل الحواس الأخرى لذروة نشاطها؛ يظهر على التلفزيون ليقدم أمثلة عن كيفية السمع عبر الجدران. فكر إيجابياً، ذلك ما تفعله. شعر أن شخصاً ما يمشي بجواره، فتوقف فجأة. لا شيء! تابع سيره. سار الشخص معه. وهكذا توقف ثانية فجأة. توقف شخص ما بجانبه. هنف سامي. كان سيقول شيئاً لكنه لم يفعل، لأنه لن يكون هناك أي سافل. حتى إن وجد فلن ينطق بشيء البتة. لو يستطيع أن يوقف تنفسهُ ويصغي لكنه كان يلهث كثيراً بسبب الصعود. يجب أن يقلع عن التدخين. هذا يومه الثاني بلا تدخين إنها بداية جيدة يا رجل. المشكلة أن لديه تبغاً في المنزل لو لم يكن هناك تبغ لأقلع عنه بالتأكيد. ليست مشكلة عويصة، لكن ماذا سيفعل، سيقلع عنه يوم يغادر جلاسكو، في اللحظة نفسها، آن يخرج الباص من محطة بوكنان ستريت، سيرمي آخر سيجارة من النافذة. ذكري فيكِ.

لم تذهب هيلين إلى إنكلترا البتة. صعب أن تصدق أن شخصاً بالغاً لم يذهب قط إلى لندن، ولا حتى في زيارة. لكن هي المنتا...ة هيلين، متفرّدة دوماً. قالت: " يكفي أن تسافر إلى مدينة بعيدة مثل ديمفريز".

لا فائدة من الهلع.

لكنه تحطّم هنا، حقاً، ولهذا يجب أن يرحل؛ مخرج سريع. احذر الظلام. بعث الجنود التحذير لتشارلي لكنه كان تحذيراً لسامي، هو من كانوا يحذّرون. حسن ذكري في حالي يا رجل. كان ذلك عرضاً لم يستطع رفضه. لا شيء لديه هنا على أية حال، فقد تحطّم كلياً حتى قبل كارثة الأسبوع الماضي. لكنه لم يعترف بذلك، ولا حتى لنفسه لا عجب أنها غضبت. يا يسوع المسيح! لا عجب يا رجل، لا عجب!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

لو يستطيع أن يجد تاكسي! ستكون رائعة وستفي بالغرض. يتخلص من كل ذلك الخراء الـ "أيمكنك مساعدتي؟" أراد سامي أن يتلاشى. يا يسوع المسيح أراد أن يتلاشى فعلاً. قرأ مرة عن شخص تلاشى. لكن هيلين لا تصدّق أشياء كهذه. تباً لها...

يستطيع أن يرحل أيضاً لو أراد. من سيوقفه؟ يستطيع العودة إلى المجمع السكني يحزم أمتعته، يحملها على ظهره ويغادر. أعمى يذهب إلى لندن، سينزل في ساحة فيكتوريا. نعم لقد كان ذلك الشعور رائعاً عندما نزلت من الباص. واختفت كل لهجة جلاسكو. حالما تطأ الأرض، يظهر كل الناس في المشهد أمامك. لا أحد ينظر إلى الآخر. وعندئذٍ تغدو مجهولاً، ذلك كل ما في الأمر، أنك تغدو مجهولاً، لا أحد يشاحنك.

ما عدا أن عليك أن تقوم بالخطوة التالية. أين تذهب من ساحة فيكتوريا؟ تبدأ بالسير إلى نفق المحطة. ربما تتوقف فيه لتفطر وتقرأ الجريدة. بالنسبة لسامي سيذهب شمالاً. إلى السفن سيسترز. لقد عاش هناك سابقاً وأحبها كثيراً. ربما سيتذكره شخص ما. هل يريد أن يتذكره أحد. لا. يستطيع الذهاب إلى بادينغتون. لولا ذلك الـ إيدج وير رود السافل، والـ بريد ستريت اللذان يصعب على أعمى عبورهما. ذكري في بادينغتون. إضافة إلى كل أولئك الشحاذين السفلة، يشحذون منك وإن كنت مثل سامي فستصحبهم في النهاية لشرب كأس. شيء فظيع. آه ذكري في لندن. ربما سيذهب إلى مكان آخر مختلفٍ كلياً. لوكينباخ تكساس. أغلق فمك المقرف.

شاطئ البحر! أحد تلك الأماكن الإنكليزية القديمة الجذابة بشاطئ طويل حيث تذهب كلاب الكولي للتنزه مع أصحابها، نساء متقدمات في السن بأحذية بنيّة خفيفة، وعلى طول المتنزه مقاعد تفصل بينها بضعة أمتار. سيكون في مأمن هناك. وأكثر أمناً فوق الرمال. سيكون

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

آمناً لدرجة أنه يمكنك أن تترك العصا على جانب أدراج شاطئ التنزه. بعدئذٍ تذهب في نزهة طويلة، وهناك في الأسفل قرب المد، حيث تترقرق الأمواج، تخلع الحذاء وتسترخي، تضع الجوارب في الجيب، ترفع ساقي البنطلون وتمشي عبر الأمواج المتكسرة على الشاطئ، وتصغي إلى أصواتها سبلش سبلاش، تتشابك أعشاب البحر الصغيرة حول أصابع قدميك. بوسعه الحصول على غرفة صغيرة في مكان ما هناك وستكون مناسبة. كل السفلة هناك أغنياء وسيكون هو الحالة الاستثنائية. سيقدمون له مساعدة مركز البوليس الطبي اللعينة. ماذا تريد اليوم يا مستر صموئيل؟ إيه، صحن بيض مقلي ولحم عجل، ربما قطعة توست صغيرة، بجانب الزبدة والمرملاد اللعين، تعرف ما أقصد أيها الغبي. وبما أننا بصدد هذا الموضوع فما رأيك بصديق بأربع أرجل، كلبٍ مرافق.

تعرف عندما تفكر في الأمر فهو لا يحب اسكتلندا حقيقة. صحيح أنها بلده لكن ذلك لا يعني أنك مجبر أن تحبها. وعندما تمطر هناك تنتا... تبول عليك يا رجل. هناك فارق كبيرٌ، ولم يكن سامي محظوظاً هنا البتة. بينما هناك على شاطئ البحر، على شاطئ البحر، من يعرف؟

ترى أولئك الرجال والنساء مع كلابهم الكولي. وعندما تراهم معا، تدرك فوراً أن تلك الكلاب أصدقاء، ذلك ما تعرفه مباشرة.

عاد ذلك الشعور ثانية: سافل يمشي بقربه. لا أحد سيمشي بقربه على شاطئ البحر.

حتى مارغريت، حانة الصيادين تلك على الزاوية قرب الشاطئ، كل شيء فيها على طراز البحارة. لقد عاملك العامّة جيداً. إضافة إلى زوجة صاحب الحانة، يا مسيح يا قادر! كانت ضَرْباً رائعاً يا رجل واعتادت الترحيب بك وأنت لم تستطع أن تجرؤ أن تصدق عينيك! فقد كانت من أولئك المنتا....سات الوقحات. ضَرْباً رائعاً. لكنها

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

خطرة. كانت امرأة خطرة. وكانت الحانة صغيرة ورائعة. كان الولد الصغير هو العقبة الوحيدة. كان زوج المرأة، مدير الحانة أحمقَ مفتوناً بولده الصغير. وإن كنت في الحانة عليك أن تراقبه وتهز برأسك وكأنه يظهر براعة واعدة وسيحطم الرقم القياسي بالتأكيد، كأنه سبق حقيقي. تتذكر أن صاحب الحانة قد وبخك. لم تكن الحانات الإنكليزية سيئة فيما يخص التوبيخ. ليست مثل حانات جلاسكو يا رجل حيث يسحبون البلطة من تحت طاولة الحساب! ماذا قلت! عشر جنيهات حتى يوم الجمعة؟

هذا ما يفعله العجوز موريس خلف البار في حانة جلانسي. لا يمكن ان تقابل شخصاً أكثر نكداً منه. تخيّل استخدامه كساقٍ في مشرب.

السماء تمطر والجوُّ بارد.

ويست بثليم ليست مكاناً لابن الثامنة عشر.

لا شيء هناك تفعله، اصعد إلى بوكنان ستريت واعرف القصة. أراد سامي أن يركب الباص ويغادر. سيركب باصاً يخترق جلاسكو إلى شاطئ البحر. ستصل هناك صباح السبت؛ في الثامنة والنصف صباح السبت. سيكون الطقس صيفياً ولطيفاً، حتى في منتصف الشتاء، لن تمطر طوال شهر لعين، وإن أمطرت فستمطر خلال الليل وقد تكون حينها في البيت مع امرأة صغيرة، تنعمان بالدفء، مثل زوج أرانب صغير. سينزل من الباص، ستكون معه حقيبة يمكن أن يتركها في مستودع الأمتعة، ويدخل لغسل وجهه ويديه وبعدئذٍ يفطر، صحن فوشار ولحم عجل وبيضاً، وقطعة توست، وقهوة، أو شاياً أيضاً، ليست مشكلة، لم يكن سامي متطلباً. وحذاء جديداً، أيضاً، فهو بحاجة إلى حذاء.

تمتمة.

توقف سامي عن الحركة واستدار. لو كانت العصا معه لدوّرها حول رأسه. قال: "أياً تكن،ا ذهب إلى الجحيم، أنا أحذرك ".

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

- ...

حاول إبطاء تنفسه. تسمع ما أقول: اذهب إلى الجحيم. ثم همس: " أهذا أنت يا ألي؟"

بعدئذٍ تابع سيره. يجب أن يصفّي رأسه. كان يتصرف كالمجنون، يجب أن ينتبه لذلك، اذهب إلى الجحيم يا رجل ابحث عن مخبأ، تعرف ما أقصد، الحياة مليئة جدا برهاب الاحتجاز، لم تستطع التغلب عليه. يجب أن تبتعد. يجب أن يغادر سامي هذا المكان، يجب أن يعود إلى الشقة ويحزم أشياءه ويذهب إلى الجحيم. ويا إلهي! شعر أنه غير قادر على انتظار الحوالة التالية بعد أسبوع من يوم الجمعة القادم بحق الجحيم! لكنه سينتظر. يجب أن ينتظر. تخلص من القمصان. سأتخوزق أضطر إلى تخفيض السعر، فقط كي أتخلص منها.

على أية حال، سيكون قد بذل ما بوسعه. فإن كان جهده غير جيّد كفاية فهذه ليست مشكلته.

أين هو بحق الجحيم ما زال يصعد هذه التلة اللعينة. أراد أن يصرخ. في الواقع أراد أن يجعر، لكنه لم يستطع، يجب أن تنتبه لنفسك. على الأقل، عاد المطر يترذذ. كان عليه أن يستغل ذلك الوكيل السافل ليوصله إلى البيت؛ هذه غلطة لا تصدّق. تلك غلطته فقد ترك الفتى يفلت من الطعم؛ لا يمتلك غريزة القاتل. ستبقى بعض الأشياء على حالها، لا يزال على حاله، وسيبقى على حاله؛ تلك هي المشكلة. رغم أنه لم يكن على حاله! كان قحباً مختلفاً! لم يكن هو نفسه على الإطلاق! لقد تغيّر حقيقة. لا بد أن هيلين لاحظت ذلك! يا للجحيم القحب يا رجل! حسن كانت ستنتا..... تراه، كانت تحتاج إلى قليل من الإيمان، قليل من الثقة اللعينة فيه. لأنه زوجها، وإن لم تستطع أن تثق بزوجها فتلك مشكلة عويصة. هكذا دعاه جاره في الشقة المجاورة ماك جيلفاري، قال: زوج هيلين. أمر غريبٌ جداً، يا رجل. تعرف ما أقصد، غريب أن ماك جيلفاري قد

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

أدرك الأمر، أنه زوج هيلين. بينما لم تره هي، لم تدركه! وتلك ضربة قوية يا رجل تعرف ما أقصد.

هناك في الجنوب كانا سيبدآن من الصفر، كلاهما، سيجدان عملاً. كانت محل ثقة، هيلين المتمرسة بارعة خلف البار. ربما استطاعا أن يشكلا أحد ثنائيات العمل، هذان زوج وزوجه يحصلان على رخصة، يبنيان شقتهما الصغيرة فوق الحانة. المشكلة الوحيدة هي في الماركة، وأنواع البيرة ؛ كانا متشددين بخصوص شهادات المنشأ وذلك النوع من الهراء. حسن يمكنك الحصول على شهادات المنشأ اللعينة، تعرف ما أقصد، ليست مشكلة. لكن لم يكن باستطاعتك أن تقول ذلك لهيلين، لا تستطيع أن تحدثها حتى بشأن الحصول على شهادات المنشأ اللعينة. كانت لها أساليبها الخاصة الصغيرة، إنها المرأة نفسها. كانت تعتقد أنها أووه عملية جداً، لكن هل كانت عملية حقيقة؟ لا، لم تكن عملية بل اعتقدت ذلك فحسب.

أحلام. عندما ذهب جنوباً ذهب لوحده. ذهب لمعالجة الأمور التي كان عليه الارتقاء لمواجهتها. لكنها ذهبت، حتى دون أن تترك رسالة. شيء مقلق، ولا حتى ملاحظة صغيرة. طبعاً كيف ستعرف إن تركت رسالة؟ ربما تركت رسائل في كل البيت. كان بوسعها أن تكتب رسائل على الحائط اللعين ذلك كل ما عرفه. ذكري فيها يا رجل ستعود عاجلاً أم آجلاً، عاجلاً أم آجلاً، ولو لترى بعينيها فقط، كيف كان يتصرف، إن كان ينجح. طبعاً كان ينجح. ذلك ما قاله لها طوال الشهر الماضي: إنه كان ينجح. لقد تغيّر، وقد انتهت أشياء الماضي تلك. تجاوزها ونجح. وهناك في الجنوب كان سيتعامل بشكل مختلف أيضاً، سيتعامل بقليل من التفكير قبل التفكير، تفكير قبل التفكير تفكير قبل التفكير، كان سيبقى يفكر بهذا التفكير قبل التفكير، تفكير قبل التفكير. السافل يمشي بقربه وأراد أن يصرخ لكنه ما كان ليفعل ذلك لم يكن ليفعله بالتحديد، ارضِ لهم غرورهم، أنت تمزح، أنذال سفلة. أنا أعرفك.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أبطأ، وتوقف الآن. شعر بالفرق. المطر على وشك الانقطاع. لكن لم يكن الأمر كذلك. تحسس طريقه إلى حافة الرصيف. لقد وصل القمة يا رجل ذلك هو المهم. قمة التلة. نعم: تباً لك أنت أيضاً، تمتم وسار أمتاراً عدة إلى اليسار فأصبح على الطريق المستقيم.

كانت الطريق هادئة. أحس بألفة مع الأشياء من حوله. وصل حافة الرصيف وأصاخ السمع. لا شيء. كان سيعبر الطريق، نزل الرصيف، سيعبر إلى الجانب الآخر، نعم، كان يفعل ذلك يا رجل، يمشي إلى هناك، تعرف كان يمشي بشكل جيِّد وببطء وهدوء، ذراعاه مسبلتان، لا يؤرجحهما، يمشي بشكل طبيعي، ولازال الهدوء، مسيطراً، لا صوت على الإطلاق؛ الوقت عصراً، الأولاد في المدارس. تابع سيره، ووصل نقطة حيث ينحدر الطريق قليلاً، وبعدئذٍ وجد حافة الرصيف وكانت حافةً كبيرة، عبارة عن درجة كبيرة صعدها وكانت مألوفة لديه، بعدئذٍ أصبح فوق الرصيف؛ خطا إلى الأمام وارتطم بمعدن، إنه سورٌ. مرج البولينغ إنه ملعب البولينغ. أرخى بثقل ذراعه على السور. مد ذراعه اليسرى عبر السور ولمس أوراق الأجمة. إنها رطبة. هزها إلى الأعلى والأسفل، مستشعراً الماء على رسغه وكم جاكيته. أياً يكن ذلك الذي كان يسير بقربه فربما كان ملاكه الحارس، ومادام قد وصل مرج البولينغ فقد غادره لأنه أدرك أن سامي سيعرف المكان، سيعرف أين وصل. يا مسيح، إن سيجارة ستكون رائعة الآن! يستحقها، تعرف ما أقصد، إنه يستحقها حقاً.

لأنه عرف أين هو، وهو ليس ضائعاً. إنها مسألة الانتقال من أ إلى ب. استجمع شتات نفسه، لا فائدة من التخبط، يموت شوقاً للتحرك لكنه تمهل دقيقة، هوّن عليك. حدد الاتجاهات. عرف أين سيذهب. تركيز. كان ذهنه نشيطاً جداً. يجب أن تسيطر عليه. تمام! العودة إلى الوراء في الاتجاه الذي جاء منه، ومن ثم إلى اليسار، وبعدئذٍ...

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

شعر بالسرور والقوة. راودته هذه الفكرة، أن يحصل على أشرطة فارغة. فقد اعتاد أن يكتب أغاني في ذهنه. وما يمكن فعله الآن هو أن يسجلها، أو حتى يمكن أن يغنيها. لمَ لا؟ تباً لها من أغان، لكنها ستملأ الوقت. ومن يعرف؟ ترسل الأشرطة إلى مغنٍ جيّدً، يجربها. من الآن فصاعداً يا رجل من الآن فصاعداً.

علبة معكرونة مسخّنة على الغاز، ولديه علبة خلاصة أرز أيضاً. يمكنك أن تعيش على ما يرام.

خطا إلى النافذة وفتحها وشعر بالريح قوية تحاول أن تطيّرها من يده. بلل المطر وجهه. كنت تذهل أحياناً من قوة عناصر الطبيعة هذه وكأنها تحيا حياتها الخاصة أو ما شابه. إن لم تخفّ حدتها فلن يخرج أبداً سيبقى في البيت.

وضع شريطاً في المسجلة. أمل أن يكون شريطاً يحبه. حسنٌ إنه يحبها جميعاً وإلا لماذا اشتراها. لكنه أحياناً يضع أحدها ولا يحب أن يسمعه على وجه الخصوص، ليس في تلك اللحظة، ثم إن اثنين منها لهيلين. أحياناً لا تكون في مزاج جيّد. فكر بضرورة وضع نظام لتشغيل المسجلة، يضع الأشرطة التي يحب على جانب من إفريز المدفأة ونفايتها على الجانب الآخر.

استيقظت صباح الأحد

يا يسوع المسيح كان شيئاً لا يصدّق. لا يصدّق حقيقة يا رجل، شيء لا يصدّق، مجرد أن....

لم يكد سامي يجلس على الأريكة حتى هبّ واقفاً. جلس ثانية. كان عملاً لعيناً خطيراً حقيقةً، لم يكن فظيعاً بل خطيراً يا رجل خطيراً، عملاً لعيناً خطيراً، تفهم ما أقول؟ يجب أن يجلس. يجب أن يجلس لكن

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تباً لها، لا فائدة.

لا، لكن

يا مسيح يا قادر كان واقفاً من أجل الكورس، يطلبه إلى البيت، ضربات كبيرة وهلمَّ جرا، غنَّها عالياً، غنَّها عالياً وغنَّها مطوَّلاً، عَليها، أعطها كثيراً من ضربات الغيتار الكبير.

على الرصيف صباح الأحد

تضرعت لله لو أتحجر

فهناك شيء في الأحد

يجعل المرء يشعر بالوحدة

ولا شيء بمنأى عن الموت

نصف وحيد كصوت

أرصفة المدينة النائمة

يهبط عليها صباح الأحد

كانت الدموع تنهمر، شعر بها، لقد كُتِبَتْ لأجله يا رجل لقد كُتِبَتْ لأجله. يا للجحيم القحب.

دخل غرفة النوم. هذا كثير جداً، كثير جداً. إنه الآن مستلق فوق السرير على بطنه ووجهه مدفونٌ في الوسادة. يا يسوع المسيح لكنك غضَّبت كثيراً، غضبت زيادة، جحيم قحب يا رجل جحيم قحب؛ كان يبكي.

وكان الطعام يحترق فوق الغاز. دعه يحترق. نهض وزفر بعمق، جفف وجهه. وذهب إلى الطعام.

تركه يبرد ثم أكله كله. كان مقبولاً. لم يكن طعم الاحتراق سيئاً. حمل كوب الشاي إلى غرفة — المعيشة وجلس على السجادة وأسند

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ظهره على الأريكة. لف سيجارة، قدماه أمام المدفأة. لا موسيقى، لا راديو. إضافة إلى الأصوات في أذنيه، استطاع سماع وقع أقدام بين الفينة والأخرى عبر السقف، ثم ضجيجاً عبر الحائط، التلفزيون، إنها تلك المرأة الصماء. فعندما يسود الهدوء تسمع كل شيء في هذا المكان القحب. سيكون سعيداً لمغادرته؛ سيغادره، وسيكون سعيداً بذلك. ما يزال البانيو مليئاً بالماء. وماذا يعني. مازال مليئاً منذ ليلة السبت القحبة وماذا يعني يا رجل، سيرمي بثيابه القديمة فيه ويتركها تنتقع، ليغسلها؛ سيرمي فيه كل الثياب لأن الماء لازال نظيفاً يا رجل، حتى إنه لم يوسخه، خراء مقرف، بكل المقاييس.

تباً للبانيو...

سيرمي بنفسه في البانيو. هذه هي الحياة، تعرف ما أقصد.

ماذا يعني يا رجل ماذا يعني، ليست مشكلة، كله خراء مقرف. قابل هؤلاء السفلة، فتجدهم يحاولون إخبارك شيئاً مختلفاً. هل سمعت الأنباء اليوم؟ لا! هل سمعت الأنباء اليوم؟ وماذا يعني يا رجل روح انكح حالك. انحنى ليُشَغِّل الراديو. موسيقى كنتري اسكتلندية راقصة، تويدل دي دي وتويدل دي دو.

تمام. ترك السيجارة في المنفضة وانقلب ليستلقي على بطنه. استلقى لبرهة. مازال ظهره يؤلمه وهذه أفادته قليلاً. أخيراً قام ببعض تمارين الضغط، ثم نهض وانهمك بعدة حركات ديناميكية عنيفة. تقنيات—البقاء—التي— تعلمتها. من يبالي! كان يمارسها بانتظام لكنه أقلع عنها مؤخراً. إنه يعاودها ثانية، يستعد. تعلمها من شخص جيد في سجنته الأولى.

تفيد بالتغلب على الروتين أيضاً. يمكن أن تستغرق الجلسة كلها ربع ساعة، حتى إن ربع ساعة كثير إن كنت تمارسها بانتظام

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

وإتقان، وتستطيع القيام بأربع أو خمس جلسات يومياً، وأكثر إن أحببت. وإذا انخرطت في هذه العادة يمكن أن ترى نفسك تقوم بهذه الحركات حتى وأنت تتحدث إلى شخص ما، تفعلها عفوياً، وترى آخرين يفعلون الشيء نفسه. تجعلك تشعر بجسدك بأعضائه المختلفة. إنها طريقة إضافة إلى التناسق الذي تمتّعك به. بعد إنجاز الجلسة التي تتضمن تمرينات مختلفة، لنقل إن أحدها تمرين الكاحل: حسن ذلك يعني أن ترفع ساقك إلى الوراء، تقبض على كاحلك، ثم تسحب وتدفع بقدمك إلى الأسفل، وبيدك إلى الأعلى، محققاً عملية توازن في النقطة التي لا تتحرك فيها، قوة الضغط إلى الأعلى والأسفل نفسها، تبقى في الوضع نفسه قليلاً أو كثيراً لكن بعد انتهاء الجلسة ينتابك ذلك الشعور العظيم في كل عضو من أعضائك، وكأنك تدوزنت، كل عضو فيك قد تدوزن، وعندما تمشي تشعر بنفسك كقطة، كنمر، ذراعاك معلقتان هناك، هذه الحركة المكوكية، تطوق المكان، كدت تنسى أين أنت. عندما تذكرت بقيت تشعر بالارتياح، لأنك كنت تهزم السفلة، كنت تهزمهم.

تباً لها. سيذهب إلى حانة جلانسي

تبسم سامي. كان...

قرر وغير رأيه بعدئذٍ، والآن يغيّره ثانية. مسموح لك أن تغيّر رأيك. تمام ما سيفعله هو أن يطلب من بوب العجوز أن يطلب له تاكسي بالتيليفون. عظيم. أعدّ ثياب الخروج. سيضطر أن يلبس الجينز أيضاً لا البنطلون الجيد، لأنه لم يعد جيداً. سيضمّن طلباته بنطلوناً جديداً، أمر مثير للسخرية يا رجل، يرغبون أن يعطوك بنطلون دينفري، هؤلاء الجنود السفلة، إن اعتقلوك، تعرف ما أقصد، سيكون ذلك جزءً من الصفقة، حسن لقد اعتقلتموني فأين بنطلون الدينفري؟ أسرّتكم الحقيرة كلها براغيث والجحيم يعرف ماذا أيضاً يا رجل بول وخراء متيّبس، تفضلوا، أعطونا حلاً.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

في الحمّام فتح الصنبور وملأ المغسلة ليحلق. تباً لحلاقة الذقن، فلا فائدة من التحامق. لبس قميصاً وربطة عنق تعويضاً عن الحلاقة. وعندما انتهى مشى عبر الممر وخبط على باب بوب.

ما يحدث في المجمّع السكني أن التاكسي تصل حتى زاوية مبنى السوق وتقف أمام الصيدلية. حيث موقف السيارات. وعند المنعطف في الفناء الخلفي للبناء تتوقف الشاحنات لتفريغ البضائع للحوانيت. على الجانب الآخر المقابل لموقف السيارات توجد الحوانيت التي تغلق ليلاً، حيث احتاج سامي مساعدة ذلك الفتى لإخراجه من تخبطه عصر يوم السبت. وعندما تصل سيارة الأجرة يتصل مدير المكتب بالزبون على رقم هاتفه ليعلمه بوصولها.

عندما أتلقى هاتف الوصول سآتي وأخبّط على بابك، قال بوب، وتنزل بالمصعد.

تمام، لكن إن لم أكن في البيت سأكون قد نزلت. تعرف ما أقصد يا بوب، الوقت الذي استغرقه لأصل هناك، وعلى الأرجح أن أنطلق الآن. سأوصلك هناك.

لا، لا بأس، لن تفعل ذلك، ولو استغرقني النزول وقتاً أطول قليلاً، ويمكنني القيام بذلك على أكمل وجه أيضاً. لو تطلب منهم إخبار السائق، إن رأى شخصاً بعصا بيضاء وهلم جرا، أن ينادي عليه.

لا تقلق. بالمناسبة أين أنت ذاهب؟

حانة كوينز.

عظيم.

هتف سامي. ربما سأمكث هناك وأعود ماشياً مع هيلين. ذهب بوب ليتلفن وذهب سامي وأخذ أشياءه، وبعدئذٍ أقفل الباب طقتين. وغادر في الحال.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

كان الطقس عاصفاً في الخارج لكن المطر قد توقف. وصلت سيارة الأجرة في اللحظة التي دار فيها حول المنعطف ووصل الصيدلية. صاح له السائق ليعلمه بوجوده. عندما صعد السيارة وجلس طلب من السائق أن يأخذه إلى حانة جلانسي.

ظننت أنك ستذهب إلى حانة كوينز؟

لا، إلى جلانسي.

خازوق آخر تمتم السائق.

العالم مليء بالسفلة كثيري التشكي. استرخى سامي في المقعد واستعد للاستمتاع بركوب التاكسي. تعرف لم يكن ضرورياً أن يخبر بوب أنه ذاهب إلى حانة كوينز، كان يمكن أن يخبره الحقيقة ببساطة، ولن تكون مشكلة لعينة. في الواقع ربما كان ذلك أفضل. ومن ثم كان يستطيع أن يدعي أنها مازالت في ديمفريز. ربما لازالت في ديمفريز! ربما ذهبت إلى هناك. ذلك ما فكر فيه سابقاً، لكن اللافت أنها عندما كانت تذهب إلى هناك لم تكن تبقى أكثر من يومين. انحنى فوق مسند المقعد الأمامي وقال، إيه مسموح التدخين يا سائق؟

آسف.

أسند سامي ظهره في مقعده ثانية، أحمق سافل، سيكون أكثر أسفاً عندما لن ينال بقشيشاً. انحنى سامي إلى الأمام ثانية: إيه يا سائق أيمكن أن تأخذنا إلى حانة كوينز؟

حانة كوينز؟ ظننتك غيرت إلى جلانسي؟

نعم غيرت رأيي، والآن أغيره ثانية.

تمتمة تمتمة تمتمة

سافل متذمّر. شعر سامي برغبة بالضحك لكنه ما كان ليضحك، لأنه سيجعل السافل عدوانياً، إن قال أية كلمة، ذلك ما سيحدث،

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

كلمة واحدة وينقلب هذا السافل إلى عدواني. هنف سامي. نعم غيرت رأيي. كنت سأذهب إلى جلانسي في البداية لكني أغيره الآن إلى كوينز، إن كان يناسبك.

تمتمة تمتمة تمتمة.

– هل يناسبك هذا يا صاحبي؟

– نعم.

جيد. أسند سامي ظهره في المقعد، سافل أحمق. تمنى لو يستطيع النظر عبر النافذة.

واضح أن هيلين لن تكون هناك لكنه سيتأكد بنفسه. بعدئذٍ يذهب إلى جلانسي.

وهو كذلك. إيه، وهو كذلك. تبسم، وهو كذلك يا رجل. شجاع. لكن مثلما قال الرجل، تتخذ قرارك. لا يهم كم تفكر فيه؛ وصلت النقطة الأخيرة وعليك طرقها. أو لا تنتا... تطرقها، كما يمكن أن تكون القضية. اتخذ سامي قراره وانتهى. مهما تكن المصاعب اطرقها يا رجل. تبسم ثانية وهز رأسه. كانت الحياة أفضل مما اعتقد، أحياناً. أخرج النظارة من جيبه ولبسها. إنه ليس سيئاً كما ظنه السفلة. ربما ليس بذلك العقل البريطاني اللعين لكن ماذا يعني يا رجل، فهناك أشياء أخرى تحدث له.

لكن تعرف لو كانت هناك! هووه!

انطرح جانباً داخل السيارة، الإطارات تزعق، وهي تدور حول الزاوية. سائق أحمق. لم يحصل سامي على إجازة سوق لكنه يعرف ما يكفي عن استخدام الكوابح اللعينة في الطرقات الرطبة. ربما كان السافل يفكر بعودته. يمكنك تخيل الحديث عندما يعود إلى المكتب،

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يخبرهم كيف أخذ هذا الأعمى السافل الوقح كمقامر، كيف نكّده. هراء يا رجل دعهم يتسلّون بها. راح سامي يصفر، توقف بسرعة. أمر غريب أن تكون في سيارة، تحاول أن تعرف أين أنت من تقديرك للطرقات التي كانت تسلكها السيارة إضافة إلى أنه لأول مرة يركب تاكسي منذ فترة. لم يستطع أن يتذكر متى كانت آخر مرة.

ليلة الاثنين. ستكون الحانة هادئة. يا مسيح! ماذا لو كانت هناك. ماذا لو عادت ولم تخبره! لا، لن تكون هناك. لكن من يعرف؟ تخيّلها تراه يدخل الباب! يا مسيح يا قادر. فرك سامي يديه ببعضهما البعض بعدئذٍ توقف. من يخدع! مجنون لو أرادت أن تراه لرأته. بحق الجحيم هذه هي الطريق الخطأ يا رجل.

لكنها لن تكون هناك على أية حال. لا فرصة حقيقية لذلك. لا فرصة. لقد انتا... إلى آخر حد. التفت إلى النافذة متمنياً لو يستطيع الرؤية عبرها. لو استطاع الرؤية لكان أمراً عظيماً. لو يستطيع أن ينظر عبر الباب عندما يدخل الحانة، لما اضطر أن يذهب إلى البار مباشرة.

هيلين المتمرسة لكن، إيه!

يا يسوع المسيح. خلع النظارة ووضعها في جيبه، غطى وجهه بيديه. هناك أشياء لا تريد التفكير بها لأن ذلك مستحيل لكنك لا تستطيع إلا أن تفكر بها يا رجل. أسند رأسه على النافذة، مستشعراً الرطوبة، والاهتزاز.

توقفت السيارة.

لبث سامي دقيقة متسائلاً إن كانت تلك إشارة مرور. لبس نظارته

قال السائق: أنت أمام الباب تماماً. انحرف قليلاً إلى اليسار فتصله. بالمناسبة، لقد توقفت على الموقف المقابل فعليك أن تسير بين السيارات قليلاً هناك.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تمام شكراً يا صاحبي. أعطاه سامي الأجرة وأضاف إليها خمسين بنساً بقشيشاً. وجد المعبر ومشى، صعد الرصيف؛ سمع السيارة تغادر. تلمس بعصاه ليصل الجدار بعدئذٍ تلمس إلى اليسار حتى وجد المدخل. توقف هناك ولف سيجارة. إن كانت ذاكرته جيّدة فيجب أن تكون هناك ردهة صغيرة أمام الباب. تساءل إن كان يجب أن يخلع نظارته. لكن لا. الأفضل أن يبقيها. لا بأس بها. مجّ مجّة أخرى من السيجارة ثم شق طريقه إلى الداخل، متلمساً إلى الأمام ليجد الباب التالي. استوقفه فتى.

– مرحباً

– إلى أين؟

– " من؟ أنا؟"

– نعم.

– إلى الحانة.

– حقاً؟

– ...

– لا أعرف إن كانت هذه الليلة من نوعية لياليك.

– ماذا؟

– لا، لا أعرف إن كانت من نوعية لياليك.

– مخصصة لحفل ترقية، قال فتى آخر.

– حفل ترقية... هز سامي كتفيه. مازال بوسعي الدخول.

– توجد حانات أخرى أفضل إن كنت تريد الشراب فقط.. الأفضل لك أن تذهب.

– أريد مقابلة شخص

– من؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– ماذا تقصد بـ من؟

– ربما أعرفه.

– ليس هو.

– ربما أعرفها.

– أشك في ذلك يا صاحبي أشك في ذلك.

– انظر يا رجل دعنا نقل لك سراً.

– هتف سامي. ماذا أنكما بلطجيان؟

– بل وام بام[1].

– ماذا؟

– لقد سمعت

– في الواقع أريد التحدث مع هيلين.

– هيلين من؟

– هيلين الساقية خلف البار.

في هذه اللحظة حدثت ضجة وحركة خارج الباب، أناس يدخلون، لم ينتظروا وراء سامي بل تجاوزوه وتابعوا سيرهم، لم يعترضهم البلطجيان. كانت الموسيقى صاخبة في الداخل.

– لا توجد هيلين خلف البار.

– هيلين ماك جيليفاري.

– لا هيلين ماك جيليفاري يا صاحبي آسف. لم نسمع بها.

---

[1] ـ كناية عن صوت اللكمات على الوجه

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– ما هذا الهراء الذي تقوله!

– هيه اهدأ.

– شد سامي قبضته على عصاه. هيا. أريد التحدث إلى هيلين.

– لا وجود لهيلين هنا.

– المدير إذن.

– المدير؟

– أريد أن أرى المدير السافل.

– لماذا؟

– تنهد سامي. خلع النظارة ووضعها في جيبه.

– انظر يا رجل ما أقوله لك إنه لا يوجد هنا سوى فريق شباب. وهذا ليس جوّك أبداً.

– أهذه حانة كوينز؟

– نعم، حانة كوينز

– أرخى سامي كتفيه وغيّر وقفته. ثبّت ساقه اليمنى إلى الوراء قليلاً وساقه اليسرى محنية عند الركبة وغيّر من قبضته على العصا.

– متى عملت خلف البار؟ إيه؟

– ماذا؟

– متى عملت خلف البار؟

– قبل أسبوع.

– قبل أسبوع، تمام. هنف الفتى. سأتأكد من ذلك. تأرجح الباب الداخلي منفتحاً ومنغلقاً، وتلاه الباب الخارجي. دخل أناس جدد

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

وانتظروا وراءه. تراجع ملتصقاً بالجدار، بعدئذٍ شعر باحتكاك ثيابهم بثيابه وهم يدخلون، يدخلون مباشرة دون كلام. والموسيقى تدّوي في الداخل. أسقط سامي السيجارة على الأرض وتركها تنطفئ. ربما لم يلاحظ الفتى ذلك.

– ألأنني أعمى لا تسمحان لي بالدخول؟

– ماذا؟

– لأنني أعمى؟

– لا، بل لأنها حفلة خاصة. إنها لمصلحتك يا صاحبي سيحصل شغب. كلهم شباب صغار.

– تنحنح سامي وسأله ما اسمك؟ إيه ما اسمك؟

– لا تتحامق وتُعد هذا السؤال ثانية، تمام؟

– أريد أن أعرف اسمك فقط.

– ماذا؟

– يهمني ذلك.

– حقاً.

– هل أنت بلطجي؟

تمتم البلطجي بشيء ما.

– إيه؟

– لا تستفزني.

– لمصلحة من تعمل؟

انفتح الباب الخارجي ثانية. دخل شخصان قال أحدهما مرحباً وتابعا إلى الداخل. عندما حجب الباب الموسيقى قال سامي، لو قلت مرحباً كما قالها هذان هل كنت دخلت؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– أقول لك لا تستفزني.

– "انتا... استفز" تمتم سامي وهو يتبسم وهز رأسه. انفتح الباب الداخلي ثانية، وقال البلطجي الثاني: آسف يا صاحبي إنها لا تعمل هنا.

– ماذا هل تركت العمل؟

– لا أعرف.

– ماذا قال المدير أقصد الكلمات التي استخدمها؟

– قال البلطجي الآخر: "سمعته، قال لك إنها لا تعمل هنا. مع السلامة".

– هل تحدثت إلى جون غراهام؟

– سمعت الرجل إنها لا تعمل هنا.

– لا أتحدث إليك يا بني، أتحدث إليه.

– جون غراهام غير موجود الليلة.

– وهكذا مع السلامة.

– هز سامي رأسه. نعم. سأتذكر صوتك.

– تذكره.

– سأتذكره. استدار ودفع الباب. عندما انغلق الباب خلفه سمع السافل الوغد يتمتم: سافل، بخش. فعاد إلى داخل الردهة مباشرة، وهم يمسك العصا بيديه الاثنتين، وضع كعب حذائه الأيمن على الباب الدوار كي لا ينفتح وراءه، وقال: " أنت هناك هل قلت شيئاً يا صاحبي؟ إيه؟ أتريد أن تناقشه أيها الأخرق السافل، إيه؟ ماذا تقول أيها الأحمق اللعين؟ سأضع هذه العصا في حلقك القحب.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– اهدأ! اهدأ! قال البلطجي الآخر.

– وأنت تحتاجها أيضا أيها السافل.

خيّم الصمت. بعدئذٍ صدحت الموسيقى ثانية، هذا يعني أن الباب الداخلي قد انفتح، ربما جاء المزيد منهم، مزيد من السفلة، هز عصاه، مريحاً رسغيه. أصوات دمثة، أصوات دمثة. يجب أن يتحرك، يجب أن يتحرك الآن، يا رجل. تراجع إلى الوراء، دافعاً الباب بقدمه وخرج إلى الرصيف واتجه يسارا متلمسا طريقه بأسرع ما يمكن، بجوار الحائط. اصطدم بشخص ما لكنه تابع طريقه، ليستمر إلى الأمام فقط، كان على ما يرام يا رجل كان على ما يرام لولا شعوره أنه سيتلقى ضربة من الخلف في أية لحظة. ضربة في الظهر تسبقها هبّة الهواء السريعة ثم صوت اللكمة المكتوم. تابع سيره، مطأطئ الرأس محني الكتفين. هناك مضمار مشاة، انعطف ونزله وسار قُدُماً ومن ثم توقف. كان يلهث. ساذج سافل يا رجل تلك كانت حاله، كان ساذجاً. تابع إلى الأمام خطوات عدة ثم توقف. ساذج قحبٌ. تأبط العصا بيسراه. من الواضح أنه لم يكن مُطارداً. تابع سيره. كانوا يضحكون. لا عجب أن يضحك الناس. أناس يسيرون باتجاهه، من الجهة المقابلة. صوت فتاة مستفزة تقول: بَسْ اسمع، بَسْ اسمع...

انتظرهم حتى مرّوا. تسمع هذه النقاشات أينما ذهبت. أخرج نظارته ولبسها. مزاجه يدفعه إلى الانزعاج. لم يستطع أن يتذكر أنه كان بمثل هذا السوء من قبل. كان من الأفضل لو لم يذهب إلى حانة كونيز أولا. سافل غبي. وهذه غلطته أيضا فقد خلق رد فعل سيّء عند البلطجية. ربما هناك شيء يتعلق بوجهه. اللحية مثلاً، إضافة إلى الخفافة العتيقة القحبة. أينما تذهب يا رجل مشكلة مزعجة. يجب أن يتابع سيره، لا يستطيع البقاء هنا.

تلمس طريقه إلى شارع أرغاي وتوجه شرقا. كم هي الساعة القحبة الآن؟ من يعرف... لقد اختفى كل ذلك.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تمتمات وصرخات. يوم اثنين لكنه مازال مزدحماً لأنه يمشي الآن في مركز المدينة. هذا في صالحه. صخب صرير الكوابح عند إشارات المرور، لم تتضح له حقيقة عملها حتى الآن، وكأنهم صمموها للعميان، بدت له تعمل عندما يكون مستعدا ليعبر. شيءٌ مضحك. هناك أشياء أخرى، لا سيطرة له عليها، أشياء كثيرة. لكنه سيستفيد مما هو تحت سيطرته، يجب أن يفعل ذلك؛ لأنه مضطر للهروب. تلك هي المسألة يا رجل. وهو كذلك. إنه الوقت للتحرك وهكذا يجب أن يتحرك، لأنه إن لم يتحرك فكل شيء سينهار، بطريقة أو بأخرى، فوق رأسه مباشرة؛ ولهذا فمن الضروري أن يكون مستعداً عندما يحين الوقت.

لكن هذا خطأ، أيضا، لأنه لا يستطيع الجلوس منتظرا، أقصد لو أنه انتظر فماذا سينتظر. فهو هنا في هذه اللحظة، تعرف ما أقصد يا رجل، لو انتظرت، فيجب أن يكون لانتظارك سبب ما. لا أحد ينتظر حتى يصبح محاصراً. يا مسيح يا قادر لن ينتظر ذلك. لو تعرف أنك ستعتقل عندئذٍ تهرب، تعرف ما أقصد: تهرب ولا تتخوزق تنتظر، فالانتظار آخر ما تفعله. تهرب لأن لا شيء يعود إلى وضعه الطبيعي. لا يوجد شيء طبيعي لعين بأي معنى من المعاني. 'الطبيعي'، كلمة مقرفة. لقد انتهى الماضي وكل ما يتعلق به، ولن يكون هناك احتضانات كبيرة، أو قبلة ولا حتى تصنُّع، وكلما أوغل في الماضي اختفى ذلك كله، امّحى، تلاشى. نهاية القصة، المهم الآن هو أنه بحاجة للنقود. يجب أن يستعد، لا وقت لديه للانتظار. ربما يستطيع أن ينجز الأشياء الصغيرة الأخرى، وكل ما يحتاجه هو أن يبدأ. لو يستطيع أن يقامر على القمصان بأسعار مخفضة فلن تكون هناك مشكلة. إنه بحاجة إلى شيء ما. وما أن يحصل عليه. لكن حتى من دونه، يجب أن يتحرك.

يجب أن يحصل على ما يستطيع وبسرعة الآن، وإلاّ سيُحاصَرُ سيغدو محاصراً، على الأرجح، لا شيء مؤكد أكثر من ذلك؛

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

سيصبح سجيناً، يا رجل، وبسرعة خارقة. وسيحصل ذلك عندما لا تتوقعه؛ عندما لا تستطع التنبؤ به، ذلك هو جوهر الأمر، لا تستطع تنبؤه، لأنه من المحال التنبؤ به؛ والشيء الوحيد المؤكد هو أنهم عندما يريدون قتله فسوف يقتلونه كما يحلو لهم، لأنهم وحدهم من يحدد الزمان والمكان. حدث الشيء نفسه لغيرك. نعم يا رجل، إنهم يملكون الزمان والمكان، ولن يعرف شيئاً على الإطلاق، كلا حتى يقبضوا عليه، وعندئذٍ سيرفع يديه مُسَلِّماً؛ ولهذا ينبغي أن تهرب في الحال يا رجل. ولذلك يحتاج إلى النقود. ليس نقود القمصان فقط، فهناك أشياء أخرى في الشقة، أشياء تخصه وهو الذي اشتراها—لا تخص هيلين—مثل الفيديو والهاي فاي، والأشرطة، كلها له. آه إلى الجحيم بهيلين أيضاً، مؤسف هو الوصول إلى هذا الدرك، مؤسف جداً. إلا إن كانت لن تعود. إن كانت غير عائدة. إن كان هو لا يريدها فثمة آخرٌ يريدها.

لكن كيف استطاع أن يقول إنها غير عائدة؟ مستحيل، فهو لم يستطع مجرد تخيّله، فكيف بقوله إذن! إن قوله، مجرد نطقه، شيء قحب.

وصل حانة جلانسي. ها قد وصل. تجاوزها ودخل أول مدخل، خلع نظارته ولف سيجارة.

جيد بعدئذٍ انطلق عائداً.

هدوء في الداخل، ربما هذا هو سبب التوتّر الذي يشعر به، وليس الناس الذين ينظرون إليه. لا بد أن الخبر قد شاع منذ فترة. والناس، نعم الناس ينظرون على أية حال، فهذه ليست مشكلة، تحتملها أو نحتملها عادة. المشكلة أنك ترى أحياناً هؤلاء السفلة وقد تكون نظرتهم إليك مختلفة. ليست نظرة عابرة، ومن الممكن أن تكون جالساً بينهم.

يمكنك تخيل ذلك، إن كنت أعمى فلا بأس، أنت أعمى تجلس هناك وتهتم بأمورك فقط، تسترخي، تستمتع بمشروبك بهدوء. لكن لا

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

ترى ذلك لأنك أعمى. لا ترى السفلة الذين يحدقون فيك، مباشرة، وكأنك أحد تلك الكوابيس السينمائية الصغيرة، كأنك منطقة الفجر الكاذب أو ما شابه. فالشيء الوحيد الجيد هو أنك لا تستطيع أن ترى. الشيء الوحيد الجيّد في الأمر هو أنك لا تعرف أنهم يحدقون فيك.

لأنها حانة جلانسي لم يجد مشقة كبيرة في الوصول إليها، ومن ثم الوصول إلى كرسي وطاولة قرب الجدار الخلفي. كان في منتصف كأسه الأول عندما تقدم منه شخص: كيف الحال يا سامي؟ رأيتك تدخل، العصا البيضاء وهلم جرا. لقد.

– ...

– هذا أنا هيربي

– آو، هيربي، نعم، كيف حالك؟

– لا بأس، تمام، أقول إني سمعت...

– نعم.

– لا أمل إيه!

– نعم. هز سامي كتفيه.

– بالمناسبة ماذا تشرب؟ تريد كأساً؟ نصف كأس؟

– إيه... كأساً نعم، شكراً.

ذهب هيربي إلى البار. شخص سكير. عندما عاد بالكأس ثرثر معه قرابة دقيقتين وبعدئذٍ عاد إلى أصحابه. هذا إن كان معه أصحاب أصلاً. قال إن معه أصحاب. لكنك لم تستطع أن تتأكد.

إلى الجحيم فأنت لا تستطيع لوم السفلة، هذا إن كانت تلك هي المشكلة.

بعد حوالي عشر دقائق وصله كأس ويسكي، جلبه العجوز موريس خلف البار، تمتم باسم مرسله، أليكس، ثم اختفى.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

لا بد أنه أليكس دونكان. سكير آخر. لكنه ممتع، إن كان أليكس فهو لا يأتي بنفسه، فقط يرسل المشروب:

هكذا ترى هذا الشخص يدخل الحانة وقد سمعت أنه عمي، تلك الشائعة التي انتشرت. لكنك تعرفه. تعرفه كشخص غير مبصر، شيء غير مألوف، طوال مدة معرفتك به كان يستطيع أن يرى مثل الشخص الذي بجانبك. بعدئذٍ سمعت كالآخرين أنه يعاني مشاكل مع الجنود. لدرجة أنك لم تعد راغبا بالظهور برفقته على وجه الخصوص. كلا، بسبب ما تسمعه. ولا تريد في الوقت نفسه أن تزعج الفتى لأي سبب كان، ليست مشكلة. تمام، الآن، تعرف أنه لا يعرف بوجودك هنا، في الحانة، كلا إن كان أعمى حقيقة — لأنه لا يستطيع أن يراك. رغم ذلك لا تستطيع أن تتأكد ولا يمكنك أن تخاطر فترسل له مشروباً. فقط كي تبقى على الجانب الآمن. وتعتمد على فهم الفتى: آه حسن، أرسل لي أليكس مشروبا ولم يحضر بنفسه، لا بد أنه مشغول وإلا لجاء بنفسه، وهكذا فكل شيء طبيعي. لكنه ليس كالمعتاد. تعرف ما أقصد؟ هكذا تساءلت، تساءلت كيف لم يأت ويقول مرحبا. إلا إن كان مع أصحاب أو ما شابه.

رشف سامي الويسكي. لم يستطع سماع صخب الدومينو. كما في ليلة الجمعة حيث رَبحَ ما يعادل رِبْحَ ثلاث جولات ضربة واحدة. كان اثنان من الفتيان مقامرين مجنونين. كنت تلعب نقلتك الأخيرة عندما سمعت همسة واكتشفت أن أحدهما قد راهن عليك بخمسين جنيها. بقي سامي هادئا جدا، استمتع بذلك. لم تكن سيئا في هذا النوع من الألعاب. بعض الناس بارعون في الشطرنج. تعلم سامي الشطرنج في سجنته الأولى، لكن ليس لأكثر من التسلية وملاعبة أحدهم! وتلك لعبة مختلفة كليا. الشيء المضحك الذي سمعه في السجن هو كيف أن بطل العالم الحقيقي في الشطرنج ليس أحد أولئك

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

السفلة الذين تراهم على شاشة التلفزيون، بل شخص في السجن اللعين. لا ضير في ذلك. في أي سجن هو؟ في أي سجن لعين؟ اختر السجن الذي تريد.

تعرف، الدومينو، ربما هي اللعبة التي لايزال قادراً على لعبها فالنقاط تجعلها أشبه بطريقة بريل. ربما استطاع لعبها مرة. لكن ليس هنا! سيخدعونك يا رجل، سفلة مخادعون، سيكونون مستبطنين النيل منك عن قرب! خراء، الأمر ليس بذلك السوء.

لكن من الأفضل أن تلعبها مع عميان آخرين. لكن حتى مع العميان كيف ستعرف ما يحدث؟ من لعب ماذا؟ ستكون أصابع الجميع ممدودة تتحسس النقاط سنحتاج إلى قواعد خاصة، إلى شخص ما للتحكيم، وبعدئذٍ تسجل النقلات التي لعبتها. لكن كيف بحقّ الجحيم تفعل ذلك يا رجل؟ ستكون مضيعة للوقت. لكن ربما يكون الشطرنج أفضل لأن النقلات القادمة هي ما تهتم به. لأن النقلات السابقة كلها على الرقعة ولم تعد مشكلة، المهم هو النقلة الحالية وما يليها. وهكذا لن تكون صعبة على الذاكرة. لكن ربما تكون صعبة. سمع حديثا عن الملاكمة في مكان ما، كان حديثاً مثيراً، لم يكن في مرمى السمع لكنه قريب كفاية ليسمع نتفاً منه من حين لآخر. حاول أن يصغي لكنه أقلع عن ذلك لأنه كان متعباً. بعدئذٍ توقف شخص ما قربه. انتظر سامي، رفع يده عن الكأس إلى حرف الطاولة.

– مرحبا يا سامي.

– تام؟

– نعم.

– جيّد، يا مسيح! لقد عرفتك...

– هل أنت بخير؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– نعم يا تام نعم، لست سيئاً. ماذا عنك؟

– تمام

– جئت إلى هنا على أمل أن أجدك، لأتحدث معك قليلاً... ألن تجلس؟

بعد قليل جلس تام.

– ماذا تشرب؟

– سأحضر مشروبا... وقف تام ثانية، سمعه سامي يمشي مبتعدا. مرت دقائق قبل أن يعود، أبقى صوته خفيضاً عندما تكلم: ماذا هل هو دائم، العينان وهلم جرا؟

– لا أعرف.

– ألا تستطيع أن ترى شيئاً؟

– لا شيء.

– بحق الجحيم.

– الخبر شائع إيه؟

– نعم...

– تتساءل كيف يحدث أيضا بحق الجحيم تعرف ما أقصد! تبسم سامي. سفلة حمقى!

– نعم أعرف. ماذا هل ذهبت إلى طبيب؟

– نعم ذهبت إلى سافل هذا الصباح... هز سامي كتفيه، تجرع آخر جرعة في كأس الويسكي الأول، أمسك الكأس الجديد وأفرغه في الأول: نخبك.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– نعم.

– وكنت أفضّل البقاء في البيت. أحمق سافل يا رجل، في النهاية كانت معركة. اضطررت للذهاب إلى مركز البوليس الطبي، وهلم جرا. وإلا لما أزعجت نفسي إنها مضيعة للوقت. مرهقة يا تام. تعرف كيف يسير العمل فيها.

– مزعجة أيضاً.

– آه معك حق مزعجة جداً. مد سامي يده إلى تبغه.

– خذ. أعطاه تام سيجارة من علبته.

– هل قابلت ليغ مؤخراً؟

– لا لم أقابله، منذ التقيناه معاً. ماذا هل تبحث عنه؟

– لا، لا شيء خاص. يا مسيح لقد فعلت عين الصواب عندما تركتنا وغادرت. أنا وهو تابعنا، جنون. انتهى الأمر بي أنني لا أذكر شيئاً عن يوم السبت. الجحيم يعرف أين ذهبنا. شيء فظيع. لم ترنا هل رأيتنا؟

– لا.

– ظننت أننا حططنا رحالنا هنا.

– ربما. اسأل العجوز موريس.

– نعم... تعرف الأفضل أحياناً ألا تعرف، تفهم ما أقصد؟ دع الكلاب النائمة ترقد في سلام.

– ربما، ربما

– كوارث في كل مكان. وهيلين اختفت أيضاً.

– هيلين؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

نعم، إنها مختفية يا رجل لم أرها منذ أسبوع، الجحيم يعرف أين هي. ترى حظي؟ هز سامي رأسه، شرب بعض البيرة. شيء فظيع، تكفي عطلة نهاية الأسبوع التي ضاعت.

– هكذا إذن لا تعتقد أنه مؤقت، العينان وهلم جرا؟

– لا أعرف.

– نعم...

– طبعاً لا يخبرونك شيئاً على الإطلاق.

– متى أطلقوا سراحك؟

– الأربعاء.

– الأربعاء؟

– لماذا؟

– لا كنت أتساءل فقط.

– اعتقلوني ثانية، ليلة السبت. خرجت هذا الصباح. رشف سامي البيرة.

– وزاروني أيضاً.

– زاروك؟

– الجمعة.

– حسن.

– في الخامسة والنصف صباحاً.

– هه.

– فتحت لهم زوجتي. كادت تخري في ثيابها. زيارة غير متوقعة إطلاقاً، تعرف لم نكن مستعدين.

– هل اعتقلوك؟

– لا.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

-...

- لا لم يعتقلوني، لا. هنف تام. لكنهم كانوا غاضبين جداً، تعرف ما أقصد؟

- هز سامي رأسه.

- لو رأيت الطريقة التي تكلموا بها، كانوا غاضبين جداً.

- نعم.

-...

- كان الأمر على ما يرام إذن؟

- لا لم يكن على ما يرام، لم يكن على ما يرام أبداً.

- ماذا حدث؟

- آو، كانوا يريدون أجوبة على بعض الأسئلة تعرف. لكني لم أخبرهم شيئاً قط لا شيء. هذا جيد إيه.

- رفع سامي كأس الويسكي، ثم عاد ووضعها على الطاولة وراح يشد حافة شفته السفلى.

- تعرف ما أقصد؟

-...

- انس الأمر. أنا آسف بشأن عينيك وهلم جرا.

أطفأ سامي السيجارة، وراح يلف سيجارة أخرى. قال: ماذا يزعجك؟

- آه لا شيء.

- أنت منزعج من شيء ما؟

- ليست مشكلة.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

–منزعج منّي؟ هل قلت شيئاً ما؟

–انظر انس الأمر.

– بحق الجحيم يا تام.

– انسه.

– إن قلت شيئاً فأخبرنا.

– ليست مشكلة.

– بل مشكلة قحبة، أنت منزعج من شيء ما.

– قليلاً نعم.

– قل لنا إذن.

– تنهد تام: تعرف ما أقصد.

– لا، لا أعرف. لا أعرف. قل لي أنت.

– أقصد أنني لم أقابل صاحبيك وهكذا لم أستطع أن أخبرهما شيئاً وهذا شيء عظيم، لذلك انس الأمر.

كاد سامي يقول شيئاً، لم يُقَل، وبدلاً من ذلك أشعل السيجارة التي لفها، بعدئذٍ رفع كأس البيرة ورشف منه.

– تعرف ما أقصد لم أستطع أن أقول شيئاً قط. وهكذا لم أقل.

– لم يكن لديك ما تقوله.

– نعم، نعم ذلك صحيح.

– ماذا يزعجك.

– الفضوليون يا سامي، لقد كانوا غاضبين.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– نعم قلت ذلك أعرف: هؤلاء السفلة، كانوا غاضبين، وماذا يعني؟

– لا تقل لي ذلك يا سامي.

– أقول ماذا؟

–...

– تنحنح سامي وهمس: أقول ماذا؟ أنا لا أقول شيئاً أبداً!

–كانوا يريدون معلومات يا سامي، تمام!

– نعم تمام، وما الذي يتوقع منّي فعله، انتكح وأعطهم! إيه؟

– كان بوسعك إعطائي إشارة عاجلة، يا سامي! ذلك ما كنت أتوقعه منك.

– أعطيك إشارة؟ عن ماذا؟

– يا للجحيم! انظر أنا آسف بشأن عينيك، تمام، دعنا ننسَ الأمر. لننساه لننسَهُ.

– ننسى ماذا؟

– أوخ.

– ماذا؟

– ثرثرة مزعجة يا سامي إنها ثرثرة مزعجة.

– تام أنا لا أعرف ماذا تقصد.

– نعم حسن تلك هي المشكلة القحبة.

– لكنها حقيقة لعينة.

– آخ دعنا في سلام.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

أسند سامي ظهره على مسند الكرسي، وانحنى ثانية إلى الأمام وهمس: "أنت لست متورطاً يا رجل لهذا لا أعرف لماذا تنتكح تقلق هكذا، لا علاقة لك بشيء أبداً".

– سامي لا تقل لي إني لست متورطاً. هذا كله خراء؛ لقد سُحبت زوجتي من فراشها في الخامسة والنصف صباحاً؛ أنت تمزح! حلّها لنا.

– لكنك لست متورطاً.

– لماذا إذن هؤلاء السفلة على باب بيتي؟ إيه؟

– ماذا تقول؟

– آخ، لا تتغابَ، يا سامي. أنت تعرف ما أقول.

– لأني قابلت شخصاً ما في الحانة بعد أن خرجت أنت؛ الأمر يخصني أنا إذن– لأنني التقيت ذلك الشخص بعدما غادرت أنت، وهكذا فهذه غلطتي.

– من أيضاً؟ لن تلوم ليغ؟

– تام.

– أنت الذي يعرفه، أنت صديقه القحب.

– ليس صديقي القحب.

– كان بوسعك أن تعطيني إشارة.

– عن ماذا؟

– يا يسوع المسيح كان البوليس على بابي في الخامسة والنصف صباحاً يا سامي! البيت مكتظ والثياب في كل مكان يا رجل. تعرف ما أقصد، يعرفون قضية الثياب أيضاً إنهم يعرفونها يا رجل وكان بوسعهم أن يقلبوا البيت عاليه سافله. يعتقلونني! كان بوسعهم اعتقال زوجتي

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أيضاً؛ تعرف ما أقصد كان بوسعهم... يا يسوع المسيح، لقد انهارت من الخوف، وأنا خَرَيت خفت، كلنا خرينا. كان الأولاد نائمين في الغرفة الداخلية بينما يجلس هؤلاء السفلة في الصالون يأكلون الشوكولاته والبسكويت ويشربون الشاي؛ يضحكون مثل المنايك. وأنت تقول لي ألا أقلق؟ أنت محق أنا قلق، كنت قلقاً طوال عطلة نهاية الأسبوع. كان بوسعك أن تخبرني بشيء ما. فقط لتعلمني بشيء ما، أي شيء كان. هكذا أعرف أن شيئاً ما قد حدث. هذا ما أقوله.

– ...

– أقصد فقط أن... آخ، انس الأمر.

– انس كل شيء. انحنى سامي مقترباً أكثر من تام وهمس هه، تريد أن تعرف ما كنت أفعل، إيه! تريد أن تعرف؟ كنت تريدني أن أعطيك إشارة لعينة، يا تام! تريد أن تعرف ما كنت أفعل؟ أترى هاتين العينين؟ أترى هاتين المنتاكتين، أتراهما! انظر إليهما، خذ نظرة لعينة.

شد سامي الجلد تحت محجريه إلى الأسفل. ما تظن هذا الجحيم. بحق الجحيم. أبقى الجلد مشدوداً إلى الأسفل حوالي ست ثوان، بعدئذٍ مد يده اليمنى إلى كأس الويسكي لكنه لم يرفعها، مج السيجارة. وعندما رفع الكأس كانت يده ما تزال ترتجف. أعاد الكأس مكانها. بقيا صامتين لبعض الوقت. سمع كرسي تام تُدفع إلى الخلف فقال: لا تذهب، بحق الجحيم. تناول معي نصف كأس أخرى.

– لا.

– هيّا.

– لا أريد.

– هذا هراء يا تام. إنك تسمح لهم أن يقتلوا رأسك. خذ نصف كأس، هيّا، سنتناول نصفاً آخر.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– لا يا سامي.

– كفى، اجلس.

– إنني برفقة صهري، في غرفة المطعم.

– دقيقتان.

– لا

– ماذا تريد أن تقول إذن؟ إنني شخص كره؟

تنهد تام

– المسألة لعينة معقدة أكثر مما تظن.

– ما هي؟

–...

– نعم حسن إنه شأنك.

– ماذا يفترض أن يعني ذلك؟

– يعني أنه شأنك، ذلك ما يعنيه.

– آو.

لا تبدأ توأوئ لي يا سامي لا تفعل ذلك. كنت أعتقد أنني أعرف ما تفعله لكنني أكتشف الآن أنني لا أعرف. لا أعرف، اعتقدت أنني أعرف لكنني لا أعرف. والبوليس السافل يعرف عنك أكثر مما أعرف أنا.

– ...

– تعرف ما أقصد يا سامي حلّها لنا! أنظر من الأفضل أن تذهب.

– هز سامي كتفيه.

– سأراك.

– نعم تمام، تمام يا تام.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– وقف تام مكانه دقيقة، ثم غادر. انتظر سامي قليلاً، بعدئذٍ رفع الكأس، ليعرف كم تبقى من البيرة. انطفأت سيجارة اللف، أشعلها ثانية، أسند مرفقيه على طرف الطاولة وأسند ذقنه على يديه. الأمر الذي أراد أن يعرفه.

لا، لم يرد أن يعرفه، والأمر ليس مهماً.

وضع يده على حافة الطاولة وضغط. مد يده الأخرى إلى العصا، لكنه تركها مكانها دقيقة، حتى يشرب البيرة، ما زال في الكأس جرعة أخرى.

إلى الجحيم بهم، إلى الجحيم.

هوِّن عليك، تلك هي المسألة. فقط انطلق إلى البيت، إلى البيت. بعد أن يتبوّل. لأنه إن لم يتبول الآن، ستنفجر مثانته في ظرف عشر دقائق. بالتأكيد.

هكذا طارت القمصان، إذن. طارت العملية الصغيرة الأخرى، نهاية القصة. وهو كذلك. لا بأس لا بأس. نعم كان بوسعه أن يراهن!

لا ليس بوسعه أن يراهن.

تجرع بقية البيرة وأخذ العصا، بدت جيّدة في يده، بدت جيدة، هذه العصا القديمة الموثوقة، ستستظرف هيلين ذلك يا رجل! ستسأل أين مساحتي اللعينة! هذه هي مساحتك اللعينة، نشرت رأسها ودهنتها! لم يستطع سامي كبح نفسه عن الابتسام. شعر برغبة قوية بالضحك!

تمام. كل أولئك السفلة يراقبونه، هذه نهايته، أنت أعمى مثل الخفاش يا سامي.. الخفاش الجريء ذاهب ليتبوّل.

نعم لا ضير في ذلك، لا ضير في ذلك. سفلة، تباً لهم.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

كان المرحاض في القبو وهذا أمر صعبٌ لكن لا بأس. في منتصف الطريق إلى القبو غيَّر رأيه وعاد. يده على الحائط. لا يوجد هنا غرف مرحاض. بحق الجحيم! نعم ذلك محظور هنا، يبقونها مغلقة لسبب ما، لذلك سيضطر لاستخدام المبولة، تلمس بالعصا بحثاً عنها — يجب أن يغسل العصا بدلاً من يديه.

تبولت وأملت بالأفضل.

تمام.

كانت تمطر عندما خرج من الحانة. عرف ذلك لكنه تابع سيره يا رجل، كان بوسعه أن يستقل تاكسي لكن هذا مستحيل، أصبح من المحرمات. فهو بحاجة إلى كل بنس. كل بنس لعين.

خطرت له فكرة غريبة، ومفاجئة. تذكر شخصاً، شخص عرفه منذ زمن طويل؛ كانت مجرد معرفة فحسب، فكّر في هذا الشخص الذي عرفه، هكذا بلا سبب، كان ذلك نوعاً من انتفاضة الذاكرة المتعلقة به؛ حتى إنه لم يفكر به من قبل. تذكره فحسب. كان ذلك غريباً. ربما قد مات الشخص وهذا التذكر وداعٌ أخيرٌ له.

كلنا سنموت

هكذا إن كنت لا تستطيع أن ترى، فماذا تفعل؟ تفعل ما يفعله أي سافل آخر، تذهب إلى مكانٍ ما، البيت إلى اللعين يا رجل، كان ذاهباً إلى البيت.

توقف هطل المطر، انقطع المطر لكن الجو رطب. يحتاج إلى زوج قفازات جلدية، سيكون جيداً، وإن كان من جلد الخنزير فلن يخترقه المطر.

لأنك حتى لو كنت أعمى ستخرج لتتجول.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

كان سامي يحب التجوال، نعم. كان يستمتع به. لم يحبه وحسب بل كان يعشقه. التجوال في الأماكن القديمة، في كل الأمكنة، كان يتجوّل حتى في السجن المقرف، وإن لم يستطع التجوال فلا يعني ذلك أنه لا يحبه بل لأنهم لم يسمحوا له! ضحك سامي. فقد كان أمراً غريباً جداً، غريباً وممتعاً. تخيّل حياةً حيث تستطيع التجوال؛ المال ليس مشكلة. فقط اذهب حيثما تريد، تعرف ما أقصد يا رجل. تخيل ذلك! لا يمكنك تخيّله. لكن هناك شيئاً واحداً يزعجه، إنها هذه الخفافة اللعينة، الخفافة السافلة، ذلك ما كان يخوزقه.

ما لم يكن سيذهب إلى منطقة نائية أو ما شابه؛ إلى تكساس. نعم، تكساس مشمسة دائماً إضافة إلى كونها مكان المبتدئين. يمكنك أن تتجول هناك بقميص وبنطلون جينز طوال الوقت، سيارة بيك أب قديمة وصندوق الخمر وقبعة الستيتسون الكبيرة وهلم جرا، تخرج بسيارتك إلى حانة رخيصة، تقابل فتاتك وترقصان، تستمعان إلى الموسيقى، إضافة إلى ذلك إذا كانوا يعودون إلى الوراء في الرقص، إن كانوا يرقصون الفالس أو أي نوع آخر، ففي تكساس نادراً ما يقود النساء الرجال، مازال الرجال يقودونهن، ما عدا أنهم يسحبونهن بدلاً من أن يدفعوهن. تقابل أشخاصاً يريدون الذهاب إلى ممفيس أو ناشفيل فقط لحضور الأمسيات الموسيقية لكن إن كان القرار لسامي فإلى جهنّم بذلك كله يا رجل، إلى جهنم بالغراند أول أوبري، فهو مغرمٌ بـ لوكينباخ، اللحاق بالخارجين عن القانون، اللحاق بالسفلة الخارجين عن القانون، تعرف ما أقصد، لا ضير، لا ضير في ذلك.

لن يستطيع سامي الرؤية ثانية.

وماذا يعني، يا رجل؟ مازال لديك أذناك القحبتان، أنفك، وعصاك اللعينة.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تعرف!

توقف أخرج نظارته من جيبه، مازالت تمطر

مازال الطقس بارداً

ويست بثليم ليست مكاناً تتخفى فيه وأنت في الثامنة عشر

إلى جهنم بـ تام أيضاً. إلى جهنم بهم جميعاً، سيذهب ليحزم أمتعته ويرحل.

يا مسيح، الطقس بارد. ما لم يكن هو يشعر بذلك. ربما هو، ربما الطقس ليس بارداً على الإطلاق، بل هو الذي يشعر بالبرد. لم يرق له ذلك، بل بدا قحباً محبطاً. جاكي العجوز، ربما مات جاكي. غريب كيف يتبنى الناس الفكرة الغلط. الحياة يا رجل، مليئة بسوء الفهم؛ وليس هناك سافل يفهم ما تقصد. كيف تجعلهم يفهمون ذلك؟ لا تستطيع. إنه يرتجف! كيف بحق المسيح حصل أنه يرتجف يا رجل، السافل المعافى يعرف ما أقصد فأنت لا تعرف.

إنها تمطر، الطقس بارد

إنها تمطر، الطقس بارد

سمعت هذه الأصوات من حولك أيضاً. سمعتها. ماذا كانت تشبه! هذه الهمسات القصيرة والعنين وصوت التنهّد، وهذه القطرات كأن أنبوباً قد انفجر. قرأ هذه القصة ذات مرة عن شخص ألماني، ربما كان اسكندنافياً.

لا بأس ببعض الطعام، أيضاً، فقد كان يتضور جوعاً، يتضور يموت جوعاً. إضافة إلى أنه لا يوجد في البيت ما يؤكل سوى علبة ويتابيكس. تلك كانت الضربة يا رجل علبة ويتابيكس. ربما لا يوجد حليب، لقد نسي أن يتأكد من ذلك. لا بأس. فات الأوان الآن. نعم النكتة نفسها.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

لا بأس لكن عليك أن تستمر، شارعان كبيران طويلان ويصل التقاطع، يعبر شارعين من هناك فيصل الجسر. سيلوّح بالعصا ويعبر الشارع، وبضربة خط ستصدمه سيارة، وتأخذه الإسعاف إلى بيته.

هيه يا مستر أتريد خدمة صغيرة؟

تابع سيره

هيه يا مستر أتريد خدمة صغيرة؟

توقف بكَمْ؟

بخمسة عشر جنيه.

لا يا دجاجتي آسف.

الأمر يتوقف على ما تريد.

آسف يا دجاجتي. تابع سيره، ما كان يجب أن يتوقف ولا أن يقول ما قال، لم يكن تصرفه منصفاً. ربما كانت ستمضي معه كل الليلة أيضاً. ليس مقابل ذلك المبلغ، خمسة عشر جنيهاً، مازالت الليلة في بدايتها. تعرف لكنك لا تستطيع أن تجزم أبداً. وهو ليس ذلك العم الدراكولي البشع. ربما راق لها. من يعرف. أقصد لم يكن سافلاً بشعاً.

أياً يكن، حتى إن كان وحشاً، لكنه شخص عادي وقد ترغب المرأة أحياناً بذلك، شخص عادي، إن كان الخيار لهنّ، إن كنّ مومسات، فلا يكون الخيار لهن غالباً، أقصد أنهن مضطرات للحصول على ما يمكن. حتى ولو على دمجانة خمر وأي شيء أحياناً يا رجل.

كم شرب؟ لا شيء البتة. لا شيء. كأسان ونصف. وهذه كمية تافهة. هناك حانة عند المعبر الثاني. سيتناول كأساً آخر من أجل الطريق، كأساً آخر.

لكنه غيّر رأيه وتابع سيره، تجاوزها وعبر الجسر فإلى نهاية المشوار، صعد ممر المشاة وعلى طول إلى المجمّع السكني. في المصعد

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

انحنى وفك رباطي الخفافة. يحتاج حذاءً جديداً. وهكذا يجب أن يحصل عليه. سيشتريه. سيشتري جزمة. اجتاز الممر ودخل الشقة. تشاغل حوالي الساعة ثم أوى إلى السرير. لكنه لم يستطع النوم؛ ربما الوقت مبكر، المشكلة أنه لم يستطع أن يرتاح، تسمع أصواتاً ومن ثم تتحطم الأشياء داخل رأسك وتقلق قلقاً لعينا، ذلك ما تصير إليه، ولا تستطيع الخلاص منه، لا تستطيع أن تهرب منه، تلك هي المشكلة يا رجل ستضطر أن تنطح رأسك بالحائط وتموت. إلى جهنم بالنوم. سحب قدميه من داخل البطانيات ونهض. لبس ثيابه، صنع كوب شاي. في طريقه إلى غرفة المعيشة تذكر أن يشعل نور الردهة. من الآن فصاعداً سيتركها مضاءة باستمرار هي وغرفة المعيشة.

الموسيقى. لا جدال في ذلك، وحدها الموسيقى تستطيع أن تريحك. اعتاد أن يغني تلك الأغنية لويلي نيلسون " المرأة الطيبة القلب " ليغيظها فقط، وكان يقول إنها أفضل من أغنية جورج جونز، وهذا من أجل إغاظتها، أيضاً.

يغتاظ الناس بسهولة فظيعة. لاحظت ذلك كثيراً. كان تام أصغر من سامي فعلياً، ليس كثيراً، لكنه يبقى أصغر منه. وهناك انكشف. حتى إنه لم يكتشف أنه قد استُفزَّ. ذلك ما كان يفعله الجنود، يستفزونه. لم يفهم تام الأمر جيداً البتة. عرف سامي بشكل أفضل أن ذلك هو المقصود، كان خبيراً. المشكلة هي في كيف قبضوا عليك وأنت غافل، وليست في كم كنت كبيراً يا رجل. لم تكن تلك هي المسألة، تعرف ما أقصد، لقد قبضوا عليك وأنت غافل.

لذلك سيهرب سامي، سيحزم أمتعته ويغادر. غادر اختفِ تلاشَ تحوّل إلى بقعة صغيرة في الأفق، ولا حتى بقعة بل فقاعة، وفقاعة انفجرت.

العائلة هي خوفك الوحيد. بتلك الطريقة نالوا من تام. هكذا بكل وضوح. الشيء نفسه مع هيلين، كيف كانوا يستخدمونها. سفلة

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

يستخدمون أي شيء يا رجل، لا مقدسات لديهم. يفعلون كل شيء ليجعلوك ترتعش، ترتعش وترتجف، ترتعش وترتجف. يجب أن تفكر، كان عليك أن تفكر، لتخرج نفسك من الورطة. المشكلة أن معظم السفلة غير قادرين على التفكير، بما فيهم سامي، لنكن صادقين، قليل من الصدق يفيد. تمام. أدار الموسيقى ورفع الصوت عالياً. المرأة في الشقة المجاورة صماء والجيران في الشقة فوق!

تباً لهم. توانغ توانغ. والعصابة القديمة زاهية الألوان حول الرأس. ذلك ما كانوا يلبسونه العصابة القديمة. لكنها نوع عملي من اللباس. لا يلبسونها بقصد الاستعراض فقط. لقد اعتاد سامي لبس واحدة أثناء العمل، إنها تحول دون وصول العرق إلى العينين والأذنين. كان ذات مرة يعمل عملاً صغيراً؛ يا مسيح، حدث هذا منذ سنوات مضت وفي منتصف الصيف، لكنه استطاع تذكره جيداً: هناك في، هاي غيت هيل، حي الأثرياء قرب الحديقة العامة؛ كان يعمل في إعادة ديكور منزل شخص ما. كانت فكرة العمل من بنات فانتازيا الزوجة والعمال أيضاً، تعرف لم تكن شابة جداً لكنها جميلة جداً يا رجل. لا بأس. لكن الأمر كان مسخرة. تعطلت المطرقة الهوائية وكانوا مضطرين لإنهاء العمل في وقت محدد؛ وهكذا طلب مراقب العمال الأحمق من سامي والعامل الآخر استخدام مطرقة يدوية، مطرقة وإزميل. أرسل في طلب رئيس الورشة ليريهما كيف يتم ذلك. صخرة كبيرة جداً وسط الحديقة، لا يمكن زحزحتها ويجب أن يفتتاها. كان ذلك بعد انفصاله عن زوجته أي لا بد أنه كان في الخامسة والعشرين أو في السادسة والعشرين حينها. على أية حال، كان على رئيس الورشة أن يريهما كيف يتم العمل. لا غرابة أن الرجل كان محرجاً. قال سامي: أنت لا تمزح؟ لكنه لم يكن يمزح. كان محرجاً ولم يكن يمزح. وكان على سامي والعامل الأخر تنفيذ العمل، أحدهما بالمطرقة والآخر بالإزميل. خيّرهما رئيس الورشة بين الأداتين، لكن تباً لهم يا رجل. رفض سامي

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

والشخص الآخر أن يختارا وهكذا كان الأمر بيد رئيس الورشة، يجب أن يختار بنفسه — من سأختار من سأختار! بالنسبة لسامي لم تكن مشكلة أية أداة سيختار له الرجل لأنه كان قد قرر مسبقاً ألا ينفذ على الإطلاق، كان يتحيّن الفرصة ليخبره بذلك لكن رئيس الورشة انتظر طويلا وعبس. وما فعله أنه تقدم من الشخص الآخر وتحسس رسغيه، بعدئذٍ الشيء نفسه مع سامي، كان إبهامه يضغط العروق والأوتار والعظام، ويضغط ويفرك. كان علمياً جدا. بعدئذٍ تراجع وبوجه صارم طلب من سامي أن يضرب بالمطرقة، والشخص الآخر أن يمسك بالإزميل. ذهبت خطتك أدراج الرياح، تخوزقت يا رجل، وعلى الشخص الآخر أن يرفض الآن. لم يكن لديه خيار. يا يسوع المسيح. احتقن وجهه بالدم. السافل المسكين. وجاء دور سامي الآن. دوره بالكلام. لسبب ما لم يستطع أن يتكلم. انتظر، وانتظر... لو كان عليه إمساك الإزميل فإلى الجحيم، سيضحك ويمشي. لكنه يحمل المطرقة الآن. أعطاه رئيس الورشة عدة دروس سريعة، ومن ثم درسين للشخص الآخر، بعدئذٍ افتعل خدعة الاختفاء. لكنك عرفت أنه كان يراقبك من مكان ما. أو مراقب العمال أيضاً وربما لا، سفلة جبناء، ربما كانا في مكتب المحاسبة ينتظران سماع الصراخ.

هكذا، رفعت الأيدي إلى الأعلى والأسفل، عدة حركات تدريبية، وطرق بعض الحجارة على الأرض. وبعدئذٍ شرعا في العمل. الشخص الآخر متمدد على طوله على الأرض، يلبس قفازين عتيقين وربط بعض الخرق على معصميه. لم يكن الخوف على يده فقط بل على رأسه اللعينة — إضافة إلى أن سامي يعاني من ضعف في إحدى عينيه — رغب لو ينصحه بلبس قبعة صلبة لكنه لم يرغب أن يخيفه. يذكرك ذلك بعامل المنجم الويلزي الشجاع، بطل القرية، كارثة المنجم الكبير، ذلك الشخص الضخم برأسه المسطحة وأذنيه المتورقتين. على أية حال، أخطأ سامي أول ضربتين أو ربما انحرفت المطرقة قليلا، فأفلت الفتى الإزميل، وبعد عدة محاولات انتظمت الضربات، ليست

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

سيئة جداً، لم يحطم رأس الفتى! لكنه لم يحدث ولا خدش صغير في الصخرة أيضاً تعرف كانت مثل الغرانيت.

كان ذلك كل شيء.

آخ لم تكن كارثة. لم تكن الأمور جيدة جداً، لكنها لم تكن كارثية. لكن يجب أن تعترف أنها لم تكن جيدة على وجه التحديد. في الواقع كانت لعينة عفنة. يمكن فقط أن تقول لها وداعاً.

يمكنك مقاومتها أيضاً. يمكنك. لا تستطيع تحمّلها أحياناً خصوصاً إن فقدت أعصابك. الأفضل لو تستطيع السيطرة عليها. المشكلة أنك لا تستطيع السيطرة عليها دائماً. حتى لو أردت ذلك. لا تستطيع

ولا شيء بمنأى عن الموت

نصف وحيدٍ كالصوت[1]

على أرصفة المدينة النائمة

يهبط عليها صباح الأحد

إلى إنكلترا اللعينة. سيذهب إلى هناك يا رجل! إلى مكان ما فيها مثل مارغيت أو ساوث سي، أو سكابورو، بورنماوث اللعينة، يا مسيح يا قادر.

متعب منهك ومع ذلك لا تستطيع النوم. عاد إلى السرير.

استيقظ. كان سافل ما يعبث بصندوق الرسائل. لقد استيقظ مبكراً من قبل، لكن هذه المرة كانت مضحكةً وكأنه نام منذ عشر دقائق فقط. هؤلاء السفلة يا رجل، على أية حال كم هي الساعة الآن، مشى إلى

---

[1] ـ يختلف مقطع الأغنية هنا عن المقطع الذي ورد في صفحة سابقة بسبب اختلاف حرفي الجر في النص الأصلي . وزغم أن هذا الاختلاف كبير في تأثيره على معنى المقطع لا نستطيع أن نجزم بأنه خطأ مطبعي أم لا . خصوصاً أن حرفي الجر هما / of / و / on / .

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

الراديو وأشعلها. نوع من موسيقى الفرق النحاسية، موسيقى عسكرية. ذلك يعني أن الوقت باكر جداً. يقدمون هذه الموسيقى في وقت مبكر جداً. صندوق البريد ثانية، لا بأس يا رجل. المشكلة هي كيف أنك لا تستطيع العيش في سلام. لا تعيش في سلام، لو يتركونك في سلام، لكنهم لا يتركوك يا رجل لا يتركونك، لا يتركونك في سلام.

فقط مشاكل مشاكل مشاكل طوال الوقت، يا رجل. يعرفون أنه في الداخل، وسيكسرون الباب إن لم يفتح لهم. لبس بنطلون الجينز والجوربين، والخفافة، وأخذ التبغ وورق السجائر والولاعة؛ لكنه نسي النقود. هذه هي المرة الثالثة التي تعتقل فيها، فقد فات الأوان، يا يسوع المسيح، لقد فات الأوان يا رجل. الزمن! انتا.... تأخر كثيراً، لقد فات أوان اللعبة وهو يقاتل، وسوف يقاتل، سيقاتل السفلة تباً لهم يا رجل، العصا اللعينة، أين هي العصا اللعينة يا رجل؟

في الردهة، تمام. مهما يكن. العصا في يده الآن. تبسم هازاً رأسه، وعندما زفر سمع الخرخرة تقطع الضجيج وسعل، رئتاه كحالهما كل صباح، ذلك الخراء المعتاد، امتلأ فمه بالبلغم، ابلعه؛ تمام. أصبح الآن خلف الباب. تنهد، أخذ نفساً عميقاً وصاح، من هناك؟

أنا.

ماذا؟

أنا ألّي

يا يسوع المسيح، الوكيل السافل: تابع كلامه عبر صندوق الرسائل، وكان نوعاً من الهراء لم يستطع سامي فهم شيء منه فقاطعه قائلاً: "ما الهراء الذي تريد؟"

– آسف لإزعاجك لكنني أود التأكد من نقطتين لأني سأكون مشغولاً بقية النهار. لن أطيل عليك، لكن الأمر مهم ولن يستغرق أكثر من دقيقة.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– ظننتك الجنود السفلة يا رجل، يا يسوع المسيح! أفي هذا الوقت اللعين بحق الجحيم!

– نعم آسف الوقت مبكر جداً.

– ما الأمر؟

– تعرف كنت أعمل طوال ليلة أمس. بقضية أخرى. لكن بقيت قضيتك تقطع عليّ حبل أفكاري. وأود إزالة التباس بعض الأمور. هل أستطيع الدخول؟

– يا للجحيم... انتظر سامي برهة وبعدئذٍ فتح الباب، من أي جهنم حصلت على عنواني؟

– آو، حسن، هذا أمر سهلٌ.

انتظر سامي قليلا ثم أغلق الباب وأقفله بعد أن دخل الرجل الذي شرع مباشرة في الحديث: العقل عضلة غريبة، عقلي يعمل على خطوط التماس، في كل الاتجاهات. حتى عندما أكون أمام المسؤولين بشأن قضية ما يشط ذهني إلى قضية أخرى. تلك المرأة، مثلاً، التي أخبرتك عنها سأترافع عن قضيتها بعد ظهر اليوم، لكنني سأكون مشغولاً قليلاً بأناس آخرين، وأنت من ضمنهم. ليس الأمر سخيفا كما يبدو لأن قضيتها أكثر تماسكا من أية قضية أخرى، وهكذا صدّق أولا تصدق هذا يعني أن ذهنك يمكن أن يشط. على أية حال ذهني يشط. تعرف لا استئناف في القضايا المشابهة لقضيتها ولهذا يجب أن تمحص في البحث عن المحاجات الخاطئة التي تسمح لك بالدخول في مساجلة حول مسألة شكلية، ما يمكن أن تسميه إساءة استخدام مفهومي، بعدئذٍ تصفعهم بطلب التأجيل. يجب أن تركّز بقوة، لكنّ نوع التركيز هو الذي يفرض نفسه. هناك شيء آخر يجب أن توقّعه أيضاً.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– ماذا تقول؟

– هناك شيء لتوقّعه، إن لم يكن لديك تحفظات.

– ما هو؟

– أمر شكلي. لا أظنك شربت الشاي؟

– أسند سامي العصا على الحائط ومشى مبتعداً عن الباب وقاده إلى المطبخ. وصل الغلاية بالكهرباء. لا يوجد حليب.

– أيوجد ليمون؟

– هذه مزحة أم ماذا؟

– لا، الليمون مع الشاي جيد للقضاء على العطش.

– ما هي الساعة الآن؟

– الخامسة وعشرون دقيقة.

– يا للجحيم القحب.

– ظننتك تستيقظ باكرا.

– تباً للاستيقاظ باكراً. اجلس على الإسكمبلة وسأكون ممتناً لو لم تلمس شيئاً.

– مثل ماذا؟

– تعرف ما أقصد... انتظر سامي قليلا، بعدئذٍ ذهب إلى الحمام.

–عندما عاد قال ألي، صدف أنـي ذكرتـك لـزوجتي وتوصلت إلى نتيجتين جراء ذلك.

– ناقشت قضيتي مع زوجتك؟

– نعم واكتشفتُ– أنني لا أعرف عنك شيئاً– وفيما يخص بعض الأمور وجدت أنه من الأفضل أن تجد شخصاً تناقشه لترتيب أفكارك

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

بطريقة أكثر منهجية. إضافة إلى أنه إن كان عليك التعامل مع صديق، عندئذٍ من الأفضل أن تناقشاها معاً، هذا متعارف عليه.

سمع سامي جيشان الماء. أمسك بقبضة الغلاية.

– قال ألّي،" لقد شطفت قدحين ووضعت فيهما ظرفي شاي. أكنت تريد قهوة؟"

– قلت لك ألا تلمس شيئاً.

– لم أعتقد أنك قصدت ذلك. على أية حال لنتابع: أشعر الآن أنه من المهم أن تحدثني عن فتاتك وعن يوم السبت أيضاً، بالطريقة التي قلت معها إنه مغلق على ذاكرتك، قد يبدو غير مهم نظرياً لكنه ليس كذلك. تذكر أنك تراجعت عن أقوالك الأولى التي قدمتها لمركز البوليس الطبي. نحن نبحث عن الاتساق. الأمر واضح الآن؛ بقدر ما أعرف يكون الأمر أفضل — لأنهم سيعرفون كل شيء. وكما قلت لك: يتعذر العمل إن كانوا يعرفون أكثر مني — لكن انظر، بوسعي أن أستفيد في دفاعي من أشياء قد تظنها أنت تافهة. سيحاولون منعي من الخوض فيها لأنها تتعلق بالمسائل الطبية، ذلك ما سيجادلون فيه، لكن بطريقة أو بأخرى سأضمنها في مرافعتي. سنستفيد منها. لا أقصد أن تخبرني أشياء شخصية بحتة، لست من ذلك النوع، بل أشياء شبيهة بها. بالمناسبة متى ستذهب بالإحالة إلى المؤسسة الخيرية؟

– ليس قبل العصر.

– آه حسن يا سامي تعرف الأفضل أحياناً أن تقصدهم صباحاً. ربما استطعت مرافقتك إن أردت.

– لا شكراً، يا ألّي، على أية حال، لدي أشياء أنجزها— عرضٌ كريمٌ، لكن شكراً... إنها مسألة شخصية... هنف سامي ثم لمس

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الغلاية، الماء على وشك أن يغلي. بعد قليل قال ألّي، "هل أخبرتك أننا نريد تأجيل جلسة يوم الجمعة؟"

– إيه... كان الماء يغلي الآن، تحسس ألّي القدحين، وسأل: أتريد أن أسكب الماء؟

– نعم.

– تنحى سامي جانبا ولفّ سيجارة، وقال: " تأجيل؟ لماذا؟ ألا يوجد استئناف؟"

– استئناف؟ حسن نعم، لكننا لم نصل تلك المرحلة بعد، تلك تأتي لاحقاً. هذه ليست مثل قضية تلك المرأة، إن كان ذلك ما تفكر فيه.

– تمام، حسن، مهما يكن، أنت من يقرر.

– لا الأمر أنني هكذا أرى القضية يا سامي. التأجيل هو الطريقة الأفضل أمامنا.

– هل هو شكلي؟

– ليس تماماً. يجب أن نقدم حججاً مقنعة. لكننا سنتدبرها. هل حصلت على تعويض عجز وظيفي أو تقدمت بدعوى كهذه من قبل.

– كلا، شخصياً لم أفعل لكني أعرف شخصاً فعل ذلك.

– ماذا كانت النتيجة؟

– لا أعرف.

– هل كانت دعوى فقدان بصر؟

– لا.

– تعرف أقصد إن كانت الخسارة صريحة لما يمكن تسميته وظيفة موضوعية، مثل طرف عُلوي أو سفلي عندئذٍ لا بأس، لكن العينين

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

شيء آخر، وكذلك الأمر بالنسبة إلى السمع واللمس. هناك مجموعة من الناس لا زالوا يناضلون من أجل وظائف حسية في طبقتهم الخاصة، أسسوا جمعيتهم الخاصة. منذ سنوات عدة. بوسعك الاتصال معهم أيضاً إن أردت. إنهم يمارسون نفوذا كبيراً في البرلمان وأشياء من ذلك القبيل، يجدون دائماً أعضاء برلمان يتحدثون باسمهم وأعضاء مجالس أيضاً، أشياء من ذلك النوع. أعتقد أنني وقعت أحد التماساتهم ذات مرة.

– هيه ماذا تفعل؟

ضجة مفاجئة ناجمة عن ارتطام أقداح وصحون وخزف. والآن صنبور الماء يُفتح. قال ألّي: فكرت أن أملأ حوض المجلى وأغسل بعض الأطباق ونحن نتكلم.

– لا تفعل.

– فقط في أثناء حديثنا؟ أشياء كثيرة تحتاج للغسيل هنا.

– لا.

– أنت واثق؟

– لا أريد أن تغسل صحوني، يا ألّي، تمام؟ أستطيع أن أنتا.... أغسلها بنفسي.

– نعم تمام. تعرف وجدت أن ذلك يساعدني على التفكير بشكل أفضل، إن كنت أفعل شيئاً ما، نشاطاً جسدياً، ولم يبق لدينا الكثير من الوقت: سيقبلون التأجيل فقط إن استطعت أن أوصلهم إلى الحقيقة الدافعة لدليل جديد.

– هكذا؟

– هكذا من الأفضل أن نتقدم بأسرع ما يمكن. وبالمناسبة ما دمنا بصدد الموضوع، الشيء الذي يجب أن توقعه... رغم أنه

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

شكلي لكنه مهم. وهو فقط لتؤكد أن ادعاءاتك مستمرة في كل الأحوال. تمام؟ هنف ألي.

-...

- أنت معي؟

- لا.

- حسن لقد رأيت كثيراً من الناس المقطوعين من شجرة، أقصد لا أقارب، لا عائلات، لا زوجات ولا أولاد. أنت لديك ولد على سبيل المثال.

- إيه إنه في الخامسة عشر.

- نعم حسن مازال صغيراً على كل ذلك. أنا واضح معك لأنني أعرف أي نوع من الرجال أنت.

- لا تتملقني يا ألّي، ماذا تريد؟

- أنت تفضل الكلام الصريح.

- ماذا تتفذلك تقول؟

أقول إنه شكلي، يجب أن توقع هذه الصيغة، فقط من أجل أن تبقى الادعاءات قائمة مهما كانت الظروف، حتى بعد الممات، إنها صيغة واضحة وصريحة. نقفز إلى النتيجة ثانية، فعلى الرغم من وضوحها تجد كثيرين لا يوقعون هذه الصيغة وبعدئذٍ يخسرون، ليس هم فقط بل أقاربهم وأهلهم. لأنك يجب أن تقولها بنفسك، أنت المدّعي، أقصد يجب أن تقول لهم أن دعواك مستمرة في كل الأحوال. أقصد ليس مناسباً أن يأتي الأهل والأقارب فيما بعد ويقولون إنهم يريدون متابعتها لصالحك، تلك طريقة لا تنفع. الأمر كله بيدك أنت. أتفهمني؟ إضافة إلى أنك مقاتل، إن كنت لا تمانع أن أقول ذلك،

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

لذلك لن تدعهم يفلتون من صنارتك، أقصد السلطات، ليس على قدر فهمي، بل أعرف إنك تريد النيل منهم دونما شفقة. هل أفهمك جيداً؟

– ...

– لم يفوّت مركز البوليس الطبي الفرصة؟

– لم يفوت ماذا؟

– لا. تعرف وفقا للقوانين هم ليسوا مخولين إعطاء توجيهات في تلك المسألة. يقولون إن ذلك بسبب المشاعر. فالأطباء مثلاً لا يخبروك شيئاً عن حالتك، يقولون إن ذلك يؤذي المشاعر. والمحامون مثلهم. وكذلك حصل مركز البوليس الطبي على تفويض يسمح لهم بإبقاء المراجع جاهلاً إن اعتقدوا أن ذلك في مصلحته. نحن نتكلم بخصوص الصحة، وهم يقولون إن الجهل نعمة، لأنهم يعتبرون أن مصارحته بالحقيقة سيقلقه أو سيقلقها بحسب ما تكون الحالة وقد تؤدي إلى هجمات هلع وتشتت ذهني، وذلك سيّء على المجتمع ككل. أتحدث هنا عن جامعي الأصوات، إذا حصلوا على صحافة سيّئة. أقصد إذا أخذنا بالحسبان نوعية الصحف، إن كنت تقرأها، نعم ذلك ما يقولونه.

– ألّي عمّا تتفذلك تتحدث؟

–أتحدث عن مصلحتك ومصلحة ابنك أو زوجتك السابقة أو صديقتك أيضاً، إنه قرارك أنت، من تريد أن يحصل على مستحقاتك من إحدى أو كلا الدعويين التي ستدفع لهم بعد موتك. لم يخبروك بذلك. فالجهل بهذا ليس نعمة بل يكلفك نقوداً. لا أعرف شيئاً عنك يا سامي لكنني لو كنت مكانك فلن أسامحهم ببنس واحد. كثيرون يقولون "إلى الجحيم"، اعذرني لهذه اللغة، إنها مقتبسة — يريدون أن يموتوا ويستريحوا فقط. لكني أقول لا! تَمَسَّك بتلك النتيجة ولا

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تمت. احلبهم حتى أخر بنس. تمسك بحقك هناك، أفرغ جيوبهم. لأنها ليست جيوبهم أيضاً يا سامي إنها جيوبنا وهكذا فنحن نأخذ حقنا وهكذا نستطيع تركه لأهلنا لأقاربنا.

– يا للجحيم القحب.

– أنا صريح معك.

هز سامي رأسه. رفع كوب الشاي ورشف منه.

– يجب أن نهتم بالعمل فقط. إنه أشبه بكتابة وصية. هيّا، أعرف أن الأمر صعب عليك.

– بحق الجحيم.

– هل تؤلمك معدتك؟

– نعم.

– تعاني من مشكلة فتاق؟

– لا.

– أنا أعاني من – انقطاع الكلام – لأنني لا آكل في أوقات منتظمة بسبب كل ذلك العمل الذي أقوم به، إضافة إلى الأمور الشخصية، والتي يفترض بك أن تنأى بنفسك عنها، أي وكيل سيقول ذلك. لكنك لا تستطيع وتلك هي المشكلة أحياناً. خذ مثلا قضية تلك المرأة التي كنت أتحدث عنها، أتابع قضيتها منذ سبع سنوات. بعد موتها. لم تكن قد ماتت عندما باشرت قضيتها، كانت حيّة تقاوم. ماتت كل عائلتها الواحد تلو الآخر وآخر أقاربها المتبقين يقيم في مكان ما في بنغلادش في قرية صغيرة. هكذا عندما أقول إنها لا تشغل كل تفكيري لا أعني أنني لست مهتماً بها. وجدانياً أنا مهتم، أحاول وأتابع العمل، أبحث عن الأدلّة المنطقية. عندما نذهب إلى مؤسسة قضاء البوليس صباح الجمعة سترى كيف أعمل. هذا ليس

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تبجحاً يا سامي، خذ بالاعتبار، أنني لست من المتبجحين، ستراني أعمل وستفكر، أي نوع من السفلة المجرّدين من المشاعر هذا الذي يتوكل عني! ذلك ما ستفكر فيه وستكون محقاً. لكنني لا أستطيع أن أكون في موقع الخاسر. لأني إن كنت في هذا الموقع عندئذٍ ستكون أنت فيه أيضاً. وهذا أسوأ بالنسبة لك لأنني لست أنت بل وكيلك فقط. قلت لي في الأمس ذلك وكنت محقاً فيه. وأحتاج لتوقيع آخر منك أيضاً، توقيع يثبت توكيلك لي، وذلك يعني لن يهمه الأمر أنني سأتقاضى ثلاثة وثلاثين وثلث في المئة من المبلغ الإجمالي الأول الذي ستناله كتعويض عن خدماتك السابقة، وثانياً من المبلغ الذي ستناله لاحقاً، أي تأمين العجز الوظيفي. سأقرأه لك لو تحب.

نعم، إي... هز سامي رأسه، وتلمس الشعر على رقبته، مضت عشرة أيام الآن، بدأت تصبح مشعرة لا شائكة.

لم يعلق سامي على ما قرأه ألّي. كان كله مقبولاً. لا تعليق البتة. لم يستطع التفكير بأي تعليق. أردت أن تعتقد بوجود مخرج لكن لا مخرج. تضع حجتك باتساق. كان صواباً أن تفعل ذلك. حتى إنه بوسعك أن توافق بابتسامة بيويو يو يونغ.

– لا اعتراض لديك...؟

– إيه لا.

– جيد. تعرف أحياناً يموت الشخص قبل حسم القضية وبعدئذٍ يأتي الأهل والأقارب ينقلبون ويقولون، لا نعرف هذا الشخص. وربما يتكلمون على ذات الشخص الذي عمل ليكسب لهم الدعوى! ذلك ليس عدلاً وغير مبرر البتة، مع اعتبار، كما أقول لك يمكن أن تتابع قضية لسنوات عدة وتدفع تكاليف كل شيء بنفسك، ليس الأمر مزحة. لا أقول إن التكاليف كثيرة لكن هناك قاعدة عمل متعبة، وحيث توجد قواعد عمل يوجد نقود بطرق أو بأخرى، أنت معي؟

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– نعم يا صاحبي، تمام، إنني أوافق على ما قلته.

– جيد يا سامي لقد اعتقدت أنك ستوافق. يسرني أنك سُجِنت، هذا يساعدك على فهم الأمور، هذا رأيي. وأنا لست نادماً على سَجني، بصدق، يسرني أنني سجنت.

– ترتكب جريمتك تدخل السجن.

– قهقه ألي، تصدق، في الواقع سجنت بسبب اتهامات كاذبة. كنت بريئاً.

– آه حسن، هكذا تجري الأمور. أترغب بكوب شاي آخر؟

لا، يجب أن أذهب حالاً. تعرف استنفذت الوقت بقصتي الشخصية يجب أن أعرف بعض الأمور العامة.

– يحدث ذلك.

يحدث، نعم، لكن ما حدث، أن عائلتي ساندتني وحاولتْ العمل بجد من الخارج بينما كنت أنا في السجن، أفسد كل العمل الجيد. يا يسوع يجب أن ترى أحد مقالاتي التي أرسلتها كمادة صحفية إلى صفحة الرسائل المنوّعة. عزيزي السيد، أو السيدة، أقول، للمحرر: أقول، لو سألتني رأيي فإن المسؤولين يرتكبون خطأً جسيماً بالتضحية بكل أولئك الناس الأبرياء. باعتبار أنكم تعلمونهم فقط البروتوكولات والمناهج التقليدية المناسبة لتطور البلد وهذا لا يمكن أن يفيد المجتمع ككل، أقول إن هذا مجرّد ثرثرة ثرثرة ثرثرة. حتى ذلك الوقت كنت تهكمياً سوقياً. لكنني كنت أفكر" كجامع – أصوات " في الوقت نفسه، لم أكن ذلك الساذج. لكني كنت كثير الإطناب كثير الإطناب، كالعادة، أحاول أن أكون ذكيا – متبجحاً، أنت معي؟

– نعم.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يحدث ذلك عندما تكون شاباً. تعرف، كنت واثقا تقريبا من أنهم لن ينشروا لي. كان بعض هؤلاء الأشخاص في السجن يغضبون لأن رسائلهم انتهت إلى فرّامة الورق، يظنون أنه يكفي أن يكونوا بريئين. خذ... وضع ألي قلماً في يد سامي ووضعها حيث يجب أن يوقع. وقع هنا ثم الأخرى. تمام الآن؟ أتعرف ماذا توقع؟

لا تقلق يا ألّي لا تقلق.

لا، لكنهم أرادوا أن يُروني من هو السيد فقامت إحدى الصحف الجيدة بنشر رسالتي. لكن تعرف كنت قد ارتكبت خطأ إملائيا شنيعاً، كتبت " Victomizing " بدلاً من " Victimizing[1] " فقد كتبت (O) بدلاً من (I). هكذا تركوا الخطأ على حاله. واستفادوا منه، السفلة، ووضعوا بجانبها (S.I.C[2]). ذلك ما فعلوه ببساطة! ههه! قهقه ألي. تدفع الكثير من المال ثمن درس كهذا خارج السجن. بالمناسبة تعرف ماذا تعني (S.I.C)؟ إيه؟

– نعم.

ذلك ما فعلوه. ليس الأمر أنني لم أعرف كتابة الكلمة اللعينة " Victomizing "، فالأسوأ في الأمر أنه كان خطأ مطبعياً غبياً، لكنه كان كافياً ليمسحوا الأرض بي. سأقول لك شيئاً لكنه سيستغرق وقتاً أطول، أرجو ألا تُضعف ثقتك بي من سماع هذه الأشياء، بالنظر إلى عمري حينها. بعدئذٍ تفاجأت عائلتي التي تدعمني من الخارج بذلك الأمر، إلى حد ما.

قال سامي: شيء فظيع! بالمناسبة ألا يحتاج التوكيل إلى توثيق؟

نعم، إن لم يكن رسمياً، لكن هذا سيوثق في المحكمة، ذلك أنه يختلف عن الوصايا... أخذ ألي الأوراق. هذا رأيي الشخصي، لكنني

---

[1] - Victimizing يضحي، أما Victomizing : لا معنى لها، ولا وجود لها في اللغة الإنكليزية

[2] - S.I.C: علامة يراد بها أن الجملة أو الكلمة خطأ، وأنها هكذا وردت في الأصل

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

سأوثقه تجنباً للمتاعب خاصة إن صدر أي تشريع جديد، ذلك ما يحدث أحياناً، إذ تعتقد أنك مستوفٍ كل الشروط تماماً فتأتيك الصفعة، يصفعونك بحمل من القوانين ونقاط النظام.

لف سامي سيجارة، وسأله: "متأكد أنك لا ترغب بكوب شاي آخر؟"

لا، شكراً. سؤالان فقط وسأغادر. لقد استيقظت اليوم مبكراً جداً، لا بأس إنه الربيع. حتى العصافير لم تكن قد استيقظت بعد. كنت قلقاً مما قالته زوجتي. حالما فتحت عيني فكرت إنها محقة. نعم، حتى لو كانت الأشياء التي سأعرفها ليست جوهرية أو مهمة للقضية يبقى أنه من الضروري أن أعرفها. حتى لو كنت أستطيع إهمالها، ربما لن استخدمها أنا ولا هم أيضاً لكن رغم ذلك، لا تسعني المخاطرة بعدم معرفتها. والآن لا أعرف الكثير عن شرب الخمر، لأني لا أشرب. ويمكن أن تقول إن زوجتي فتاة ريفية وهكذا لا تشرب هي الأخرى رغم أنها من قرية صغيرة — من النوع الذي يمكن تسميته فلاحية — وهم يصنعون بيرتهم المنزلية بأنفسهم ويصنعون بيرة قويّة، يا ولد، أي أنها جربت المشروب سابقاً.

– هكذا؟

– ليس هذا فحسب، بل عندما نتشاجر أنا وهي تسمع صراخنا كل الشقق أيضاً. إنها امرأة صاخية.

– هيلين، صديقتي، لا تفعل ذلك بل تصمت.

تقصد أنها غير ثرثارة؟

– تمام.

– م م م

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– بعض النساء لسن كذلك.

– حسنٌ، أنا لست خبيراً بالنساء، لا بد أن أعترف بذلك.

جفف سامي زاويتي فمه، لكن ولسبب ما بقي الشعر يزداد رطوبة. مجّ سيجارته اللف كي لا تنطفئ.

– تعرف سأتجاوز ذلك الشجار السيّء وما عرفته من محضر الإثبات الذي تدعي فيه أن يوم السبت مغلق على ذاكرتك.

– صحيح.

– كل يوم السبت؟

– نعم، إلى هذا الحد أو ذاك. هناك نقطتان واضحتان جداً، يحصل أن تشعر من حين لآخر، كأنك استيقظت للتو. بعدئذٍ تغيب ثانيه. لم أستيقظ حتى صباح الأحد.

– نعم قرأت ذلك. هل عانيت الصرع من قبل، أو شيئاً من هذا القبيل؟

– لا.

– على الإطلاق؟

– ماذا ألا تصدقني؟

– هيّا يا سامي هذا ليس سؤال عدم ثقة!

– لا بأس لكنك لست سكيراً.

– هل قبل مركز البوليس الطبي وقسم البوليس إيضاحاتك؟

– لم أقدم لهم إيضاحات، كانوا مهتمين أكثر بيوم الجمعة.

– هل أنت مدمن؟

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– أنا أشرب.

– نعم لكن هل أنت مدمن؟

– لا، لا أعتقد.

– تعرف من الواضح أنهم سيحاجّون بذلك باعتباره عاملاً أساسياً مساهماً في فقدان البصر، أقصد إذا كان يؤثر في عقلك بتلك الطريقة فيمكن إذن أن يؤثر على بصرك، لأن عقلك يسيطر على عينيك. هل عانيت من مشاكل داء السكري؟

– لا.

تعرف يا سامي مادامت تلك المسائل الطبية قد خطرت لشخص مثلي، فلا بد أن تخطر لهم! وتكون أكثر لدى المحكمة لأن لديهم خيرة الخبراء الطبيين والشرعيين في البلد، العقول الأكثر فعالية في مجالها، وكل شخص يمكن شراؤه بالمال، بينما أمثالنا أنا وأنت، متآزرون. تحتاجني لأساعدك في أمور البروتوكولات والإجراءات وأحتاجك لتمدني بالإثباتات الشخصية، طبيّة وغير طبية – كل ما هو مفيد، والمشكلة أنك لا تستطيع رؤيتها إلا من داخلك، وهذا غير كافٍ لأنه غير مفتوح لما يسمونه التحقق. وهذه هي مشكلتنا معهم. تعرف، بعيداً عن معرفتي بأي شيء بشأن الشرب تكوّن لدي إحساس يدفعني إلى الاعتقاد بأنك غير مدمن. لكن ذلك ليس في مصلحتك بالضرورة؛ يساعدك في ادعاء فقدان البصر لكنه ينعكس ضدك في أمور أخرى، بما في ذلك الغياب المستمر لصديقتك. والشيء نفسه بالنسبة للصرع وداء السكري: ما كان طبيبك ليذكرهما، ولا المرجع الطبي أيضاً، يخبئونها للوقت المناسب. والآن يمكن أن يكون انتقاء داء الصرع سيئاً على نسيانك ليوم السبت. ليس لأن الأمرين متنافران، ليس إلى ذلك الحد، لكن إذا اعتبرنا حالتك فإنهما يشكلان حالة من عدم الاتساق الصارخ، وهذه تجعل السلطات واثقة من قدرتها على

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

إيجاد طريقة لدحض مزاعمك، في نهاية المطاف. وإذا اقتنعوا بذلك فسيهزمونك على أية حال. حتى لو لم يتوافر لديهم الدليل. يجب أن تتذكر أنه ليس هم من عليه إثبات الدليل. إنها مهمتك أنت، لأنك أنت من يلاحق الدعاوى، أما هم فليسوا مضطرين سوى لقول إنهم هزموك وذلك يعني أن بوسعهم إسقاط الدعوى. وهذا ما يمكن أن تسميه هيئة مستقلة، فهم غير مضطرين للعودة دوماً إلى مرجعيات أعلى منهم إلا في حالة تجريد رجل سلطة من صلاحياته. في الواقع من مصلحتنا أن تدّعي الإيمان بالله الكلي القدرة. لا يهم أي إله قدير، ولا حتى أن تدعي إيماناً في أكثر من إله — تكفي آلهة محليّة القدرة.

– هيه، ألّي، خلّصنا إن رأسي يؤلمني.

– آه لكن عليك الاستمرار. هذه خدعة قديمة. إنني أدرّبك، إذ يجب أن تستعد لماراتونات ذهنية. سيحشون رأسك بأحاج ولغو وصيغ منطقية غامضة. وهكذا يجب أن تتهيأ لها. لذلك أردتُ غسل صحونك، إنها مجرد عادة، تقوم بنشاط جسدي لتنشط دماغك؛ تتنشط فعلاً، مما يجعل الكريات الحمر في نشاط مستمر يساعد على تدفق الدم يا سامي، تتخلص من الأوكسجين المُكربن، وتشعر بمزيد من الحيوية، هيّا أنا شخص أناني ولذلك سأشاركك بكوب شاي آخر.

نزل ألّي عن الاسكمبلة: تعال هنا أنا أجلس على الاسكمبلة الوحيدة وأنت تقف وهكذا عملياً لا يصل الدم إلى رأسك. لا تستغرب فأنت تقاتل!

سمع الغلاية تملأ بالماء وتوصل بالكهرباء. ومن ثم جريان الماء الساخن من الصنبور.

اجلس دقيقة؛ إنها غلطتي أنني أيقظتك باكراً جداً. ما زلت متعباً إيه؟

انظر يا صاحبي.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

بعد ذلك سندخل غرفة المعيشة، تغيير المشهد يفيد أحياناً بمعالجة تدنّي التركيز. هذا الشخص الذي شاركني الزنزانة ذات مرة في السجن، علمني أشياء كثيرة عن الدماغ وكيف ننشطه.

– ظننتك في عجلة من أمرك؟

كنت لكني منحت نفسي وقتاً إضافياً، إننا نتقدم في الجدوّلة، تعرف لم أكن أتوقع أن نسير بهذه السرعة؛ ذلك لأنك كنت تتابعني جيداً – تجربة السجن القديمة تلك تساعدنا. هيه، انتظر يا سامي حتى تقابل جمم الشعر المستعار[1] في مؤسسة قضاء البوليس! لا أمازحك، سترى شيئاً مضحكاً قليلاً. الأمر مختلف عما تراه في المحاكم العادية. سترى ذلك الهراء المؤثر إذ يريحونك ويقدمون لك الشاي والبسكويت ويخاطبونك عادة باسمك الأول. دعهم يفعلون ذلك. ويبتسمون كثيراً، أيضاً. خصوصاً الموظفون الطبيون. الموظفون القضائيون يغضبون منك قليلاً، تستشعر ذلك من نبرة صوتهم، لكن لا تخف منهم. أقصد أن سلوكهم غير عدواني، عموماً. لن تجد أية بزّة رسمية في كل المبنى ولا حتى مسؤول الأمن على الباب الرئيسي.

– نعم حسن مادامت البزات الرسمية لا تتكلم فلا يزعجني الأمر.

– تمام نعم... قهقه ألّي. تمام كنت تخبرني عن صديقتك الطيبة واليوم المغلق على ذاكرتك والذي يجب أن تتحدث عنه، إيه؟

– تنهد سامي.

– هيّا. لم يبق لي وقت طويل.

---

[1] ـ جمم الشعر المستعار: هي ما يضعه القضاة على رؤوسهم في إنكلترا ، ومازال هذا التقليد الخاص قائماً حتى اليوم.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– انظر، الشيء الذي أستطيع إخبارك عنه هو المشروب الذي تناولته في ذلك اليوم المغلق على ذاكرتي؛ إن حدث لك ذلك فهذا يعني أنك أسرفت بالشرب، تعرف ما أقصد، أنك شربت كثيراً وأنك قد تعتعك السكر، وهكذا يمكن أن تفعل كل شيء، أقصد تفسد كل شيء. وأنا نسيت كل شيء. ولا إمكانية للتنبؤ بأي شيء.

– ولا أي شيء؟

– حسن. نعم، أقصد إلى حد ما.

– مممم. ذلك شيء سيّء. انسه.

– آو، أقصد أنه من أجل معلوماتك الخاصة.

– أتعرف يا سامي ماذا يعني السبب الوجيه وخلفياته غير واضحة الإسناد؟

– أقول لك لذلك فقط من أجل معلوماتك الخاصة.

– الآن فهمت لماذا لم يهتموا كثيراً ليوم السبت ذلك، لأنه كرتهم الرابح، مع اعتبار أنك بطريقة أو بأخرى تتساءل لماذا لم يهتموا ولا حتى بك أنت. ذلك ما يجب أن تفكر فيه بالفطرة، كيف اتفق أنهم يهتمون بك، أقصد كان بوسعهم إبقاؤك في السجن ويخلصون منك: أنت معي؟ أنا لا أريد إحباطك.

– أنت لا تحبطني، ولست غافلاً عن هذا الأمر.

– تعرف هذا يعني أن صديقتك أصبحت ذات أهمية مضاعفة. ذلك ما قالته زوجتي. تلك كانت فكرتها الأولى. أنا سعيد جداً أنك حدثتني عن يوم السبت، شكراً، كان بعض الموكلين سيخفون تلك المعلومات وذلك أمر سيء. ربما نستطيع تجاوزه لكنه يحتاج لعمل، يحتاج لتقص وتدقيق. وكونك أخبرتني فعلى الأقل لن يفاجئوني به. ماذا عن صديقتك؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– ماذا تقصد؟

– هل عرفت عنها شيئاً؟

– لا. كيف أستطيع بحق الجحيم. لا أستطيع أن أعرف فأنا مخوزق، أنا مخوزق فعلاً، ويبدو أن لا أحد يصدقني أشعر كأنني مهرج وضيع!

– خذ، لقد أوقعت سيجارتك...

مد سامي يده. أخرج ولاعته. لقد تيبّس كتفاه. كانت السيجارة رطبة.

– تذكر ما كنت أقوله عن اللغة يا سامي، كيف أنه من الأفضل أن تنتبه إليها. تمام؟ إذا سمعتك جيداً فقد كنت تقول إنه كان عادياً بالنسبة لها أن تغيب؟

– ماذا... لا ليس عادياً على الإطلاق. ليس عادياً على الإطلاق. كانت تخرج لمدة يومين من حين لآخر، تمام؟ تزور عائلتها وهلم جرا– أقصد أنك تحب ذلك إيه، بحق الجحيم... كونها امرأة وهلم جرا... هز سامي رأسه، وضع السيجارة بين شفتيه، مازالت رطبة أخرجها ثانية.

– تقصد أنك قلق عليها؟

– طبعاً أنا متخوزق قلق عليها.

– تمام... تمام... مممم

– هتف سامي. كان يلف سيجارة جديدة. قال، " لماذا سجنت يا ألي؟"

– بسبب الروتين.

– ماذا يعني ذلك؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– يعني ما أقول، الروتين.

– هذا ليس جواباً.

– حسن إن كنت تريد معرفة ما حدث حقيقة سأطلعك على ملفي كله.

– نعم، عظيم، لن أمانع.

– بالنسبة ليوم السبت المغلق على الذاكرة الآن...

– ماذا عنه؟

– لا نحن واضحان جداً، لا تهمني التفاصيل التي أعطيتها لإدارة البوليس بقدر ما تهمني التي سنقولها أنا وأنت، أنت معي؟

في الواقع، لا.

حسن إذا أراد الشباب في النيابة أن يدققوا في تفاصيل يوم السبت عندئذٍ يجب أن تجيب على أسئلتهم. ثم نحن لا نريد أن نجد أنفسنا في موقع حيث كل ما يسعني قوله، اعتذر لسيادتكم لأن موكلي لا يستطيع تذكر أي شيء عن يوم السبت، على الإطلاق، لكنه يريد أن يعترف أنه نسي كل شيء ولا يمكنه تذكره إيه؟ تعرف أنني أثق فيك ولا أعتقد ولو لدقيقة واحدة أن شيئاً سيئاً قد حصل لصديقتك، أو إن حصل أيضاً فلست أنت المسؤول عنه.

...–

– بصدق يا سامي أنا أعني ما أقوله الآن. آمل أن تصدقني.

– من قال لك إننا تشاجرنا شجاراً سيئاً؟ من قال لك ذلك؟

– قمت بتحرياتي الخاصة.

– مع من؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– لي مصادري

– هل تقصد البوليس؟

– قهقه ألي.

– هز سامي كتفيه : أجب على السؤال.

– أنت سخيف.

– أنا قحب سخيف.

– أو أنك قليل الإيمان.

– أقصد إن كنت تعمل لصالحهم، فذلك لا يقلقني، تعرف ما أقصد ذلك لا يقلقني، فأنا معتاد على ذلك – هناك مشكلة واحدة فقط، إن كنت كذلك، إن كنت تعمل معهم، فسوف أشق رأسك اللعينة هذه.

– المشكلة فيما تقوله أنه إضاعة للوقت. تبسم سامي. أنت لست خائفاً.

– وما الذي أخاف منه؟

–...

– بالمناسبة لم تخبرني، قط، أن في الأمر قضية سياسية.

– لا يوجد سياسة.

– تنهد ألي.

– كلا ما لم تقصد شخصاً كنت أعرفه.

– حسن ذلك ما يتحدثون عنه.

هتف سامي. ما كنت أفكر أن لذلك صلة، وإلا لما أقمت الدعوى

– أنا الذي يقيم الدعوى، يا سامي.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– انظر لقد قابلت شخصين عندما كنت في الحانة وتبين أن الجنود كانوا يراقبون أحدهما. يقولون إنه كان صديقاً قديماً لي. لا أستطيع أن أتذكر أنني قابلته؛ هم يقولون إنني قابلته.

– لا تتذكر أي شيء؟

– ألّي... هوّن عليك.

– حسنٌ. هل تتحدث عن شارلي بار؟

– هم يتحدثون عنه، لا أنا.

– هل أنتما رفيقان؟ صديقان حميمان؟ ماذا؟

– كنا معاً عندما كنا صغيرين، لأن والدينا كانا صديقين.

– سياسيين؟

– سياسيان، أو أياً يكن، لا أعرف، كانا معاً في الاتحاد نفسه، وكنت حينها ولداً.

– هل فوجئت بأنهم كانوا يراقبونه؟

– هل فوجئت أنت؟

– يمكنك الاتصال به؟

– بطريقة أو بأخرى، نعم أعتقد ذلك، لو أردت، لكنني لا أريد، ليس لدي الدافع.

– ولا حتى لتقول له إنه مراقب؟

– تبسم سامي.

– أتمانع أن أتصل به؟

– إن كان الأمر يتعلق بي.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– هل هذا المكان خاضع للتنصت؟

– محتمل.

–أنا لست وقحاً لكن اسمح لي أن أسألك هل أنت مصاب بجنون الاضطهاد؟

– ربما.

– ما علينا متى ستذهب لتسجل في المؤسسة الخيرية إذن؟

– هذا شأني أنا. فيما بعد.

لكنك ستذهب؟

طبعاً.

– لأنك إن لم تذهب سينعكس ذلك عليك بالسوء. لا يسعنا احتمال خروقات أكثر. أتفهمني؟

– إي.

– جيد أنك قبلتني وكيلاً عنك يا سامي لأن مزاجك سيّء. والناس سيئوا المزاج هم بالضبط ما يريدهم الطبيب، خصوصاً إن كانت السلطات معنية بالأمر.

– هل تلك حقيقة؟

– نعم هم الذين يصدرون الأوامر. تعرف أستطيع أن أدخل هناك واحضر قضية تقوم على مبادئ عامة للعمل والسلوك وذلك النوع من الأشياء، كيف نتوقع أن تجري أمور معينة فيما يقال لنا إنه الأسلوب الوافي بالغرض. بوسعي معالجتها، ليست مشكلة. المشكلة هي أنها لا تساعد كثيراً على النجاح حتى إن ربحت– وهذه حقيقة غير اعتيادية–عندئذٍ تربح بادعاءات كاذبة. تربح وما كان يجب أن تربح.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يقتنع بعض الناس بذلك لأنه نصر لكن ذلك في النهاية يعني أن السلطات كانت كسولة، وتلك علامة سيئة. لا بل يمكن أن تسبب انقسامات فيها وذلك، في النهاية، يعني نتيجة سيئة بالنسبة لنا. قد تعتقد أنها ستكون أفضل لنا لكنها ليست كذلك. ذلك يجعلك أكثر حذراً في المستقبل. الأفضل أن تهدهدهم في جو من الأمان الكاذب. الطريقة الأخرى هي أن أعتمد في القضية على ظروف استثنائية، لكنني لا أستطيع فعل ذلك إلا عندما أعرف ما هي هذه الظروف. يجب أن يكون ما تخفيه عني غير مهم، لكن في الحقيقة إن إخفاءك له يجعل من المستحيل تبيّنه. ولا أحب أيضاً الترافع عن قضايا اعتماداً على شرط استثنائي. على أية حال، كل قضية هي فريدة بحد ذاتها لذلك من الأفضل عدم تعميمها— بالمناسبة لا أتكلم هنا على المبادئ. ما أقوله: إن ربحت بمعزل عن الاستثنائي، عندئذٍ تكون قد توافرت لك الفرصة لتثبيت العام، ذلك هو هدفك.

تبسم سامي

– الأفضل أن تكون جاداً يا سامي لقد كبرنا إلى حد ما على التصرفات الصبيانية، يجب أن أقول إنك كبرت على ذلك.

– تعتقد أنني لا أبالي بشيء؟ إيه؟

– كان يجب أن أقول بخصوص السياسة، إنها شيء آخر، ما يمكن تسميته بالمتغيّر، لا تستطيع التنبؤ كيف سيتعامل معها القضاة. نعم الأفضل أن نهتم بقضايا أساسية. يمكن أن تجعلهم السياسة يتجاوزون اللوائح، خصوصاً إن استطاعوا إدخال كلمة " عنف " وليسوا مضطرين لإثبات وجود الاختلاف. يجب أن تفهم القانون، فقد وُضِع القانون ليُطبّق علينا نحن لا عليهم، فهم الذين وضعوه.

– لا يهمني ذلك.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– ما دمنا متفقين على الخطوط الأساسية، لا يفيد التظاهر بالجهل والاعتماد عليه لننجو. حتى لو كنت لا تعرف شيئاً، يبقى أنك لا تستطيع الاعتماد على الجهل. ورغم أن معظم الناس يفضلون البقاء جاهلين على أمل أن يخلصهم ذلك من المتاعب، لكنه سلوك غلط. لقد سجنت وهكذا يفترض بك أن تكون رجلاً خبيراً بالحياة. أعتقد أنك إذا وقعت في مشكلة يمكن أن يكون ذلك لأنك لا تصغي؛ هذه ليست وقاحة، أقول لك ذلك لأنني تحركت الآن وأنت تقف هناك ولم تنتبه. سأقول لك بصراحة، ولا تأخذ قولي على محمل شخصي، لو لم تكن أعمى لتوقعت منك الكثير. أنت معاق بفقدانك العمل لكن هذه حالة كثير من الناس. لنكن واضحين: كم مضى من الزمن على عماك الآن؟

– ألّي أنت لا تعرف عما تتكلم.

أنا فقط أضع نفسي مكانك وأحاول تخيّل الأمر كيف يكون. لكنّنا جميعاً لدينا مشاكل؛ بعضنا مشاكله أسوأ، لكن السؤال: أين تهرب من ذلك.

– الوقت الذي أضعته يا صاحبي كنت تلعب فيه لعبة الاستفزاز، تعرف ما أقصد، استفزاز، سلوك استفزازي.

بالنسبة للحياة يا سامي، إنها سلسلة من الحواجز والقفزات وما يمكن أن تسميه حُفراً عميقة مموهة. والعمى، عندما تصاب به، هو حفرة عميقة، لكن هذه حفرة بعد لا قبل، وهكذا تكون قفزة.

كان سامي على وشك أن يبتسم لكنه امتنع. قال: لماذا تستفزني؟

– أنا لا أستفزك، بل أنت تغضبني أحياناً. أنت مستعد للشجار دوماً.

تبسم سامي

– تعرف ما أقصد. حسن... أظن هذا ما يستفزني، وذلك لا يمكن أن يكون سيئاً لأنه يدفعني إلى العمل. على الأقل أنت لا تثير الشفقة. بعكس الكثيرين من موكلي، مع احترامي لهم. فأنا لست وقحاً، وأنا

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

هنا أوَصِّفُ الحالة فقط، وتلك الكلمة الوحيدة المناسبة لذلك. تعرف لا أستطيع أن أهتم بالمنتحرين والميتات المفاجئة قبل أوانها—إنها تزعجني كثيراً— تراهم يسببون المشاكل في البيت لأتفه سبب، في بيتي كما في بيتك. والآن هل لديك كاميرا؟ إيه، لا؟ ارفع قميصك القطني قليلاً. إيه؟

– هل تعرف نسبة عدد المنتحرين من الناس الساخطين؟

– لا وقت لهذا يا سامي، أريد أن أرى الكدمات. قلت إنك تعرضت للضرب فأرني ما بقي من آثاره.

هز سامي رأسه ورفع قميصه.

لقد اعتدت كثيراً على المجادلات، تمتم ألّي لنفسه: لقد نسيت أن تعاين الشخص، يمكن أن تكون سيئاً مثلهم. هل استخدم عبارة 'كدمات متوسطة الخطورة'؟ أقصد الطبيب.

– لا.

– كيف تنفسك؟ صعب قليلاً؟

– نعم.

– هل عانيت أية مشاكل صدرية؟ مشاكل في رئتيك؟ أقصد فيما مضى.

– أحياناً.

– هل سألك الطبيب عن ذلك؟

– لا أتذكر.

– هل سألك عن تاريخ عملك؟

– لا.

– ما هي الأعمال التي قمت بها؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– لا.

– هل فحص أضلاعك إن كانت مكسورة؟

– لا أعرف

– هل فحصت نفسك؟

– قليلاً.

– ماذا عن ظهرك؟

– لا.

– سأضغط على أضلاعك الآن فلا تجفل إن كانت يدي باردة.

– أخذ سامي نفساً عميقاً.

– دع تنفسك طبيعياً... إن آلمك أحدها فأخبرني.

– قليلاً. أقصد نعم آلمني قليلاً.

– مممّ. هل استخدم السماعة؟

– نعم، أعتقد ذلك.

– هل اقتنيت ببغاءً استرالياً، من قبل؟

– ماذا؟

– هذا سؤال يُستخدم كاستدلال شكلي يا سامي. دع تنفسك طبيعياً. كم وسادة تستخدم للنوم؟

– هذا يتوقف على، إن كانت هيلين موجودة، فهي تفضل استخدام وسادتين، لكن إن كنت وحدي فأنام على واحدة.

– هل تترك النافذة مفتوحة في أثناء النوم؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– أحياناً.

تعرف إن لوغان شخص مخادع، قلت لك ذلك من قبل، تتذكر، كان تقريرك الطبي أمامه وهكذا سيعرف من صور الأشعة كل شيء، إضافة إلى اختبار وظائف الرئتين. هل أُصبت بذات الرئة أو السل؟

– لا، لا أعتقد.

تعرف يحتمل أن يبقى هنا ندبات وذلك يمكن أن يساعد في الدعوى مستقبلاً– لا أتكلم على عينيك بل عن رئتيك إن تليّفتا. عجوز سافل مخادع لم يتعامل مع الأمر بجديّة قط. وبذلك استطاع أن يفقدك أعصابك ويوصلك إلى الذروة المناسبة لتشخيص عوارض قلق مفرط. الناس سيئوا الأمزجة يشكلون خطراً على أجهزتهم التنفسية يا سامي: أكنت تعرف ذلك؟ تعرف–لا... لا يهم، رغم أنه طبعاً... مممم، تمام، جيد. كنت تعمل في تجارة البناء يا سامي إيه؟

نعم.

بعد أن قال لوغان ذلك أدرك أخطاءه، فهو مازال المعتمد الصحي لجمعية خدمات العمل لأن هذه الأمور ليست مهنية إلا ربما إن كنت شاباً عاملاً متخرجاً من المدارس الحكومية! قهقه ألي، أتكلم على الاتحاد. تعرف، أحد أقارب زوجتي البعيدين طبيب، وهو طبيب جيِّد كما عرفته. نحن متخاصمون هذه الأيام، إنه مهووس مناصب ونحن لسنا من أصحابها. جرت العادة سابقاً أن يعيرني بعض الكتب لكننا على طرفي نقيض الآن. ماذا عن كليتك؟ تمام؟

هز سامي كتفيه.

– حسن لو كانتا سيئتين كنت ستعرف. جيد، ذلك كل شيء الآن أنزل قميصك.

– تعرف مهنتك يا صاحبي إيه!

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

تنهد ألي. حسن لنقل، لو لم أكن أعرفها لما قبلتني للتوكل عنك؛ لا شيء أسوأ من أن تختار شخصاً تافهاً للتوكل عنك وأنت تعرف أكثر منه. الآن الكاميرا ضرورية هنا، يسرني أن أخبرك أن بعض الدلائل لا زالت موجودة. أردت إحضارها معي هذا الصباح لكنني نسيت لذلك سنحضرها في وقت متأخر هذه الليلة – لهذا لا خروج إلى الحانة!

–...

لا تفقد حس دعابتك يا سامي. لا أستطيع المجيء مبكراً فهذه ليلة مزدحمة في المجَمَع القضائي، مزدحمة مثل يوم الخميس تقريباً؛ فالتشريعات الجديدة من كل الأنواع تصدر اليوم، إضافة إلى أن المجَمَع سيكون مكتظاً بمتصيدي الزبائن والمخبرين والجواسيس–كما سميتهم أنت–لذلك عليك أن تعمل بذكاء. لكننا سنلتقط الصور بطريقة أو بأخرى: إن لم أستطع القيام بذلك بنفسي فسأرسل شخصاً ما.

– إيه

– لأن تلك هي مشكلة الأدلّة الظاهرية، تختفي بسرعة. لماذا تظن الطبيب وصف لك المرهم؟

– نعم...

– لذلك إن لم أستطع الحضور، سأرسل شخصاً ما ليصوِّر آثار الكدمات. لا تقلق، تستطيع الوثوق فيه.

– هز سامي كتفيه.

– اصبر وتحمل. يؤسفني أنه غير مسموح لنا الحصول على صور أشعة.

– هز سامي رأسه.

– لقد كنت مضحكاً.

– تمام...

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– أنا انتهيت، سأذهب.

– إيه

– سؤال أخير قبل أن أذهب ولا تأخذه على محمل شخصي: أتظنها ستعود؟ صديقتك؟

– نعم.

– كيف؟

– لأن.

لأن ماذا؟

– لأن لا شيء.

حسن يا سامي ذلك مقبول في العلاقات، وأساسي مادام كل شيء ممكناً تفهمني الآن أنا لست صانع معجزات ولست عرّافاً؛ لا أملك كرة كريستال سحرية ولا أُخرِجُ أرانب من القبعات.

–...

– كان عليَّ أن أبدأ عملي بشكل دقيق. أنا الآن عند الباب.

– عبس سامي، شد قبضتيه، وأرخاهما، بعدئذٍ نزل عن الإسكمبلة.

– أنا عند الباب.

– استدار سامي.

– سأخرج.

كان سامي يمشي قدماً، متلمساً طريقه إلى الباب. سمع ألي يدير القفل طقتين ومن ثم فتح الباب الخارجي.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– أراك فيما بعد إلى اللقاء!

– انتظر دقيقة...

– لا وقت لدي.

انغلق الباب الخارجي. وصل سامي إلى الباب ووقف بقربه. بدأ يعبث بالشعر تحت ذقنه، بعدئذٍ عاد إلى المطبخ. أمسك الغلاية ليضع فيها المزيد من الماء لكنها لا تزال مليئة والماء ساخن. الصحون نظيفة على لوح التجفيف وكذلك القدور والسكاكين والشوك. كانت مساعدة جيدة من ألي.

هناك أشياء أخرى يجب فعلها، الآن مباشرة، لكنه متعب قليلاً. ربما سيتناول قهوة إضافية. قفل الباب طقتين. عاد ووقف قرب المجلى بانتظار أن يغلي الماء. سيكون ألي الآن يخرج من المبنى. ينزل ويعبر الساحة المبلطة، يمر بالحوانيت، من ثم إلى مكان ما، سيذهب إلى مكان ما. تساءلت أين سيذهب.

غلى الماء. أخذ فنجان القهوة إلى غرفة المعيشة وجلس على الأريكة. جلس فترة طويلة قبل أن يتذكر أن باستطاعته سماع الراديو أو المسجلة وحالما تذكر طارت الفكرة من رأسه، فيما بعد تذكرها ثانية لكن لسبب ما أشعل التلفزيون. وبعد دقائق عدة أطفأه، جلس وعيناه مغمضتان. يستطيع النوم لساعتين. كان أمامه يوم طويل وهو بحاجة لكل قواه، ربما بوسعه أن يغفو على الأريكة، فهو عليها الآن، وهي مريحة، وهذا الصمت أيضاً، لا تُسمعُ فيه حتى تكة ساعة، لا فائدة من إعادة تشغيل الساعة، كلا ما لم يستطع أن يجد طريقة ما لعدِّ تكاتها التكة التي بدأت بها وتلك التي انتهت بها، إنها عديمة الجدوى فكل التكات متشابهة، لم تكن فكرة عملية، إنها فكرة غبية ومحبطة أيضاً لأن كل ما فعلته أنها ذكرتك بالحالة التي كنت فيها، قصدت إن لم تكن من أجل تكتكتها في أذنيك فلن

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يكون هناك أي صوت أبداً، وستكون مثل جذع علوي؛ مجرد جذع علوي ؛ بوسعك تخيّل ذلك، وستكون المشكلة الرئيسية مع الطعام وكيف تبلعه، إضافة إلى عمليات الجسم الأخرى، الاغتسال، الذهاب إلى المرحاض، لأنك ستبقى مضطراً للتبول وهكذا فتلك مشكلة، ماذا ستفعل في هذه الحالة، ستضطر لاستخدام حفاضة؛ ثم إن لم يكن لك يدان، فكيف ستلبسها، ستكون مضطراً للاعتماد على الآخرين من جديد، إضافة إلى إطعامك، سيكون الأمر بيدهم، وربما سيعاملونك كشحاذ، يعطونك خيمة أمام دكان بطاطا مقلية؛ مجرد هذا الجسد، هذا الجذع، على محفة صغيرة مثل تلك المرأة العجوز التي رأيتها مرّة تجر نفسها، تدفع نفسها إلى الأمام، ضاربة الأرض بكلتا يديها، لتدفع المحفة إلى الأمام. الشيء الوحيد الذي ستقلق بشأنه هو أن تبقى حياً، لكن ذهنك سيبقى يقلقك لأنه سيبقى موجوداً وهكذا ستكون مجبراً على التفكير بالحالة التي كنت فيها وهكذا ستنتهي بالبحث عن طريقة تموت بها، لكن تلك ستكون مشكلة أيضاً لأنك لن تستطيع فعل شيء، سوى أن تدحرج نفسك على الطريق الرئيسية كي يدهسك باص، أو أن تُميتَ نفسك جوعاً، أو تخنق نفسك مثل ذلك الفتى الذي قرأ عنه سامي؛ قرأ عنه أم أنه كان شخصاً عرفه في السجن؟ ربما كان شخصاً عرفه في السجن، وقد نجح بخنق نفسه وتلك كانت النهاية الفظيعة؛ إذاً، حتى بالجذع العلوي تبقى قادراً على قتل نفسك إن أردت، ستجد الطرق المناسبة، طرقاً معروفة لمن يعيشون ذلك الظرف الاستثنائي؛ طرقاً لا يعرفها الشخص الطبيعي لأنه لن يعرف— الظرف، لا أحد يعرفه إلا أنت والذين كانوا يشكلون مجتمعك— المساعد والذين كنت تحصل منهم على الدعم لمجموعاتك المؤازرة، أي أعضاء البرلمان، الأسماء الشهيرة، أو مهما كانوا. لن يعرف احتمالاتك إلا أنت ومن يشبهونك، العاجزون كلياً؛ إلا أنك لن تكون عاجزاً كلياً بل ستكون ميتاً أيضاً، وهكذا لا بد أن تكون عاجزاً كلياً على الأغلب؛ ستجتمع جماعتك لتناقش الأمر في غرفة

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

اجتماعاتك. يحسّنون ظرفك المعيشي، مستوى حياتك، يناشدون باسمك البرلمان ومجلس المدينة ويرسلون ممثليك إلى بروكسل رغم أنك ستضطر لإرسال هذا السافل إن كان جِدْعاً، إلا إن كنت غير قادر على الكلام والرؤية فكيف تستطيع عندئذٍ التعبير عن طلباتك للبرلمانيين الأجانب! حتى ذلك النقاش الصغير مع أعضاء البرلمان، ستكون جماعتك متخوزقة، حتى إنهم لن يعرفوا أنك موجود، إلا بإصغائهم للأصوات، أصوات المشاجرات والتنفيخ والإهناف والتمتمة، أصوات العطس والسعال، التي لن تسمعها إن كنت أصماً. ستحتاج عندئذٍ لمن يسمع ويترجم لك، لمن يمثلك، يمثل مصالحك، إلا إن كنت غير قادر على إبلاغهم طلباتك عندئذٍ سيضطرون لتخمين ما الذي تريده، فإن أردت شيئاً ما، عليهم أن يخمنوه.

ظن أنه سمع صوتاً. ربما كان صوتاً. إنه على وشك أن يغادر الآن على أية حال، يجب أن يغادر. لكن ماذا عن نقود الحوالة؟ ليست مشكلة، عليه أن يهرب، وإلا فسوف يُسحق، لأنه كان محاصراً تماماً، نعم، كان محاصراً تماماً، لقد حسم الأمر، وهكذا فالسؤال هو متى، متى يفعلها، متى يغادر، لأنه كان يجب أن يغادر، ولهذا كان سيهرب لأنه مضطر. كان سيحزم ما يستطيع. إضافة إلى القمصان، بعضها فقط، ما تتسع له الحقيبة، فهناك العصا التي تحتاج يداً فارغة. المشكلة أنه كان متعباً، كان متعباً، كيف اتفق أنه كان متعباً هكذا؟ كم كان متعباً يا رجل، متعباً جداً، لقد ملأ التعب رأسك، وعقلك، حتى أنه يهيمن عليك. ثم لقد تأخر الزمن، لم يساعده الزمن، يا يسوع لم يساعده. ظننت أنه سيساعدك لكنه لم يساعدك، في الحقيقة، لا، لم يساعدك، حتى عندما يصادف أنه لا يتأخر، أقصد الزمن، وتكون غير مستعدٍ، عندما تكون متعباً ومستنزفاً من كل براعتك، حتى عندئذٍ...

الغريب جداً أنك لا تذكر أي شيء آخر، والغريب جداً هو كيف تفسد الأمور دائماً، نعم يمكن أن تفعل ذلك، ذلك هو الأساس، كيف

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

تجد الطريقة إلى ذلك، لقد أدركت هيلين ذلك، وجدتها، وجدت الطريقة. ذلك ما رأته ببساطة لعينة، رأته مثلما ترى الأنف في وجهك. لقد رأت هيلين ما في رأسه. غريب كيف يفعل الناس ذلك؟ أناس من كل الأنواع، يرون ما في رأسك. لقد انتهيت إلى لا مكان تذهب إليه.

حُشِرت في الزاوية، حوصرت فيها مكشوفاً، وكنت منهكاً، لا تريد أن تكون محاصراً هناك ومكشوفاً، لكن بحق الجحيم أية مخاطرة خاطرت يا رجل فأنت في مأزق، عالق في مشكلة لعينة يا رجل، إنها خراء عميق، تعرف ما أقصد، بحق الجحيم، ماذا تفعل، ماذا تتخوزق تفعل! تتحرك. نعم، تتحرك، تتخلص من علاقتك اللعينة، من زحافتك.

اهرب يا رجل تعرف ما أقصد اهرب، اذهب، انقلع، اختفِ— إنها حقيقة مُرّة، هذه المرة. سامي، زوجك لقد انتهى. تعرف؟ لقد انتهيت ولا عودة إلى الوراء. لا توقف لترى ما حدث. هل ستعود إلى البيت؟ بحق المسيح! ما الفائدة من ذلك يا رجل؟ لا فائدة، لا فائدة منه، تشترك أم تنسحب، وُضِعَتْ النقود على الطاولة ووُزِّعَ الكرت الأخير؛ العبها ضربة ضربة، من الواضح، أن لا فائدة لأنك هذه المرة أفسدت الأمور فعلاً. كان كل شيء وقفاً على الكرت الأخير وقد تبين أنه، وكل شيء، هناك في يد أخرى وهكذا انقلع من هنا واذهب إلى الجحيم، تكتف، فكل ما لديك مكشوفٌ، خراء، فالكرت هناك، ومكشوف تماماً يا رجل أرجع يدك، أنت خارج اللعبة، تمام؟ تمام.

جاكي العجوز

هذه المرة قد تكون آخر مرة.

النافذة، فتح سامي النافذة وتنفس بعمق، هناك ريح ومطر غزير. الوقت غير مناسب ليبدأ رحلته. تتخبط أيضاً، تتخبط. ذلك ما

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تفعله. ماذا هناك بعد يا رجل، تعرف ما أقصد ماذا هناك بعد؟ ذكري في معدلات الانتحار والإحصاءات، لم يكن سامي ذلك السافل الساخط وتلك إحدى ميزاته. تعرف ماذا كان يريد؟ علبة بيرة ممتازة. نعم لا ضير في ذلك. كان ظمآن. تعرف ما يعني أنه كان ظمآن. إلى الجحيم بقهوتك وشايك وحليبك التافه؛ هذا إن كنت محظوظاً كفاية لتحصل على هذه المواد اللعينة، تعرف ما أقصد يا رجل. إضافة أن لا تبغ لديه.

صحيح. تناول علبة التبغ؛ بالكاد فيها ما يكفي لفافة واحدة. هكذا سيضطر أن يخرج ويشتري بعض التبغ، نصف أونصة أخرى، كان سيقلع عن التدخين بلا ريب لكن ليس هذا بالوقت المناسب لفعل ذلك بل عندما تكون رأسه صافية، عندما يكون قد غادر البيت في المرة القادمة، هو كذاك، عندما يكون خارجاً، عندما يهرب.

وهكذا نلت ما تريد. تمام إذن. ذلك كل شيء الآن، ها أنت ذا في الهواء الطلق. الخراء في نهايته. تتخذ قرارك، مهما يكن، مهما يكن ما تقرره، ماذا ستفعل، ماذا قررت أن تفعل.

أصدر سامي عنيناً غريباً ووضع إصبعيه في أذنيه، أرجح ساقيه فوق الأريكة وتمطط.

على أية حال، هناك شيء واحد مؤكدٌ وهو أنهم سيجدونها، سيجدونها الآن. لا بد أنهم خرجوا الآن وسيجدونها. ويجب أن يجدوها. على الأقل سيعرف الموضوع. أي لغز، إن كان هناك لغز— أقصد ذلك هو عملهم التافه يا رجل حل الألغاز التافهة.

صوت خشخشة. تبدو مثل خشخشة صندوق البريد. شخص يخشخش به، ربما الجنود السفلة، أو مدمن سافل طائش الرأس.

تبسم سامي، نهض وصاح: مرحباً يا أحمق يا سافل! كيف حالك في هذا الصباح المشرق الباكر! هل عصفورتك الصغيرة تزقزق! ضحك.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

بعدئذٍ انقلب على جنبه، مواجهاً مسند الأريكة ورأسه تتوسد ذراعه. كانت ضحكة مكبوتة أكثر منها ضحكة — في الواقع لم تكن قريبة من الضحك؛ حتى إنها لم تكن ضحكة مكبوتة بل عويلا فظيعاً، كانت عويلاً، ذلك ما انحدر إليه يا رجل، العويل. إلى الجحيم بالعويل أيضاً، على الأقل هو حيٌّ. كان بوسعه فعل ما يريد. بقدر ما يسرع. لكن عندما تقول سرعة يجب أن تخطط أيضاً، لا فائدة من الانطلاق بسرعة محاولاً تجنب المخاطر فحسب.

تمام إذن، طبعاً لم تكن الأمور جيدة جداً لكن أقصد أن كل ما تفعله هو أن تنطلق، تنطلق قُدُماً. جمعية خدمة العمل؛ كان سيذهب للحصول على موعد بمباشرة العمل سريعاً، سيرفعونه بالسطل إلى إحدى السقالات اللعينة، ويجعلونه يدفع عربة يد، سيرسلونه إلى حتفه، سفلة قذرون، كل شيء مباح في الحب والحرب. لأنه خلال فترة تعليق القضية يجب أن يتظاهر أنه كامل الجاهزية، شخص قادر. حتى يعاد تسجيله. لأنهم لن يعيدوا تسجيله عاجزاً، كان ذلك اعترافاً جيداً. هكذا، ها هو ذا يتخبط دائراً بين مواقع العمل اللعينة. لن تفعل ذلك، أنت تمزح! أناس مثل ألي، يجعلونك تبتسم، ينجحون حقيقة، لقد قابلهم سامي طوال سنوات عديدة، داخل السجن وخارجه. العب اللعبة واهزمهم؛ ذلك كان شعاره؛ اضرب ضربتك في الوقت المناسب. محامو فيلادلفيا. سفلة حمقى، تعرف ما أقصد يا رجل، النكتة نكتة، ما كان سامي ليدعي أنه يعرف أفضل، لأن ما يعرفه عرفه فقط من خلال تجارب مختلفة؛ من تجارب أولئك السفلة المتفائلين..

جدران طوب، جدران طوب.

كان يجب أن يكون سامي بنّاءً. كان يستطيع البناء دون مشقة، تعرف هناك بعض السفلة الذين عمل عندهم!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ربما إن تعافت العينان. نعم، إن ذهب إلى إنكلترا وغاب عن الأنظار واسترخى تماماً، ترك جسمه يتعافى، لو استطاع الحصول على بعض الوثائق الشخصية أيضاً. بعض النقود ستمكنه من ذلك. هناك عمل صغير كان بوسعه أن يجمع منه نقوداً إضافية، لذلك كان سيأخذ القمصان معه؛ وهذا ما فعله السافل الغبي تام أيضاً — لا تريد له الأذى، لكن تتساءل كيف تبين أنه قحب غبي! تمام. وهناك أشياء...

كلها طارت من رأسك. أين، أين تذهب؟ عالم أفكار وأحلام ضائعة و... الجحيم يعرف ماذا!

المسألة هي كيف تخنقك بروتوكولاتهم والإجراءات السخيفة، كلها مصممة لتمنعك من التنفس، لتطحنك، لتوقفك تماماً، لا يحق لك التجوال، لا يحق لك التنفس، لا يحق لك فتح فمك، يجب أن تقف في الصف ولا تتحرك. فقط تخوزق قف هناك حتى يُطلبُ منك شيءٌ آخر. هيه أنت سأخبرك متى تتحرك؛ تمام! ولا تدعني أراك حتى تتنفس يا كتلة العجين التافهة، ثلاثون ثانية ها قد مضى منها عشرون.

لم تكن هيلين تعرف، اعتقدت أنها تعرف لكنها لم تعرف. كانت مثل ألي. هكذا، ترى أنها لم تفكر كما كان يفكر زوجها؛ لقد فكرت مثلِ هذا الذي يتوكل عنه، تفهم ما أقول، ذلك هو الصدع، لقد فَكرتْ بطريقة مماثلة لطريقة وكيل سامي، وليس بطريقة سامي في التفكير.

أمرٍ غريب، يجب أن تعترف بذلك، تعترف به لنفسك، أنهم جميعاً ظنوه غبياً. نعم، لقد اعتقدوا ذلك. ليست مشكلة فهو الذي عاش التجربة كلها، وكان في نظرهم أحمق. نكتة ظريفة. أفرحتك، كانت تخفف عنك عندما تشعر بالإحباط، كلهم اعتبروك أحمقاً. لا بأس. لكن لو كان جاكي ميليغان سيدخل الباب في هذه اللحظة

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

ويقول: أتريد كسب بعض النقود؟ عندئذٍ سيقول سامي، نعم يا صاحبي لا مشكلة في ذلك، هذا سهل جداً، ولا تهم الاتجاهات: جنوباً، شمالاً، سوف يذهب سامي إلى أي مكان، ومن يبالي، لا ضير في ذلك؛ إلى الجحيم بكل شيء، تباً لهم جميعاً. أنت تريدني؟ حسن تعال وخذني!

طقطق رسغيه، كانا يؤلمانه. تمنى لو يستطيع رؤيتهما. ربما قد نام عليهما، لابد أنهما حمراوان أحمرين. حتى إنك لا تستطيع رؤية جسمك. آخر مرة رآه فيها! يا مسيح متى كانت آخر مرة رآه فيها؟ لم يستطع أن يتذكر. ماذا يهم. المهم هو أنه لا يستطع أن يراه الآن. نهض ووضع كاسيتاً في المسجلة.

جورج جونز، وماذا يعني، تباً له يا رجل.

صحيح لكن آخر مرة رأى جسمه كانت قبل أن ترحل هيلين، قبل أن يذهب ليسرق الجاكيتات الجلدية. في الحقيقة آخر مرة كانت عندما رآه في إحدى المرايا الطويلة في غرفة القياس في دكان الملابس اللعين ذاك! هناك يا رجل شاهد جسماً شاعري الحركة[1]

ليغ، لابد أنه لا يزال مرمياً في السجن، لم يكونوا مضطرين لإطلاق سراحه لذلك لن يفعلوا، لابد أنه لا زال مرمياً هناك، يتساءل من غدر به. سامي غدر به. حسن ذلك هو الهراء الذي سيحشون به رأسه. تمام. آخ لم يكن ذلك عدلاً أيضاً، تعرف ما أقصد. ليغ العجوز لم يكن مؤذياً يا رجل.

كانت الثقة مفقودة. ذلك هو السيئ في الأمر. وكان السلوك استفزازياً. عرف تام سامي منذ فترة طويلة تكفي ليعرفه جيداً. تلك

---

[1] - حركة شاعرية : وصف يُطلق على حركة راقصي الباليه .

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يجب أن تكون بديهة. لو استطاع أن يعطيه إشارة لأعطاه؛ نهاية القصة— ما كان يجب إخبار ليغ. لكن ها هي ذي النتيجة، تام هو الذي كان يصرّف البضاعة. كنت تضطر أحياناً للتساؤل عن ذكائه. كان أمراً تافهاً، لكن سامي فكر به من قبل. المعاملون واللصوص، تدفع نقودك فتنال مأربك.

كُفَّ عن هذه الأفكار التافهة. فقد كان تام شخصاً جيداً.

فرق تسد بالتأكيد. كان سامي يفكر بطريقة مماثلة لطريقة تشارلي، ويغضب منه وكأنه مسؤول عنها. لم تكن له علاقة بشيء قط. كان سامي هو من يقوم بكل شيء، كل شيء، حتى الكلمة الأخيرة، تعرف ما أقصد، كان القرار له وحده، سامي نفسه يا رجل هو الذي كان يقرر، لا أحد غيره، كل هذا الخراء المقرف، يا رجل، كان قراره هو وليس قرار أي سافل آخر، كان قراره هو.

هز سامي رأسه، قهقه. مذهل كيف خطرت لك هذه الأفكار في وحدتك، كم كان يمكن أن تغضب.

كانت صحيحة تماماً لكن، كيف انتهى بك المطاف إلى لوم كل السفلة عدا الذين يجب أن تلومهم. وكانت حركة لعينة أيضاً؛ فقد عرف الجنود كيف ينجحون، كيف يوصلونك إلى تلك الحالة. إنها مناورات مخططة مسبقاً، تفهم ما أقصد، هؤلاء السفلة القذرون، لا علاقة لتشارلي بالأمر. كان يجب أن تفكر بذلك. لو فكر أن هناك ما يجب أن يخبره لسامي لأخبره به... ببساطة.

هذا شأن سامي. عملٌ تفعله بنفسك. تُكشف الكروت، تراها، تراقب، تأخذ النقود. تخسر معظم الوقت. معظم الوقت.

بعدئذٍ المرات القليلة التي لا تخسر فيها، وهي التي تتطلع إليها. وكانت هذه إحداها. جعلتك تشعر بانشراح لا تستطيع وصفه، ذلك الكرت المُلقي على وجهه، عندما تعرفه عندما تعرفه يا رجل. تنسى أن تقدّر قوة كرت الخصم. ظن الجنود أنهم كشفوه لكنهم لم يكشفوه.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

حسن سيكون جميلاً أن ترى هيلين. فقط لتخبرها القصة. وهكذا سيرسل لها رسالة، عندما يستقر. وبعدئذٍ يكون القرار لها؛ إما أن تذهب معه أو لا تذهب. لا بأس بذلك. كان سيسلك الطريق الصحيح، سيخبرها كل الحقيقة ولا شيء سواها. لأن تلك كانت المشكلة. لم يستطع أن يشرح لها. حكى لها حكاية فأخطأت فهمها. من يعرف كيف تفكر النساء! هو لم يعرف. الشيء نفسه مع زوجته السابقة، كانت كارثة لعينة. لكنها لم تكن غلطته. يحاول الناس منعك، من فعل الأشياء. لا يسمحون لك أن تعيش. لكن يجب أن تعيش. وإن كنت لا تستطيع العيش فأنت ميت بالنتيجة. ماذا تستطيع فعله بعد؟ كان من الأفضل لو أخبرك أحد ما بالطريقة التي يفترض أن تعيش بها. لا يقولون لك ذلك ولا يملكون أيضاً إجابات على ذلك يا رجل، ليس على ذلك السؤال اللعين، تعرف ما أقول، يصمتون طويلاً، ذلك هو جوابهم، ذلك ما تحصل عليه. صمت طويل. كيف لا تعيش، ذلك كل ما يخبرونك به. إلى الجحيم بهم جميعاً. الخلاصة: أنت وحيد. نعم حسن فقد اعتاد سامي الوحدة، كان معتاداً عليها. بعض الأمور تبقى على حالها لا تتغير.

هم لا يتغيرون لكن، أنت، أنت يجب أن تتغير. ذلك هو الخطأ اللعين. أنت من يقرر. تمام إذن. لا بأس.

تحاصرني الوحدة

عندما لا تطوقني ذراعاك

عندما يكون الجميع قد ذهبوا وتبقى وحيداً. ذلك ما فكرت فيه عندما ذهبوا جميعاً، وتُركت وحيداً. ما يحدث عندئذٍ أنك تتحرك.

هكذا تمام. كان سامي الآن أعمىً تعيساً. أنت هناك، وصلت ذلك المستوى، فإلى الجحيم بكل شيءٍ، لأنه ماذا هناك أسوأ؟ لا شيء، لا

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

شيء على الإطلاق. لقد وصل سامي ذلك المستوى منذ فترة. لكن الأمر ليس بيده، ليس حتى الآن. تبسم. حظ فظيع. هذا هو وضعك أيضاً!

كان ينتظر انقطاع المطر. نهض عن الأريكة وسار إلى النافذة ليتأكد. كانت تمطر بغزارة. لكنه لم يسمعها، لأنه لم يكن مصغياً، كان مشغولاً جداً، مشغولاً جداً بالأفكار. إضافة إلى أنه سيحلق ذقنه. كانت تلك إحدى الأفكار. حتى لو قطع حنجرته ومات في المحاولة، سينظف تلك الذقن، سينظفها. لأنه عندما سيخرج من هنا ستكون رأسه مرفوعة عالياً سيكون حليق الذقن، سيكون نضراً وجديداً. سيلبس جوربا جديداً، ويا يسوع يا قادر، سيلبس أحد هذه القمصان الجديدة اللعينة. كان فخوراً، وقالها لنفسه: "أنا منتا.... فخور، وهكذا إلى الجحيم". كانت زمجرة أكثر منها "كلاماً". لكنها كانت جزءاً منه، جزءاً من الفخر. يا للجحيم! لكن هذا صحيح. تباً لكم أيها السفلة. لقد كان فخوراً. بماذا كان فخوراً؟ حتى الجحيم لا يعرف يا رجل، لكنه هو يعرف.

هكذا هذه هي حالك.

الأفضل أن يخرج بسرعة. بَرَدٌ، مطرٌ أو صحو؛ لا خيار أمامه؛ يحتاج طعاماً، رغيف خبز، قرص جبن، كان سيصنع سندويشاً زوادة الطريق؛ يجب أن يتنبه للنقود.

ذهب يبحث عن الخفافة.

سارت حياتك في طريق غريبة حقاً. نعم، وفظيعة أيضاً، حتى نقودك، لا تعرف كم تملك. اختلطت الأوراق النقدية. لذلك يجب أن تنتبه لذلك. المهم، على أية حال، أنه لن يلتقي تشارلي ثانية، لأنه لن يكون قادراً على أن يراه! ما لم يره تشارلي وذلك حسن.

سفلة مثل تشارلي لا يطلبون مساعدتك أبداً. نعم الأمر لك أنت لتقوم بذلك. "الكرت في يدك يا رجل هيا اكشفه." اعتاد تشارلي أن يقول هذا النوع من الهراء.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

كيف بحق الجحيم تخرج للتجوال إن لم يكن لديك حذاء يا رجل! تعرف ما أقصد، يا يسوع المسيح، إنها نكتة لعينة سيئة. الحذاء شيء حاسم، شيء حاسم إن أردت الخروج للتجوال. كثير من الناس لا يصدقونك عندما تقول لهم ذلك. يظنون أنك تجد الأعذار كي تبقى في البيت. لكن ذلك صحيح، تعرف ما هو الصحيح؟ إنه الأوجه الأربعة التي تقابل بعضها البعض أيها الأحمق السافل.

لا فائدة من الغضب بشأن الطعام، يكفيك كأس عالماشي، كان ظمآناً. ربما استطاع الذهاب إلى البوكل وتناول كأساً، ويتلفن هاتفين آخرين في الوقت نفسه. لم يتخلَّ عن فكرة المقامرة على القمصان. لم يكن تام روبرت الوحيد الذي عرفه. المشكلة أن الأمر متعب، لم تستطع التنبؤ به، وعند هذا المستوى من أعمال نيافتكم، تعرف ما أقصد، قابلية التنبؤ، إنها جيدة لرأسك اللعينة. هكذا لا شيء. إضافة إلى الولد، سيتلفن له. ربما لن يتلفن، ربما يرسل له رسالة.

لا، لا هاتف لأي سافل. ولا كأس عالماشي. احصل على حاجياتك فقط ثم عُد واحزم الحقيبة واصنع السندويش.

أخذ قلماً وورقة من درج المطبخ. تعرف لم يكن بوسعك أن تعرف إن كان القلم يكتب. هكذا استبدله بقلم رصاص. تصبح الأمور أكثر صعوبة. صعوبة — يا لها من كلمة سخيفة غير معبّرة لوصف الحالة: صعوبة!

سيترك كل شيء. كل شيء لا تتسع له الحقيبة، سيترك المسجلة وكل الأشياء الأخرى، لكن الأشرطة لا، في الواقع، سيرصفها على الجوانب الداخلية للحقيبة. لديه أكثر من حقيبة لكنه يحتاج ليدٍ فارغة من أجل العصا. ما لم يجد حقيبة بحمّالة كتف. لم يستطع أن

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

يتذكر إن كان لديه واحدة كهذه. لم يكن ليأخذ شيئاً من أشياء هيلين. تباً لأشيائها. كان راحلاً يا رجل ولوحده دون مساعدة أحد. هو الذي يسيطر على الوضع ولا أحد غيره. لا الجنود السفلة يا رجل ولا أي سافل آخر. هو فقط، هو نفسه.

تمام. لبس الجاكيت وأصبح جاهزاً. تأبط العصا، أقفل الباب خلفه طقتين. الريح اللعينة تصفع بقوة يا رجل، والمطر يدخل معها. إن أي مجنون يخرج للتجوال في مثل هذا الطقس يستحق منهم أن يعتقلوه. ومن يبالي على أية حال، لو أرادوا اعتقاله لاعتقلوه. دفعته الريح إلى أمام المصعد. كان هناك شخص ما! جيدٌ، ربما كان الشبح الطيب الذي أخرجه من المتاعب عند ملعب البولينج. لا تمانع هذه الأشباح الطيّبة يا رجل، أما هؤلاء السفلة الشريرون الذين يتعقبون خطواتك كل الوقت، فهؤلاء مَنْ يجب أن تتجنبهم. هكذا انطلِقْ. شعر سامي برغبة بالكلام لكنه لم يتكلم. عندما جاء المصعد تلمس طريقه إلى الأمام ودخل. كبس الشخص الآخر الزر. نزلا ووصلا الأسفل وخرجا، سامي يتلمس بعصاه يساراً، بينما تابع الشخص سيره— ثم سمع صخب فتح الباب الزجاجي، وصفير الريح. انتظر لحظة ثم سار إلى الباب وفتحه، خرج مباشرة دونما توقف للتفكير. زوجكِ سامي، الشجاع، يسير قُدُماً تحت سماء تمطر بغزارة. الكتفان محنيان، ياقة الجاكيت مرفوعة، كان بحاجة لقلنسوة تحديداً، هذا إن لم يكن في هذه اللحظة. يا مسيح، كان المطر يسوط الأرض فعلاً، بعدئذٍ دخل وسط بركة ماء، بدت له كبيرة، مشى، خطوة أخرى وبعدئذٍ توقف: كان ما يزال واقفاً فيها. كم كانت هذه البركة اللعينة عريضة؟ لا مجال لمعرفة ذلك. وهل ستزداد عمقاً! حتى أنك تتساءل في أي جهنم لعينة أنت.

في الواقع، إن الريح والمطر بدءا يعطلان كل حواسه. ربما تَخَبَّطَ ثانية، فها هو في الخارج لأمر مُلِح، يا يسوع المسيح يا قادر، حتى لم

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

يكد يخرج من باب البناية اللعين. حرك قدميه جانباً ارتد عليهما الماء، وكأنه سيغمر كاحليه. رفع قدمه اليمنى؛ صوت ارتطام الماء بلوب بلوب، مشى مترين. صوت من مكان ما ينادي: بشع جداً أليس كذلك!

نعم، قال سامي مفترضاً أنه المقصود بالكلام.

كان هناك بعض الأولاد يثيرون الآن صخباً كثيراً في مكان ما، بدا له أنهم يتراكضون، يمرحون ويصخبون، وكأنهم سيرتطمون بساقيه. سفلة يا رجل، بوسعك تخيُّل الطريقة التي يصخبون فيها! رؤوسهم إلى الأسفل وينطلقون راكضين وكأنهم يتوقعون أن تُرفع كل الحواجز فقط لأنهم يهجمون عليها. أحكم قبضته على العصا خشية أن يتعثر بها أحد الصغار ويسقط على وجهه.

نعم كنت تواجه شيئاً ما يا رجل، بعدئذٍ سرعان ما يعطوك فرصة لالتقاط أنفاسك كنت، تواجه قوى الطبيعة. على الأقل أصبح الآن خارج البركة، كان تعباً، وهذا لأنه لا يمارس الرياضة، متى قام آخر مرة بتمارينه؟ البارحة. تمام حسن ربما كان شيئاً مختلفاً. حرارة في خديه، إنهما مبللان لكن حارّان. كيف تفضلهما يا رجل مبللين وحارين في آن معاً! حتى كتفاه أيضاً، يا مسيح، أراد أن يضع العصا على الأرض لأنه لم تعد لديه القوة ليمسك بها!

كان مضطراً أيضاً كان مضطراً. لا خيار أمامك.

أسند العصا على الجدار. جيّد. جفف جبهته. أخرج النظارة من جيبه ولبسها. شعر بها ثقيلة، وآذت النتوءين خلف أذنيه أيضاً. خلعها ثانية. كان هناك شيء ما يظلل جانب البناية حيث يقف. نار تشتعل في كاحليه، ماذا بعد بحق الجحيم كان بحاجة إلى مقعد. يا يسوع المسيح. عاد الصغار الآن. ماذا يفعلون خارجاً في مثل هذا الطقس؟ لم لا يأخذهم أهلهم ليلعبوا خارج الطريق؟ كانوا يزعقون

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الآن. أصوات صغيرة حادة. يضحكون من شيء ما. ربما من الطقس. صغار يا رجل ويستطيعون الضحك من الطقس. ارتجف سامي. كان في حالة سيئة، يقف مستنداً على الجدار. لم يستطع البقاء طويلا على هذه الحال، عليه أن يتابع سيره. لكن أين كانت طاقته؟ مطر غزير. كيف كان في هذه الحالة أيضاً؟

يا يسوع المسيح تلك هي الحالة، مطر، مطر فقط. والآن براجم يديه! كيف بدأت براجمه اللعينة تؤلمه؟ ربما يعاني من التهاب مفاصل، بسبب الرطوبة. جروح الحرب القديمة التي تركت ندباتها، وكان يفاخر بذلك. نعم، اهجم يا أحمق، يا سافل، ترجع ذراعك إلى الوراء، ثم ينطلق مرفقك اللعين إلى الأمام ويضرب السافل، يضربه مباشرة على أنفه العين، يا رجل. حَطِمْ أنوفهم اللعينة، فهم يكرهون أن تضرب أنوفهم.

سامي أيام زمان! ماذا يفعل الآن؟ يلاكم شبحاً.

أسند العصا على الجدار وفرك يديه ببعضهما، نفخ فيهما، كان برداناً، بردان قليلا.

تمام، هذه نُذُر شؤم. لقد انتهى تماماً. تحسس المطر على وجهه. قرقرت بطنه—ذلك هو السبب. الطعام. السبب واضح يا رجل لأنه لم يكن يأكل. ولهذا كان يهلوس. إلى الأمام. حسنٌ، إنه ذاهبٌ ليشتري بعض الطعام. بحث عن العصا ولمسها فسقطت. رائع، انحنى إليها والتقطها. الصغار ثانية، في الوقت نفسه الذي التقط فيه العصا. بعض هؤلاء السفلة الصغار مستعدون هذه الأيام للقيام بأي شيء يا رجل، تعرف ما أقصد، إن اكتشفوا أنه بالإمكان إيذاؤك، إضافة إلى بعض النقود التي سينالونها لقاء ذلك— سيلكمونك في ظهرك؟ لا مجال لذلك. إلى الجحيم باللا مجال.

كان أمام أول دكان، مقابل النهاية المواجهة للبناء من جهة الصيدلية، وهكذا فالميني ماركت هي التالية، تابعت سيرك، تتلمس

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الجدار باليد اليسرى وتنقر بالعصا باليمنى. جلبت له محاسبة الصندوق طلباته. من هناك انطلق إلى بائع الأطعمة الجاهزة واشترى خبزاً وسجقاً. أكلهما في الخارج في مدخل الدكان. وضع اللقمة الأخيرة في فمه وانطلق. كانت الريح في ظهره الآن هكذا كانت أفضل. لكن أول شيء يفعله بعد دخول البيت هو الذهاب إلى السرير. ستنفجر رأسه إن لم يفعل ذلك. كان يعرف تلك الأعراض. حتى أنه لم يكن بإمكانك التسليم بالوصول إلى البيت من هنا. لم تستطع. ظننت أنك تستطيع لكن لا بأس يا رجل كان ذلك مقبولاً، كان بوسعه أن يستريح قليلاً أيضاً، ليست المشكلة، مجرد استراحة قصيرة من أجل الرئتين والقفص الصدري، لأنه كان متعباً، زوجك، سامي أيام زمان؛ في الحقيقة، أتريدين الحقيقة؟ زوجك...

حذاء.

لم يحبه أحد. شكراً للجحيم. لكنه لم يجن بعد، وهكذا فالأمر على ما يرام. كان على شفا الجنون لكنه بقي يتفاداه دوماً؛ يحاول أن يتفاداه. كان قد تبلل حتى الجلد، وقد مشى هذه المسافة عبر اللوتش لوموند ولم يتذمّر، أقصد يا مسيح، وممن سيتذمر؟ من الطقس؟ ليس سامي من يفعل ذلك. بحق الجحيم يا رجل، لقد سئم الله القديم القادر، القوة المركزية، من تذمرنا نحن البشر، نعم لقد سئم ولا يمكنك أن تلومه، ومن سيلومه، امنحه استراحة، تعرف ما أقصد.

كان جسمه يؤلمه، الصداع والآلام، بدا وكأن لا طاقة لديه هذه الأيام، يريد أن ينام كل الوقت أو يستلقي على الأريكة اللعينة، ذلك كل ما شعرت أنك مناسب لفعله.

البركة! سيجرجر نفسه عبر البركة اللعينة. وذاك الملاك الحارس السافل! لا تجده عندما تحتاجه. ربما دس له الدكتور مخدراً أو مسهلاً. شعر برغبة بالاستراحة. كانت عطلة أرادها. توقف عن النقر

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

بالعصا ليرفعها لتلامس الجدار. لا تقلق. ذلك ما أراده يا رجل عطلة. ذهب مرة إلى إسبانيا، وتناول بعض الأطعمة المنزلية الطيبة أيضاً، كان بوسعه تقبّل ذلك الطعام، التغذية القديمة، زبادي الحساء وذلك النوع من الأطعمة. أوقع العصا، لم يسمع صوت ارتطامها بالأرض، انحنى مباشرة ليلتقطها، تأرجح كيس النايلون المعلق في رسغه، لكنه أمسك العصا رفعها وانتصب واقفاً، أمسكها بقوة وتلمسها ليرى كيف كانت تبدو، كانت رائعة يا رجل، العصا القديمة الموثوقة، تعرف ما أقول فقد كانت عصاه هو لا عصا شخص آخر. وهكذا تابع سيره. كان الطقس فظيعاً؛ لكن، لا بأس، ليس فظيعاً جداً، كان أحد عناصر الطبيعة السافلة الموجودة دوماً والتي لا يستطيع أي سافل أن ينتا... يسيطر عليها. وهكذا هي موجودة وليست موجودة وكأنها تتقصد أن تخوزقك أنت بالتحديد.

امرأتان أمام المصعد، تتكلمان على أمور يومية برنامج شاهدتاه على شاشة التلفزيون. استمتع بالإصغاء. أراد أن يلف سيجارة لكن كل شيء رطب ولن ينجح. إضافة إلى أن المرأتين قد تعارضان إن دخنها في المصعد. وما كان يستطيع تجاهل ذلك. استطعت فعل ذلك أحياناً لكن ليس الآن. فسيكون مخطئاً على أية حال، ولا فائدة من الجدال إن كنت مخطئاً.

انفتحت الأبواب، تلمس سامي بعصاه إلى الداخل. كبست إحدى المرأتين الزر، فقال: "الطابق السادس". لمس رأسه، شعره كتلة لزجة. كان يمكن أن تكون الحياة أسوأ. هذه الحياة، كان يمكن أن تكون أسوأ. عطس، فقال: "آسف". ثم عطس ثانية، وقال: "آسف" وشعر بالعطسة من جديد، فحاول إيقافها لكنها بدت وكأنها ستنسف أنفه وتفصله عن وجهه فتركها تخرج، وقال: "آسف لذلك". جفف فمه وشفته العليا بظهر كفه، وقال: كنت أود شراء علبة محارم لكنني نسيت.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

كان الأمر تعذيباً. كان يتعرق قليلاً، شعر بالعرق على ذراعيه وشعر صدره.

شيء غريب حدث الآن عندما توقف المصعد. قالت له إحدى المرأتين إنه طابقه وبعدئذٍ خرجت إحداهما قبله، لكنها لم تقل وداعاً لرفيقتها، ومن طريقة تُرثرتهما تعرف أنهما كانتا صديقتين حميمتين. هكذا وجد الأمر غريباً قليلاً. في الخارج أمام المصعد وقف وتظاهر أنه يبحث في جيوبه عن شيءٍ ما. تلاشى وقع أقدام المرأة الثانية حول زاوية الممر. أسند سامي العصا على الجدار جفف يديه ولف سيجارة، وقال: "لا بأس بها".

أشعلها ومشى، فتح باب الممر، مشى بسرعة الريح ووضع المفتاح في القفل. عندما أصبح في الردهة. لجم نفسه عن المناداة على هيلين، أشعل المدفأة الكهربائية في غرفة المعيشة ووضع الخفافة أمامها لتجف. جفف شعره، وتردد بين أن يغسل قدميه، أو أن يستحم من جديد. إحدى نتائج دخولك السجن أنك شعرت بالاتساخ، وأنك تحتاج لحمام جيد عندما يطلقون سراحك. علق المعطف والبنطلون. عندما تتبلل قدماك، فإن أفضل ما يحدث لهما أنهما تجفان وتتجعدان. لبس بنطلون الجينز.

تمام. وماذا الآن؟

حسنٌ، حسنٌ، لقد اتضح له ما كان يفعله. كان يستعد للاختفاء.

جمع الجوارب القذرة، البنطلونات والقمصان ووضعها في الغسالة. لا بد أنه وضع الأبيض والملون معاً. على أية حال، لم تكن هيلين موجودة لتغضب من ذلك. وضع مسحوق غسيل، مسحوق غسيل وغسالات. وجد المفتاح وأداره. تمام! وماذا بعد ذلك؟

تباً لبعد ذلك. لا شيء بعد ذلك، ليس الآن. كوب شاي وقطعة جبن وخبز. لا فائدة من صنع السندويش، فهو لن يغادر قبل أن

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تجف الملابس. تعرف يمكن أن تستغرق ساعات؛ لم يكن راغباً بالرحيل الليلة. هكذا سيستخدم محمل الثياب، سيضعه أمام المدفأة، وإن بقيت الثياب رطبة، عندئذٍ إلى الجحيم يا رجل، سيضعها في كيس نايلون. تمام. سمع صوت دوران الغسالة. هذا جيد، الغسالة تعمل. الآن، كوب شاي إذن. لا، بل إلى السرير.

هكذا أنت في السرير

الأمور تسير بشكل عملي.

قاطنة الشقة التي فوقه، كانت تعزف نوعاً من الموسيقى الشعبية، كنت تظنها أحياناً تقيم حفلة موسيقية؛ نعم وكان يبدو أن الموسيقى ستتحول إلى أغنية ثورية، أو أغنية رائعة، لكنها لم تتحول، ربما لم تكن هي. لا بل هي، يمكنك معرفتها، حتى معرفة خطواتها عبر السقف.

كان السرير بارداً. لو كانت هيلين بقربه لانقلب فوقها طلباً للدفء، ركبتاه هناك تحت عجيزتها، ذراعاه تطوقانها، يدفن وجهه في قفا رقبتها، يشمشمها، دافئين والجلد على الجلد، بقوة، ببطء، حتى دونما عجلة، بكسل، حتى دونما كلام، إسفينه هناك بين قمتي ساقيها يدفعه برفق إلى الأسفل، وهي تتحرك قليلاً، بتلك الطريقة الكسولة مثلما كنتما تفعلان في صباحات الأحد وأنتما نصف نائمين.

الارتجاف ثانية، رفع ركبتيه إلى ذقنه، شد البطانيات على جسمه. ربما كان هناك فايروس يعمل فيه لأنه بدأ يحس إحساساً آخر؛ ذلك أن المكان الوحيد الذي رغب أن يكون فيه هو هنا في سريره؛ وطالما كانت تلك الأمارة المألوفة على أنك ستصاب بشيء ما.

فرد جسمه ثانية وانقلب على بطنه، كان ظهره ما يزال يزعجه عند أسفل العمود الفقري؛ ساعتا نوم ستخلصانه من ذلك، الشيء الآخر الذي لم يكن يرغبه هو أن تفرط رأسه بالتفكير.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تمارين النوم القديمة؛ تمام:

فكر بأصابع قدميك وشدها، ارخها الآن، فكر بباطن قدميك وشدها، ارخهما الآن؛ فكر بكاحليك، شدهما؛ ارخهما الآن، فكر بعقبيك وشدهما، ارخهما الآن؛ فكر بالشظيتين السفليتين شدهما أيضاً، اتركهما الآن، دعهما تسترخيان، الشظيتان العلويتان، شدهما، شدهما أيضاً— إن استمناءً لعيناً قد يريحك الآن، لكن لا، فكر بركبتيك وشدهما، عاد وانقلب على بطنه، إلى الجحيم بتمارين النوم، يا رجل، إنها هراء، وإن نجحت مع بعض الناس فهي لم تنجح معه هو، لم تنجح، هذا ما جرى معه. تربح أحياناً وتخسر أحياناً أخرى؛ لا قلق، لا قلق.

نام أخيراً. شيء عظيم، رغم أنني لا أعرف كم نام، إلا أنه عندما استيقظ كان ما يزال منهكاً، جفونه مطبقة على بعضها، كان متعباً حقيقة، هكذا احتاج ساعة نوم أخرى، ربما ساعتين، ساعتين على الأغلب. لم تكن لديه أية فكرة كم كانت الساعة لكن لا يمكن أن يكون الوقت متأخراً. فكرة في رأسه: وكأنه ما يزال كما كان البارحة، كما كان في أكتوبر الماضي. ماذا كان يعني ذلك؟ يجب أن يعني شيئاً ما.

يا يسوع المسيح، ها هو الباب يوقظه ثانية، يا يسوع، يا الله ذلك ما أوقظه، الباب اللعين يا رجل، سفلة قذرون. كان سامي خارج السرير يلبس جوربيه ويبحث عن الجينز.

لا، مستحيل. جلس على السرير ثانية. مستحيل. أقصد لم يختاروا لحظة مناسبة كتلك؛ لقد نام، وهكذا لم يختاروا اللحظة المناسبة تماماً. لم يكونوا جنودا سفلة، يا الله يا قادر. بل مجرد سفلة عاديين. أناس عاديون، حمقى سفلة، لكنهم أناس. تمام إذن، على الأقل يمكن تفادي الضربات يا رجل، لا يمكنك أخذ زمام المبادرة لكن على الأقل يمكنك تفادي الضربات وأحياناً كان تجنب الضربات يعني أنك نجوت من الضربة الأولى؛ لا بأس، لقد أُجبرتَ على ذلك،

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

ما من خيار آخر يا رجل، كان عليك أن تواجهها. لم يعرف الجميع ذلك. هز كتفيه. ربما رغبت بالابتسام لكن لا شيء تبتسم له، سوى الحقيقة، وهكذا يجب أن تصمد في وجهها، تعرف ما أقصد عندما لا يكون لديك خيار يا رجل، تكون في حالة تجنب الخطر. يا مسيح، كان يرتجف. أوقف الرجفة. لم يستطع أن يوقفها. نعم استطاع. نهض من السرير ومشى كالأطفال أربع خطوات إلى الأمام، وأربع خطوات إلى الوراء، تنفس، افعل ذلك فقط، تمام، بعدئذٍ البس الجينز، لبسه وهو يوازن نفسه بإسناد يده على الجدار، ثم لبس القميص. فتح باب غرفة النوم وأصاخ السمع. لم يستطع سماع شيء.

لكن يجب أن أقول إنه لطيف منهم أن يقرعوا الباب، بدلاً من أن يحطموه، كان بوسعهم أن يحطموه ويدخلوا، تعرف ما أقصد يا رجل، أربعة منهم على الأقل، ذلك ما كان يعنيه أيضاً أنهم أربعة على الأقل عدا السائق. آه حسن، حسن لا بأس. عمل جدّي أيضاً عمل جدّي! تبسم سامي. لثانية واحدة فقط، بعدئذٍ عاد يصغي. مازال لا يستطيع سماع شيء. ربما انقلعوا. تبسم ثانية. بالمناسبة إنه سلوك حضاري أن يقرعوا الباب، أقصد الجنود القدامى أنفسهم، يظهرون احتراماً للكية المرء، يجب أن تعترف لهم بذلك. هنف. أينٍ هي العصا اللعينة؟ عند الباب الأمامي، في المكان المعتاد. تمام شكراً للجحيم أنه دهنها، يجب أن تظهر بالمظهر اللائق. تفقد سحاب البنطلون، عظيم، هيّا انطلق يا رجل. الحذاء، إلى الجحيم بالحذاء لا وقت له. خرج من غرفة النوم في الوقت الذي خشخش فيه صندوق البريد. مشى عبر الردهة. كان يجب أن يحلق ذقنه، ليست مشكلة أمسك العصا وتكلم بصوت مرتفع: كل شيء يخطر لأولئك الحمقى السفلة القحاب الذين ينتظرونك. بدّل مسكته للعصا، رفعها عالياً وإلى الوراء، استقرت على كتفه الأيمن، فتح الباب وخطا إلى الوراء مباشرة، مسنداً ثقله على قدمه اليمنى، متأرجحاً قليلاً، الكتفان مشدودان وركبته مسترخية قليلاً. بعدئذٍ صرّ الباب منفتحاً.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– أنت بخير يا سامي؟

عرف الصوت

– أنت بخير؟ إيه؟ بخير؟

إنه بوب جاره في الشقة المجاورة، كان صوته هادئاً.

طوى سامي ذراعه اليسرى وأراح مرفقه الأيمن على راحتها وبقيت العصا مستقرة على كتفه، حك خده بإبهامه الأيمن، وقال: هذا أنت يا بوب؟

– نعم. أنت بخير؟

– نعم؛ نعم لا تقلق. هنف سامي. كيف الأمور؟

– رائعة؛ نعم. إيه ابنك هناك في بيتي هو وصاحبه جاء ليراك.

–...

– سأرسله إليك هل أرسله إليك؟

– نعم.

– سأرسله إليك.

– تمام

– أنت بخير؟

– نعم، نعم، كنت نائماً.

– آو.

– لا تقلق يا بوب؛ شكراً. انتظر سامي قليلاً، بعدئذٍ أغلق الباب دون أن يقفله. أسند العصا على الجدار. دخل المطبخ. ملأ نصف كأس حليب وشربه، ثم نصف كأس أخرى.

وقت للاسترخاء. ماء بارد فتح الصنبور وغسل وجهه، جففه، بعدئذٍ ملأ الغلاية وأوصلها بالكهرباء. الفناجين والأطباق مصفوفة على المجلى، فكر أنه كان يجب أن يصفها في الخزانة، ليست مشكلة.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

إنها على ما يرام. التبغ على الطربيزة في غرفة المعيشة. سمع صوت الباب الأمامي ووقع خطوات، فاستدار.

– مرحباً يا أبي!

ضحك سامي، هز رأسه، وحك خدّه.

– أنت هنا؟

– نعم أنا هنا! في المطبخ! أغلق الباب وراءك! كان يبتسم ابتسامة عريضة. رفع يده اليسرى على شكل تلويحة.

– مرحباً يا أبي...

– نعم كيف حالك يا بني كيف حالك! تحرك سامي إلى الأمام الآن، مادّاً يده؛ تصافح مع بيتر؛ طبطب على كتفه مسّد رأسه قبض على زنديه: كيف حالك، كيف حالك!

– تمام يا أبي.

– أنت على ما يرام؟

– نعم

– عظيم، عظيم أن أراك، عظيم كيف حالك؟ كيف حال أمك؟

– بخير

– آو ذلك رائع، رائع.

– كيث معي أيضاً

كان سامي ما يزال ممسكاً بزندي ابنه، فأفلتهما. كيث... نعم، صحيح. لم نتقابل من قبل، يا كيث، هيه؟

– لا.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– حسن ها نحن نتقابل أليس كذلك؟ أنا والد بيتر! يسرني لقاؤك. أين أنت؟ أعطنا يدك! كيف أمورك، تمام؟

– نعم...

– كنت نائماً يا أبي؟

– نعم، نعم كنت نائماً فعلاً، قيلولة قصيرة.

– قرعت الباب عالياً.

– حسن لم تستطع أن تقرعه ما يكفي!

– لقد فعلت

– آخ حسن نعم، لا بأس، ربما فعلت، فقد كنت متعباً جداً. هكذا فرك سامي يديه ببعضهما، تريدان فنجاني قهوة؟ شاي؟ أم شيئاً آخر؟ ليس لدي زنجبيل... ولا كولا.

– لقد أحضرت الكاميرا.

– آو. نعم. نعم، جيد ماذا إذن؟ قهوة، شاي؟

– لا، لا داعي يا أبي

– لا داعي.

– لا، يجب أن تتناولا شيئاً يا بني. ماذا يريد صاحبك؟

–...

– إيه؟

– قال بيتر: فليكن الشاي إذن.

– جيد، الشيء نفسه يا كيث؟

– نعم

– جيد أنكما لم تطلبا بيرة لأنه ليس لدي شيءٌ منها أيضاً!

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

سمع ضحك صاحب بيتر. من المحتمل لأنه مهذب فقط، كانا كبيرين كفاية على الثرثرة الغبية. وضع مظاريف الشاي في الأقداح وصب عليها الماء الساخن. آو يا يسوع المسيح. لا يوجد سكر. أتستطيعان شربها دون سكر!

-...

- قال كيث: نعم، أستطيع.

- بيتر؟

- نعم.

- جيد. هذا أنفع لكما على أية حال! تمام الآن، لنبدأ، لنبدأ. أخذهما سامي إلى غرفة المعيشة. تناول التبغ وجلس في الكنبة. كم طال انتظاركما إذن؟

- نصف ساعة.

- أوخ ذلك ليس سيئاً. هه كان تفكيراً صائباً بالمناسبة، أن تذهبا إلى بيت بوب العجوز.

- هو خرج إلينا.

- هو خرج إليكما؟

- لقد سمعنا نطرق على بابك.

- يا مسيح لا بد أن له أذنين حساستين؟ لحس سامي الجانب اللاصق من ورق السيجارة، أشعلها، ثم سأله وهو يدخن: وكيف حال أمك يا بني؟ تمام؟

- نعم، إنها بخير يا أبي.

- جدك وجدتك؟

- نعم، إنهما بخير.

- جيد، ذلك جيد، مازالت والدتك تعمل؟

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– نعم.

– تمام، جيد، هنف سامي. جيد... حسن... هكذا، هل اتصل بك إذن ذلك الشاب ألّي؟

– ألّي؟

– أقصد بشأن الكاميرا

– لم يقل اسمه. قال فقط إنه صاحبك.

– نعم حسن نعم، إنه صاحبي، صحيح.

– أبي هل أنت أعمى؟

– لا! حسنٌ، نعم. أقصد أنه مؤقت، عمى مؤقت فقط، وسيزول.

– آو...

– كيف؟ وماذا قال؟ أقصد الشاب، ماذا قال؟ هل تلفن إلى البيت؟

– نعم.

– ماذا قال إذن؟

– لم يقل شيئاً.

–...

– قال إنك تعرضت لحادث.

– لم يقل إنني عميت؟

– لا، صديقك القديم في المدرسة هو الذي أخبرنا.

– آو صحيح، نعم. حسن أقصد لا بأس، ذلك ما يراه هو، ذلك ما يراه هو. هز سامي كتفيه. كيف المدرسة إذن؟ مازلت فيها؟ لم يفصلوك بعد؟

– لا.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– عظيم! متى ستغادرها؟

– بعد عيد ميلادي

– هكذا إذن لقد أنهيت الدراسة؟ ماذا تفعل؟

– لم أعمل بعد.

– ألا تحب عملاً ما؟

– لا، ربما سأخضع لدورة تدريبية. كنت أفكر بالبحرية.

– تباً للبحرية.

–...

– تباً للبحرية.

– كيث سيلتحق بها أيضاً.

– آو حسن، آسف. ما أقوله، فقط إنها... إنها جيدة. لكن عليك أن توقع عقداً طويل الأمد، ذلك ما أقصد، لذلك لا أنصح بها، يا كيث، كلا إن كنت شاباً صغيراً. طبعاً، الأمر لك لكنني أقصد، إن كنت تحبها—إيه كيث، ما رأي أمك وأبيك؟

– حسن أبي يقول إنها مضمونة.

– هل عمل فيها والدك؟

– لا، عمي هو من كان في البحرية.

– مازال فيها؟

– لا.

– آه حسن... لك ما تريد لا بأس، أقصد إن أردت ذلك، فالقرار لك يا بني؛ كل ما أقوله أنه لو كان الأمر لي، لكنه ليس لي، إنه لك. هز سامي كتفيه. بعدئذٍ إن غيرت رأيك أيضاً فتلك مشكلة لأنه

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

يكون قد فات الأوان، إن ألبسوك ذلك الزي الرسمي، تعرف ما أقصد يا بني؟ إن لبست الزي الرسمي فلا مجال للتراجع عندئذٍ.

– لا لكن بوسعك أن تخلّص نفسك يا مستر صموئيل. أبي يقول إن الشيء الأول الذي تفعله هو أن تدّخر نقودك وتحضّرها، بعدئذٍ إن غيّرت رأيك...

– نعم، تذكرت تلك الطريقة؛ لم أعرف أنه مازال بوسعكم فعل ذلك. لا بأس أيضاً إن كنتم تستطيعون.

– نستطيع.

– عظيم نعم ليست مشكلة. ماذا عنك يا بيتر! هل تفكر بذلك عملياً؟

– لا يا أبي. لقد رافقت كيث عندما جاؤوا إلى يوم العمل.

– حسن

– لديهم كل شيء، فيديو وما شابه. وعندما حدث معهم عطل، شرحوا لنا ما حدث، بعدئذٍ أخبرنا الرئيس أيضاً.

– قال كيث: قلت إنك ستفكر في الأمر.

– نعم. سأفكر فيه.

–سأله سامي: وماذا عن أمك؟ ما رأيها؟

– آو، إيه، حسن...

– لم تخبرها بعد؟

– نعم، أخبرتها.

– ما رأيها إذن؟

– قلت لها سأفكر في الأمر.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– تمام

–...

– قال كيث: يمكن أن تقرر فيما بعد.

– يمكن. نعم، سأفكر في الأمر.

– يمكن ويمكن لا.

هز سامي رأسه. تلك هي الطريقة الصحيحة. تعرف إن حسمت أمرك، يمكن أن توفر بعض النقود. تستطيع ذلك. أعرف شخصاً فعل ذلك، أعتقد أنه عمل فيها تسع سنوات – ربما اثنتا عشر سنة – بعدئذٍ ترك العمل وتزوج وهلم جرا وكان الأمر جيداً. في الواقع أعتقد أنه اشترى دكاناً صغيراً أو ما شابه، محل لبيع الصحف. لكن بعض الأشخاص ينفقون كل شيء. يدخلونها لتوفير بعض النقود لكن ما يحدث أنهم يرسون في ميناء ما وينفقون هناك ما ادخروه. كان لدي صاحب اعتاد ذلك. كلما رأيته على البر يكون مفلساً لا أكذبكما القول. اعتاد أن يقترض مني. رغم أنني كنت أعمل في البناء، طوال الوقت، فقد اعتاد أن يقترض مني! تعرفان ما أقول؟ كنت أنا من يشتري له البيرة، ولم يحدث العكس قط. قهقه سامي. لم أتذمر أيضاً لأنه كان طيباً. تلك كانت أيام بنطلونات الباجي، إن كنت بحاراً عليك أن تلبسها لا أعرف إن مازالوا يلبسونها... هه بالمناسبة كان يجب أن أقول، إن كنتما جائعين، يوجد بعض التوست والجبن.

– لا يا أبي.

– يمكن أن أجهزها لكما.

– لا داعي.

– ماذا عنك يا كيث؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– لا لست جائعاً أيضاً.

– متأكد؟

– بصدق

– حسن ليست مشكلة...

– لم أستطع أن أحضر باكراً يا أبي لم أستطع تدبر الأمر.

– ليست مشكلة. متى تلفن لك؟

– في الثامنة والنصف؟

– قبل أن أذهب إلى المدرسة.

– هل أجبته بنفسك؟

– نعم، كانت أمي قد ذهبت إلى العمل.

– تمام. هي لا تعرف، إذن؟.

– لا. ولا جدي ولا جدتي، لم أقل لهم.

– آخ حسن أقصد ليس مهماً. هز سامي كتفيه: المسألة فقط أنني مندهش أنه تلفن لك، اعتقدت أنه سيطلب من شخص آخر، أقصد لم أكن واثقاً إن كان لديك كاميرا وهكذا إيه — تعرف أتمنى لو أنه أخبرني قبلاً.

– قال إنه يفضّل أن أحضر صباحاً أو بعد وقت الشاي الليلة. لكنني لا أستطيع المجيء ليلاً، لذلك أتيت الآن.

– نعم حسن جيد يا بيتر لأنني لن أكون هنا هذه الليلة، سأغادر. وهكذا فقد اخترت الوقت المناسب. أحضرت الكاميرا أيضاً، إيه؟

– إنها لوالدة كيث.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– تمام. تستطيع استخدامها جيداً يا كيث؟

– نعم.

– كيف حصل ذلك يا أبي؟

– ماذا؟

– عيناك؟

– أوخ إنه أمر مؤقت. يصعب شرح ذلك... راح سامي يبحث عن التبغ.

– كيف حدث؟

– حسن كانت حادثة من نوع ما، شيء غبي... هيه أترى التبغ؟

مد يده حتى وُضِعَ فيها التبغ، أخذ ورقة وبدأ يلف سيجارة أخرى: هيه، آمل أنكما لا تدخنان!

–...

– إيه؟

– قال كيث: أنا أدخن، لكن بيتر لا يدخن.

– بصدق.

– لا.

– لا بد أن أقول: تعرف، إن كنت تدخن فلست أنا الشخص الصالح لينصحك. تعرف ما أقصد يا بيتر، لست بالشخص الصالح.

– لكنني لا أدخن.

– قال كيث: إنه لا يدخّن.

– ولا حتى فيما مضى؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– لا. لقد جربته لكنني لم أستطع احتماله.

– عظيم، ذلك عظيم.

– أبي، هل نلتقط الصور؟

– نعم؟

– هل سنلتقط الصور؟

– بالتأكيد يا بني فوراً. ماذا قال عن الأمر؟

– فقط أنك ستخبرنا.

– تمام. حسن إنها أمانة. الأمر كما ترى هو التأمين. ألم يقل لك حتى ذلك؟

– لا لم يقل شيئاً إلا أنني يجب أن أحضر الكاميرا.

– حسن ذلك هو الهدف على أية حال، من أجل التأمين، ظننت أنه يمكن أن يكون قد أخبرك.

– من هو يا أبي؟

– آخ، إنه صاحبي، شخص أعرفه، تفهمني؟

– بدا غريباً.

– حقاً؟ كيف؟

– ظننته رجل بوليس

– بوليس! كشَّر سامي. كيف ماذا قال؟

– لم يقل الكثير.

– مثل ماذا؟

– إيه... لا أعرف. قال: هل جئت وقابلتني وهلم جرا.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– قال ذلك؟ وماذا أيضاً؟

– إن كنت قد قابلت أمي.

– تمام. ماذا أيضاً؟

– إيه...

– حاول وتذكر.

–...

– لا، أقصد يا بيتر إن ظننته غريباً فربما لأنه قال شيئاً ما جعلك تعتقد ذلك.

– لم يقل.

– متأكد؟

– نعم.

– أقصد إن اعتقدت أنه بدا كرجل بوليس! تبسم سامي.

فقال كيث: قلت لي إنك ظننته بوليس.

–قال بيتر: حسن لم أكن متأكداً، ربما صوته هو السبب، هكذا تبدو أصواتهم. أبي ماذا حدث؟

– أوخ لا شيء.

– قال إنك ستخبرني.

– نعم، حسن نعم، لا بأس. المسألة أن الأمر غير مهم يا بني، أعني لأكن صادقاً معك، ألي شاب جيد لكن مشكلته هي أنه نزق، ويكثر من الأسئلة، تعرف يا بيتر، ما حدث هو أنني وقعت، تعثرت وتدحرجت على درج. كان ذلك حادثاً. حصل خلال آخر عمل قمت

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

بـه. وهكـذا ربمـا سـأرفع دعـوى– لـذلك نحتـاج الصـور، سـنقدمها للطبيب كإثبات، ثـم لمؤسسـة التـأمين. تعـرف كانـت هنـاك درجـة فارغة، حسن لم تكن فارغة بل مكسورة. هكذا وقعت. كانت البنايـة عالية. بعدئذٍ السقالة، عندما تعثرت، سـقطت علـى السـقالة وتـأذى كتفاي من مواسيرها وهلم جرا، وظهري ورأسـي أيضـاً. كانـت مؤلـة جداً! تعرف كنت محظوظاً، كان يمكن أن تكون أسـوأ، لـو لم تكـن السقالة موجودة في المكان نفسه، مثلما حدث لشـخص أعرفـه، أحـد أصحابي القدامى، وقع من علو خمس طوابق ومات، كنا نبني فندقاً. تعرف ما أقصد، إنها مسألة حظ فقط. هز سامي كتفيه.

– من أي علو سقطت يا مستر صموئيل؟

– آخ ليس عالياً جداً يا بني، طابقين فقط. كانـت السـيجارة قـد انطفأت منذ فترة، وضعها سامي في المنفضة: وهكذا تـأذى جسـدي، أضـلاعي وبـالأخص ظهـري، حيـث الكـدمات، وهكـذا تظهـر، إن التقطت لها الصور.

– قال كيث: إنها كاميرا حساسة تظهر أدق التفاصيل.

– هل تعمل بوضعيات مختلفة؟

– نعم.

– تجيد استخدامها؟

– نعم

– رائع. أشعل سامي سيجارة ثانية، عاد وجلـس في الكنبـة، مـد يده ليشرب ما تبقى من القهوة. سمع شخصاً يتحرك قـرب النافـذة، فقال: كل شيء على ما يرام؟

–قال كيث نعم، إنني أتفقد الضوء فقط.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– جيد، هنف سامي، هيه بيتر كيف حال أمك؟ أما زالت تلتقي ذلك الرجل؟

– لست متأكداً.

– آه حسن إيه!

–أبي...

– ماذا؟

– كيف كان السجن؟

– السجن؟ فظيع جداً.

– كنت أقول لكيث إنك سجنت.

– نعم حسن إنه فظيع، فظيع جداً. تقفل عليك زنزانة صغيرة ثلاثاً وعشرين ساعة يومياً وأحياناً أربعاً وعشرين! بعدئذٍ يضعونك مع أناس لا تحبهم. أناس مجانين. أغبياء تماماً، لا يمكنك التحدث معهم، تثيرون أعصاب بعضكم بعضاً. أقول لكما إنها جريمة نكراء. لا أكذبكما القول، تكون محظوظاً إن لم تمت. تعرف إن أردت أن تموت، اذهب إلى السجن. كثير من الأشخاص من الذين أعرفهم، ماتوا. وفوق ذلك كله، تجد هناك أناساً يكرهونك. يكرهونك دونما سبب. وهكذا تبقى خائفاً، يجب أن تحترس لظهرك طوال الوقت. إنها جريمة نكراء. كابوس. كابوس فظيع.

– كله زنوج.

– زنوج؟

– قال لنا شقيق كيث: إنه مليء بالزنوج.

– تمام، نعم حسن... تعرف، يجب ألا تطلق على الناس ألقاباً، ذلك هو الأمر، يجب أن تنتبه لذلك... هنف سامي. تعرف ما أقول يا بني يجب أن تنتبه إلى ذلك.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

-...

-قال كيث: "أخي قال لنا ذلك".

هز سامي رأسه: كل ما أقوله يا بني إذا كره الناس أن تطلق عليهم ألقاباً، فيجب ألا تطلق عليهم ألقاباً، هذا أمر لا يمكن تجاهله.

- هز سامي كتفيه وقال: هل نلتقط الصور الآن؟

- نعم، جيد، نعم. كما كنت أقول لكما، الشاب الذي تلفن يساعدني على إيجاد حل لحادثتي، سيرفع لي الدعوى وهلم جرا. إنه ذكي، يعرف كيف تجري الأمور. لذلك سنلتقط الصور. كان سامي واقفاً الآن، تابع حديثه: إنها مشكلة مع فريق العمل، نعم تقع وقعة لعينة-وقضيتي على أية حال إصابة عمل، تلك مشكلتي، إصابة عمل! هكذا... رفع قميصه، وقال: أيمكنك أن تأخذ صورتين يا كيث؟

- قال بيتر: لقد قال لي إنك تحتاج عشرة.

عشرة؟

- ذلك ما قاله.

- آه حسن...

- قال كيث: وطلب أن نلتقطها من زوايا مختلفة؛ لذلك أفكر باستخدام الفيلم كله، فلم يتبق فيه إلا ست عشرة صورة.

- تمام إذن افعل ما ترتئيه. رفع سامي ذراعيه وقال: أعطنا إشارة متى أردتني أن أغيّر وقفتي.

- لا فقط قف ثابتاً يا مستر صموئيل.

- نعم أنا أقول....

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– قال بيتر: نعم، الطقس بارد يا أبي، ويعرف كيث ذلك.

– تمام. سمع سامي انغلاق عدسة الكاميرا. قال، " نعم، لم تكن تلك الوقعة السيئة، ربما تبدو سيئة بسبب الكدمات، لكن هذه لا تعني شيئاً، فالكدمات تجعل الأمر يبدو أسوأ دوماً، وأهميتها في أنها الإثبات لجماعة التأمين، فهؤلاء لديهم أطباؤهم الخاصون ليفحصوك، وأطباؤهم مختلفون عن أطبائك، ولهذا يجب أن تقدم دلائل مثل هذه الصور؛ لها أهمية الإثبات نفسه، إن كنت تفكر في تقديم إثبات. يمكن أن يقولوا إنها صور جسم شخص آخر، إنك التقطت صورة لشخص ما، نعم قد يقولون ذلك، وقد يقولون إنك ضربت نفسك، إنك تدحرجت على درج أو ما شابه، وأنهم ليسوا مسؤولين عنها، لأنهم ليسوا من فعلها بك، أو إن اعترفوا أنهم فعلوها عندئذٍ يمكن أن يقولوا ليست هي سبب الأذى بل شيء آخر مختلف كلياً، لديهم كل الطرق المختلفة. ولهذا أحتاج إلى ألي لأنه من نوع الأشخاص الذين يعرفون ألاعيبهم. فأنت تحتاج إلى أكبر قدرٍ من الأدلّة.

– توقف عن الكلام. بعدئذٍ سمع همساً، وسمع عدسة الكاميرا تنفتح وتنغلق. فقال: ما الأمر؟

– صورتان فقط وننتهي يا مستر صموئيل.

– جيد! بدأت أبرد!

– ها قد انتهينا.

– أنزل سامي قميصه.

– أبي، هل تمانع لو دخن كيث؟

– لا، لا أمانع.

– شكراً يا مستر صموئيل، أتأخذ سيجارة؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– لا، سأكتفي بسيجارة اللف يا بني شكراً.

– خذ!

– لا شكراً.

– متأكد أنك لا تريد؟

– بالتأكيد، نعم، هنف سامي. وماذا عن الصور، هل ستظهر مباشرة؟

– لا يجب أن نظهّرها أولاً.

– هناك مخبر خاص بذلك، في الشارع تحت ؛ اتركها عنده وأنا سآخذها.

قال بيتر. قال الشاب: إنه يجب أن أقوم أنا بذلك.

– نعم، هو قال؟ وهل قال لك كيف ستدفع تكاليفها بنفسك؟

– لدي نقود يا أبي.

– نعم حسن وأنا لدي نقود.

– قال إنني يجب أن أُظهّرها وإنه سيأخذها مني، لاحقاً.

– ماذا هل سيذهب إلى بيت جدك إذن؟ إيه؟

– لم يقل لي.

– تنهد سامي. إنه عملي يا بني تعرف ما أقول، لا أريد لأمك وجدك وجدتك أن يعرفوا

– لن يعرفوا. بصدق. قال الرجل إنني يجب أن أُظهّرها وسيأخذها يوم الأربعاء.

– الأربعاء؟

– نعم لكنني أقصد... إن كنت تريد أن تُظهّرها أنت.

– تعرف ربما يكون أفضل يا بيتر، الأمر فقط هو أني لا أريدهم أن يعرفوا.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– لكنهم لن يعرفوا يا أبي لأنني سأجيب على الهاتف.

–...

– سيتلفن في الثامنة والنصف صباح الغد. سأضعها في التظهير ليلاً وستكون جاهزة غداً لأن خدمة مختبر تظهير الصور سريعة، خلال أربع وعشرين ساعة.

– إنها خدمة سريعة يا مستر صموئيل

– سأنتظره لأجيب على الهاتف عندما يرن.

– ماذا يحدث إن تأخر وكنت أنت في المدرسة.

–...

– تعرف!

– أبي لا أمانع إن كنت تريد أن تظهرها أنت...

– لا ليس الأمر كذلك يا بيتر. تعرف المشكلة هي أمك، إنها كثيرة الأسئلة يا بني. تعرف ما أقصد؟ معظم النساء كثيرات الأسئلة وأمك إحداهن. وكذلك كانت جدتك– يا مسيح ليس جدتك بل جدتي أنا، يا يسوع المسيح، أقصد جدة والدك، نعم جدتي أنا! ضحك سامي إني أخرف في آخر عمري. لا بأس. آه كنت ستحب جدتك لو عرفتها. نعم كان لديها شيء تعطيه لك عندما كنت طفلاً صغيراً، تفاحة أو برتقالة، شلنين– أتذكر مرة كنت ذاهباً لأضع لها رسائلها في البريد، لا يجب أن أخبرك بهذا ؛ كنت مفلساً ؛ كنت في مثل عمرك تقريباً؛ وكنت أدخن مثل كيث، هكذا أردت عشر سجائر، فرميت الرسائل خارج البريد... قهقه سامي، واشتريت السجائر بثمن الطوابع. لا بأس. آه لقد كانت طيّبة كنت ستحبها.

–...

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

شرب سامي آخر رشفة قهوة، بعدئذٍ قال: الأرجح أن يتلفن الرجل في موعده. أتحسبه سيكون دقيقاً؟

– أعتقد ذلك يا أبي.

هز سامي رأسه. انتظر دقيقة... دخل إلى غرفة النوم وجلب بعض النقود. في المطبخ مد يده لبيتر بورقتين نقديتين وسأله: ما هذا؟

– عشرون جنيهاً.

–عشرتان؟

– نعم.

– تمام. لوّح بواحدة: خذ هذه لتظهير الصور.

– أبي، قلت لك إن لدي نقود.

عبس سامي.

– وهذا كثير على أية حال.

– تقاسما الباقي بينكما.

– أبي...

– تقاسما الباقي. وادفعا أجرة الباص إلى البيت.

– لدينا بطاقات.

– حسن اشتريا علبتي شوكولاتة لعينة إذن. بحق المسيح يا بيتر يا بني تعرف ما أقصد، هيّا، إنها مجرد عشرة جنيهات!

تنهد بيتر.

– هيا إنها مجرد عشرة تافهة خذ. لوّح بالورقة حتى أُخِذَتْ من يده. فقال: سيتلفن لك ألّي سيتلفن لك، أعرف أنه سيفعل. انتبه لما أقوله لك، يجب أن ترتب الأمر بحيث لا يعرفه أحد. لا أحد على الإطلاق. فقط أنتما. إيه يا كيث؟ أنت وبيتر فقط، ولا أحد آخر. لا أمك ولا أباك أيضاً، لا أحد: تمام؟

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– نعم.

– ولا أحد سواكما يعرف بذلك، إيه يا كيث؟

– لا لن أخبر أي شخص يا مستر صموئيل.

– عظيم شيء آخر الآن، قصة العينين وهلم جرا، لا تقل لأمك عنها أيضاً يا بيتر، إيه؟

– لن أقول لها.

– في الواقع الأفضل ألا تقول لها إنك قابلتني. ليس مهماً أيضاً، ذلك أفضل، هل هذا واضح؟

– نعم.

– كما قلت فقط لأنني أعتقد ذلك أفضل.

– لم أكن أنوي إخبارها.

– نعم، جيد. تمام إذن... جلس سامي في الكنبة.

– هل يمكنني استخدام الحمام يا مستر صموئيل؟

– اذهب يا بني.

– عندما ذهب كيث قال بيتر: أبي...؟

– ماذا؟ ماذا؟

– هل أنت هارب؟

– هارب! لا! بحق المسيح ما الذي جعلك تفكر بذلك؟ إيه؟

–...

– هل قال ذلك الشاب شيئاً؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– لا.

– ماذا إذن! قهقه سامي.

– لا أعرف.

– لا. لست هارباً.

– هنف بيتر. لأنك إن كنت هارباً بوسعي أن أساعدك.

–...

– تعرف ما أقصد يا أبي، أستطيع. هناك مكان أعرفه هناك وراء المدرسة التدريبية. يوجد بيت قديم؛ إنه مجموعة شقق، لكنها مغلقة بألواح خشبية، أقصد المبنى كله. وهناك أناس يستخدمونها؛ يمكنك أنت أيضاً استخدامها.

– مدمنو مخدرات؟

– لا. حسن ربما يكون بعضهم لكن أعرف شخصاً ينام هناك الآن.

– شخص تعرفه؟

– نعم إنه في السابعة عشرة، كان معي في المدرسة.

– وهو غير مدمن.

– لا. يدخن الماريجوانا أحياناً.

– لكنه هارب؟

– نعم سيغادر في أقرب فرصة، لكنه ينتظر.

– أين سيذهب؟

– إنكلترا.

– تمام... بيتر هل طلبت من كيث أن يذهب إلى الحمام؟

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– لا.

– مممّ... فقط لأنه يبدو لي أنه تأخر قليلاً.

– لم أطلب منه.

– لا لم أقصد شيئاً، فاعتقدت أنك أردت أن تقول ما قلته لي سراً.

– كيث يعرف الشخص أيضاً.

– تمام. إنه صاحب كيث إيه؟

– نعم. أبي قصدت أن أقول إن لدي حقيبة نوم

هز سامي رأسه. نعم حقيبة نوم مفيدة.... نعم.

– لا أحتاجها يمكنك أن تأخذها.

– تبسم سامي. آه حسن، أعرف أين أذهب لو إيه... هز رأسه وتبسم ثانية. سمع حركة. ما هذا؟ قال

– لا شيء كنت ذاهباً إلى الشباك.

– آو... حسن

– هل تلك المرأة في العمل؟

– نعم

– هل تعمل في حانة؟

– اسمها هيلين، نعم تعمل في حانة. هنف سامي. هيه تعرف يا بني ما كنت أقول عن أمك من قبل، ولا أقصد بذلك أن أعطيك فكرة خاطئة؛ إنها جيّدة لكنك ستلاحظ عليها، نعم تريد أن تعرف أين تكون، وماذا تريد أن تفعل، وأشياء من ذلك النوع. لا بد أنك لاحظت ذلك؟ النساء يفعلن ذلك كما تعرف. كانت جدتك من النوع

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

نفسه، أتكلم على جدتك الأخرى، أمي، إن كان والدي مثلاً في مكان ما، كانت تقلق حتى يعود، نعم وعندما يدخل البيت تهدأ وتصبح على ما يرام، كنت أراقبها، قبل ذلك! لم تكن تستطيع أن تهدأ.

...–

– تعرف أنا وأمك، كنا شابين، تعرف القصة، كان وضعاً غريباً لم يكن عادياً. أقصد لأنني كنت في السجن. تعرف كنا نلتقي قبل أن أسجن. بعدئذٍ عندما خرجت عدت إلى جلاسكو ثانية وأكملنا من حيث توقفنا. لكن ما أفكر فيه. لو أنني لم أسجن، لو بقيت هنا، بصدق، لا أعتقد أننا كنا تزوجنا، تعرف ما أقصد، أعتقد كنا سنفترق، كنا سنذهب كل في طريقه ؛ كما تجري هذه الأمور، ذلك ما أقصده.

انفتح الباب. دخل كيث.

–أحكي لبيتر عني وعن أمه، كيف أن وجودي في السجن صوّر لنا الأشياء بطريقة مختلفة.

...–

– قال بيتر: أعرف ما تقول يا أبي

هز سامي رأسه، قائلاً: لن أدخل في تفاصيل. يكفي فقط في مثل وضعك أن تعرف، لو كنت مكانك لفضّلت أن أعرف لأنها ليست قضية كبيرة؛ في الواقع ليست قضية كبيرة، فقد انفصلنا أنا وأمك– بسبب السجن! أقول لك إن السجن يخرب رأسك. نعم، إنه يخربها ويدمر كل شيء باستثناء الشيء العادي! تعرف ما هو العادي! إيه؟ تعرف ما هو العادي؟ أنت هو العادي! كشّر سامي: لو لم أعتقل، عندما اعتقلت، لما كنت أنت هنا! من يعرف ربما كنت هنا أيضاً! الشيء نفسه بالنسبة لك يا كيث، لو كنت مكانه، أبوك وأمك، لا أحد يعرف هذه الأمور. لا أخدعكما، شيء فظيع، فظيع جداً.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تعرفان الصغار يغيرون الأمور. قهقه سامي. بصدق أنتم تغيرونها! تظنان أني أهذي لكنني لا أهذي! حتى بإمكانكما القول إنه جيد أنني سجنت.

أبي.

بإمكانكما أيضاً....

أبي هذا جنون.

نعم أعرف لكن يبقى الأمر كذلك. هنف سامي. كان يلفّ سيجارة وأشعلها الآن. قال: أأقول لكما شيئاً؟ أنا لم أهرب قط. اعتقلت مرتين، لكنني لم أهرب، كنت في معمعان العمل. أقصد أنهم قبضوا عليّ وأنا في معمعان العمل، كنت أنجز العمل. ليس شيئاً كبيراً ما أقوله لكما لكن هناك فرق. هز سامي كتفيه. كانت غلطتي على أية حال، لا أنكر أنها كانت غلطتي، كان يجب أن أتجنب الخطر. لأنه لو لم ألفت انتباههم إلى وجودي هناك لما عرفوا من تلقاء أنفسهم. لأنك عندما تتحرك تعطيهم الإشارة، تعالوا واقبضوا عليّ يا أولاد، تعرفان ما أقصد؟ هكذا كان عليّ أن تكون حذراً جداً جداً، حذراً جداً جداً... بلل سامي شفتيه بعدئذٍ حك رقبته، حك شعر رقبته القصير.

– أبي ما الأمر؟

– لا شيء... لماذا؟

–...

– مجّ سامي سيجارته ونفث دخانها، وقال: يمكن أن أقول لكما أيضاً إن قضيتي الآن هي، إنني أفكر بالرحيل.

– آو أبي.

– العودة إلى إنكلترا.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– أبي.

– أحاول العثور على عمل وما شابه؟ أعالج العينين وهلم جرا.

– آو أبي

– لا، لا شيء إلا أن ذلك هو الأفضل الآن بسبب حالة الأمور هنا. تعرفان ما اقصد. يجب أن أغادر، ذلك كل ما أعنيه يا بني يجب أن أغادر، لأنك هنا لا تفعل دائماً... ما بوسعك أن تفعله أتفهمانني؟ لا يسعك أن تفعل دائماً ما تريد. لذلك يجب أن أغادر الآن.

– أبي ليس بسبب تلك المرأة.

– أية امرأة؟

– هي، صديقتك.

– لا على الإطلاق عما تتحدث؟

– حسن كيف أفهم رحيلك إذن؟

– تفهمه فقط مما كنت أقول.

– هي ذاهبة معك؟

– نعم، تعرف ما أقصد يا بيتر، أنا وهي متفقان. عندما أعالج عيني وهلم جرا، سأرسل لها وستأتي إلي، إننا متحابان أيضا، علاقتنا جيدة. تماماً مثل والدتك وذلك الشخص الذي تقابله، ذلك كل شيء، إنها مجرد علاقات صداقة، إنها متعبة، انتظر حتى تكبر وستكتشفها بنفسك– أنت أيضاً يا كيث، أقول لكما، إنها علاقات متعبة، لا يمكنكما التخلص منها، فهي تحصل رغماً عنكما.

قال كيث: أخي الكبير طلّق زوجته.

– كم عمره؟

– ثلاثون.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– ثلاثون؟ هه – أنت الأصغر؟
– نعم
– كم عدد إخوتك وأخواتك؟
– خمسة
– خمسة، نعم، ذلك جيد. رفقة كثر إيه! تيسم سامي، وقال: الكلام لبيتر هذه المرة، الآن أنت أكبر، سأبقى على اتصال. سأكتب لك رسائل.
–...
– تمام؟
– أبي...؟
– ماذا، ماذا في الأمر؟
– هل ضربك أحد؟
– لا. لا على الإطلاق. ذلك هراء يا بيتر.
– كنت أتساءل فقط.
تبسم سامي.
– متى تغادر؟
– آو، قريباً، قريباً.
– كم ستغيب؟
– ذلك يتوقف على الظرف.
– لكن كيف تستطيع الحصول على عمل إن كنت لا ترى؟ لن يستخدموك.
– عندما أستطيع أن أرى ذلك ما أقصد. في البداية، ستجد هيلين عملاً أولاً وسأبقى أنا أعتمد على الإعانة الصحية حتى تتضح كل الأمور التي يمكن أن تكون غداً، أو الأسبوع القادم، أو الذي بعده؛ من يعرف.
– ألا يستطيع الدكتور أن يخبرك
– لا في الحقيقة لا، ولا صاحبي الذي تلفن لك بخصوص الصور، إنه يفكر ويتحرى أدق التفاصيل؛ لهذا وجوده في القضية مفيد.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– قال كيث: "هل يقوم بشيء ما"؟

– مثل ماذا يا بني؟

– لا أعرف...

– آه، حسنٌ نعم في الواقع إنه يعمل، وما يعمله هو أنه يساعدني في دعاويٍّ للحصول على التأمين.

– آو نعم.

– لأنه من الصعب أن تنجز ذلك بمفردك يا كيث، رأسان أفضل من رأس واحد. يجب أن تكون قادراً على مجاراتهم. إنهم سفلة محترسون. ذلك هو السبب الرئيسي لمغادرتي، لأنهم لن يكونوا متوقعينه، لذلك أقول لبيتر إنني لست هارباً، لكن يجب أن أغيب عن الأنظار، إن لم أفعل ذلك فسوف أخسر القضية.

–...

– تمام؟

– نعم.

– تمام يا بيتر؟

– شيء فظيع.

– إنه فظيع لكن لا بد منه.

– ...

سمعه سامي يتنهد، فهز كتفيه، وقال: إنه أمر لا مفر منه، تعرف ما أقصد، لا يوجد ما يسعك فعله.

– أبي أتذكر ذلك الشيء الذي كنت تريد أن تريه لي في المطبخ؟ أتريد أن تريه لي؟

– ماذا؟

– كنت تريد أن تريني شيئاً في المطبخ؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– نعم، إن كان بوسعك فعله، تعال وشاهده. تحرك سامي إلى الباب، خرج بيتر قبله ودخل المطبخ ثم أغلق الباب بعد أن دخل سامي، وقال: أريد أن أذهب معك.

– آو، يا مسيح.

– أبي سأذهب معك.

– نعم، لكنك لا تستطيع.

– لكني أريد ذلك يا أبي.

– لا يمكنك. بصدق.

– لم لا؟

– فقط لأنه لا يمكن. لا يمكن، اتمنى لو يمكن.

– لم لا؟

– فقط لأنه لا يمكن. إن بقيت هناك سنتين، ربما أقلّ؛ من يعرف. يجب أن أرى كيف ستسير الأمور.

– أبي.

– انظر سأبقى على اتصال معك، ذلك وعد، صدقني إنه وعد ؛ تمام؟

– ...

– الأمر مختلف الآن لأنك أكبر، كنت مجرد طفل في المرة الماضية.

– ...

– كنت صغيراً يا بيتر.

– نعم يا أبي لكني أعتقد أن بوسعي المساعدة، لا أعني أني سأبقى دائماً، بل ريثما تتعافى فقط.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

نعم، لكن تعرف يا بيتر، الآن من الأفضل أن تنهي دراستك، بعدئذٍ تمضي فترة تدريبية، ثم بعد أن تفعل ذلك، عندئذٍ، لن يكونوا قادرين على إيذائك. إضافة إلى ذلك، تعرف يجب أن أستقر، ذلك ما أفكر فيه، الأمر لا يتعلق بك أنت فقط، بل يتعلق بي أنا إذ يجب أن أجد مكاناً وهلم جرا، وهذا أسهل على شخص بمفرده. لذلك لن تأتي هيلين الآن، أيضاً، لأنني يجب أن أستقر أولاً. بعدئذٍ سأرسل لها ربما تأتي وربما لا. أعتقد أنها ستأتي فأنت لا تعرف كل شيء، ليس في هذا العالم. تعرف ما أقصد؟ عندما تنهي دراستك والفترة التدريبية: إن بقيت راغباً بالمجيء عندئذٍ. يمكن ألا أكون هناك أيضا لأني يمكن أن أكون قد عدت إلى جلاسكو. لكن إن بقيت هناك عندئذٍ أقصد نهاية القصة: إن أردت المجيء فالقرار لك، عظيم حتى ولو لشهرين فقط أو مهما يكن لا مشكلة في ذلك، بل سيكون الأمر رائعاً، تعرف ما أقصد. كما أقول لك، لكن يجب أن تجتهد في تلك السنة حتى تكون مستعداً. وعندئذٍ سأتكلم مع أمك بخصوص ذلك، هذا وعد، وعد رجل لرجل. وأنا لا أحنث بوعدي يا بيتر، خصوصاً معك. هيا لنتصافح!

بينما كانا يتصافحان قال سامي: لأكون صادقاً معك، سوف أعود إلى هنا خلال شهرين. الأمر يتوقف على النتائج فقط. وهناك أمر آخر: ذلك الشاب صاحبي سيعود ويتصل بك ثانية بعد أن تعطيه الصور. لكن لا تقل له شيئاً، هذا ما أطلبه منك الآن، لا تقل له شيئاً. كل ما تعرفه أنني ما أزال هنا. تمام؟ إيه؟

– نعم.

– إضافة إلى ذلك إن سألك أي شخص، فليكن الجواب نفسه. لا تقل شيئاً لأي كان. لأي كان على الإطلاق. تمام؟ مهما يكن السبب، يا بني، أتفهمني؟

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– نعم

– لكن انظر، يا مسيح، إن قلت فاعتبرها زلّة ولا تقلق، بالطبع، لن تكون نهاية العالم، أقول فقط إن استطعت عندئذٍ يكون أفضل، لأن ذلك يعطيني متسعاً أكبر قليلاً لاسترداد أنفاسي، هذا ما أقصده. لكن إن زلّ لسان وتكلمت فلن يكون ذلك بالأمر الخطير؛ ليس مشكلة. تمام؟

– نعم يا أبي.

– جيد.

– أبي هل معك نقود؟

– نقود؟ طبعاً معي نقود.

– لأنني أملك نقوداً أيضاً. أحفظها في غرفة نومي، بوسعي أن أجلبها بسهولة.

– بيتر يا بني شكراً لك؛ لكن معي نقود كفاية شكراً.

– أبي أنا لا أحتاجها.

– تنهد سامي

– بصدق. ستأخذها؟

– لا.

– لم لا؟

– لأنني لا أحتاجها.

– ولا أنا. لا أحتاجها يا أبي. أعني ما أقول.

– كم هو المبلغ؟

– ثمانون جنيهاً.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– ثمانون جنيهاً؟ ماذا هل ربحت البولة!

– لا.

– إنه مبلغ كبير.

– ليس كبيراً يا أبي، إنها نقود حصلت عليها. بوسعي إحضارها وإعطاؤها لك، بسهولة. بصدق. أحفظها في غرفة نومي.

–...

– تمام؟

– نعم، نعم تمام يا بيتر، ستكون مفيدة. أنت متأكد، أنك لست بحاجتها؟

– بصدق يا أبي. سأضع الصور في التحميض أنا وكيث بعدئذٍ سأذهب إلى البيت للعشاء.

– لكن ستخرج بعد ذلك ألن تخرج؟

– ليس قبل السابعة.

– كم الساعة الآن؟

– حوالي الخامسة.

– تمام... تمام تحرك سامي باتجاه الباب: سنعود إلى غرفة المعيشة.

تبعه بيتر.

– أما زلت هنا يا كيث! كم الساعة الآن برأيك؟

– الخامسة يا أبي.

– إنها أكثر من ذلك، قال كيث.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– جيد، قال سامي، جيد. أحتاج لعشر دقائق لأحزم أمتعتي. سنتلفن لتاكسي من عند بوب العجوز، جارنا. لكن أولا وقبل أن تفعل ذلك: انظر هناك رغيف خبز وقطعة جبن على طاولة المطبخ. اصنعها سندويشات، يوجد زبدة في الثلاجة. تمام؟

– هذه ما تسمى ساعة الصفر وهكذا أسرع أسرع. تركهما سامي ومباشرة إلى غرفة النوم. الجاكيت والقميص مازالا رطبين لكن ماذا يعني، سيطوي البنطلون بأناقة في الحقيبة، لقد قرر أن يلبس الجينز على أية حال. المشكلة أنه كان يجمع الأشياء ولم يستطع أخذ كل شيء. لكنها ليست مشكلة سيأخذ ما يستطيع أخذه فقط. كان العمل سريعاً، سريعاً ومنتظماً. هناك أمر واحد مؤكد وهو إن كنت تتحرك فهم كذلك يتحركون. لا ضير في ذلك. راحل ثانية.

صاح عبر الردهة: " موسيقى. ليضع أحدكما شريطاً في المسجلة"!

لن يعرفا من هو ويلي نيلسون السافل. يا مسيح، كان جائعاً جداً. كان بوسعه أكل سندويشة. سيأكل واحدة خلال دقيقة.

تمام، جوارب وما شابه. واسترخاء، عمل سريع لكنه منظم وسريع، نعم عمل منظم. تمام. تمام، الجوارب وما شابه، الثياب التحتية والقمصان، ثياب تحتية وقمصان.

كان يرتبها في الحقيبة. عندما سمع قرعاً على الباب. نعم؟

– هذا أنا يا أبي. تعرف أنه توجد ثياب في الغسالة؟

– نعم.

– تمام، تمام لم أكن واثقاً أنك تعرف.

– نعم ليست مشكلة يا بيتر لدي هنا ما يكفي، سآخذها في المرة القادمة.

– هل أخرجها من الغسالة؟

– نعم، إن أردت أقصد ستكون كلها رطبة أيضاً وهكذا لا يهم.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– تمام. انغلق الباب.

– لقد نسي سامي كل ذلك الخراء يا رجل ظن أنه أفرغها من قبل، يا مسيح يا قادر لكن ليست مشكلة لم تكن مشكلة لأنه لم يستطع أن يتذكرها. أي جحيم هذا، لكن ما الفارق اللعين الذي تصنعه؟ ليست مهمة وبذلك تسافر خفيفاً، تنسى ثيابك اللعينة يا رجل، تنسى غسيلك. لا بأس، ثياب قديمة معظمها قديم على أية حال، ربما فيها قميصان جديدان من يعرف؟ لا بأس، كان يتصرف جيداً، يجمع الأشياء الشخصية، لوازم العمل.

جلس على السرير. الثياب وكل شيء في الأدراج. وضعها بالترتيب، هكذا كل شيء تمام. يا مسيح ليس معه ثياب كافية، لم يأخذ ثياباً كافية. لكنه لم يستطع أكثر من ذلك، لم يكن أمامه خيار. إضافة إلى أنه كان بحاجة إلى يدٍ فارغة لأجل العصا. ليس هذا وقت الكركبة يا رجل ليس وقت الكركبة. تمام إذن. وماذا بعد. لا شيء آخر. هكذا نهض، سار عبر الردهة، وصاح على بيتر.

– نعم؟

– اذهب وتلفن للتاكسي. أريدك الآن أن تقول لبوب إنني ذاهب إلى حانة جلانسي، فهمت ذلك؟ إنه شخص جيد بالمناسبة، لكني لا أحب أن أطلعه على شؤوني؛ لا خيار أمامي. يجب أن تتلفن من عنده. هكذا قل له حانة جلانسي، وحاول أن تعطيه عشرين بنساً — هل لديك المبلغ؟

– نعم.

– لن يأخذها، لكن حاول على أية حال. ونريد تاكسي في الحال. تمام؟

– نعم.

– أين نحن ذاهبون؟

– حانة جلانسي.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– تمام، لا، لتكن خلال ربع ساعة نريد السيارة خلال ربع ساعة. هناك أمر آخر مهم الآن، أنا وحدي سأركب التاكسي لأنك وصاحبك ستركبان الباص إلى البيت فقد حان وقت عشائكما. ستقول لبوب إنني سأذهب لأتناول كأساً. ستقول له إنني أريد تاكسي لتوصلني إلى حانة جلانسي تمام، هكذا إذن تاكسي لتوصلني إلى حانة جلانسي وأنتما ذاهبان إلى البيت بالباص. فهمت ذلك.

– نعم.

– من المهم أن تقول له ذلك مباشرة يا بيتر.

– نعم تمام يا أبي.

– أراك بعد دقيقة.

أوقف سامي الموسيقى، بعدئذٍ تناول سندويشة جبن ووضع الباقي في كيسي نايلون، وضع أحدهما في جيب جاكيته والآخر في إحدى جوانب الحقيبة. ووضع أيضاً ما استطاع من أشرطة. خفافة الرياضة كانت أمام المدفأة. ليفة الحمّام. جلبها من الحمّام، ومنشفتين أيضاً، إنه يحتاجهما يا رجل. لسوء الحظ شغلتا حيزاً في الحقيبة. اضطر أن يضعهما مكان قميص... حتى عندئذٍ... اضطر أن يستغني عن واحد آخر.

لا بأس، ماذا يسعك أن تفعل، أغلق سحاب الحقيبة.

دفتر الرسائل: كان في غرفة المعيشة، أراد أن يترك رسالة لهيلين. ضروري جداً كان ذلك ضرورياً جداً. جعل كلماته كبيرة وكتب ببطء ليتجنب الأخطاء ما أمكن. كتبها مرتين. في الأولى كتب: عزيزتي هيلين، أنا مغادر هذا المكان. هناك أمور عدة يجب أن تسوّى. آسف لما حدث في الأسبوع الماضي. لقد أفسدتُ الأمور كالعادة. أعتقد أن أهدافنا كانت متعارضة، كان ذلك مجرد سوء فهم. ما كان يجب أن تذهبي. سأبقى على اتصال.

جعدها وكتب الأخرى: عزيزتي هيلين، أنا ذاهب إلى إنكلترا لفترة قصيرة. هناك أمور عدة يجب أن أنجزها. سأكتب لك قريباً. أنا

kutub-pdf.net

آسف حقاً لما حدث في الأسبوع الماضي. ما كان يجب أن ترحلي. كانت غلطتي فقد كنت غبياً. سأكتب لك قريباً جداً. لك حبي

منع نفسه من تجعيدها. لا فائدة من ذلك، لم يستطع أن يتذكر ما كتب فيها على أية حال. سيكون فحواها مناسباً، ستكون جيدة. ستفيد معها.

تحسس الطاولة بحثاً عن الرسالة الأولى التي جعدها وعندما وجدها وضعها في الجيب الخلفي لبنطلونه الجينز. طوى الثانية الجيّدة. بعدئذٍ كتب على ظهرها (تذكري ذلك الكريس ك نومبر[1]، اخلعي القوس من شعرك)

يا للجحيم كان سيشطب ذلك! لماذا انتا...كتبه: لا. دعه. دعه.

يا يسوع المسيح. ليس هذا وقته، ليس وقته. اللعنة يا رجل تباً للتبغ، أين التبغ، في أي جهنم هو: كيث! كيث...!

– نعم مستر صموئيل؟

– هل رأيت تبغي؟

– إيه... أتريد سيجارة من عندي؟

– نعم، نعم تمام. نعم ؛ شكراً يا بني.

– تريد ولعة؟

– نعم. ناوله كيث الولاّعة. أشعل السيجارة وقال: ماذا تفعل الآن يا بني على أية حال؟

– لا شيء، أتريد شيئاً؟

مشروباً لعيناً، ذلك ما أريده. تبسم سامي، وقال: أنا أشتم كثيراً أليس كذلك! لا. تعرف لو تستطيع أن... لكن كيث هل بوسعك أن

---

[1] ـ كريس : خنجر إندونيسي. ك نومبر : المراد بها هنا الرقم / 11 / وهو رقم الحرف / K / في اللغة الإنكليزية .

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

تجد لي تبغي، إنه في مكانٍ ما، ربما هنا أو في مكان آخر، غرفة النوم ؛ المطبخ، لست واثقاً. إيه؟

– تمام

– المشكلة في هاتين العينين السافلتين.

ذهب الصبي ليبحث عن التبغ. جلس سامي لدقيقة، بعدئذٍ أخذ مظروفاً ووضع الرسالة فيه، لصقه وكتب على وجهه اسم هيلين، أسنده على الجدار فوق إفريز المدفأة. كان كيث قد عاد بالتبغ. قال سامي أترى تلك الرسالة على الإفريز يا بني، ما الاسم الذي كتب عليها؟

– إيه... هيلين ماك جليفاري.

– تمام كم الوقت الآن؟

– السادسة تقريباً.

– يا يسوع المسيح في أي جحيم قحب بيتر؟

– لم يعد بعد.

– ربما صنع له بوب العجوز سلطانية حساء مقرف.

– هل أذهب واحضره؟

– نعم. لا: اجلب لي حقيبتي من غرفة النوم، إنها فوق السرير. ضعها عند الباب

لا فائدة من كتابة رسالة لـ ألي ؛ كان سيكتب له لكن لا فائدة منها ؛ ليست المسألة مسألة ثقة، كان يثق بالفتى، كل الثقة، إلى أبعد حد، لقد وثق به لكن الرسالة لا تتعلق بالثقة. ربما أراد فقط أن يقول له شيئاً ما. إلى الجحيم في ذلك يا رجل لم يستطع التفكير، لم يستطع أن يستجمع أفكاره. سيتابع ألي العمل في غيابه هذا ما كان سيكتبه له في الرسالة على أية حال، تلك هي الوصية اللعينة، ذلك هو فحواها: في حال، في حال، لا بأس لقد كنت...

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

سمع صوت فتح، بيتر يعود. إلى الجحيم بالرسالة يا رجل؛ نهض وأطفأ المدفأة الكهربائية. انتهى كل شيء. حان الوقت. هز سامي كتفيه

– اضطر أن يتلفن لمكاتب عدة لأنها كلها كانت مشغولة يا أبي

– ليست مشكلة.

– لذلك تأخرت كثيراً.

– ليست مشكلة يا بني. جاهزون؟

– لا أعرف.

– بالمناسبة هناك شيء آخر أريدك أن تقوله لذلك الشاب ألّي، أقصد عندما تسلمه الصور، لا أتذكر إن أخبرتك بذلك، هل ستخبره أني سأبقى على اتصال معه؛ قل له ذلك، قل له إنني قلت بالتحديد إنني سأبقى على اتصال معه.

– تمام. لقد أخذ كيث حقيبتك إلى الباب.

– تمام، جيد.

– قلت إن التاكسي ستوصلك إلى الحانة.

– أوه بحق المسيح فعلت خيراً يا بيتر، نعم، جيد.

– ستصل التاكسي خلال خمس دقائق.

– عظيم رائع... تفقد سامي جيوبه؛ كل النقود. قال: نعم نحن جاهزون. دعونا نتحرك ننطلق. تأكد من الأضواء، كل الأضواء في المنزل. إضافة إلى القوابس انزعاها من المقابس ماعدا قابس البراد. لا بد أني قلت ما يكفي عن وضع الصور في التظهير للغد، تمام؟ ليست مشكلة! إن كانت حتى بعد غد.

– نعم.

– رائع يا بيتر أنت ولد جيد هل قلت لك ذلك من قبل! ربت له سامي على كتفه. تمام إنها ساعة الصفر الآن بسرعة، بسرعة،

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

الأضواء، القوابس، وادخل الحمّام تأكد من إغلاق الصنابير. وتأكد من أن النوافذ كلها مغلقة، وأسدل الستائر في كل الغرف، وافعل أي شيء آخر تراه مناسباً. مهما يكن. هه ألم تر أحداً؟ في الخارج في الممر؟

– أحداً مثل من؟

– ليست مشكلة، في الواقع لا يهم. تمام الغرف. الغرف

لبس سامي النظارة وأخذ العصا والحقيبة وانتظر عند الباب الأمامي. تمام. بعد أن خرجوا قفل سامي الباب طقتين ووضع المفاتيح في صندوق البريد. كان لابد من فعل ذلك. هكذا انتهى كل شيء. هز كتفيه. مازال الجو عاصفاً. حقيبة لعينة وثقيلة أيضاً لكن ليس كثيراً، لا بأس.

مشى الولدان أمامه، فتحا له الباب في نهاية الممر. اجتازه سامي. وقال: هذا مثل الحرس الشخصي واللصوص أليس كذلك؟ إنه تصرف غبي. تعرفان إن رأيتما شخصاً ما، شخصاً تظنان أنها من النوع لا أعرف كيف أعبّر، من النوع المريب، أي شخص مريب، نبهاني.

بينما كانوا ينتظرون المصعد قدّم له كيث سيجارة أخرى.

– لا كلا شكراً يا بني شكراً. كان سامي يقف إلى اليسار من مدخل المصعد لصق الجدار. قال: تذكرا أن تنتبها أقصد عندما تنفتح أبواب المصعد.

وصل المصعد. صمت سامي وثبت مكانه؛ انفتحت الأبواب. جيّد المصعد فارغ. هز سامي رأسه وتلمس طريقه إلى الداخل: كنت أود أن أقول كما قلت من قبل وما أقصده إن رأيتما شخصاً ما—المشكلة ليست في الشخص بل المشكلة فيّ أنا—في جنون ارتيابي بالآخرين وما شابه.

لا فائدة من قول المزيد لذلك صمت. إضافة إلى أنه إذا كانوا هناك فليس في اليد حيلة يا رجل، تعرف ما أقصد، سيكون الأمر فظيعاً بالنسبة للولدين، لكن ماذا يعني، لا تستطع أن تنتا.... تمنعه، لا تستطع شيئاً في هذا المجال.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

لكن هناك شيء واحد مؤكد: إن كان هو مغادر فهم قادمون. لا ضير في ذلك، أقصد أنهم كانوا قادمين، فهذا سباق لعين بالتأكيد. ربما يتربصون بالمخرج الخلفي. لا فائدة. ستخرج من الباب الأمامي، قال: سنخرج من المخرج الأمامي. تعرفان ما أقصد يا أولاد سنغادر مثل الجنتلمانات، ثم قهقه. تمام يا بيتر؟ إيه؟ كيث؟ تمام؟ تحسباً للبوليس والمشلحين السفلة إيه، أنا لا أخدعكما!

توقف المصعد. خرجوا منه. علق سامي الحقيبة على كتفه، رأسه إلى الأسفل، وهو ينقر بعصاه يميناً ويساراً. ينقر يساراً ويميناً. جيد. كله على بعضه جيد. لقد أفاده النوم. ها هو ذا مليء بالنشاط لقد صفت له رأسه. والروتين أيضاً. في الحقيقة، كان قد اعتاد روتيناً منظماً، بعض التدريبات الصغيرة التي جعلتك دائم الحيوية، لقد قوّتك للوقت المناسب. إضافة إلى أن المطر قد توقف ولم يعد هناك ريح، كان ذلك جيداً أيضاً: لم يكن الوضع سيئاً، يا رجل لم يكن سيئاً. قال: تلك التاكسي ستنتظر عند الزاوية بجانب الصيدلية. تمام...؟

تكلم بصوت خفيض فتوقف الولدان عن الكلام. ربما كانا يتكلمان منذ أن غادرا الشقة؛ ولم يلاحظ سامي ذلك؛ سمعهما يتكلمان، لكنه لم يسمع ما كانا يتحدثان به. قال: "هيه بالمناسبة، يا بيتر، ما هي أقرب حانة إلى بيت جدك؟"

– حانة السّوان.

– آو نعم اللعنة... السوان القديمة... جيد، جيد.

– هل شربت فيها من قبل يا مستر صموئيل؟

– مرات عدة، نعم أنا وأم بيتر، عندما كنا نلتقي، جرت العادة أن تقام فيها حفلات موسيقية في عطلة نهاية الأسبوع، كانت هناك بعض الفرق الجيّدة. نعم كان ذلك حسناً. تعرف ما أقصد إن كان وجهك معروفاً يا بني إن كنت من الزبائن المواظبين. نعم، السوان القديمة.

– إنها سيئة قليلاً هذه الأيام يا أبي.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

آه حسن وكانت سيئة قليلاً في تلك الأيام يا بيتر، مثلما أقول لكما إن كان وجهك معروفاً تلقيت معاملة جيدة. سنتوقف الآن عن السير قليلاً أريد أن أتحدث معكما،

– هيه هناك بعض الأشخاص عند البناية يا أبي.

– لا يهم... لا بأس اسمعا الآن ما سأقوله، لا تتكلما. خفض سامي صوته ثانية؛ خلع النظارة ووضعها في جيبه.

– إنهم ستة أو سبعة همس بيتر

– جيد، لا تتكلم، لا يهم. ليسوا معنيين بنا. حسن يا كيث، أنت أولاً، كما أقول لك يا بني اسمع الآن، أين أنت....؟ تمام جيد، أنت احمل عصاي قليلا.... لأنني سأمسك بذراع بيتر الآن.... لا تنزعج. هيا احملها الآن مباشرة يا كيث، وكأنها عصا بلياردو أو ما شابه، رمحاً، تعرف ما أقصد. احملها بشكل طبيعي، وانطلق أمامنا، لا تنتظرنا؛ وإن رأيت السيارة تجاهلها، تظاهر أنك لا تراها، تجاوزها، لأني لن أركبها، تجاوزها فحسب، حتى إنني لا أريد أن أعرف إن كانت موجودة لهذا فلا تلتفت لتخبرني، فقط تابع سيرك، لا تلتفت إلى الوراء، واعبر الشارع الرئيسي؛ وسنلقاك عند أول موقف باص تجده أمامك لأننا سنكون خلفك مباشرة وعليك تجاهل التاكسي إن كانت هناك فقط تابع سيرك مباشرة إلى الشارع الرئيسي، تمام الآن، هيا انطلق، هذا كل شيء الآن انطلق... ألم تذهب بعد! حسن يا بيتر، تمام، أنت وأنا إذن، وهكذا ما سنفعله هو أن نمشي أيضاً، أنا أمسك بمرفقك وأنت تمشي، لا سريعاً ولا بطيئاً أيضاً، نمشي الهوينى الهوينى.... تمام الآن تمام... وكما أقول، إن كانت السيارة هناك لا تنظر إليها سنتابع سيرنا حتى إننا لا نريد أن نعرف إن كانت هناك فلا تقف لتقل لي ولا تلكزني، لأنه لا يهم إن كانت موجودة أم لا، سنتابع سيرنا حتى نصل موقف الباص. كيف حال أمك هذه الأيام هل هي على ما يرام...

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

كانا الآن عند الزاوية قرب الصيدلية وإن كانت السيارة قد وصلت فستكون هناك. وصلهما صوت سيارتين من مكان ما لكن لم يكن بوسعك تحديد شيء. تابعا سيرهما، سامي يمسك بمرفق بيتر، وعندما بدا كل شيء على ما يرام همس: هيه يا بني هل تجاوزنا الزاوية الآن؟ إلى الشارع الرئيسي؟

– نعم

– فقط أخبرنا عندما نصل موقف الباص.

أخيراً همس بيتر: وصلنا يا أبي.

– ألا يوجد ناس؟

– لا كيث فقط.

– جيد، لن نقف سنتابع سيرنا إذن.

بقي سامي يتحدث بصوت خفيض: كيث... أنت هنا؟ سنتابع سيرنا يا بني، تمام؟ امش بجانب بيتر وأبق العصا معك الآن حتى أقول لك لأني لا أحتاجها، سأخبرك في حينه... تعرف تلك كانت مسّاحة نشرت رأسها ودهنها لي العجوز بوب... إنه عجوز طيب، لا تحب أن تطلعه على أسرارك، لكنك تضطر، تنجح أحياناً وتخفق أحياناً... تبسم سامي، كل هذا الذي أفعله، سيبدو جنوناً، إنه جنون، لا يهم، لا يهم أبداً، إنه يحدث وحسب، إنه يحدث. تمام، لا يهمنا شيئاً الآن سوى إيجاد تاكسي، سيارة أجرة، لأن ذلك ما نتطلع إليه، هكذا إن رأى أحدكما سيارة فليوقفها لأنها هي ما نتطلع إليه، لا شيء غيره، لا يهمنا أي شيء آخر مهما كان رجلاً، امرأة أو حيواناً لا شيء، إلا إن كانت تاكسي فذلك ما نريده، إن كانت للأجرة، إن لم تكن كذلك فلا نريدها، ذلك واضح الآن أليس كذلك؟ بالمناسبة ما هي أقرب حانة إلى حانة السوان؟

– إيه.

– لا يهم

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– همس كيث، إنها الكوجر والدرام يا مستر صموئيل.

– جيد، الآن ترى تلك العصا يا بني؟ لا لا شيء، انسها، فقط احملها بالطريقة التي قلت لك، تمام، رائع... ما عدا ربما عندما نركب التاكسي، عندما نراها عندما تكون قادمة، عندما نركبها، عندئذٍ خبّئها يا كيث تعرف ما أقصد إن استطعت فقط، ربما... طبعاً إن لم تستطع فلا بأس لأنها كبيرة، لكن إن استطعت، بحيث لا يستطيع السائق أن يراها عندئذٍ تكون قد فعلت عظيماً أقصد وعند النزول أيضاً، عندما ننزل من التاكسي، إن أمكن ذلك لكن إن لم يمكن فمن يبالي، لا بأس، لا شيء نقلق عليه. هيه بالمناسبة يا بيتر أنت تنزل حقيبتي من التاكسي، تمام؟

– نعم.

– جيد... يا مسيح نحن محظوظون بتوقف المطر! تعرفان لقد تبللت به هذا الصباح.

جاءت التاكسي سريعاً. ركب سامي أولاً وطلب من السائق إيصالهم إلى المحطة الرئيسية إلى المدخل الجانبي عند هوب ستريت إذا أمكن. كان بيتر آخر من ركبها وأغلق الباب. جلس سامي في المقعد وتنهد. جميل أن تنعم بقليل من الهدوء والسلام، قال، "لا كلام أبداً." شيء جيّد.

عندما وصلت السيارة المحطة أعطى سامي الحقيبة لبيتر وأعطى السائق ورقة نقدية كبيرة في الوقت نفسه؛ بعد أن أخذ الباقي بقشش السائق خمسين بنساً وتحرك باتجاه الباب

تمام يا أبي، همس بيتر وأخذ بيد سامي حتى خرج ونزل من السيارة إلى الرصيف، بعدئذٍ أغلق الباب. وبعد لحظة كانت السيارة تنطلق مبتعدة.

– نعم أنت ولد حاذق! قال سامي مكشراً، كلاكما حاذقان! صفق بكفيه وقهقه. ها قد وصلنا. جميل. الآن أعطني الحقيبة يا بني.

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

– بوسعي حملها يا أبي.

– آه حسن حسن، حسن إنها جيّدة للعضلات، فقط حتى نصل الزاوية. أين العصا الممتازة يا كيث هل هي معك؟ لم تتركها في التاكسي اللعينة؟

– أنت تمزح؟

– لا، بالمناسبة أنا لا أمزح أعطنيها ولا تثرثران. كان سامي يبتسم. ماذا عن كاميرتك يا بني هل هي معك؟

– نعم إنها في جيبي.

– جيد، جميل. هكذا سنمشي يا أولاد سنمشي، سنذهب إلى موقف التاكسي عند زاوية جوردون ستريب. أعطني مرفقك يا كيث، صاحبك سيحمل الحقيبة.

– ليست ثقيلة يا أبي.

– ليست ثقيلة؟ جيد.

ساروا حتى وصلوا الزاوية فأبطأ كي يقف وتمتم: البوليس والمشلحون ثانية أعطنا الحقيبة... علقها على كتفه الأيسر. تمام سنسير فوراً إليه... وتلمس بعصاه بحثاً عن جدار المحطة؛ أبقى صوته خفيضاً: أنتما الاثنين ستأخذان التاكسي الأولى وأنا سآخذ الثانية. تلك الجنيهات العشر ستكفي يا بيتر وسيبقى ما يكفي من أجل الصور. أتوجد تاكسيات على الموقف؟

– نعم يا أبي يوجد الكثير.

– جيد، هكذا لا تأخذانها إلى أمام بيتكما، تعرفان ما أقصد، تأخذانها إلى منتصف المسافة بين بيتكما، تمام؟ لا أقول لكما شيئاً عبثاً بالمناسبة، هذا تدريب جيد من أجل مهنة البحارة اللعينة تلك: تعرفان عندما تلتحقان بها، ستمضيان الوقت الطويل تتهربان من أولئك الضباط البامبوتات السفلة، تعرفان ما أقصد، يعاملانكما كخدم

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

وسيزعجكما ذلك كثيراً. وهكذا، فهذا تدريب جيد لتتدبرا أمر زوغانكما. حسن... خذ يا كيث احمل العصا ثانية، خذها معك إلى البيت. واجلبها معك ثانية عندما تقابلنا أنا وبيتر في الحانة. سآخذها منك لأني ذاهب إلى هناك، ذاهب لأملأ رأسي، هكذا سأراكما هناك بأسرع ما يمكن. لا تسرعا كثيراً، يا أولاد، لأني سأشرب على الأقل كأسين. تعرفان ما أقصد إنه إرواء عطش. أنا أمزح فقط؛ تعالا متى شئتما. واضح أيضاً، أقصد في التاكسي، لا تتخاطبا بأسمائكما، ليس ذلك وقت التنادي بالأسماء، لا تتحدثا عن شيء سوى عن كرة القدم أو التلفزيون أو ربما عن البنات، تعرفان؟ أي شيء، أي شيء لست مضطراً أن أحدده لكما، تمام؟

– سمع بيتر يقهقه، فابتسم وقال: على ماذا تتخوزق تقهقه!

– لا آسف يا أبي.

– القهقهة أكره شيء عليّ في هذا العالم، لا أمازحك يا بني لا تستفزني بها أبداً – ليس بالقهقهة اللعينة! كان سامي ما يزال مبتسماً عندما عبس فجأة: هيه كم الساعة الآن؟

– السابعة إلا ثلثاً يا مستر صموئيل

– نعم، تمام. لقد تأخرتما على عشائكما. وهكذا عليكما تدبّر عذر. آسف لذلك لكن لم يكن بالإمكان ما هو أفضل. غيرت رأيي؛ يا كيث – أعطني العصا يا بني... شكراً. تعرف أفضّل أن تبقى معي، خشية، ربما تكون الحانة مزدحمة، لا أريد أن أدوس أقدام الناس، هتف سامي. هكذا اتفقنا إذن؟ تعرفان الموضوع؟ إيه؟

– نعم يا أبي.

– تمام، هكذا انطلقا أنتما وأراكما فيما بعد، تذكّرا الآن أني ذاهب لأبجعها.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

أنزل الحقيبة بين قدميه وتأبط العصا، بعدئذٍ لف سيجارة لكنه لم يدخنها؛ انتظر دقيقة ولبس النظارة، رفع الحقيبة وتلمس طريقه بالعصا إلى موقف التاكسي.

فكر بالمدرسة التدريبية التي حدثه عنها بيتر كآخر غاية له. الحقيقة لو أنه لم يكن بحاجة النقود لما تخوزق جاء إلى هنا قط. لكن لا خيار أمامه. لا خيار أبداً، إضافة إلى حقيقة من يرغب في أخذ النقود من أولاده الصغار. ليس هناك من سافل يرغب بذلك. إلا إن كان لا مناص منه، وهو كذلك لكن لا مناص منه بالنسبة لسامي وهذه نهاية القصة؛ وهو كذلك؛ هكذا جيِّد؛ انحنى إلى الأمام وقال للسائق:

هيه يا صاحبي أتعرف حانة السوان؟ أتأخذني إليها؟

لم يستطع تذكر اسم الحانة الأخرى. لم يكن الاسم مهماً، في هذه المرحلة. انحنى إلى الأمام ثانية هل يمكن أن أدخن؟

– إيه، لا، في الواقع آسف.

– آو ليست مشكلة، ليست مشكلة. ليست مشكلة. هتف سامي وأسند ظهره على مسند المقعد. وضع السيجارة في جيبه. قدمان منتا....ان يا رجل كانتا تؤلمانه، شعر برغبة بخلع خفافته. لكنه عمل متعب أيضاً، يمكن أن تفوح رائحتها. هناك شيء سيفعله، لا شك في ذلك، حالما يجمع النقود سيشتري حذاءً جديداً. هناك أشياء كثيرة ليفعلها. لا فائدة من التفكير فيها، ليس الآن؛ لا فائدة يا رجل تعرف ما أقصد، لا فائدة.

لم يخلع النظارة عندما خرج من التاكسي، دخل الحانة. بدت له مزدحمة وأن الناس يفسحون له ليمر. عند البار أشعل سيجارته، وانتظر. أبقى الحقيبة على كتفه. كان يقف بقربه أناس. ولهذا السبب لم يتركها على كتفه، لم يكن قلقاً من ذلك، بل لأنها هكذا أقل إزعاجاً.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

منذ زمن طويل لم يدخل هذا المكان يا رجل منذ زمن طويل. بحق الجحيم. حتى عندما كان يوصل بيتر إلى البيت بعد زيارته له عندما كان صغيراً كان يعود إلى المدينة بأسرع ما يمكن.

ذكريات سيئة. ذكريات جيدة لكنها ذكريات سيئة.

ربما لأنه كان أعمى، ربما لذلك كانت تهيمن عليه هذه الفكرة، لأنه لم يستطع أن يرى عيني أي سافل، لهذا كان مضطراً أن ينتظر حتى يعرفه الآخرون، يا مسيح يا قادر إنه يلبس النظارة اللعينة ومعه العصا البيضاء يا رجل فماذا يحتاجون أكثر من ذلك ليعرفوه. تنهد وغير وقفته، مجّ آخر مجة من السيجارة ثم تركها تسقط على الأرض. تعرف لقد كانت حانة مزدحمة. حسنة الصيت. تنحنح وقال: كأس بيرة لو سمحت!

– هنف ومرر يده تحت نطاق حقيبة الكتف.

– كأس بيرة؟ قال شاب صغير.

– نعم إيه كأس بيرة.

–...

وكان ذلك كل شيء ولا شيء أيضاً لأنك حتى لم تعرف إن كان قد ذهب ليحضرها لك أم أنه كان سيدير لك ظهره اللعين ويلتفت إلى زبائن سفلة مداومين طوال ليالي الأسبوع، واحد من هؤلاء الأصحاب أو ما شابه، سلوك استفزازي، سلوك استفزازي؛ لكن لا تدعه يشغل بالك؛ لأن لا فائدة من ذلك؛ لا فائدة. كانت هناك أشياء أكثر أهمية.

بعدما قُدِّم له طلبه وأعيد له باقي النقود قال: أيوجد هاتف؟

– نعم عند نهاية البار.

– يميناً أم يساراً.

– يساراً.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– شكراً جزيلاً: هنف سامي، رفع الكأس، رشف جرعة ملء فمه بعدئذٍ سار إلى اليسار.

عندما وصل الحائط تلمس بحثاً عن البار ووضع الكأس، ووقف هناك بعد دقيقة قال شخص: تريد مقعداً؟

نعم يا صاحبي لا مانع.... سمع سحب اسكمبلة، تلمسها وربت عليها. شكراً. هيه أتقدم لي خدمة، أيمكن أن تطلب لي رقماً في الهاتف؟

– نعم لا مانع ما هو الرقم.

– المحطة المركزية. استعلامات المسافرين.

– تمام يا صاحبي.

– أدار الشخص قرص الهاتف، بعدئذٍ قال: أتريد أن أتلفن لك إلى المحطة؟

– نعم يا مسيح سيكون ذلك جيداً.

– سأعطيك السماعة عندما تجيبني المحطة.

– نعم عظيم، شكراً.

ماذا تريد على أية حال، توقيت انطلاق القطار؟

– نعم، نعم، إلى بيرمنغهام. القطار الأخير. في أي وقت كان

– تمام فهمت.

– آمل من المسيح ألا يكون قد فاتني القطار. وإلا سأنتظر حتى صباح الغد!

– آه سنرى، سنرى.

سمعه سامي يدير قرص الهاتف ثانية، مد يده إلى جيب بنطلونه الجينز، وأخرج بعض الفراطة: هيه يا صاحبي خذ قطعتين من فئة بنس أو ما شابه.

– لا بأس.

– لا، شكراً، هيا خذ...

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

شعر به سامي يأخذ قطعتين وبعدئذٍ راح يدير القرص برقم استعلامات المسافرين.

– مشغول: سأحاول ثانية... حاول الشخص مرتين، بعدئذٍ توقف. قال، سأحاول ثانية بعد دقيقة. ثم قال: خذ... وأعاد لسامي قطعتي النقود.

شكراً على كل حال. جلس سامي على الإسكمبلة والحقيبة على ركبتيه. رفع الكأس وشرب. بعدئذٍ لف سيجارة. بشائر خير في كل مكان. لم يشغل ذهنه بمحطة الباصات، كان سيتصل بها لو كانت تهمّه لكنها ليست مشكلة، فالطريقة الأفضل هي أن يذهب ويستقل أول باص منطلق؛ أياً كان الوقت، وكلما كان موغلاً جنوباً كان أفضل. يا مسيح، كان يتطلع إلى الإفطار يا رجل وكان يتضوّر جوعاً وغداً سيكون يوماً طويلاً، كان ذلك أكيداً. لا بأس.

وكان كأس البيرة هنا جيداً جداً، كان قد نسي ذلك. سيتناول كأساً ثانياً لكن لا ثالثاً. تلك كانت العادة السيئة التي تُسكِرُك. ولم يكن يريد أن يسكر، لأنها لم تكن ليلة مكرسة للهراء.

– أبي.

– حسن...

– أنتظرك في الخارج.

– تمام... هنف سامي، بقي جالساً مكانه وهز كأسه بشكل دائري ليعرف كم تبقى فيها؛ كمّية معقولة، وضعها على البار ونزل عن الإسكمبلة سأعود خلال دقيقة، قال لأي كان يقف بجانبه. علق الحقيبة على كتفه وتلمس طريقه بالعصا. لم يبق بيتر في الحانة، ربما لأنهم لا يسمحون له لأنه حدثٌ. كان ينتظر خارجاً في المدخل.

– تمام يا أبي؟

– قال سامي: جئت بسرعة.

– نعم حسن لأنك مستعجل

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

– هيّا تعَل سنتمشى قليلاً... كيث معك؟ انطلق سامي يمشي.

– نعم

– تمام يا مستر صموئيل؟

– نعم يا بني لا مشكلة. أخبرنا يا بيتر عندما نصل مكاناً آمناً لن نبتعد لأنني سأعود لأنهي ذلك الكأس، وسأتلفن لسيارة في أثناء ذلك كيف المكان هنا؟

– نعم يا أبي إنه جيد، لا يوجد أحد

– توقف سامي. أعطاه بيتر المظروف فأعاده له مباشرة. افتحه يا بني.

– فتحه بيتر وأعطاه النقود، طواها سامي ووضعها في جيب بنطلونه الجينز.

– أبي هل أنت ذاهب إلى بوكانان ستريت؟

– نعم.

– أين أنت ذاهب؟

– إنكلترا. في الواقع يمكنِ أن أركب القطار بدلاً من الباص، أي شيء متوافر، سوّى سامي حمالة الحقيبة فوق كتفه. سأركب ما هو متوافر: تمام؟ إيه؟

– نعم.

– هكذا ليست مشكلة. إيه؟ ليست مشكلة

– أبي هل يمكنني توديعك في المحطة؟

– لا يا بني لا يمكن، اقترب، اعطنا يدك... أمسك سامي بيده وصافحه. الأسوأ في كل هذا الأمر هو أن أقول وداعاً لشخص مثلك، لكن ماذا تستطيع، عليك أن تفعل ذلك، تعرف ما أقصد، عليك أن تفعل ذلك. أين صاحبك...؟

– هنا.

Twitter: @ketab_n
kutub-pdf.net

صافحه سامي. قال: تمام يا بني، فعلتم خيراً، سرتني مقابلتك. إلى اللقاء وأتمنى لك التوفيق.

– التفت إلى بيتر ثانية وامسك بكتفه. تمام الآن؟ هكذا بسرعة بسرعة، تفهمني؟ هيا اذهب. هكذا لن يكون عناقاً وما إلى ذلك، لأني لن أغيب طويلاً وسأكتب لك في نهاية الأسبوع حالما أرتب أموري، بعدئذٍ سأرسل لك عنواني لتكتب لي لأني أنتظر أن تكتب لي، تسمعني؟ أنتظر ردك على رسائلي. تمام؟ أنت ولد رائع والآن هوّن عليك. أعطنا يدك لمصافحة أخرى.

– تمام اتفقنا إذن، سأراك قريباً انطلق الآن. كشّر سامي مبتسماً.

انتظر على الرصيف بعد أن قالا وداعاً. بعدئذٍ تلمس بعصاه إلى مدخل الحانة ووقف فيه. سيارة أجرة، لا مجال للخطأ. عندما غاب صوتها لبس نظارته وخرج إلى الرصيف. لم ينتظر طويلاً حتى وصلت سيارة ثانية. تلمس بعصاه باتجاهها ولوّح بها في الهواء. كانت سيارة أجرة، سمعها تقترب ومن ثم سمع زعيق المكابح. فتح السائق الباب. قذف سامي الحقيبة داخل السيارة ثم ركب أغلق الباب وانطلقت السيارة، خارج مدى النظر.

- انتهت -

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n

kutub-pdf.net

عندما فاز كيلمان بجائزة بوكر في عام ١٩٩٤، عن روايته الرابعة، كم تأخر الزمن، هدد أحد القضاة بالاستقالة من لجنة التحكيم احتجاجاً على منحة الجائزة، معلناً أن روايته هي "تخريب أدبي". فهدد مُحكمون آخرون بالاستقالة إن مُنعت الجائزة عن كيلمان. وعبّر بعض النبلاء الأسكتلنديين عن غضبهم من الألفاظ النابية لبطل الرواية، وهو في حالة سكر جلاسكوي. ومنذ ذلك الحين نشر كيلمان العديد من الروايات عن حياة الطبقة الأسكتلندية العاملة ، ويوصف اليوم بأنه "أعظم الروائيين البريطانيين المعاصرين". وأصبحت مقارنته مع جيمس جويس وصموئيل بيكيت أمراً شائعاً. ويصفه بعض النقاد بأنه أكثر سخرية وسخطاً من بيكيت، أو على أنه بيكيت جديد، أو كافكا آخر، أو أفضل كاتب بعد إميل زولا، أو باعتباره خليفة بينتر، أو أكثر الكتّاب إمتاعاً من حولنا.

" رواية جميلة ، أفكار جريئة خالية من الحقائق القديمة العمياء .... تتمتع بعمق فني واجتماعي كبيرين... إنها رائعة أعمال كليمان حتى الآن. "

الغارديان

kutub-pdf.net